الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد 233 ـ ذو القعدة 1416هـ ـ مارس/أبريل 1996م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 233 MAR./AVR.

من هم الناجحون في الحياة؟

الإنجليز
والوقوع في دائرة السحر

Mngool

الحركة النقدية السعودية
إبداع أم اتباع؟

التوجيه الإلكتروني
تقنية تحل مشكلات المرور

حياة الحيوان

المؤلف محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين، عاش من 742هـ إلى 808هـ .

موضوع الكتاب في علوم الحيوان، وتقع هذه النسخة المخطوطة منه في (121) ورقة، وهي نسخة معتنى بها كتابةً وجداولَ. فالخط نسخي واضح داخل جداول بالحمرة والمداخل وأسماء الحيوانات بخط ثلث جميل وبقلم أحمر، وفي الهوامش رقمت الأسماء والمداخل التي داخل الإطار في كل صفحة، تاريخ الكتابة سنة 1093هـ ولم يذكر اسم الناسخ.

أهمية هذه النسخة الخطية تكمن في سلامتها من الإصابة بما يتلف المخطوطات عادة من أرضة أو طمس، إلى جانب الدرجة الفائقة من إتقان الخط والتنميق والوضوح، ويلاحظ نقص بعض الأوراق في أثناء المخطوطة.





هذه النسخة من مقتنيات مكتبة جامعة الملك سعود.

إعداد

أبي زكريا صالح بن سليمان الحجّي

في العدد القادم:

- الانتماء والالتزام ومفهومهما
- النظرية التكاملية في تدريس اللغات
- لماذا شاعت الأخطاء اللغوية؟

البريد

الرابط بين «إطلالة» و«على موعد»

جديد عهد وحديث صلة بمجلة «الفيصل» ولكن مطالعتي لها خلال المدة القصيرة الماضية وثقت الصلة بيني وبينها وأظنه رباط المتعطش إلى الحقيقة.. الحقيقة الخالية من الزيف.. والواقعية.. دون الإغراق في الأوهام والمتاهات.. ما لفت نظري إضافة إلى ما تتحفون به القراء من كل جديد في عالم الفكر والعلم، والبحوث المشوّقة، المرآة الصافية التي تعكس أسلوبًا تربويًا توجيهيًا... خاصة التناول الواعي المتقدم في إطلالة رئيس التحرير، الذي يبعث الأمل في النفوس.. وكذلك الاختيار الجيد للموضوعات وتبويبها بحيث يضفي عليها التكامل والترابط ووحدة الهدف، ما يجعل الموضوعات من «الإطلالة» إلى «على موعد» دائرة معارف قائمة بذاتها إضافة إلى الباب المخصص بهذا الاسم.. لكم التحية والود.. والأمنيات الطيبة.

عامر درعوزي
الفيض ـ نزلة هنانو ـ حلب ـ سورية

التجديد والتأصيل

لعل من أسرار جاذبية الفيصل وخصوصيتها أنها تُعد أكثر من كتاب في عدد واحد، بتنوع الموضوعات والتوثيق واستقطابها أقلام النخبة، وإفساحها المجال للمواهب، واستكشاف الأقلام الجديدة.. وذلك منهاج سليم يقوم على الحرص على تجديد الثقافة العربية والإسلامية ورفدها بإنتاج العقول الشابة.. وقراء الفيصل، برغم أنهم يتطلعون للجديد، فإنهم أيضًا في الوقت نفسه يرغبون في رؤية قراءات متعمقة لتاريخنا الأدبي والفكري.. وفي هذا السياق وددت لو أنكم تناولتم سيرة كل من الأديبين الراحلين مصطفى صادق الرافعي، ومصطفى لطفي المنفلوطي بوصفهما من رواد الحركة الأدبية في تاريخنا العربي والإسلامي.

سعد الدين الخطيب
كلية الشريعة ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة

إدراك ما يمكن إدراكه

أقترح أن تستأذنوا العلاّمة الكبير د. حسن ظاظا في جمع مقالاته النفيسة عن اليهود في كتاب ليعم النفع، ولا سيما في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ أمتنا الإسلامية التي تتسم بمنازلة ثقافية حامية.

حسام عبدالوهاب أمان
حي أحد ـ المدينة المنورة

الخبز والثقافة.. الأهم والمهم!

في هذا العصر الذي تداعى فيه الغرب على الشرق بثقافة الهول والانحلال بما جنده من وسائل إعلامية يطوق بها العقول، في عالمنا العربي والإسلامي خاصة الذي يعاني فيه كثيرون من دوامة التفكير في مشكلات المعيشة، فتتقلص مساحات الاهتمام بالثقافة.. فتظل الحقيقة المريرة: استحكام أدوات الهيمنة الثقافية دون أن يكون في متناول المواطن العربي المسلم (العادي) ما يرد به.. أو يواجه به هذا الغزو.. لأمور متعددة لعل أهمها الموازنة بين الاحتياجات المعيشية والمتطلبات الفكرية... ذلك بالرغم مما يقال ويتردد: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

عمر خلف الله
طالب بمعهد أصول الدين جامعة الأمير عبدالقادر ـ بسكرة ـ الجزائر

تلوث العقول والقلوب

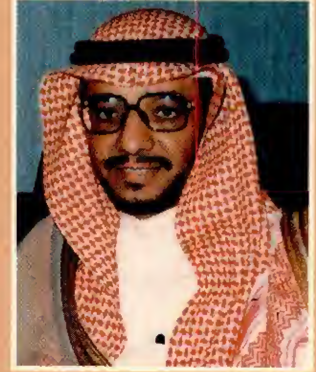
عبر صفحات مجلة الفيصل الرائدة أتوجه بخالص شكري إلى الأستاذ عاصم محمد بهجة البيطار على موضوعه المشوق الذي نشر في العدد (٢٣٠) تحت عنوان «التلوث أولاً.. والتلوث ثانيًا.. والتلوث دائمًا»، ولعل ما أثار إعجابي بالموضوع هو دعوته إلى انعقاد ندوة حول معالجة تلوث العقول والقلوب وحماية الضمير، وكذا اعتزازه بالإسلام بوصفه حلاً ناجحًا لمعضلة التلوث، ولكنني أتساءل: هل انعقاد مثل هذا المؤتمر أمرٌ ممكن؟ ومتى سيحين وقت انعقاده؟

الغلبزوري فؤاد
شارع تونس ـ رقم 12 حي المنزه ـ الحسيمة 33000 ـ المغرب

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على بعضها الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة

بناء الفكر



لماذا يتخلف العالم الإسلامي؟ ولماذا يتقدم الآخرون؟ سؤالان كبيران يلحان على كثير منا، ويسمعهما بعضنا من بعض عندما يتكرر الحوار حول مفهومي التخلف والتقدم وأسبابهما، ومهما تكن المحاولة للإجابة، فإننا نرى الفارق في التقدم المادي يتسع بيننا وبين العالم الغربي يومًا بعد يوم، بل يتسع كذلك بيننا وبين دول أخرى غير غربية سجلت أرقامًا مذهلة في خططها التنموية الصناعية، حتى أصبحت أسواق عالمنا العربي والإسلامي مجالاً خصبًا للتنافس بينها وبين دول الغرب.

لماذا تنجح خططهم وتصل بهم إلى أهدافهم؟ ولماذا تخفق خطط غيرهم - كما في عالمنا الإسلامي - وتعجز عن الوصول إلى مبتغاها؟ هذان سؤالان آخران تحدد الإجابة عنهما ملامح التفكير وأساليب التحصيل السائدة في كل من العالمين. وبغضّ النظر عن شكل الحياة الاجتماعية وما يضبطها من قيم ومبادئ إنسانية عالية في عالمنا الإسلامي، فإن طرح الأسئلة هذه محاولة تبتغي الوصول إلى إجابات عنها تساعدنا في بناء مجتمع متوازن التكوين، مكتمل البنية، مستقل يعتمد على نفسه، ويتبوأ مكانته بين المجتمعات محصنًا نفسه من أي اتكالية أو مساومة قد تجره إليها الحاجة. وهذه المحاولة للإجابة يجب أن تبنى على الصدق والصراحة، وأن تكون بالتأمل والتدقيق في معطيات واقعنا، لنعرف أسباب ما يسوده من مظاهر سلبية كالأنانية وغياب أدب الحوار والخلاف، وضعف مستويات التفكير، ومظاهر أخرى متعددة تنبئ عن عدم فهم الحياة كما يجب.

وبما إن المجال يضيق عن حصر أسباب هذا الإخفاق في التعامل مع الحياة على المستويين الفردي والجماعي، فإن من الأنسب التركيز على ما يتعلق منها بالجانب التربوي بحسبانه مرآة تعكس مفاهيم المجتمع وأسلوب حياته وأداة تكوينه، بحيث يفيد في استقراء ما سيكون عليه حال هذا المجتمع مستقبلاً.

والمتأمل في كثير من المناهج التربوية في عالمنا العربي والإسلامي يجدها عاجزة عن إفراز أجيال تستطيع أن تتحمل مسؤولية التحدي الحضاري الذي نواجهه في عالم يتقدم بخُطًا وثابة نحو المستقبل، حتى أصبح الماضي القريب يبدو متخلفًا جدًا، إذا وازنا ما تم فيه من إنجازات مادية مع إنجازات اليوم، وكذلك يبلى اليوم سريعًا ليصير قديمًا، لدرجة أن غدا الإنسان في حالة دهشة مستمرة لما يكشف عنه العصر من مستجدات على الأصعدة كافة، ويتطلب هذا التسارع في الإنجازات المادية توافر عقول لها القدرة على استيعاب الجديد الذي يبتكره الآخرون، وفي الوقت نفسه تستطيع أن تنتج أفكارًا غير مسبوقة، تكون ركيزة لجديد الغد الذي لم يعرف أسراره أحد بعد.

ولا يمكن تخيل وجود أجيال لها إمكان التفكير المبدع في ظل مناهج تربوية ترسخ التقليد، وتقوم على التلقين، وتجعل الحفظ أساسًا لقياس التحصيل والتفاضل بين الطلاب، لأننا في هذه الحالة لن نحصل إلا على نسخ مكرورة من أساليب التفكير وأنماط السلوك التي يسودها التقليد، ومن ثم تنتفي جدة الأفكار وتجدب قدرات التخيل، وتموت ملكات الإبداع، لتكون المحصلة سلبية في الأداء وفقرًا في النتاج المادي وتخلفًا في البناء. ففي مدرجات الدراسة تُرسم ملامح مستقبل الأمم، لأن فيها يتخرج العلماء والبحاثة الذين يثرون واقع الأمة بأفكارهم وآرائهم وبحوثهم وتجاربهم، متلمسين في ذلك السبل التي تحيل تصوراتهم ورؤاهم إلى فعل ملموس الأثر، وهم الذين يحملون مشاعل العلم وقناديل الفكر إلى الأجيال القادمة، يستحثونها على التميز لا التقليد، وعلى الإبداع لا الاتباع، لتكون أفكار هذه الأجيال إضافة جديدة ذات مردود إيجابي في دفع حركة الأمة إلى الأمام، وليست مسخًا مشوهًا لأفكار أحد، لا فرق في ذلك بين قديمها وحديثها. وبما أن التربية هي تهيئة الأذهان للبلوغ بالشيء إلى كماله، فلابد أن تكون وسيلة فاعلة في تكوين الأفراد، مؤسسة على ما للأمة من قيم ومبادئ قابلة لاستيعاب التطوير الذي أبدعته عقول بشرية أودع الله فيها قدرات تستجيب لدعوة الخالق إلى التفكير والتبصر والتدبر والنظر وإعمال العقل. ويجب أن تقوم أي دعوة للتجديد على قيم الأمة ومرتكزاتها لتكون بذلك مؤسسة على نهج أصيل يحافظ على هوية الأمة ويعمق مبادئ الأصالة فيها. فالتربية - إذن - وسيلة للتواصل بين الأجيال، كما أنها أداة لرسم صورة المستقبل.

ولقد أصاب الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش حين أشار إلى أن من يريد أن يعرف مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية عليه أن ينظر إلى فصولها الدراسية، لأن في هذه الفصول تصنع العقول التي تنتج الأفكار، وتمتلك أدوات التنظير والتطبيق، ذلك إذا هيأت المناهج التعليمية والتربوية لها ظروف تنمية ملكات التفكير والخيال وشجعت على امتلاك أسباب التميز وحفزت على إتيان الجديد من التصورات والأفكار، بما لا يدع مجالاً للشك في أن مستقبلاً واعدًا ينتظر أي أمة لها مثل هذه المناهج.

أما المناهج التربوية التي لا تستند إلى أسس علمية سليمة، فإنها تنشئ أجيالاً لا تستطيع النهوض بأعباء البحث العلمي وفق الشروط المنهجية التي ينبغي أن تتوافر فيه، فتأتي البحوث، إما تكرارًا لبحوث سابقة لها، وإما مهترئة حاشدة أنواعَ القصور؛ وفي كل الأحوال لا تضيف جديدًا ولا تحل إشكالاً. ومن جوانب القصور في العقلية البحثية التي تنبني على المناهج التقليدية، العجز عن التشخيص الدقيق للمشكلات وعدم فهم العلاقات القائمة بين الظواهر المختلفة، وضعف الحاسة النقدية، وغياب دقة الملاحظة، والعجز عن التفسير العلمي والتحليل والوصول إلى نتائج من دون التعمق في دراسة الأسباب، والخلط بين المفاهيم المختلفة، وعدم القدرة على ترتيب الأفكار وتصنيفها وفق أسس موضوعية، مع إساءة التعبير عنها، إضافة إلى الاعتماد على معلومات مبتسرة، كل ذلك يفضي إلى نتائج خاطئة، قد يكون ضررها أكبر من نفعها، عندما تتأسس عليها خطوات عملية لحلول مطلوبة، ومن ثم تأتي نتائجها النهائية مخيبة للآمال، ومهدرة للجهود والأموال، بناءً على القاعدة القائلة بأن ما بني على باطل فهو باطل.

والفارق بين المناهج التربوية الجادة - وهي التي

وتحديات العصر

تتبعها دول الغرب على الرغم مما يعتريها من إشكالات - والمناهج التقليدية - وهي التي تسود في معظم بلداننا العربية والإسلامية - أن الأولى توازن بين قدرات التفكير والقدرات المعرفية، بينما ترجح الثانية جانب المعلومات على حساب شحذ قدرات التفكير، ونتيجة لهذا الفارق، نجد أن هناك من يقرأ في بطون الكتب ويشاهد ويتابع ويبحث عن المعلومة أينما كانت ليوظفها وفق مرئياته واستنتاجاته، وفي الجانب الآخر، هناك من يتقبل نتائج الآخرين وخلاصات فكرهم - حتى ممن ليس لهم مرجعية علمية - على أنها مسلمات من دون أي محاولة لحمل النفس على التفكير في مدى صحتها، ليأسر بذلك عقله ويكبله، لأنه اكتفى بالمعلومة من دون النظر إلى مدى صحة تكوينها، بل إن المعلومة لو فرضنا صحتها ستكون غير ذات جدوى، ما لم يتم تدبرها، لتكون جزءًا من النسيج الذاتي. وهذا ما قصد إليه جون لوك بقوله: «القراءة لاتمد العقل إلا بمواد المعرفة، لكن التفكير هو الذي يجعل ما نقرؤه ملكًا لنا»، يعني هذا أن الإنسان يحصل على المعلومات والمعارف بشتى السبل والوسائل ثم يمنحها نفحة من ذاته، بأن يتفاعل في داخله ما يستجد منها مع خبراته السابقة، ليأتي حكمه على الأشياء والأشخاص والمشكلات من واقع هذا التفاعل، من دون أن ينقاد وراء أحكام الآخرين عليها، وإن كان يفيد منها في تجلية النظر وتدقيق الرؤية. وهذا الأسلوب في التفكير من شأنه تحرير الفكر من الأخطاء التي قد تعلق به، عن طريق التمعن والتحليل الدقيقين، بما يؤدي إلى بروز علاقات جديدة لم تكن واضحة، أما الركون إلى أحكام «الغير» إزاء المواقف والمشكلات فهو يفوّت فرصة الحصول على معرفة جديدة، ويجعل المعارف والمعلومات التي تكتسب توظف لتسويغ تلك الأحكام.

ولا يأتي تعوّد هذا الأسلوب من التفكير من فراغ، كما أنه لا يكتسب بين ليلة وضحاها، وإنما يحتاج تعوّده إلى إعداد وتدريب على مدى زمني طويل، إذ تتولى الأسرة غرسه في نفوس أبنائها بأن تبث فيهم قيم الحوار البناء، وتتيح لهم المجال للتعبير عن آرائهم في إطار من الاحترام والتزام القيم السامية، لأن قهر الرأي وممارسة الكبت يؤدي بهم إلى تعود الكذب، ومحاولة تسويغ سلوكهم بشتى الطرائق، هربًا من التأنيب أو العقاب. وقد لاحظ كثير من المسلمين الذين يعيشون في الغرب أن الشباب الغربي ممن هداهم الله إلى الإسلام يتميزون من شبابنا بالجرأة في طرح آرائهم والقدرة على التعبير عما في دواخلهم بصراحة وصدق، بينما يتردد كثير من أبنائنا في إبداء آرائهم، ويتجنبون المواقف التي تدعوهم إلى ذلك. وهذه الموازنة تكشف عن نمطين من التفكير، وهي توضح ضرورة أن يعتاد الأطفال التفكير في صغرهم، كي يستطيعوا التفاعل مع الحياة من حولهم بإيجابية، وفي هذا يقول د. إدوارد ديبونو المختص في عمليات التفكير: «إننا إذا لم ننجح في تعليم الصغار كيف يفكرون، وإلى أين يتجه تفكيرهم، وكيف يكون تفكيرهم إيجابيًا، فإنهم قد يكونون مدمرين». ولعل أهم دور للأسرة في تنمية قدرات التفكير يتركز في أن تجعل أبناءها يميزون بين الثوابت والمتغيرات، حتى يكون تفكيرهم في إطار قيمي يساعدهم على توجيههم نحو أهداف سامية لا تتعارض مع هذا الإطار. ويعوّل التربويون كثيرًا على المعلم في تنمية مهارات التفكير لدى الطلاب، بأن تكون قنوات الاتصال مفتوحة بينه وبينهم من دون أن يعوقها عائق، وبأن يكون المعلم مدركًا للدورالذي يقوم به في تهيئة طلابه للتفاعل مع الحياة ومجابهة مشكلاتها، والقدرة على اتخاذ القرار متزودًا بالثقة في النفس القدرة على تحمل المسؤولية.

وتتولد هذه الثقة بتشجيع الطلاب على المبادرة الذاتية في التصدي للمشكلات من غير انتظار للمساعدة، وتعويدهم التفكير المنظم والنقد البناء وشمولية النظرة وعدم التسرع في الحكم عن طريق تحليل منطقي منظم والإلمام بالجزئيات ومعرفة العلاقات القائمة بينها، مما يعين على الوصول إلى النتائج من خلال المقدمات. ولكن إيجاد معلم له هذا الإدراك لأهمية التحفيز على التفكير الإبداعي من دون فرض أنماط محددة من التفكير على طلابه، يصبح أمرًا عسيرًا، ومعادلة صعبة حين يكون هذا المعلم نتاجًا لمناهج تكبل ملكات التفكير وتصادرها، إذ سيصعب عليه أن يتبنى أسلوبًا لم ينشأ عليه ولم يعرفه، مما تقتضي ضرورة إعادة النظر في المناهج التربوية، والإفادة من تجارب الآخرين، من أجل إرساء مناهج تعلي من شأن التفكير، وتجعل تنميته هدفًا تسعى إلى تحقيقه.

وتبدو تنمية التفكير الإبداعي أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى في ظل تعاظم حجم المشكلات الحياتية التي نواجهها في هذا الزمان، إضافة إلى ما سيستجد منها مستقبلاً، مما يجعلنا في حاجة إلى طلاقة في الفكر، وتنويع في الطرح وتعدد في زوايا النظر إلى المشكلات، بحيث تتكامل الرؤى وتتآلف الآراء على تنوعها، لإيجاد حلول ناجعة للمشكلات الآنية، ولاستشراف غد يخلو منها، نكون فيه أكثر قدرة على التمييز بين أفكار جامدة لا حياة فيها، وأفكار أخرى أصيلة تتسم بالجدة والتميز.

وأكثر ما يعين على اتخاذ النهج السليم في التفكير ليكون أساسًا لمناهجنا التربوية أن ديننا الحنيف يحثنا عليه، ويدعونا إلى التأمل والتدبر، ويتصل الإيمان بالله بالتفكير ويقوم عليه، ويذكر ذلك الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الفلسفة القرآنية» بقوله: «خير ما يطلب من كتاب العقيدة في مجال العلم أن يحث على التفكير، ولا يتضمن حكمًا من الأحكام يشل حركة العقل في تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم، ما استطاع.. وكل هذا مكفول للمسلم في كتابه، كما لم يكفل قط في كتاب من كتب الأديان.. فهو يجعل التفكير السليم، والنظر الصحيح إلى آيات خلقه وسيلة من وسائل الإيمان». وهذه الملكة التي ميز الله بها الإنسان من سواه كانت سببًا في تكليفه بالقيام بمسؤوليات العمران والسعي في الأرض، ومن ثم كان من الطبيعي أن يحرر الإسلام الفكر الإنساني من أسر الجمود ويسمو به إلى آفاق تتجاوز ما كان عليه من خرافات ووهم، ليؤسس حضارة زاهية أثرت الحضارة الإنسانية، ووطدت قيمًا ومناهج أصيلة في أساليب التفكير البناء والتجريب العلمي.

وهذا الواقع الذي كان عليه ماضي المسلمين يدعو إلى استهجان ما نحن عليه اليوم، لأنه ليس مستساغًا أن يجهلوا ما تبطنه أراضيهم من خيرات، وما يعج به العالم من حولهم من أفكار وتصورات، وأن يظلوا في حاجة دائمة إلى الآخرين، ليستهلكوا ما ينتجونه بلا أي قدرة على إبداع يتيح لهم النديّة معهم، ومن ثم لابد من مراجعة دقيقة لأساليب التربية ووسائلها على مستوى الأسرة أولاً، ثم على مستوى المؤسسات التعليمية والتربوية التي ينبغي أن تهيئ أجيالاً لها القدرة على التفكير المنظم الذي يفضي إلى فهم أعمق للحياة، ووعي بمقتضيات التفاعل الإيجابي معها.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



تقنية تحل مشكلات المدن

تتميز المدينة في عصرنا هذا بكثافة سكانها، وتداخل شوارعها وطرقها وشدة زحامها، مما يربك المرء ويشتت ذهنه لدرجة تجعله يفقد دربه، ويحيد عن مقصده حتى لو كان من قاطنيها والعارفين بدروبها، ويتسبب زَيْغ الفكر في كثير من حوادث المرور التي أصبحت من أكثر أسباب الوفيات في المدن الكبرى، لذلك تفتقت أذهان العلماء عن جملة من أنظمة الإرشاد والتوجيه الإلكترونية لكي تكون دليلاً لسائق السيارة الذي لم يعد في حاجة إلى خبرته الشخصية لمعرفة الطرق والممرات، وهذه التقنية متاحة كذلك لربان السفينة وقائد الطائرة.
عدنان عضيمة قدّم تفصيلات هذه التقنية الجديدة.

طالع ص 83



«أم راكة» المعنى والتاريخ

الجزيرة العربية مهد الحضارات، تلك حقيقة يؤكدها التاريخ والجغرافيا. فحديث خبراء الأرض (الجيولوجيين) عن الدرع العربي وتنوع ثرواته المعدنية، يتطابق مع مرويات التاريخ عن الآثار والوجود البشري بها على الجبال التي أطلق عليها المعاصرون مسميات تعبر عما تختزنه من معادن، مثل: أم الرصاص، أم الحديد، وغير ذلك. و(أم راكة) موقع أثري في المملكة العربية السعودية يمثل أحد نماذج الإعمار الباكر في جزيرة العرب، محمد بن سعود الحماد يسلط الضوء على (أم راكة) الموقع والمعنى والتاريخ.

طالع ص 89



أشتوريش: سياحة وثقافة

الأندلس ذكرى عزيزة ما تزال تعيش في ضمير المسلمين، ولايرد اسمها إلا وتتبعها معاني الثراء الثقافي، والانفتاح في زمان مد الحضارة الإسلامية واتساع رقعتها بالفتوحات. د.غازي سليمان حاتم يستعيد بعضاً من عبق ذلك الماضي العريق عبر استطلاع في إمارة أشتوريش التي وظفت الاحتفاء بالثقافة والمثقفين في استثمار موقعها السياحي الفريد.

طالع ص 12

أدب وفكر

علوم

تربية واجتماع

تراث وتاريخ

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

من كتاب العدد



علوي عبدالله طاهر

- من مواليد تعز، اليمن 1946م.
- عمل مدرسًا للغة العربية في التعليم العام منذ عام 1964م إلى 1980م.
- عمل منذ عام 1980م إلى الآن مدرسًا لمقرري طرائق تدريس اللغة العربية والمصادر الأدبية واللغوية في قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب والتربية، جامعة عدن، وترأس القسم في أثنائها عدة سنوات.
- شارك في تأليف عدد من الكتب المدرسية في مادتي اللغة العربية والتربية الدينية الإسلامية لمختلف مراحل التعليم العام.
- له مقالات ودراسات منشورة في مجالات التربية والتعليم والإعلام.
- من مؤلفاته: «الزبيري: شعره ونثره وآراء الدارسين فيه» 1977م، «لطفي أمان.. دراسة وتاريخ» 1982م، «قضايا تربوية.. مشكلات وحلول» 1986م، «المساعد في تدريس الخط العربي».
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية.

د. نورة صالح عبدالمحسن الشملان

- من مواليد المملكة العربية السعودية.
- دكتوراه في الآداب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1987م.
- من مؤلفاتها: «أبو ذؤيب الهذلي.. حياته وشعره»1980م، و«شخصية المتنبي في آثار الدارسين» 1989م.
- لها عدد كبير من البحوث المنشورة في مجلات علمية محكمة، وفي مجلات ثقافية عامة.
- شاركت في عدد كبير من المؤتمرات والندوات في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.



د. عمار بوضياف

- من مواليد الجزائر 1960م.
- حاصل على الدكتوراه في العلوم القانونية.
- تقلد عدة مناصب إدارية في جامعة تبسة، إضافة إلى قيامه بالتدريس.
- له مقالات وبحوث علمية في الدوريات العامة والمتخصصة، وكتاب تحت الطبع بعنوان «الحماية القانونية للقاضي.. دراسة مقارنة».



محمد بن سعود الحمود

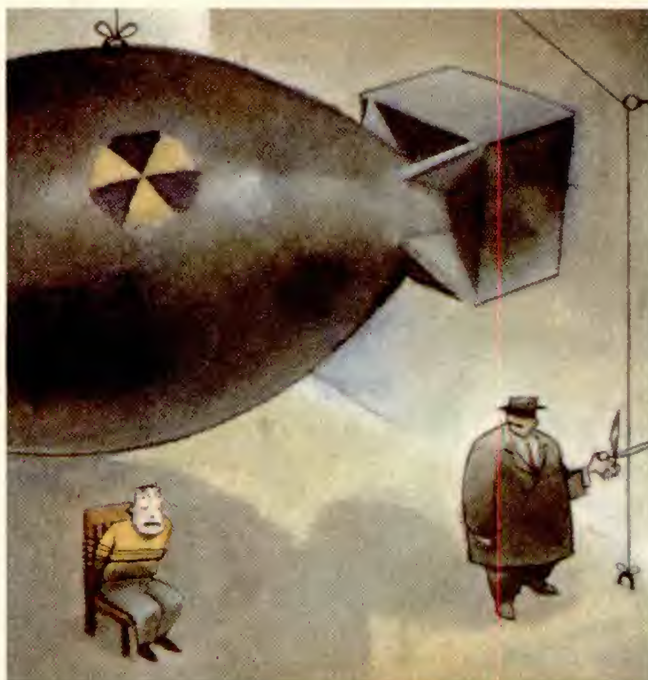
- من مواليد الرياض 1385هـ.
- حاصل على البكالوريوس من جامعة الملك سعود، في الآثار الإسلامية.
- يعمل باحثَ آثارٍ في الوكالة العامة للآثار والمتاحف.
- له كتابان «آثار وتاريخ منطقة القويعية» و«الشواهد الأثرية والتاريخية في المملكة العربية السعودية».
- له مقالات منشورة في الصحافة المحلية.



المستقبل النووي:
الآمال تنحسر أمام الكوارث

تطرح أسئلة كثيرة نفسها حول مستقبل الخيار الذري (السلمي والحربي)، أي استخدام القوة النووية في صنع السلاح، وتوظيفها في الأغراض السلمية، ولاسيما توليد الكهرباء. وعلى الرغم من الأسئلة التي تحيط بهذه القوة الرهيبة، فلا إجابات شافية عنها حتى الآن، ولا يبدو من (جبل الحقيقة) المنطوي على أسرار ومعادلات، إلا الجزء الظاهر منه، الذي تراوح عنده طروحات مختلفة مؤيدة ومعارضة، وكل يسوق مسوغاته، وهي في مجملها أمنية واقتصادية وصحية.

يعتقد على نطاق واسع، ولاسيما في دول العالم الثالث، أن الشأن النووي، إنما



يرمي إلى منع توسيع عضوية النادي النووي، وقصر بطاقات العضوية على الدول الكبرى التي تحاول الاحتفاظ بالسر النووي. ولكن هذا السر ذاع وانتشر ولم يعد بمقدور (النادي) كبح جماح الدول الأخرى ووقوعها في أسر الإغراء النووي بوصفه ـ حسب رأيها ـ أحد أهم عناصر التأهل للمشاركة في صنع القرار الدولي. ولكن الخطر في ذيوع السر النووي ـ كما ترى دول النادي ـ هو أن تحوز عليه أنظمة مغامرة فترتكب حماقات يصعب التكهن بنتائجها التدميرية، ويدورهذا الهاجس النووي والتساؤلات الأمنية المتعلقة به، منذ أن تفكك الاتحاد السوفيتي، وما قيل عن هروب علماء في الطاقة النووية، وتسرب مواد نووية عبر الحدود لدرجة أنه تم ضبط كميات من أنواع مختلفة من المواد المشعة مهربة، أو في طريقها إلى دول محددة، أو تباع وتشترى ضمن صفقات. وهكذا يزداد الخطر مع اتساع الدائرة النووية واحتمال خروجها من الملكية المؤسسية (الدول أو الحكومات) إلى الأفراد وربما العصابات، ولذلك تبدو الدعوة إلى جعل «العالم خاليًا من الأسلحة النووية»، فكرة مثالية (يوتوبيا). يقول الواقع إنه يصعب تحقيقها، في المدى المنظور على الأقل، مادام السعي للحصول على هذا السلاح أصبح صراعًا لإثبات الذات، والادعاء بصون الأمن وبالإبقاء على الخوف المتبادل مازال مستمرًا، ولو كانت مليارات الدولارات تهدر في ذلك، وتذهب مطالب الأخلاقيين أدراج الرياح، في معترك يُزعم أن العقل هو المتحكم في إدارته.

إذا كان ألفريد نوبل مخترع الديناميت حاول التكفير عما عدّه جريمة، وخصص جائزة لأبرز الداعين للسلام والعاملين لتحقيقه، فإن التوصل إلى القنبلة النووية قد عمّق هذا الإحساس بالجرم، فلم يكن مقنعًا أبدًا الادعاء بأن إلقاء قنبلتين نوويتين على مدينتي هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين، وقتل ملايين الناس، وتشويه ملايين أخرى، كان الهدف من ورائه إيقاف الحرب العالمية.

ذلك في الجانب العسكري، وأما فيما يختص بالتوظيف السلمي للقوة النووية، فإنه ـ أيضًا ـ مايزال ينطوي على محاذير، وما يزال تحفّه المخاوف. فعلى الرغم من الأمل الذي يحدو العلماء، وإحصاءات الجدوى التي يعددها الاقتصاديون فإن الرأي العام لايستطيع إلا أن يستحضر موازنات لحقائق وافتراضات صعبة، مثل التسرب الإشعاعي من المفاعلات، أو الانفجار، وفي مواجهة افتراض وقوع هذين الاحتمالين تذوب كل التسويغات الاقتصادية والعلمية.

إن التحوطات مهما كانت تسفر عن ثقوب فيها، وتأخذ النتائج من رصيد الأمل في حلول نووية لمشكلات الطاقة. فلقد كان تسرب مادة تبريد مفاعل مونجو الياباني في الثامن من شهر كانون أول/ديسمبر الماضي، والاضطرار إلى إغلاق المفاعل حدثًا هز ثقة الناس فيما يسمى «الاستخدام السلمي للذرة». وفي اليابان البلد الذي عانى بشكل مباشر من ويلات إلقاء القنبلة النووية، فإن صناعة الطاقة النووية ستحتاج إلى جهود جبارة لتصبح مقبولة شعبيًا، بإعطاء تفسيرات، والإجابة عن تساؤلات تدور حول حادث مونجو. ففقدان 3٪ من بلوتونيوم المفاعل الياباني مرة واحدة أمر محير، وفيما تقول مؤسسة الطاقة النووية في اليابان ببساطة: إن تلك المادة المفقودة قد التصقت في داخل الماكينات، ترتفع أصوات تقول: إن هذه المادة سرقت، بل إن المتحمسين لبرامج الطاقة النووية في اليابان لايجدون في الجواب (الالتصاق) ما يقنعهم، ولذلك فهم يرون أنه إذا أريد للجمهور المتسائل أن ينام مطمئنًا، فيجب إيجاد (البلوتونيوم التائه)، وما تزال جوانب أخرى من الحادث تثير تساؤلات أكثر إحراجًا، وأصبح الأمر أكثر مأساوية بعد انتحار نيشيمور نائب مدير عام مؤسسة الطاقة النووية ـ ربما ـ إحساسًا منه بالذنب.

تحويل مياه الصرف الصحي إلى ثلوج

قامت شركة كندية بتطوير وسائل معالجة مياه الصرف الصحي بما يسمى تدفق الثلج.

إن العناصر الرئيسة للمعالجة الجديدة هي درجة حرارة دون التجمد ومعدات صنع ثلج يتم تعديلها لهذا الغرض. يتم رش المياه العادمة على شكل رذاذ من فتحتين في أعلى برج بضغط هائل جدًا، فيتبلور الرذاذ فورًا في الهواء البارد، وينزل على الأرض على شكل ثلج مكونًا أكوامًا يصل ارتفاعها إلى ٥٠ قدمًا.

إن التبلور السريع يعمل على تمزيق أجزاء خلايا البكتيريا والكائنات الحية الدقيقة الأخرى مما يعمل على تدميرها. أما الملوثات الأخرى مثل النيتروجين والفوسفور فتسقط على الأرض وعندما يذوب الثلج في الربيع يصعد النيتروجين إلى الجو على شكل غاز الأمونيا، أما الفوسفور الذي قد ينتج عنه نمو الطحالب غير المرغوب فيها إذا ما طرح بالمجاري المائية، فيمكن الاستفادة منه بدلاً من ذلك بوصفه سماداً، بأن نتركه يتسرب ببطء في التربة.

ويقول جيف وايت رئيس شركة دلتا الهندسية، وهي شركة في أوتاوا تصمم معدات صنع الثلج لمنتجعات التزلج، وقد قامت شركة دلتا بتعديل معداتها لاستحداث عملية تدفق الجليد: إن طريقة تدفق الثلج هذه قد توفر أموالاً بالاستغناء عن حفر معالجة مياه الصرف الصحي الكبيرة والمكلفة، وقد قامت شركة دلتا الهندسية بتركيب أول مصنع تدفق الثلج في وادي كاراباسيت مين MAIN'S CARRABASSETT VALLEY.

البلاستيك والتسمم بالرصاص

في عيادة أحد الأطباء الأمريكيين تبين أن رجلاً من أوهايو يبلغ من العمر ستًا وأربعين سنة يعاني من خدر في أصابعه وراحة يديه، وربما من ضعف عقلي نتيجة لإصابته بتسمم رصاصي. ولم يكن بالوسع اكتشاف المصادر الاعتيادية للتسمم الرصاصي لذلك الرجل. وحُلَّ اللغز عندما كشف المريض الذي يعمل كهربائيًا بأنه اعتاد أن يمضغ قطعًا من البلاستيك كان يحررها من أطراف الأسلاك الكهربائية، وتم فحص طبقة الدهان التي تطلى بها الأسلاك، فوُجد أنها تحتوي على مستويات تتراوح ما بين معتدلة إلى عالية من الرصاص.

الإباحية في الإنترنت.. كيف تُكبح؟

طلب النائب العام في ميونيخ من شبكة خدمات حاسوب (كمبيوتر) مقرها في الولايات المتحدة، وعدد الأعضاء المشتركين بها أربعة ملايين عضو موزعين على 140 قطر أن توقف السماح للمشتركين الألمان برؤية مئتي مادة وصورة تبثها من قاعدتها للمعلومات؛ لأنها، طبقًا لحكم صادر من محكمة ولاية بافاريا، تنتهك القوانين الألمانية فيما يتعلق بالمواد الإباحية. وهذه المواد الإخبارية ما هي إلا جزء من نظام تداول الحاسوب (الكمبيوتر) بحرية ويدعى يوسينيت USENET ويوزع عالميًا بوساطة شبكة الإنترنت. والوسيلة الوحيدة لاستجابة شركة الحاسوب الأمريكية للطلب الألماني هو إيقاف تلك المواد الإخبارية من صلب نظامها، ونتيجة لذلك فإن المشتركين الأمريكيين الذين يودون مشاهدة تلك المواد سيُحرمون منها.

وكانت تلك المحاولة هي أكثر المحاولات إثارة وأبعدها منالاً لتقييد تدفق المعلومات عبر الخطوط. ويقول ناطق باسم خدمات شبكة الحاسوب: إن هذا الحظر ماهو إلا حظر مؤقت، وإن الشركة تبحث عن طريقة قانونية ووسائل فنية لتجنب هذه المشكلة. وأضاف: إنه ليس من مهمة الشركة أن تحدد للمشترك ما هو قبيح وما هو الحسن.

ولايزال بث المواد الإباحية في شبكة الإنترنت محل خلاف، لأن هناك عددًا كبيرًا من المستهترين الذين يودون استمرارها.



الضفادع بدل من الأفيون

عثر العلماء في كولومبيا في أمريكا الجنوبية على نوع سامٍ من الضفادع يُدعى (فيلوبيتس) ثلاثي الألوان، يبلغ طوله بوصتين، ويعيش فقط في منطقة غابات مطيرة محدودة المساحة في أراضٍ منخفضة.

ويحذّر العلماء الذين اكتشفوا هذه الضفدعة من أنها قد تكون مميتة في الحال بمجرد لمسها. وهي ذات ألوان زاهية تغري هواة الصيد غير المحترفين بإمساكها مما يؤدي إلى وفاتهم فوراً. كما عُثر على نوع آخر من الضفادع، وهو الذي يستوطن جنبات الجداول والأنهار في الأكوادور، يتصف بأنه ثلاثي الألوان أيضًا، ويفرز مادة كيماوية مسكنة تعادل فعاليتها مئتي ضعف من فعالية (المورفين المخدر)، مما يبشر باستخدامات طبية واعدة، ولاسيما لأولئك المرضى الذي لايستجيبون للمسكنات المستمدة من أفيون الخشخاش.

كاميرا فضائية جديدة لاكتشاف معالم سطح الأرض

إن إحدى أهم المشكلات التي تقف عائقًا أمام الوصف المتكامل لسطح الأرض في بقاعها كافة تكمن في قربنا الشديد من سطح الأرض عندما نكون فوقه. وحتى نراه على حقيقته، يجب الابتعاد عنه لمسافة مناسبة. وتقدم آلات التصوير (الكاميرات) المحمولة على الأقمار الاصطناعية والمحطات الفضائية أفضل الفرص لتعرف كوكبنا بطرائق لاتتحق من على سطحه.

ولقد تحققت هذه الفرصة في شهر كانون الأول/ديسمبر عام 1995م عندما اختيرت (كاميرا) خاصة ابتكرها خبراء «وكالة ديملر بنز الفضائية الألمانية» DASA لأداء مهمات تصوير الأرض من الفضاء بعد أن ركبت في المحطات المدارية الروسية «مير» MIR. وهذه (الكاميرا) التي سميت (MOMS-2) اختصاراً

جهاز جديد للغوص لمدة أطول

إن التقنية التي لم تكن متاحة من قبل إلا للغواصين العسكريين يمكن أن تحدث ثورة في رياضة الغوص الترفيهي التي يمارسها نحو ثلاثة ملايين أمريكي. مكن الانخفاض في سعر المكونات الإلكترونية ست شركات من تطوير نسخٍ معدلة لأجهزة تسمى أجهزة إعادة التنفس (REBREATHERS)،





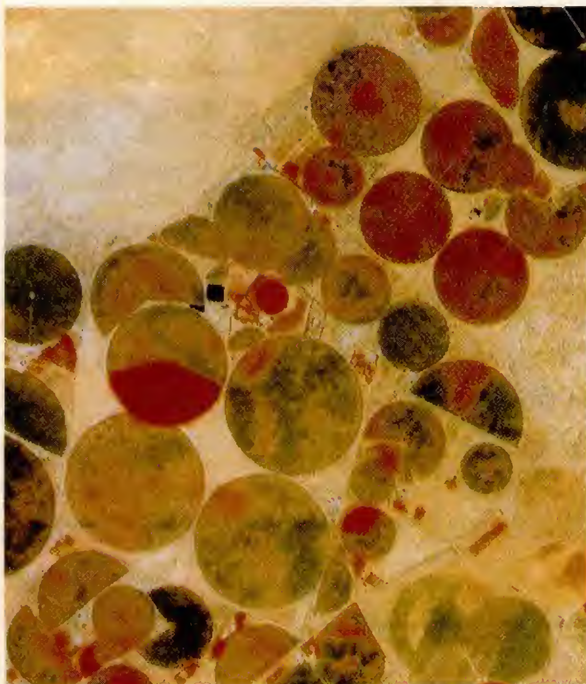


خبيرة تقوم بإجراء الفحوص التقنية على الكاميرا (MOMS-2). يتم إنتاج الصور المجسمة باستعمال ثلاث من العدسات الأربع على التاوب. أطلقت هذه الكاميرا إلى الفضاء بداية شهر كانون الأول/ ديسمبر من عام 1995.

للعبارة الإنجليزية التي تعني: «المسبار المجسِّم الضوئي الإلكتروني المعدِّل ذا الطيوف المتعددة»، جرى تركيبها في الكبسولة الفضائية «بريرودا» PRIRODA، أو «الطبيعة» باللغة الروسية، المرتبطة بالمحطة «مير»، وتعد هذه «العين الفضائية»، التي وضعت على مدارها أواخر عام 1995م، أكثر الكاميرات الدائرة حول الأرض قوة ووضوحًا. ومن المقرر أن تستمر في الدوران حول الأرض مدة عام ونصف على ارتفاع 300 كيلو متر. ولقد سبق لنموذجها الأقل تطورًا أن دار حول الأرض في صيف عام 1993م إذ حملها المكوك الفضائي الأمريكي كولومبيا في إحدى رحلاته.

وتعود خصوصية (الكاميرا) (MOMS-2)لعدة أسباب. فخلال الأيام العشرة لدوران نموذجها الأقل تطورًا حول الأرض، قامت بتسجيل نحو 6000 صورة لنحو 30 منطقة على الأرض بوضوح سمح بإظهار تفاصيل التراكيب الأرضية التي لايزيد طولها على أربعة أمتار ونصف. ولقد بلغت هذه الصور من الدقة بحيث سمحت بتمييز المناطق الزراعية المروية في المملكة العربية السعودية مع إظهار حالة النباتات المزروعة وأنواعها، وما هو ناضج من ثمارها وما لم ينضج بعد! كما أن هذه (الكاميرا) حققت ـ وللمرة الأولى في تاريخ التصوير الضوئي من الفضاء ـ حلم الحصول على صور مجسّمة ثلاثية الأبعاد لسطح الأرض.

وكانت لهذه الصور أهمية بالغة في رسم الخرائط الطوبوغرافية المفصلة وفق المقياس 25000/1 مما يسوغ القول بأننا أصبحنا على أعتاب عصر جديد من عصور اكتشاف تفاصيل سطح كوكبنا والوقوف المستمر على أوضاعه وخصائصه.



صورة عالية الوضوح لإحدى المناطق الزراعية القريبة من مدينة نيودلهي التقطتها الكاميرا الفضائية MOMOS-2 في تحليقها الأول.

التي تتيح للغواصين أن يبقوا تحت سطح الماء مدة أطول بنحو ثلاث أو عشر مرات عن تلك التي يبقونها عند استخدام أجهزة سكوبا المعروفة، التي يستعملها جميع هواة الغوص حاليًا.

عندما يستنشق الغواص الذي يرتدي جهاز سكوبا، فإن رئتيه تمتصان ٤٪ فقط من الغاز في كل مرة يتنفس بها. أما النسبة الباقية والبالغة ٩٦٪ فتذهب مع الزفير وتنطلق في الهواء، ولكن مع أجهزة إعادة التنفس، هذا الاختراع الجديد، فإن الغاز الذي يخرج مع الزفير يعاد ويمرر أولاً خلال مادة ماصّة، وعادة ما تكون كلس الصودا، فتزيل هذه المادة ثاني أكسيد الكربون من الزفير، ومن ثم يدخل الغاز إلى كيس تنفسي يرتديه الغواص على ظهره أو صدره.

إن أول مرة أُعدّ بها جهاز إعادة التنفس كان في القرن السابع عشر، وقد استخدمه الغواصون الحربيون منذ الحرب العالمية الثانية. ولكن الأجهزة الحربية تصنع من مواد غالية الثمن وغير مغناطيسية ويكلف الجهاز الواحد منها أكثر من ثلاثين ألف دولار بينما الأجهزة الاستهلاكية الآن تباع بثمن زهيد في حدود إمكانات هواة الغوص المادية.

وطوال مدة بقاء الغواصين تحت الماء يتيح لهم استكشاف الكهوف وحطام السفن، علاوة على أن هذه الأجهزة أنظمة متطورة لا تلفت انتباه الأسماك، فهي لاتحدث ضجيجًا أو فقاقيع، وبذلك يستطيع العلماء والمصورون أن يسبحوا باتجاه الأسماك من دون ترويعها. كما يكونون في مأمن من هجوم الأسماك المفترسة مثل القرش الذي ينجذب نحو الفقاقيع.

أشتوريش: الهروب

د. غازي سليمان حاتم

الرحلة عبر أشتوريش ليست متعة في أرجاء الطبيعة فحسب بل تعني العيش في أجواء الماضي الحافل بالآثار، والحاضر الغني بمباهج الحياة الحديثة، ولهذا تعد أشتوريش للإسبان ملجأ المتعبين من الهموم النفسية والأعمال الروتينية.

تقع أشتوريش في شمال إسبانيا، تختفي بين قمم أوروبا ومنطقة كانتبريا. يحدها شمالاً خليج بسقاية (بسكاي)، حيث تقع عليه مدينة خيخون أهم مدن أشتوريش. تبلغ مساحة أشتوريش 10564 كيلو متر مربع، وسميت بهذا الاسم من قبل المسلمين، علمًا بأن اسمها الحالي هو أستورياس (ASTURIAS). تعد أشتوريش مكانًا رائعًا للسياحة، فهي حافلة بتاريخها وبمناظرها الرائعة التي تكفل للسائح الراحة الكافية والتعايش الجيد مع الطبيعة. وعندما يحكى عن أشتوريش يقال بأن الحظ يبتسم لها، فكل شيء قريب منها: البحر والأنهار والجبال والمدينة والريف والثقافة.

وجد منذ القديم في شمال إسبانيا، ثلاث دويلات، تمركزت الأولى في الشمال والشمال الشرقي وكانت عاصمتها مدينة بنبلونة، أما الثانية فكان مركزها في الشمال والشمال الغربي، وكانت عاصمتها مدينة ليون، وكانت تضم أشتوريش وجليقية، أما الثالثة فكانت تدعى قشتالة الواقعة بين ليون ونبارة وعاصمتها مدينة برغس. في عام 1388م تم تضامن منطقة قشتالة وأُدخلت إليها أشتوريش.

وقد خصص أول احتفال رسمي لمنح شهادة أمير أشتوريش لكي يضع الملك خوان الأول ابنه أنريكي الثالث في العرش. وقد ارتدى أنريكي الثالث في هذه المناسبة معطفًا من الأرجوان ووضع قبعة على الرأس وحمل عصا من ذهب في يده، حيث اقترب منه والده الملك وقبله مناديًا إياه: يا أمير أشتوريش. وبعد مرور زهاء 500 عام على ذلك 1833م، صدر قرار ملكي حَوّل فيه أشتوريش إلى منطقة تابعة لمدينة أبيدو، ثاني مدن أشتوريش الحالية.

وتتابعت الأحداث على إسبانيا، فمر عليها عدة ملوك ثم الجنرال فرانكو الذي انتهى حكمه في عام 1975م، وتولى بعده العرش الملكي خوان كارلوس الأول حفيد ألفونسو الثالث عشر. ولم يتأخر الملك الجديد كثيرًا إذ أصدر قرارًا ملكيًا في 21 كانون الثاني / يناير عام1977م أعاد به الاعتبار لإمارة أشتوريش.

وفي 24 أيلول سبتمبر من عام 1980م، قام السيد فيلبي ابن بوربون ولي العهد الإسباني بأول زيارة إلى أشتوريش أميرًا لتلك البلاد من أجل حضور التوقيع الرسمي على محضر اللائحة التأسيسية لإمارة أشتوريش، هذه المؤسسة التي ألفت من أجل تضامن الروابط بين أمير أشتوريش والإمارة بشكل عام، ومن أجل تشييد وتحريك كثير من الفعاليات العلمية والثقافية

إلى الطبيعة

والإنسانية. هذه الفعاليات التي هي إرث من شعب أمريكا الجنوبية بشكل خاص، ومن الإنسانية بشكل عام.

ومنذ عام 1981م تُقدم إمارة أشتوريش، تكريمًا للبارعين، جوائز أمير أشتوريش إلى كل شخص يقوم بجهد ثقافي واجتماعي متميز، ويكون هذا الجهد مثالاً للآخرين، هذا ويشهد مسرح كامبو أمور في مدينة أُبيدو، احتفالاً بتقديم جائزة أمير أشتوريش. وأذكر من الذين حصلوا على الجائزة: المستشرق أميليو غارسيا غومث، والرياضي الإسباني المعروف ميغيل أندوراين، والكاتب المكسيكي كارلوس فوينتس.

الفتح الإسلامي لأشتوريش

لقد تم فتح إسبانيا من قبل العرب والمسلمين بقيادة الفاتح طارق بن زياد والوالي موسى ابن نصير سنة 92هـ (711)، حيث دخلوا بطريق جبل طارق، ومن ثم إلى الأندلس في جنوب إسبانيا فبقية المناطق الإسبانية، واستمر حكمهم حتى سنة 897هـ (1492م) حينما سقطت غرناطة، آخر قلاع المسلمين في إسبانيا. أما فتح الشمال الإسباني ومن ضمنه أشتوريش فقد حدث سنة 95هـ (713م).

وتذكر الدراسات التاريخية أن الجيش الإسلامي سلك طريقين؛ قاد الأول طارق بن زياد نحو الشرق والشمال الغربي، في حين قاد الفريق الثاني موسى متجهًا نحو الشرق والشمال الشرقي وبعد أن افتتح هذه المناطق سلك طريقه نحو الشمال الغربي والغرب بخط يتوازى مع سير طارق، مطهّرًا المنطقة من الجيوب. مفتتحًا ما هنالك من مناطق، ومن ثم لقاؤه بطارق سوية لإتمام عمليات الفتح، حيث تقدما مع سراياهما حتى وصلوا إلى مرتفعات أشتوريش



منظر طبيعي من منطقة «مغارة أنغا» الأشتورية



ساحة بورلير في مدينة أبيدو الأشتورية، ويبدو تمثال المسافر الشهير «أوركولو» مع حقائبه

تقع قرب الساحل الشمالي لإسبانيا عند خليج بسقاية، ولم تستطع جيوشهم السيطرة بشكل كامل على هذه النقطة القتالية حيث كان يوجد فيها مغارة أنغا (ONGA). وتذكر الروايات والدارسون بأن الخليفة الوليد قد استدعى كلاً من موسى وطارق إلى دمشق عن طريق رسوله مغيث الرومي لخوفه على المسلمين من المخاطر بسبب كونهم في أرض بعيدة منقطعة، محاطة بمناطق غير إسلامية وعلى اتصال بها، وهي أقرب إليها من العالم الإسلامي.

تأخر موسى بالعودة إلى دمشق، فقدم أبو نصر رسولاً آخر من الخليفة الوليد يستعجل موسى، فلم يسعْ موسى إلا

في قمم جبال قنتبرية. فبلغوا قمة وعرة عسيرة المنال، صعبة المرتقى، سماها المؤرخون المسلمون «صخرة بيلاي»،

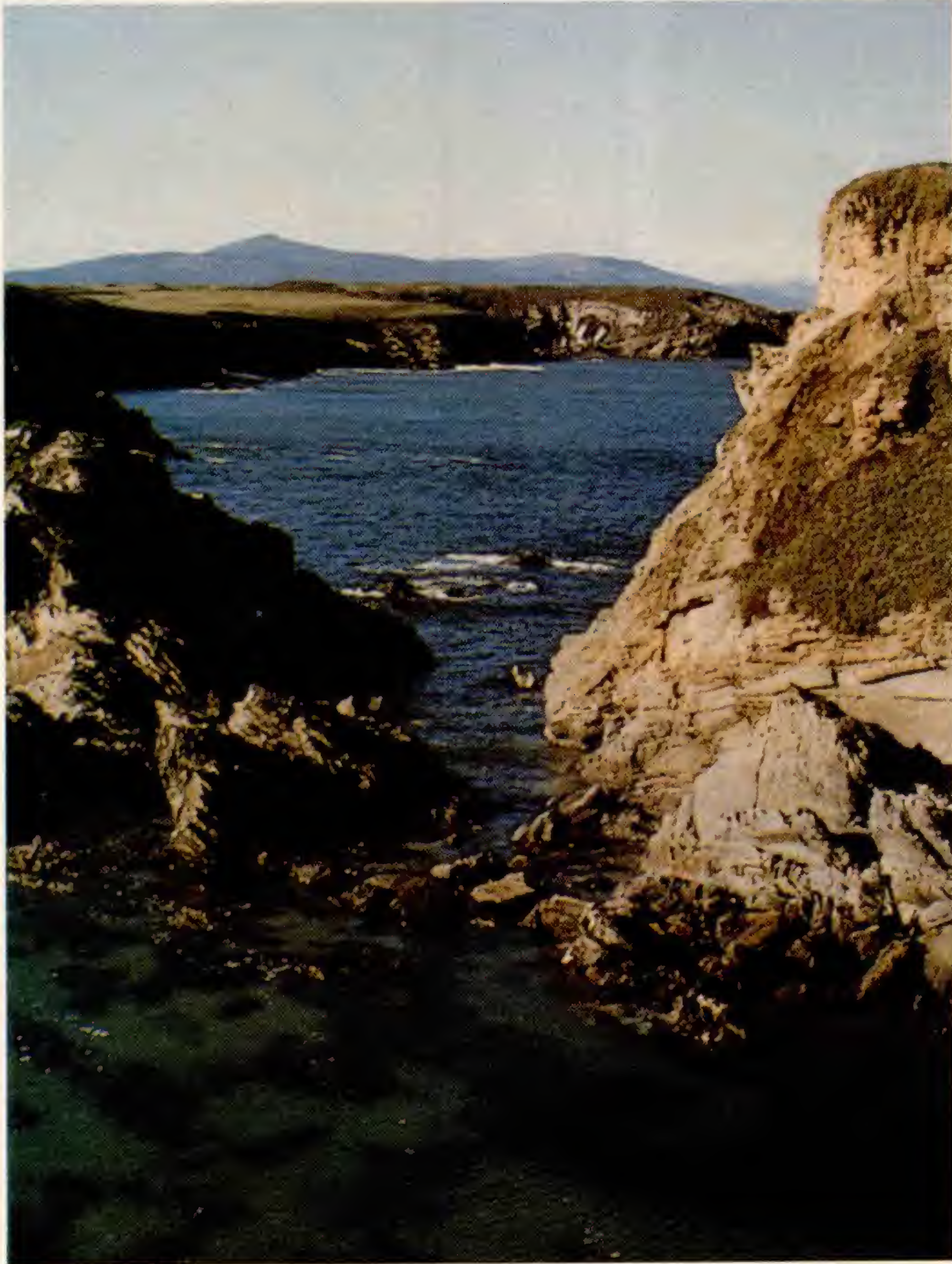


الأشتوريون يمارسون لعبة التجديف، إحدى ألعابهم المفضلة



سلاسل «كونسيخو دي بونغا»

الاستجابة لأمر الخليفة، ولم يعهد لغيره بإتمام الفتح، بل ترك ابنه عبدالعزيز واليًا يقوم بما تقضتيه أحوال البلاد من الدعوة إلى الإسلام، وإتمام عمليات الفتح، وتنظيم البلاد وإصلاح الأحوال وإجراء التغيير الذي يقتضيه دخول إسبانيا في حوزة الإسلام. ولعل أحد الأمور التي أثار بها اهتمام ابنه هو متابعة الفتح وإقرار الأحوال في شبه الجزيرة الأيبيريّة، ولم يكن عبدالعزيز - على ما يبدو - في صحبة أبيه خلال جهاده في الشمال. إن هذا التغيير أدى إلى تجمع بعض فلول الإسبان في المناطق الشمالية لإسبانيا والتجؤوا إلى منطقة الصخرة بقيادة زعيم قوطي كان يسمى بيلاي (PELAYO) في مكان بعيد قليلاً عن طريق الجيوش الإسلامية، وقد سمعتُ من بعض الباحثين والسكان الأشتوريين أن الفتح الإسلامي لشمال أشتوريش بالكامل ومن ضمنها أشتوريش، لم يدم سوى نحو ثمانية أشهر، فلم تحدث مواجهات قوية في هذه المناطق، ذلك لأن القُوط كانت تقود المقاتلة، فلما ذهب حكمهم وزالت كثرتهم، لم يجد أهل البلاد مصلحة في المقاومة أو قدرةً عليها بعد سقوط غالبية مناطق الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا) بأيدي المسلمين، ولاسيما بعد أن سمعوا بخلق المسلمين الفاتحين وحسن معاملتهم للآخرين. هذا وقد أسلم بعض سكان شمال إسبانيا، حسب ما روى لي بعض الأشتوريين، مع أن مدة بقاء العرب في تلك المنطقة كانت قصيرة بالموازنة مع بقية إسبانيا. كما أن كثيرًا من المتحدثين معي تطرقوا إلى تسميات بيلاي والعرب عند التحدث عن تاريخ أشتوريش، وذلك قبل أن يعودوا إلى أنفسهم، ويعتذروا مبتسمين عن المضيّ في الحديث.



«تابيا دي كاساريغو»، إحدى المناطق الساحلية الجميلة في أشتوريش



قصر كاراموندي في أشتوريش



فيليبي بن بوربون، أمير أشتوريش، يجلس في الوسط في حفل لتقديم جائزة أشتوريش



فندق «ريكونكيستا» في مدينة أيبدو الأشتورية

ويكفي العرب فخرًا بأنه ليست هناك في إسبانيا كلها منطقة لاتحمل أسماء عربية حتى اليوم حتى في أقصى الشمال حيث لم يُقدَّر للحكم العربي استقرار طويل.

لماذا تُختار أشتوريش للسياحة؟

تجمع أشتوريش بين البحر والجبل والرياضة والثقافة بشكل تام، ففي مساحة أكثر بقليل من عشرة آلاف كيلو متر مربع، تُقدم أشتوريش علاقة لا نهاية لها، مع الأمكنة القادرة على إغراء أي نوع من المسافرين. بين قمم أوروبة الرائعة والساحل تتناوب أودية جميلة مثل وادي يرميس، وغابات مسكونة بسكان أصليين من المنطقة مثل غابة أونغا، كما يوجد أكثر من مئة نهر في منطقة أشتوريش تمتد غالبيتها حتى قرابة الساحل الذي طوله 354 كم. هذا ويتغير الساحل كما تتغير بقية الجغرافيا الأشتورية، حيث تتناوب الشواطئ الواسعة الرائعة والإنشاءات الرياضية الحديثة، الموانئ الصغيرة والقرى الريفية الصغيرة. كماأن المطر مرافق للمسافر بشكل متكرر، ولكن لايمنعه من التمتع بالإمكانات السياحية التي تُقدمها هذه المنطقة.

إن للجبال مثل الجبال الغربية، والقمم مثل قمم ناراخودي بولنس، والسلاسل الجبلية الأشتورية مثل سلاسل بونغا، جمالها المميز في أشتوريش، حيث تعمل وزارتا الزراعة والسياحة بالتعاون مع بلدية أشتوريش على وضع الأنظمة التي تحمي الإرث الطبيعي والبيئي، وتسن القوانين التي تعاقب المستهترين بجغرافيتها، ويعملون معًا بجدية وتخطيط على تحويل وترجمة الأمل والتفاؤل الذي تتطلّع إليه أشتوريش إلى حقائق.

كما أن المناظر الرائعة والمشوِّقة والمتنوعة في أشتوريش ممزوجة بذكريات تاريخية، ويمكن للمسافر الذي يتنقل في هذه الأرض أن

يتجول في المنطقة ويبحث عن بصمات الديناصورات، ورسوم الرجال الأوائل، والقصور الرومانية والقوطية، ويلاحظ مَنْ يقوم بمسير في هذه الأرض الغنية بإرثها البيئي والتاريخي يلاحظ بوضوح وجود الديناصورات العائدة للقرون الوسطى حيث بقيت آثار قوائمها مطبوعة على الحجارة بتفاصيل دقيقة.

تم اكتشاف أثوار الخلاء (BISONTE) العائدة لمنطقة كوفاسيلا، وهي آخر كسب لمرحلة ما قبل تاريخ إسبانيا، حيث تم رسمها قبل زهاء1500عام، وهذه الآثار والنصب التذكارية تحكي بنفسها عن بعض الرجال الذين ضاعوا في ضباب الأزمنة وكانوا يسكنون تلك



صورة لأحد المهرجانات الشعبية الأشتورية التي أقيمت في صيف عام 1994م

الأراضي التي تُعرف الآن بـ «أشتوريش». هذا ويلاحظ السائح التاريخ السابق واللاحق لكهف أنغا مكتوبًا في نصب تذكارية وعلى خشبات المسارح.

أما مدينة أبيدو، فقد تم تحويلها إلى مقر فاخر من قبل ألفونسو الثاني في القرن التاسع، وقد اتُّخِذ في بنائها نموذج مدينة طليطلة الموجودة في ضواحي مدريد، والتي كانت تجذب المهاجرين المستعربين، وتعود إلى المقر المذكور الكنائس قبل الرومانية. هذا وتؤكد القصور والأديرة والكنائس الكثيرة، تأثير الفن الروماني في الأرض الأشتورية. ومن أهم القصور المبنية ما يسمى اليوم «فندق ريكونكيستا» ومع أن الفن القوطي في أشتوريش، لم يكن له أهمية كالأنماط السابقة باستثناء كاتدرائية أبيدو، فقد تمت المحافظة على كثير من القلاع والأبنية ذوات الأهمية الكبيرة.

تمتاز أشتوريش بالرياضة الجذابة، ولاسيما لمن يحبون الرياضة المسماة في أشتوريش بـ «السياحة النشطة»، حيث توجد



أثوار الخلاء مكتشفة في منطقة كوباسيلا، عام 1994م، مرسومة قبل زهاء 15000عام

مناطق لم تصل إليها بعد يد البشر، ويمكن تأمل الطبيعة في وضعيتها الأكثر وحشية، ويمكن ممارسة أنواع كثيرة من الرياضة؛ فهناك من يقود الدراجة العادية، ومن يمارس رياضة الفروسية، ومن يتزحلق على الثلج، ومن يمارس لعبة الغولف.. إلى ما خاصة وعامة للتعلم والتمكن من الممارسة بشكل جيد، كل ذلك من أجل التمتع بالطبيعة والرياضة على السواء.

تقدم بلدية أشتوريش فنادق ودور إقامة مريحة ومؤمنة، حيث توجد القصور والبيوت القديمة الأشتورية، وفنادق مُعدّة



واحد من المشاريع قامت به الحكومة الأشتورية مؤخراً. (نفق طويل باتجاهين في منطقة كامبومانيس)

هنالك من الرياضات التي تمارس على الأرض.أما فيما يتعلق بالرياضة في المياه، فتمارس في أشتوريش رياضة السباحة بكل أنواعها، ولعبة التجديف، وكذلك رياضة المراكب الشراعية. وفي كل هذه الرياضات، يبدأ الممارسون بالتدريب في مدارس ومعاهد للشبيبة، هذا بالإضافة إلى الخيام المناسبة للعيش في الطبيعة، ويمكن للسائح أن يعيش في فندق مريح، أو إقامة تقليدية أو بيت طبيعي بسعر مقبول (قرابة 150دولار أمريكي)، كما يمكن للسائح أن يعيش في فندق من دون أن يبعد عن الطبيعة، حيث يوجد كثير من الأمكنة والقصور التي بنيت منذ القرنين (17-18م) كما يعدّ مكان تاراموندي واحداً من الأمكنة الأكثر نصحًا من قبل المرشدين السياحيين لقضاء عطلة رائعة.

أما فيما يتعلق بالموسيقا في أشتوريش ، فالموسيقا المميزة هي المجموعة أو الفريق (الأوركيسترا)، ففي عام 1936م شكلت مجموعة (الأوركيسترا السمفونية) لأشتوريش عندما قرر بعض المتحمسين، ومن دون أية شروط شراء مجموعة من الأجهزة وتشكيل اللجنة المشرفة.

ألفت هذه المجموعة من 65أستاذًا من ذوي الخبرة والشهرة العالية، استندوا إلى حبهم للموسيقا من أجل التطلع إلى المستقبل بتفاؤل كبير، حيث كانت تقدم هذه المجموعة 60 برنامجًا في العام، يعرض خلالها 106حفلة موسيقية والرقص الإيقاعي (باليه)، ومن يزور أشتوريش يشاهد الحفلات الكثيرة ولاسيما في فصل الصيف، حيث يصعب إيجاد يوم ولم يحتفل بمناسبة ما في أشتوريش أو قراها. ويرافق كل الحفلات والمهرجانات الشعبية سواء كانت حسب الطقوس أو الاحتفالات البحرية، تحضير طعام لذيذ خاص بكل مناسبة.

أما فيما يتعلق بالبحث العلمي في أشتوريش، فقد تم إنشاء المعهد الملكي للدراسات الأشتورية في عام 1945م من أجل البحث العلمي في جميع فروع المعرفة التي يمكن أن تهم التطور الثقافي في أشتوريش. ويتعاون هذا المعهد مع المجلس الأعلى للبحث العلمي في العاصمة الإسبانية مدريد من أجل توجيه العمل والدراسة التي تهتم بالتراث والدراسات العلمية والثقافية والفنية في أشتوريش بشكل خاص. وقد قدّم المعهد حتى العام الماضي 300 بحث و 142عدد على نشرة الآداب و 42 عددًا في نشرة العلوم.

إن تاريخ أشتوريش، هو تاريخ كثير من رجالها الذين خلفوا غنى وثراء في مؤسساتهم، منهم من عمل في المنطقة نفسها، وآخرون في شركات مهمة في إسبانيا. ولم يقصر أبناء المهاجرين سابقًا الذين خرجوا من أشتوريش ليبحثوا عن حياتهم بعيدًا عن أرضهم. فقد كان يهاجر بين عامي 1930و1980 أكثر من 7000شخص أشتوري كل عام نحو القارة الأمريكية للبحث عن العمل والثروة حسب ما أشار إليه الكاتب رفائيل أنيس في بحثه الذي عنوانه: الهجرة الكبيرة من أشتوريش، هذا وإن كثيرًا من الرجال الأشتوريين قد أوجدوا مجالاً للرزق في البلاد التي هاجروا إليها ومن أهمها المكسيك والأرجنتين المشهورتان بحسن استقبال القادمين من إسبانيا.

اليهودي..
والمظاهر الاستفزازية



د. حسن ظاظا

منذ خمسة وستين عامًا أوتزيد، وبالتحديد عام 1929م، كانت الثورة العربية الفلسطينية صدمة هائلة للرأي العام العالمي وفي الغرب على الخصوص. فقد كان هذا الغرب نائمًا على أنغام الصهيونية العالمية التي تزعم أن فلسطين أرض لا سكان فيها، وأن الاستعمار الأوروبي لو شجع مَن عنده من اليهود على الهجرة إليها، لانقلب الاستعمار إعمارًا، وكان ذلك هو الحل الأمثل للإنسانية جمعاء، ولمشكلة الخصومة الحامية الوطيس بين اليهود والعالم المسيحي منذ حكم السنهدرين اليهودي الأعلى (المحكمة العليا) بإعدام المسيح تحت الحكم الروماني. من هنا كان المسيحي المؤمن يتقرب إلى الله بكراهية اليهودي واضطهاده وإذلاله، إلى أن تبلور هذا إلى منهج عقائدي: هو «اللاسامية» من الجانب النصراني، تناطحها «الصهيونية» القديمة المتجددّة عبر العصور من الجانب اليهودي. فالنصراني يصوم يوم الجمعة من كل أسبوع حتى لاينسى - حسب اعتقادهم - أن اليهود قد صلبوا المسيح يوم «الجمعة الحزينة» في أورشليم «القدس»، في السنة الثالثة والثلاثين من عمره على الأرض. واليهودي لايكفّ عن صبّ شآبيب حقده على يسوع بن يوسف النجار ويتهم أمّه - كرّمها الله - بالزنا، وهم يعلمون أن العذراء البتول بريئة من هذا الاتهام براءة الذئب من دم يوسف، وأنهم افتروا عليها هذه التهمة ليبعدوا ابنها - عيسى المسيح (يسوع) - عن الانتساب إلى داود عليه السلام، بعد أن وجدوا في مروياتهم وكتبهم أن خلاصهم لن يكون إلا بمسيح يبعثه ربه إليهم، من نسل داود. ولو كان المسيح صهيونيًا، ككل من ظهروا قبله وبعده من المسحاء الكذابين، لآمن به اليهود، ولكنه قال إنه مبعوث إلى الناس كافة، ولم يقل - حتى في الإنجيل بكل ما وصل إلينا من رواياته المعتمدة والمتروكة - إنه جاء مطالبًا بملك أو بعرش، أو مشعلا لحرب ينصر فيها اليهود، ويبيح لهم كرامة شعوب الأرض وحريتهم وأوطانهم.

ليست عبقرية خاصة!!

وانتهت رسالة عيسى عبدالله ورسوله على الأرض، ورفعه ربه إلى السماء، واستمرت «تجليّات» المسحاء الصهاينة من بعده، حتى ضاقت الإمبراطورية الرومانية بعبثهم ومؤامراتهم وأوقعت بهم هزيمة ساحقة ماحقة، هم وجميع الملّة اليهودية، فضُربت عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله، في ما يسمى في التاريخ اليهودي بمرحلة الشتات «الدياسبورا» من سنة 70 لميلاد المسيح إلى سنة 1948م، عندما مكنتهم الدول الغربية من إقامة دولة صهيونية في فلسطين، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهائها بأقل من أربع سنين، بعد أن مهدت لها بريطانيا منذ الحرب العالمية الأولى 1914- 1918م، وبعد أن آلت إلى بريطانيا الولاية على فلسطين، بعد انهيار الإمبراطورية التركية العثمانية المنهزمة مع حليفتها ألمانيا في تلك الحرب. والسياسة اليهودية تجيد الاستفادة من الأوضاع الدولية المتردية. وليست هذه بعبقرية خاصة لدى بني إسرائيل، بل نتيجة للصراعات العالمية التي تنهار فيها دول وتقوم أخرى، وقد قامت دول كثيرة في العالم، ولكن مجاورتنا لإسرائيل جعلتنا نشعر بقيامها وزوالها، ونتأثر بذلك أكثر مما يصل إلينا من ظواهر مماثلة من بعيد، فقد قامت دولة يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية أيضًا على أنقاض دول وإمارات كانت حرة ومزدهرة قبل ذلك، منها: الصرب، والجبل الأسود، والبوسنة، والهرسك. ودول كثيرة أخرى يرجع قيامها إلى ظروف مماثلة أو مقاربة، ويرجع زوال مازال منها أو تقسّم وتمزّق إلى تلك الظروف نفسها: إمبراطورية التتار المتاخمة للصين، التي حكمها جنكيز خان بعد عدد من (الخانات) جلسوا على عرشها قبله، أشهرهم قوبلاي خان. وانطلق منها هولاكو حتى أسقط الدولة العباسية في بغداد. والهند بعد عهد الاستعمار تمزقت فصارت: الهند وباكستان وبنجلاديش، وسريلانكا، ومازال كشمير تخطو بتضحيات بطولية نحو الاستقلال. وبولندا التي تداولتها أيدي قياصرة الروس وأباطرة الألمان إلى أن نالت استقلالها.

وتقف في الصف الأول من الدول المتحررة من الاستعمار الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

الخروج إلى أرض كنعان

ومنذ القديم، ودفع الله الناس بعضهم ببعض لايتوقف، والمستفيد من ذلك هو الحضارة الإنسانية،

فالهكسوس عندما دخلوا مصر الفرعونية قديمًا، فهم المصريون قيمة سيادة الإنسان على أرضه ووطنه وتاريخه، وبدأت بعد الاستقلال حركة «تطهير» من النفوذ الأجنبي في مصر، وكان بنو إسرائيل قد هاجروا إليها تجتذبهم التسهيلات التي هيأها الهكسوس ـ وهم من الجنس السامي مثل بني إسرائيل ـ للوافدين من أبناء جلدتهم إلى وادي النيل. وبعد حركة التحرير الفرعونية بقيت أخلا ط من الأجانب، منهم بنو إسرائيل، وبدو من الصحارى المحيطة بمصر شرقًا وغربًا، وبعض العبيد من الآراميين أو النوبيين أو الكنعانيين أو الحيثيين (سكان آسيا الصغرى القدماء) أو ما رمى به البحر من اليونان والقبارصة والكريديين وغيرهم. وظلم الفراعنة هذه الجاليات التي لانصير لها، حتى قام موسى عليه السلام يجمع كلمتهم ويدافع عنهم هو وأخوه هارون، ولما تبين لهما أن فرعون أقوى وأشد عنادًا من أن يقتنع بالحكمة والموعظة الحسنة، أمر الجماعة التي اتبعته بالخروج من مصر إلى أرض أخرى أكثر حرية وأمنًا، سمتها (التوراة) التي كتبها الرواة ونسبوها إلى موسى بعد موته هو وهارون بنحو ألف عام «أرض كنعان»، فهذه لمحة خاطفة إلى الظروف التي ظهر فيها المجتمع اليهودي وتطور، ونضجت في نارها عصبية قومية وعنصرية زائفة، وضيقة الحدود جدًا، لم يأمر الله بها موسى، ولم يقل له مثلاً: أنتم لاتقدرون على فرعون، فاحتلوا أرض كنعان (فلسطين) واقتلوا أهلها، واجعلوا من بقي منهم عبيدًا لكم، هم وذريتهم، إلى يوم القيامة!

اليهودي التائه.. رجع!

وبقيت فلسطين، وآمن أهلها بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ثم جاءت دعوة الإسلام فدخل أكثرهم في دين الله أفواجًا، وصارت هذه الأرض الطيبة المباركة شاهدًا على عدل الله وحكمته، إذ أخلاها من اليهود، إلاّ أقلية ضئيلة هزيلة تشهد بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وبأنه تعالى عندما هيأ الأسباب لانتصار موسى وقومه بنجاتهم من فرعون لم يكن ذلك منه إلاّ مكافأة على الإيمان به، والصبر على المكاره في سبيله، وقد بدأتُ حديثي هذا بعام 1929م، والثورة العربية الفلسطينية تزمجر، وتصل أصداؤها إلى الغرب المتمدد في الرخاء والاسترخاء بين عبيده في المستعمرات. وكان هذا أوضح تكذيب لادعاء الصهيونية العالمية الحديثة بأن فلسطين أرض بلا شعب! فبادرت إحدى كبريات الصحف الفرنسية في ذاك الوقت بتكليف الصحفي «ألبير لُونْدُر» بدراسة الموقف على الطبيعة وموافاتها بسلسلة من التحقيقات الصحفية في الموضوع. وكان هذا الأديب قد اشتهر بالتخصص الدقيق في تحقيقاته، وفي فرنسا جائزة سنوية تمنح إلى الآن ـ وتحمل اسمه ـ لأحسن المحققين. وكان الرجل لا يهوديًا ولا مسلمًا، بل كان مسيحيًا كاثوليكيًا من مدينة (فيشي). وكان قبل التحقيق في مشكلة، يدرس أعماق المشكلة وأبعادها في التاريخ والسياسة والاجتماع والاقتصاد.

وظهرت سلسلة تحقيقاته تحت عنوان «اليهودي التائه.. رجع!» اعترف في أولها بأنه كان خالي الذهن من الموضوع، وبدأ يقرأ ويدرس، فأشار إلى أن فلسطين (أرض الميعاد) عند اليهود، وقد صدر بشأنها وعدان: الأول في التوراة، من الله لموسى، والثاني في وزارة الخارجية البريطانية، من بلفور لحاييم وايزمان! ثم يقول ساخرًا إن وعد الله لموسى لم يكن مشروطًا إلا بالتقوى والعمل الصالح ـ وهي شروط صعبة بالنسبة لليهود ـ وكان الوعد البريطاني مشروطًا بتأييد المصالح الاستعمارية الإمبراطورية في الشرق، وهو أمر هيِّن لليهود. ثم تأمل المهاجرين اليهود روّاد الصهيونية، فوجدهم كلهم تقريبًا من يهود أوروبا الشرقية، من روسيا وبولنده ورومانيا، وأوكرانيا... إلخ. ووجد القادة والزعماء من أوروبا الغربية: هرتسل نمساوي، أدولف كريميه فرنسي، حاييم وايزمان ألماني، مونتفيوري بريطاني! وذهب الرجل يزور حارات اليهود في أوروبا الغربية وأمريكا، ولاحظ من اللافتات التي تحمل أسماء أصحابها أنها، في كل أنحاء العالم العربي، تتشابه بشكل يوحي بأن التقسيم الاجتماعي عند هؤلاء الناس، كان في صميم القرن العشرين مايزال عنصريًا قبائليًا عشائريًا أسريًا. ثم عرف أن يهود غرب أوروبا قد نزح أكثرهم من الأندلس في عصور الاضطهاد والمسيحي الذي تلا سقوط الدولة الإسلامية في إسبانيا. وأكثر من هؤلاء، النازحون من شرق أوروبا. فزار تلك المواطن ورأى الأسماء نفسها، ورأى حارات اليهود البائسة الحقيرة، ومعاهدهم الدينية المتزمتة، وبريق الدعاية الصهيونية التي تهيب بالجميع ليذهبوا إلى أرض الآباء، والأجداد في فلسطين، ومن عجز منهم عن نفقات الرحلة تحمّلتها عنه الصهيونية العالمية، له ولكل أسرته! وفي كل تنقلاته هذه كان يصف حارة اليهود (الجيتو) بفقرها وتخلّفها وقذارتها، وملابس أهلها: القفطان المتواضع، والمعطف الثقيل، ورداء العبادة (الطَلّت) والزنار، والشراريب، والقلانس الوبرية السميَكة، والسوالف الطويلة المنسابة على جانبي الوجه، واللحية الشعثاء الغبراء المتدفقة كالسيل العرم إلى الحزام وما تحته ـ عالم خرافي مازال يعيش أيام الفزع من فرعون وجنوده، وكأنه يهيم في سيناء، ولايعيش في وارسو وبرلين وباريس ونيويورك ولندن وروما وبودابست وبوخارست وفيينا وأودسّا وكييف وفيلنا، في القرن العشرين! وأخيرًا ذهب ألبير إلى فلسطين. فوجد الصهيونية قد حوّلت أولئك الساكنين في حارات اليهود، الغارقين في التوراة والتلمود، إلى مجتمع آخر. فالصهيوني هنا مشغول بالعمل في الزراعة والصناعة والتجارة والثقافة الحديثة، يمشي في قميص أفرنجي خفيف، وبنطلون أوروبي قصير، حليق اللحية والسوالف، لاتفرقه عن أي مستعمر بريطاني في الهند، أو فرنسي في جيبوتي! ولم يرَ المحقق الصحفي إلا بعض الصوفية اليهود المحافظين على الهيئة القديمة، والثياب التاريخية، والثقافة التقليدية، يعبرّون عنها بلغة «الييديش» اليهودية الأوروبية الناشئة في (الجيتو) في ظلمات العصور الوسطى؛ لأنهم يعتقدون أن استعمال اللغة العبرية في أغراض الحياة الدنيا وأعراضها... حرام، وأن البنطلون القصير، والقلنسوة الصغيرة الخفيفة، والنعال الرقيقة.. كل هذا حرام، بل بعضه كفر صراح، والعياذ بالله!

اليهود ورفض الآخر

وكثيرًا ما وقفت ـ وأنا أقرأ شهادات العيان التي كتبها هذا الصحفي ثم نشرها في كتاب ـ وأنا أسائل نفسي: إذا كان المثل الأوروبي يقول إن «المسوح هي التي تصنع الراهب» فهنا تنعكس الآية، فاختفاء المسوح هو الذي يصنع الصهيوني، ويجعل منه خطرًا على المسيحية والإسلام، وعلى السلام في العالم، لولا أن الله سلّم، فقلّص العقائد اليهودية وحصرها في مظاهر من الطعام والشراب تناولناها سابقًا، أو مظاهر من الزي والثياب والشارات نتناولها هنا، في دلالتها التعصبية العنصرية، ثم في اختفائها ـ تقريبًا ـ في الصهيونية مع بقائها عقيدة راسخة تعزل المتمسكين بها عن العالم وعن الإنسانية، وربما عن الله تعالى، والسؤال هنا: لماذا

كل هذا العناء؟ ولماذا بقيت هذه المظاهر في حارات اليهود في العالم كله واختفت ـ أو كادت ـ في الدولة الصهيونية، إسرائيل؟ والجواب الذي يتفق عليه اليهود وغيرهم أنه الخوف من الاندثار، الخوف من الذوبان في الأمم الأخرى (الجوييم)؛ لأن عقيدة اليهودي الدينية منذ الشتات الروماني، بل قبله، كانت قد تقلصت، وضمرت، وحلّت محلها أسوار عنصرية وقومية أقوى من الإيمان الديني. اليهودي لايريد ولايرضى أن يتآخى مع (الآخر)، أي مع غير اليهود من عباد الله! لأن شيوخه منذ القرن الخامس قبل الميلاد لاحظوا أن التماسك الإيماني عند اليهودي هشّ جداً، يتفتت تحت أي ضغط، ويتفسخ أمام أي اهتزاز، ويصدأ تحت أي بريق. لذا حذّروه من الاندماج وهو في المنفى، في ظل الحضارة البابلية ثم الحضارة الفارسية الكسروية.

وحذّروه من الانبهار ببريق (الآخر) بعد أن أعادت صهيونية قديمة جمهوراً من اليهود إلى فلسطين، وحكمها الإسكندر اليوناني ثم البطالسة الآتون من مصر، والسلوقيون الزاحفون من سورية، وكلاهما يونانيّ فكراً وحضارة. وعلى الرغم من تحذير شيوخ اليهود لبني جلدتهم من هذا الإغراء الجديد، فقد فُتنوا بما كانوا يرونه من سادتهم، فانصرف الشباب إلى الاهتمام بالألعاب الأولمبية، وأقبلت النساء على الأزياء اليونانية والمصرية والسورية، لدرجة أن فرقة جديدة من المتعصبين اليهود تسمى نفسها (القنائيم) أي (الغيورين) تكونت في فلسطين لمحاربة هذه البدَع، وأجازت استعمال العنف والإرهاب والاغتيال، مما جلب عليها هي الوبال، ولاسيما عندما اصطدمت بغير اليهود من السكّان ومن المسؤولين، فلم يكن بالمصادفة أن يتم جمع المشنّا ثم التلمود في تلك الأجيال. إذ قام الربّي يهودا الكبير (138- 217م ـ تقريبًا) بجمع المشنا في فلسطين تحت الحكم الروماني. ثم عكف أحبار اليهود على المشنا شرحًا وتفسيراً في بابل حتى نهاية القرن الخامس الميلادي وفي فلسطين حتى أواخر القرن الرابع الميلادي. والتلمود مكتوب باللغة الآرامية، لا العبرية، والتلمود البابلي يفسر المشنا بتمامها، أما التلمود الفلسطيني (الأورشليمي) فإن بعض أبواب المشنا غير مشروحة فيه، والتلمود، خصوصًا البابلي، هو الذي رسم الحدود والقيود للمجتمع اليهودي للحفاظ على تماسكه، أمام تطور الحضارة الإنسانية لشعوب العالم، واهتمامه بالمظهر الخارجي أوضح بكثير من إلحاحه في مسائل العقيدة. وسنرى في الفقرات التالية من هذا المقال إشارات إلى واجبات دينية لم ترد في التوراة ولا في أسفار الأنبياء، وانفرد بها أحبار التلمود، كما نجد تكراراً وإلحاحًا في منع «المزج» أو «الخلط» بين العناصر، حتى في الطعام وآنيته، يحرم الخلط بين اللحم واللبن ومشتقاتهما، والأواني المستعملة لها في المطبخ والمائدة، وفي الشراب (النبيذ) المستخدم في الأعياد والعبادات، يجب أن يعصر من عنب شجرة واحدة ولا يخلط بغيره. كما أشرنا في مقالنا السابق، فلايجوز خلط الصوف بالحرير أو القطن أو الكتان، وأفتى فقهاء اليهود المحدثون بتحريم خلط الألياف الطبيعية ـ نباتية أم حيوانية ـ بألياف صناعية (نيلون أو داكرون أو بوليسترين) وأباحوا استعمال الثياب من الألياف الصناعية مع تحريم خلط بعضها ببعض. ولايستثنى من ذلك (الحزام) أو (الزنّار) من ثياب رجال الدين، فاستحسنوا أن يكون منسوجًا من خليط من نوعين من الخيوط ـ في التلمود (كيلايم) أي مادتين وهذا الحزام هو الحالة الوحيدة التي يحلّ فيها خلط مادتين، ويبدو أن هذا أمر دعت إليه الضرورة، إذا كان هذا الحزام هو الذي يمسك السروال حول خصر الحاخام، فالمفروض فيه أن يكون متينًا حتى لاتتعرض عورة الحاخام إلى الانكشاف، كما أن صنعه من مادتين يعطي فرصة للتأنق فيه واتخاذه من لونين أو من زخرفة معينة، لايحل فيها تصوير كائنات حية من إنسان أو حيوان، أما الزخارف النباتية فكانت ـ وما زالت ـ مباحة.

أفتى فقهاء اليهود بتحريم خلط الألياف الطبيعية بألياف صناعية في ملابس العبادة

الوثنية والطقوس اليهودية

وأما السروال ـ لرجل الدين ـ فكان يُتخذ من ألياف الكتان، كالقميص والعمامة، وكان يبدأ من الخصر إلى أسفل الفخذين (التوراة: سفر الخروج 42:28).

فالقميص كان من الكتان الناعم الرقيق، وهو نسيج يسمى بالعبرية (شيشْ) وهو ما نسميه (الشاش)، واشترطوا فيه أنَ يكون غزله شَزْرًا ـ أي مجدولاً ـ حتى تتوافر فيه المرونة والنعومة والراحة. وعمامة رجل الدين، حسب ما جاء في التوراة ـ الخروج 28-42هي أيضًا من الكتان، وتشبه العمامة الإسلامية، ويلبسها رجال الدين العاديون. أما عمامة الكاهن الأعظم فكانت أشبه بالتاج، مرتفعة ومزخرفة بالذهب والأحجار الكريمة ونصف الكريمة ويتفق الباحثون من علماء اليهود على أن هذه الشروط الدقيقة لملابس الكهنة ـ وخصوصًا الكاهن الأعظم ـ إنما جاءت إلى اليهود بعد السبيّ البابلي، أي بعد نهاية المملكتين اليهوديتين في فلسطين (السامرة شمالاً، ويهوذا جنوبًا)، إذ لايرد ذكرها في التوراة المنسوبة إلى موسى، إلا في نصوص مقحمة فيها يصنفونها تحت اسم (الحواشي الكهنوتية)، وكلها يرجع إلى ما بعد القرن الخامس قبل الميلاد، أي بعد موسى بألف سنة، وكذلك في سفر النبي حزقيال الذي عاش في السبي ووصف هذه الثياب ـ باختصار ـ في مواضع من سفره، أهمها: 17:44، 18 كما تحدث عن الأحكام الخاصة بها في 14:42- 19:44. وكلها يشعر بأثر الأبهة الكسروية الفارسية وكهنتها من المجوس أو عبدة الكواكب في بابل.

وربما كانت الملابس الكتانية الأربعة التي ذكرناها، وهي القميص والسروال والعمامة والحزام بقية من الملابس التقليدية الفرعونية بعد تطويرها على أثر دعوة سيدنا موسى عليه السلام، أما الملابس الخارجية ـ خصوصا للكاهن الأعظم ـ فإنها تنم عن كثير من التطور في فن الأزياء، ولعل أحبارهم المتأخرين (اجتهدوا) في تصورها «انطلاقًا من تعبير ورد في التوراة، يصفها بأنها ثياب الفخامة والجلالة (سفر الخروج 4:28) وفي مقدمتها: الجبّة ـ بالعبرية (إفودْ) ـ وهي رداء فضفاض من الصوف المزركش أو الكتان الفاخر، مع خيوط من الذهب للتطريز أو للنسج مع الصوف أو الكتان. وتحت الجبة، قميص قصير من الكتان الجيد المصبوغ باللون الأزرق هو الطيلسان وفوق القميص، الصدرية أو (حلية الصدر) ـ بالعبرية حُوشِنْ ـ وهي جيب مزخرف ومطرّز بالذهب الكثير، وكان ينسج من الصوف مع

خيوط أخرى من الكتان أو الحرير، وكان هذا الجيب مربّعًا يتوسط صدر الحاخام الأكبر، ويحتوي على القدَاح أو الأزلام (بالعبرية أو ريم وتُميّم)، وهي عيدان يستعملها الكاهن في القُرعة أو الاستخارة! والكلمتان العبريتان لاترجعان إلى أصل معروف، وقد وردتا في التوراة (سفر الخروج 30:28). وعدد هذه العيدان اثنا عشر - بعدد أبناء يعقوب -، وأسماؤهم محفورة في هذه العيدان. ويعتقد اليهود - حسب ما علمهم التلمود - أن الكاهن الأعظم عنده القدرة على كشف الغيب بقراءة هذه الأعواد! ومن أشكال الحليـــة التي تزين هذه الصـــدرية الســحرية؛ جــلاجل من الذهب وشــرّابات من الصوف والكتان يسمونها «الرُمّانات».

أما النعال والأحذية فلا ذكر لها في ثياب رجال الدين؛ لأنهم يقومون بالطقوس حُفاةً. كما أن ملابس الحاخام من المستحسن إيداعها في خزانة محكمة في المعبد، يلبسها بعد أن يتأكد أنه طاهر.. ومتوضي (يعني غسل يديه). لايلمسها أحد في غيابه.

يبقى ركن صغير من الحائط مكشوفًا في بيت كل يهودي إشارة إلى خراب الهيكل في أورشليم

فالملابس الثمانية : الأربعة التحتية والأربعة الفوقية خاصة بالكاهن الأعظم، أما مَنْ دونه فيجوز لهم إقامة الشعائر بالملابس التحتية وفوقها (الطّلّيت)، وهو رداء العبادة لكل اليهود الذكور بعد الثالثة عشرة من أعمارهم، وهو ثوب مُربّع أو مستطيل فضفاض من الصوف المخطط أو الساذج، أو الكتان، تتدلى من زواياه الأربع أربع شُرّابات من الصوف، تتكون كل منها من ثمانية خيوط، أربعة بيض وأربعة زرق، لأن صلاة الفجر تجب عندهم عندما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق. واسم هذه الشرابة بالعبرية (حيصيتْ) وقد ورد ذكرها في نص الصلاة (قراءة السّماع) من التوراة (سفر اللاويين 39:15)، ولذا أوصى التلمود المصلين عند ذكر «الصيصيت» أن يرفعوا واحدة منها ويقبلوها، واستمر ذلك حتى القرن الثاني عشر الميلادي، ثم تبيّن أن هذه الشرّابة - لقربها الشديد من الأرض - تضايق أقدام صاحبها، فابتكروا لذلك «الطّلّيت» الصغير، وهو قصير تبقى «الصلصيت» عالقة به دون مضايقة، وهكذا احتفظوا بالطلّيت الكبير للمناسبات الدينية الخاصة، حيث يلبسون «الطليت» الصغير، وفوقه «الطليت الكبير». وقد تأتي فرصة أتحدث فيها عن الموت عند اليهود، وأن الطليت الصغير والكبير يكوّنان الكفن الشرعي للميت، أما النساء فهن أكثر حرية من الرجال.. بعد الموت!

سرقة ترضي الله!!

ولم تكن تغطية الرأس، حتى بهذا القرص الصغير الخفيف المسمى (الكبّة) بياء ثقيلة مثل الباء الإنجليزية أو الفرنسية أو الفارسية. وهذه التسمية مأخوذة من اللاتينية «كاب» بباء ثقيلة أيضًا، وأخذ العرب من هذا الأصل كلمة «كوفية» - بالفاء: بدل الباء الثقيلة - نقول: لم تكن تغطية الرأس واجبة في المعبد، إلاّ على الهيئة المُشرفة على الطقوس: الحاخام، ومساعده إن وجد، والحزّان (أي المرتل والمجّود والمنشد) ونافخ البوق (الشوفر) وهو يناظر المؤذن عندنا، ثم خادم المعبد وحارسه (شَمّاشْ). فقد كان هؤلاء يقتربون بحكم وظيفتهم من (قدس الأقداس)، وهو الخزانة التي تحتوي على نسخة من التوراة المنسوبة إلى موسى - ومعها سفر «استير». وتقضي الشريعة التلمودية بأن تودع في كل معبد يهودي هاتان النسختان، مكتوبتين بخط اليد على الجلد أو الرق - يكتبها كاتب حافظ ضابط، ويدفع له ثمن الجلد أو الرق والحبر وأجر عمله الذي يستغرق شهورًا طويلة بعض أثرياء اليهود، ويجعل هذه النفقة صدقة على روح بعض أمواته. وبالمناسبة: كلما حدثت حالة فزع لليهود واضطروا إلى الهجرة، أخذوا معهم كتبهم الدينية خشية أن يمسّها الكفّار فتتدنس ، ويسرقون قبل كل شيء هذه النسخ المخطوطة من التوراة وسفر إستير توفيرًا للوقت وللنفقات في كتابة غيرها، كما أن هذه السرقة - في رأيهم - ترضي الله جدًا؛ لأنها إنقاذ لكلامه من الأَسْر في أيدي الكفار «الجوييم»، ومعظم النسخ الموجودة في معابد إسرائيل مسروقة من مصر أو تركيا أو الجزائر أو تونس أو المغرب، وبعضها ترجع كتابته إلى عصر الدولة الإسلامية في الأندلس، فضلا عن نسخ أخرى من روسيا وبولندا وليتوانيا وغيرها.

وقلنسوة الحاخام تثبّت حليةٌ ذهبية على مقدمتها - في أعلى الجبهة بخيوط من الحرير البنفسجي، وهذه الحلية الذهبية تسمى (التاج)، ومحفور عليها عبارة «مقدس للرب» كما ورد في سفر الخروج 36:28-38. وذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس (من القرن الأول الميلادي) أن العبارة المحفورة على التاج كانت اسم الرب الرباعي الحروف عندهم «يهوه» فقط (تاريخ اليهود ليوسيفوس - الجزء الثالث - الفقرة 178).

ومن الحليّ الخاصة بالحاخام الأكبر قرصان من العقيق محفور على كل منهما أسماء ستة من أسباط بني إسرائيل، وكان كل قرص يثبت على أحد كتفي الحاخام فوق العباءة (الإفود) - سفر الخروج 14:5. وكل هذه الزخارف والحلي من تاج القلنســوة إلى حلية الصدر بجلاجلها الذهبية ورماناتها الملوّنة - وقد اختلف أحبار التلمود في عددها بين ست وثلاثين واثنتين وسبعين (التلمود ، كتاب - الطهارة) - وأوجبوا تركها في طقوس يوم الغفران، لأنه يوم حزن وتوبة وندم، بحيث يظهر الكاهن الأعظم في تلك المناسبة بالثياب التحتية الأربعة فقط، والطليّت).

أما اليهودي العادي فيلبس كما يشاء ويرتدي بالطليت فوق ثيابه. وحدده موسى بن ميمون بأربعة أذرع بلديّة طولاً (أي أكثر قليلاً من مترين) مع ما يكفي لابسه عرضًا. ونص رواة التوراة على تحريم حلق اللحية أو السوالف على جانبي الرأس. وإذا كان اليهودي يعيش في بلد يضطهد اليهود فمن حقه أن يزيل سوالفه على أن يبقى منها خصلة - ثماني شعرات على الجانبين وراء أذنيه إذا خرج، خصوصًا في البلاد التي تفرض شارات مميزة لليهود مثل «الحلقة»، وهي عجلة من الخشب أو المعدن كان حكام الدول التي بها يهود يفرضونها عليهم حتى يعرفهم الناس فيقاطعوهم أو يحذروا منهم. وبالغ بعض الحكام والأمراء فاشترط عليهم أن تكون الحلقة من النحاس وأن يزيد وزنه عمّا يساوي عشرة كيلو جرامات!

حقيقة النجمة السداسية

ومن الشارات اليهودية «النجمة السداسية» وزعم اليهود أنها كانت مرسومة على ترس كل محارب في جيشه، ولذلك يسمونها «مجَنّ داود» وهو زعم لايقوم عليه دليل معقول أو منقول، فالنجمة السداسية كانت منذ أقدم العصور وحدة

زخرفية منتشرة في جميع فنون العالم القديم لسهولة تنفيذها ورسمها، فهي مثلثان متساويي الأضلاع متقاطعان أحدهما رأسه إلى أعلى والآخر إلى أسفل، وقد فسّرته الكتابات الهندية القديمة بأن كل واحد من المثلين يرمز للإنسان بقواه الثلاث: الجسدية، والروحية، والفكرية، وأن تقاطعهما يرمز إلى ارتباط أحدهما بالأرض والآخر بالسماء. وأن الاعتدال واضح في تساوي أضلاعهما وزواياهما. ونجد قبل النجمة السداسية الصهيونية نجمة قديمة (خماسية) مثل النجمة الإسلامية، زعموا أن سليمان كان يختم بها رسائله وكانوا يسمونها (خاتم سليمان)! والراية الصهيونية عبارة عن رقعة بيضاء أبعادها تشبه نسبيًا رداء الصلاة (الطليت) طولاً وعرضًا، يحدها خط أو شريط أزرق سماوي من أعلى ومن أسفل، قال كثير منهم إنه إشارة إلى ماءين: البحر الأبيض المتوسط، والبحر الميت، وأن الأزرق والأبيض من علامات العبادة إذ بالتمييز بينهما تجب صلاة الفجر عند اليهود كما قلنا، ثم تتوسط الرقعة البيضاء نجمة سداسية زرقاء أيضًا، يغيرون لونها إلى الأحمر للخدمات الطبية بسياراتها وراياتها.

ومن شاراتهم المنارة أو (الشمعدان) واسمه بالعبرية (منورة) - وكان هذا القدم أهم رموز الطقوس الدينية اليهودية. وكان على أزمان الاحتلال الروماني لفلسطين يحتوي على سبع شعب، واحدة في الوسط فوق القاعدة وثلاث على الجانبين.. وهذا الرمز موصوف في التوراة (سفر الخروج 25:31-38) - «واصنع لك أيضًا شمعدانًا من الذهب الخالص، هو وقاعدته وفروعه».. الخ، وتكرر الوصف في السفر نفسه (37:17-24). وفي أيام الرومان كان الشمعدان يحتوي على فرع إضافي ثامن منذ انتصار يهوذا المكابي على أنطوينو خوس الرابع في القرن الثاني قبل الميلاد، وطرد اليونان المهاجمين من سورية، وقيام يهوذا بإعادة تطهير الهيكل وفتحه للعبادة. فأضاف اليهود هذا الفرع الثامن إلى الشمعدان، وخصّوه بيوم عيد هو «الحانوكا» أي التنسيق والتدشين، يوقدون فيه «شمعة يهوذا» - ويقع هذا العيد في ديسمبر، وأصبح فرضًا على كل جالية يهودية أن يحتوي معبدها على شمعدان، من الذهب أو الفضة أو النحاس.

وهناك شارة خفية في بيت كل يهودي، هي ركن صغير من الحائط يبقى مشكوفًا بلا ملاط ولا تلبيس يرمزون إلى خراب الهيكل اليهودي في أورشليم - القدس -، وكأنه دعوة إلى العودة إلى هذه المدينة والاستيلاء عليها وجعلها عاصمة مُلك صهيوني جديد.

تقبيل وترحيب

وعلى اليهودي أن يثبت على يمين بابه أنبوبًا صغيرًا أو علبة يضع فيها قطعة من الجلد أو الرق مكتوب عليها نص مختار من نصوص الصلاة في التوراة، ويكون مكانها في متناول الداخل من الباب، فإذا دق الباب وفتح له من بالداخل بدأ بتقبيل هذه الشارة وتسمى بالعبرية «مزُوزه» فيعلم أهل الدار أن القادم يهودي، فيحيونه قائلين «باروخْ هبّا» أي مبارك القادم، فيدخل قائلاً «شالوم» أي سلام! وهذه الشارة منصوص عليها في التوراة (سفر التثنية 6:4-9). ومن أحكامها أن تكون مكتوبة بخط اليد بقلم رجل متخصص وأن يكون الرق الذي يكتب عليه من حيوان طاهر، وأن تثبت على الباب أفقيًا في رأي بعضهم ورأسيًا عند تلموديين آخرين. وأكثر اليهود يثبتونها الآن على أبوابهم مائلة ليكونوا وسطًا! ولهذه الشارة والباب والحجرة المتصلة بها شروط طويلة حددها التلمود، أهمها ألا تثبت على كوخ أو مظلّة ملحقة بالبيت، وأن تُقرأ عليها بركات بنصوص محددة عند تثبيتها.

المرأة ومسؤوليتها

وإذا كان الرجال مسؤولين عن كل هذا فإن مسؤولية النساء محدودة. فملابس النساء يجب أن تكون محتشمة في لونها وتفصيلها، وأن تستر الساقين والذراعين، والخمار إجباري، لابد أن يغطي الشعر - الذي هو جمال المرأة وجاذبيتها كما يقول التلمود - كما يغطي العنق والنحر والصدر. وجرت العادة عند ساكنات حارات اليهود أن يغطين رؤوسهن وأكتافهن وصدورهن بشال صوفي داكن أو أسود. وقصّ الشعر للمرأة حرام، وإن كانت اليهوديات البولنديات قد تعودن على قصّ شعرهن لحفلة الزواج، ويلبسن على رؤوسهن قلنسوة فيها شعر طويل مستعار! والأمر عندهن تقليد موروث منذ القدم، مع أن أي شعر مستعار مثل (البروكة) والأهداب المستعارة، وأية وسيلة تجميل لاصقة بالجسم كالنهود والأرداف حرام، وتسامحوا في الأسنان الصناعية، والأطراف الصناعية البديلة على أنها وسيلة تعويضية لأغراض غير التجميل.

والمرأة لاتلبس الطليت في الصلاة، ولاتلمس طليت الرجال، لأنها - مهما بلغت من العلم - لاتجوز لها الإمامة في الصلاة، ولا الإنشاد، ولانفخ البوق للدعوة إلى الصلاة. وإن كان «اليهود الإصلاحيون» يخالفون التقليديين والمتزمتين في هذا ويحتفلون ببلوغ البنت سن الثانية عشرة، ويسمونها «بَتْ مصْوَه» أي «بنت مكلفة»، وتجوز عليها الحدود والقصاص فضلاً عن أداء الفرائض مثل الولد المكلف «بَرمصْوَه». وقد تعنّ لي فرصة قريبة إن شاء الله أتحدث فيها عن أولئك اليهود الإصلاحيين، ومناهجهم وعلاقاتهم بالصهيونية.

وبعد، فلعل القارئ الكريم قد أدرك السرّ في ما لاحظه الصحفي الفرنسي غير اليهودي «البيرلوندر» من تحرر الصهيوني في فلسطين من كثير من (شكليات) اليهودي في الشتات، المصاب بالرعب من خطر الاندماج، والامتزاج بالأمم التي يعيش بين ظهرانيها لشعور عميق عنده بأن دينه «دين عنصري وطني» مما جرّ عليه على طول التاريخ كثيرًا من المآسي وأصناف الارتياب، بل الاضطهاد، فهو يهودي، ويجب أن يكون مختلفًا عن (الآخر). ولا أريد أن أضع القلم قبل أن أشكر قرائي الكثيرين - أثابهم الله - على رسائل الودّ والتشجيع التي أتلقاها منهم، ولهم - بمناسبة عيد الفطر المبارك - أجمل التهنئة والدعاء. وقد سألني أحدهم لماذا ننسب نحن العرب والمسلمين إلى إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، وينتسب اليهود إلى يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، أي حفيد إبراهيم لا إلى ابنه؟ ذلك أن إسحق كان رجلاً مسالمًا، وكان يقيم في أرض كنعان ويعد نفسه فيها غريبًا.

تقول التوراة: وسكن يعقوب في أرض «غُربة أبيه» أرض كنعان (سفر التكوين 37-1) أما يعقوب فكان رجلاً محاربًا، وزعم اليهود أن الله - تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا - قد اختبره بأن (صارعه) عند (مخاضة اليجوق) على نهر الأردن فلم يستطع أن يهزمه في هذه المباراة! وسماه «إسرائيل» أي قوة الله! فانتسبوا إلى هذا البطل الأسطوري الصنديد، لدرجة أن الصهيونية المعاصرة أعرضت عن تسمية زعيمها هرتسل (دولة اليهود) التي جعلها عنوانا لكتابه، وسموها (دولة إسرائيل)! لتوافر نوايا العنف والاستعمار والصراع عند يعقوب - كما يزعمون - .



مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية

د. حسن بن فهد الهويمل

الحلقة الأولى

النقد رديف الإبداع، وحول: أيهما الأول، وأيهما الأهم يقوم جدل عقيم ليست له مرجعية وثوقية وإنما هو نوع من الترف، وأيًا ماكانت الأولية والأهمية فإن (النقد ـ والإبداع) وجهان لعملة واحدة يقوم أحدهما بقيام الآخر، ويحملان معًا خصوصية وأهمية واحدة، ويتآزران في صناعة العمل الإبداعي؛ فالمبدع حين يعود لإبداعه في التعديل أو التبديل يكون مبدعًا وناقدًا في آن واحد. والنقد بمفهومه الحضاري لا يعني تلمس الأخطاء ولا الاشتغال بالنص وجوائه بعد إبداعه؛ النقد شبكة من المهمات تتداخل مع النص قبل تشكله وبعده، وقد يكون النقد في بعض توجهاته إضافة إبداعية تشغل حيزًا من فضاءات النص الدلالية. ثم هو استشراف يتجاوز النص أو يقدمه ويرسم طريقه، إنه مجموعة من المرايا ينظر فيها المبدع أدق تفاصيله وأعمق خصوصياته وأصغر هناته، وذلك بعض مافعله شوقي حين اعتورته سهام الديوانيين.

ولما كان النقد رؤية الجماعة ينهض بها الناقد، والنص رؤية الذات يفضي بها المبدع، والذات جزءًا من الجماعة كان النص بعض هذه الرؤية، وأحسب أننا بهذا ندخل في لعبة البيضة والدجاجة أيهما الأول، وأيهما الأهم، ومن ثم فلن نمضي مع هذه المفاضلة فالأمر قد أخذ وضعه الطبيعي ولم يعد بحاجة إلى مزيد من القول. وإذ أنهض بمهمة رصد الحركة النقدية في المملكة تمهيدًا لتناول النقاد الذين شكلوا بدراساتهم، وتنظيرهم وتراجمهم وبعض خواطرهم العابرة صورة هذه الحركة، أذهب إلى أن هذا المدخل سيقوم على محورين رئيسين:ـ

البعد التاريخي لهذه الحركة وهو بعد لا يتجاوز السبعين عامًا.

والبعد الفني والدلالي بكل تنوعاته واتجاهاته.

وفي أثناء ذلك سنشير إلى الكم المعرفي لهذه الحركة، وإلى جذورها ومرجعياتها، وإلى بعض أساليب الدرس التي تمت في ضوء ذلك. ولما كانت النية قائمة على الدخول إلى الحركة النقدية من خلال رموزها، وهو منهج لم يأخذ به راصدو الحركة النقدية على ما أعلم، فقد أجملنا المدخل وألمحنا إلى سمات الحركة النقدية وتحولاتها، وأرجأنا التفصيل إلى الحديث عن رموز النقد في المملكة من أعمالهم النقدية في مجاليها التنظيري والتطبيقي، وسيكون رصدنا للتحولات عبارة عن إشارات تاريخية وفنية نتناولها بالتفصيل عند الحديث عن الشخصيات التي شكلت بعملها تحولات فنية.

نقد النقد

ولما كانت القراءة لأي ظاهرة لا تملك الحيادية فإنني لن أكون راصدًا ولا مؤرخًا للحركة، وإنما سوف أمارس مايمكن تسميته بنقد النقد، وسأتجنب المذهبية الضيقة ونفي الآخر أو التقليل من شأنه أو بخسه أشياءه لمجرد أنني لا أتفق معه فيما يذهب إليه، لقد أخذت على كاهلي كشف الادعاء وقمع التعاظم، والعودة بالجدل إلى الموضوعية والتواضع، واعتبار الآخر مهما كان مباينًا، وأُطر الحوار في محيط القضايا، وتحامي الصدامية والهجائية التي تمرغ في وحولها بعض الخصوم.

وممارستي النقدية لن تكون على حساب الرصد التاريخي والفني، ولن أتعمد الصدامية والانشغال بالذوات من دون القضايا، وفي الوقت نفسه سأتحامى الانبهار بما جد من آليات قائمة في الواقع أو في الادعاء والتزيّد، ومن ثم فإن مدخل الدراسة سيقوم على الهدفين اللذين أشرت إليهما، متوخيًا الرصد التاريخي الدقيق لحركة النقد في المملكة من خلال الإشارة إلى الأعمال النقدية بما في ذلك الدراسات الأكاديمية والرصد الفني لكل التحولات في البعدين الدلالي والفني، ومحاولة تحقيب الفترات ومعرفة أسلوب التحول وانتماءاته ومنازعه ومدى أصالته أو تبعيته وجدواه، وأثره في العمليات الإبداعية، ومحدوديته واتساعه، ومدى وعيه للتحولات الفكرية والفنية في المحيطين العربي والعالمي، وجدية هذا التحول واستمراريته وانعكاسه على إيجابيات الفعل النقدي بمجموع توجهاته وتنوعها، ولن يقتصر هذا المدخل على توصيف المنهج وإنما سيكون إطلالة وصفية وتحليلية لكل الأبعاد ولكل الأعمال ولكل

الشخصيات، وسيضع يد قارئه على لمحة موجزة عن الحركة النقدية، وقد توخيت ذلك ليكون المدخل تلخيصاً للتناول التفصيلي لرموز النقد في المملكة، وليكون إيجازاً لمجمل الدراسة النقدية.

ومدخلي ذلك لن يقتصر على الممارسين الفعليين للنقد، وإنما سيمتد إلى كل المتناولين للحركة الأدبية في المملكة عبر أي قناة متى تحول هذا التناول إلى توثيق كتابي، واشتمل على توصيف أو تأريخ أو نقد للأدب، وسوف لا يكون ذلك في دراستي لرموز الحركة النقدية، ذلك أن المدخل يشير إلى المقلين والمتداخلين مع النقد في أدائهم التاريخي أو الوصفي، أما دراسة الرموز فسيكون منطلقاً من أعمال تعي مهمتها الأساسية وتمارس النقد بوعي لمجالاته ومهماته.

وسوف أكتفي بالإشارة إلى المقلين أو المتقاطعين مع النقد لعدم توفر مادة نقدية يمكن أن تقوم عليها دراسة نقدية، وتداخل النقد الخالص مع مناهج أخرى ليست منه ببعيدة يحمل الراصد على وضع اعتبار لكل تلك المناهج، ومن ثم فإن كثيراً من الدارسين يعمد إلى الخلط بين التأريخ للأدب والكتابة النقدية تطبيقاً وتنظيراً، والتراجم والسير. وإذ لا أميل كل الميل إلى التفريق بين هذه المضامير، فإنني سألحظ حجم النقد فيما هو غير خالص له، حيث من الممكن جنوح من لا يحمل هم النقد إلى النقد، وخلط الكاتب بين التطبيق والتنظير، وعرض الرؤية النقدية في السيرة والترجمة (1). على أن هناك مضامير أخرى قد تقترب من العملية النقدية ولا تكون من النقد الخالص، فالكاتب المقارن مثلاً يستنجد بأدوات النقد لكشف التأثر والتأثير.

جملة من النقاد

ومناهجنا الدراسية تتقاطع في أشواطها مع النقد، فأستاذ النصوص ناقد تطبيقي، وأستاذ النقد مُنظِّر ومؤرخ، وأستاذ الأدب مؤرخ وناقد، ودعك من الأساتذة الذين يدرّسون أدوات الناقد ثم لا يعرفون أنهم يمارسون النقد التطبيقي، فأستاذ البلاغة والنحو والصرف والعروض وحتى أستاذ المطالعة والإملاء والتعبير كل أولئك يجهزون للناقد، أو قل يحاولون إعداد القارىء لكي يمتلك مفاتيح النصوص؛ وكأني بهذه الرؤية الشمولية أعضد المقولة الشائعة (الإنسان ناقد بطبعه).

ولعلنا ندرك أن القراءات على اختلاف تسمياتها ومستوياتها إما أن تكون داخل النص أو خارجه. والذين يقرؤون ماهو خارج النص هم المؤرخون للأدب، والذين يدخلون عالم النص هم النقاد النصوصيون على مختلف مذاهبهم واتجاهاتهم وأدواتهم. والدخول إلى عالم النص يبدأ من خارجه فالناقد لا ينشأ من داخله وإن ادّعى ذلك، وتنطع بموت المؤلف، وإذ يفد إليه من الخارج فلا بد أن يمر بهذه المداخل التي ضيق عليها اللسانيون الخناق، بحيث استخفوا بجدواها ولم يروها من النقد في شيء، وهذه المواقف المتطرفة تأتي في سياق الفعل ورد الفعل. وهي أعمال لا تؤصل ولا تستقر على حال.

فعندما طال الوقوف مع المنتج ومع ما يسوء إليه على حساب النص، نهض الرافضون لهذا المكث الطويل وضخموا حجم اللغة إلى الحد الذي ألغيت معه كل الأشياء، فتكرر الخطأ بحيث انقطع الناقد عما سوى البناء واللغة. إطالة خارج النص أضاعت العناية بالنص، وإطالة داخل النص أضاعت العناية بالمنتج وجو النص. فالذين همشوا النص قابلهم من أمات المنتج، والسلبية تتأصل حين لا نملك إلا الفعل ورد الفعل. هذه الإشكاليات لم تكن حاضرة الرواد من نقاد المملكة، وإنما هي إشكالية معاصرة لم تحسم بعد. وخلوصاً من هذه الدوامة سأتناول رموز الحركة النقدية في المملكة من خلال أربعة محاور:- (التنظير) و(التطبيق) و(التاريخ الأدبي) و(السيرة والترجمة) وستكون مرجعيتي كتب الدراسات والمقالات والتراجم والسير الذاتية والسير الفنية ببعديها الروائي والإبداعي، أعني السيرة عندما تكون إبداعاً، والسيرة عندما تكون عن الإبداع، كالسيرة الشعرية للقصيبي مثلاً، وبعض الأطروحات الأكاديمية. وفي ضوء ذلك فإن المرجعية إما أن تكون عملاً أكاديمياً محدود الموضوع مرسوم المنهج، أو تكون عملاً تطوعياً ليست له صرامة الأكاديميين ولا موضوعيتهم، وإنما يعمد الكاتب إلى قضية أو شخصية في جانب من جوانبها، أو يكتب مقالاً عن رؤية أدبية انقدحت في الذهن أو نفذت إليه من مقروء تراثي أو حديث عربي خالص العروبة أو مشوب بالاستغراب. وسوف أحاول جهدي ألا تكون هذه الدراسة وقفاً على النقاد المتميزين بأعمالهم وآرائهم وحضورهم النقدي الخالص.

اضطراب وتنوع

ومما هو جدير بالإشارة في مستهل هذا المدخل التنويه بما تميزت به الصحف والمجلات والدوريات من فعل مؤثر، شارك في ظهور الحركة النقدية على شكل مقالات غير منتظمة وغير متقصية، ثم صدور بعض هذه المقالات في كتب مختلطة بمقالات أخرى ليست من النقد في شيء. حيث ينهض بعض الأدباء بمهمات كتابية متعددة شكلت في النهاية عائقاً في طريق تبلور الحركة النقدية؛ فالأديب يمارس الكتابة الدينية والسياسية والعلمية والفلسفية ويكتب الخاطرة والرسالة؛ ويبرع إلى جانب ذلك بكتابة ألوان من المقالات كالمقالة الذاتية، والوصفية والاجتماعية، ويكون رومانسياً في مقالة وواقعياً في أخرى، تراثياً يمجد المحافظة، ومجدداً يعلي من شأن المتجاوزين، يكون اتباعياً وابتداعياً، وهذا الخلط العجيب الذي يعتري كتّاب المقالة الصحفية، وذلك الاضطراب والتنوع وتعدد الاهتمامات يضع الراصد والدارس في حيرة من أمره، ولربما كان مرد ذلك أن الحركة الأدبية في البلاد جاءت متأخرة، وكانت بداياتها متواضعة كما لم تكن الأرضية أدبية خالصة بل كانت علمية دينية مع عدم مواكبة التعليم الجامعي لتلك الحركة في بداياتها، إضافة إلى نضج الحركة النقدية في مصر والشام والعراق، وتعلق أدباء البلاد بما يفد إليهم من تلك الديار، ومحاولة محاكاته والسير على سننه. ولما كانت طبيعة الحركة النقدية في مصر تصادمية انبهر بها شداة الأدب والنقد في البلاد، وأصاخوا لها، واستشرفوا نتائجها، وتفحصوا ضحاياها وبخاصة شعراء المحافظة أمثال شوقي وحافظ حيث تلقيا أعنف الحملات من الديوانيين والأبولّيين، وأبهى الثناء والتبجيل من النقاد التراثيين والمجاملين. هذه المتابعة المتحفزة المبهورة شدتهم إلى رموز الحركة النقدية في الوطن العربي أمثال العقاد، وطه حسين، والرافعي، والمازني وأبي شادي، وزكي مبارك، ومندور والعالم والمعداوي وإسماعيل مظهر وغير أولئك، ومكنهم ذلك من الرصد الدقيق لما يدور في تلك الجواء الصاخبة، وحملهم على محاولة افتعال معارك مماثلة أشعلها العواد، وشحاته، والعطار، والفلالي، وضياء. لقد تواصل المدرسيون المصريون مع المهجريين، وتناغمت الحركة النقدية لدى مدرسة الديوان وجماعة أبوللو مع الحركة النقدية عند المهجريين، وبخاصة عند ميخائيل نعيمة الذي تبادل الخبرات مع الديوانيين. وكل هذه الملامح الفنية نفذت إلى القارىء السعودي في الحجاز أولاً ثم في نجد ثانياً فبقية أنحاء المملكة. ووجد فيها الشباب السعودي ضالتهم فكانت قدوتهم ونبراسهم.


محمد حسن عواد


أحمد عبد الغفور العطار

وفي ضوء ذلك لا أستطيع أن أقطع بأن الحركة النقدية في المملكة قد أخذت وضعها الطبيعي واستكملت تشكلها بحيث يستطيع المتابع أن يحصرها ضمن تعريف محدود أو يصنفها ضمن رؤية بارزة المعالم، أو يلحقها بمدرسة أو طائفة من النقاد في مصر أو الشام أو لبنان، وبالذات عند ألبير أديب صاحب المذهب الرمزي الذي تبناه في المملكة محمد عامر الرميح.

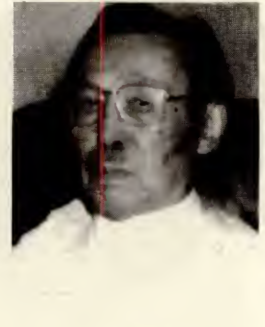
سوق الظواهر النقدية

الحركة النقدية في المملكة لم تكن انبثاقاً إقليمياً ولا تشكلاً ذاتياً خالصة من أصداء الحركات النقدية التي سبقتها زمناً وريادة ونضجاً، لقد تفاعلت تلك الحركة مع تلك الحركات السائدة في القديم والحديث، وتضلعت من أطروحاتها، وأخذت في التشكل في ضوء تلك الروافد، شأنها شأن الحركات النقدية الأخرى في دول

الجزيرة والخليج العربي وبعض الدول العربية الإفريقية.

هذا الاسترفاد والتناغم جعلا الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية أخلاطًا من مذاهب شتى، ولربما كانت المرونة والقابلية وسرعة الاستجابة عواملَ مهمة في تتابع التحولات وتكاثر الذواقين؛ والساحة الأدبية والنقدية عندنا سوق رائجة لكل الظواهر النقدية، وقد تصل في بعض أحوالها إلى وكالات للدعاية ليس غير، وبخاصة عند الناشئة والمبتدئين الذين تلقوا دراساتهم في الغرب وبهرهم ما حظيت به هذه المذاهب من جاذبية وأضواء. ومع هذا فلسنا بدعًا بين النقاد في الوطن العربي، وليست تلك الاستجابات وهذه التحولات كل ما نملكه ونتحلى به، إنّ لدينا أرتالاً من نقاد يمتلكون الوعي النقدي بكل حيثياته؛ فالنقد القديم تراه ماثلاً عند بعضهم بكل سماته وخصائصه، فأنت لا تعدم النقد المرتبط بثقافة الناقد التراثية كما لا تفقد إلماحات شكلية جاءت على ألسنة النقاد القدامى كالحديث عن المطلع وحسن التخلص والمقطع ووحدة البيت والوزن والقافية وبلاغة النص ومتانة اللغة وجمال التركيب وماشابه ذلك.

والجدل الثنائي حول اللفظ والمعنى، وإيغال الناقد في



عزيز ضياء



محمد سرورالصبان



عباس العقاد

الصحة والخطأ والابتكار والتقليد، والحديث عن القيم الأخلاقية، والإطالة حول الصدق والكذب، والإحالة والمثالية والواقعية والوضوح والغموض. ثم النظر في تشكيل الكلمة من حيث المحسنات البديعية والتلاؤم والمؤاخاة والتكلف والصنعة والإيجاز والإطناب والمجاز وألوان الخيال ومستوياته، والنغم والإيقاع والشاعرية؛ وسنتناول هذه القضايا عندما تشكّل ظاهرة نقدية.

كل ذلك تراه في مواجهة النص بأدوات نقدية متواضعة في بداياتها متمكنة أو محاكية في حاضرها. وهذه البدايات لا تختلف عن بدايات الحركة النقدية في مصر والشام والعراق وسائر الأقطار التي سبقتنا بإمكاناتها. والذين أتيحت لهم قراءة كتاب (الوسيلة الأدبية) للمرصفي يقفون على بدايات تراثية ليست كبدايات الحركة النقدية في المملكة من حيث القوة والعمق والمنهجية والسيطرة التراثية، ولكنها قريبة الشبه بها، فالأزهر الذي خرّج المرصفي وأضرابه لم يكن له نظير في المملكة إذ ذاك، وما يقدمه (الحرمان الشريفان) في مكة والمدينة من علم وما يستقطبانه من علماء وكتب، وما في مكة والمدينة من مكتبات وما يفد إليهما من علماء زائرين ومجاورين يقتصر كل ذلك على العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وأصولهما، وعلى شيء يسير من العلوم العربية والأدبية، التي لا تُرهص للنقد بقدرما تُرهص لإقامة اللسان ورشاقة العبارة وتذوق الكلمة الأدبية، لهذا كان الأزهر، وكان الاتصال المبكر بالغرب بطريق حملة نابليون، وكانت الصحافة على وجه الخصوص؛ كل هذه كانت عوامل عجلت بنهضة الحركة الأدبية في مصر بالذات، يضاف إلى ذلك روح التحدي الذي خامر المصريين حين داهمتهم مدنية الغرب وحضارته بطريق الحملة والاستعمار والبعثات والترجمة.

مواجهة هناك وأخرى هنا!

لقد هرع المصريون إلى تراثهم لمواجهة هذه الحضارة. فالمرصفي (ت:1307هـ) يؤلف (الوسيلة الأدبية) فيعيد بها صياغة البلاغة وعلوم اللغة ويقدم نماذج تراثية ومعاصرة ويدرسها على منهج المتقدمين أمثال قدامة بن جعفر(ت:337هـ) وابن رشيق (ت:463هـ) والجُرجاني (ت:471هـ) والقرطاجني (ت:684هـ). والبارودي (ت:1322هـ) يصنع المختارات وينتقي من أجمل الشعر العباسي لثلاثين شاعرًا. وعبدالله فكري (ت:1306هـ) يستلهم أساليب القدماء فيقدم أحسن النصوص وأجمل المقالات، والنديم (ت:1314هـ) يستلهم من الخطابة العربية أجمل خطبه الوطنية.

وإذا كان التحدي في مصر في مواجهة الغرب فإن التحدي في المملكة وفي الحجاز بالذات كان في مواجهة التتريك، والجنسيات غير العربية التي اختارت المجاورة في أرض القداسات، يقول السباعي (إن مجموعة الأجناس والجاليات أثرت في تكوين طابع مكة... وهكذا كان الشأن في جميع ذلك فيما يتعلق بالمدينة أو جدّة) (2) وثورة الحسين على الأتراك، وطرحه شعار القومية إعلاميًا بمظاهرة الإنجليز ومساعدتهم كانت نقطة تحول. ويذهب الأستاذ عبدالله عبدالجبار إلى أن (ذلك الحدث كان تاريخًا لميلاد الأدب الحديث في الحجاز)(3) ذلك أن الملك حسينًا استقطب شخصيات عربية من مختلف الأقطار العربية للنهوض بهذا المشروع وكانت على جانب من العلم والأدب والشعر (4).

كان ذلك في عهد الحسين، وفي عام 1923م بدت المناوشات بين حكام نجد والأشراف، ولما كانت طرق الحج غير آمنة تطلع الحجازيون إلى من يملك القدرة على ذلك. وبعد عام من تلك الأحداث بويع الملك عبدالعزيز ملكًا على الحجاز فاستقبله الحجازيون بالترحيب حيث كان مثل عهده تطوراً وتحولاً نحو حياة جديدة. وبعد التوحيد تم التواصل والاندماج بين مناطق المملكة، وأعقب ذلك توحيد المناهج وتأسيس الجامعات وتعدد المؤسسات الثقافية والتوسع في البعثات والتواصل مع العالم بجرأة وثقة، وتبادل الخبرات، والاستفادة من منجزات الحضارة، فكانت البلاد كما نراها ونعايشها وننعم بخيراتها. وفي ضوء هذه المتغيرات يدخل العالم العربي مرحلة الصراع والتحدي أو الخنوع والاستسلام، وتنشأ ناشئة نهلت من آداب الغرب لتروض نفسها على تلك المذاهب. ولما لم يكن في الجزيرة العربية وفي المملكة على وجه الخصوص استعمار مباشر يراه الناس رأي العين، ويسمعون صوته بآذانهم، ويتجرعون مكائده، لم يكن هناك صراع ولا تحد بحجم ما عرفناه في بلاد خالطها الاستعمار وأذاقها لباس الجوع والخوف.

هذه الظروف المباينة عجلت بنضج الحركة النقدية في مصر وبطأت بها في الجزيرة العربية، فكان أثر الحركة النقدية في الحجاز مقتصراً في بداياته على التلقي والسماع والاحتذاء، ولهذا نجد محمد سرور الصبان يتواصل مع مشاهير الأدب في مصر ويستكتبهم، ونرى غير محمد سرور الصبان من يرحل إلى مصر ليكون قريبًا من هذه الحركة فيستلهمها، أمثال شحاتة والفلالي، ونرى من يتبعها حذو القُذّة بالقُذّة وإن لم يرحل إليها أمثال العوّاد والعطّار، ومع هذا لم تكن الحركة النقدية في مصر مستأثرة وحدها بالأستاذية.

ألوان من النقد

لقد أحس الأدباء في الحجاز أنهم شبوا عن الطوق وأن بإمكانهم أن يلتمسوا مصادر أخرى لا تغنيهم عن مصر ولكنها تضيف إليهم رفدًا وتمنحهم قدرة كما لم تكن أسس النقد العربي القديم هي وحدها التي انبعثت من التراث فطغت على الصوت النقدي وشكلت نغمته بل تسربت إلى البلاد مذاهب نقدية أخرى أخذ بها بعضهم عن وعي تام أو عن تقليد واحتذاء. ومن ثم فإننا لا نعدم ما يسمى بالنقد (البيوغرافي) الذي ينظر إلى النص الإبداعي من خلال حياة صاحبه أو من خلال الأحداث الكبرى التي أسهمت في تشكله الدلالي، وهذا الاتجاه يتمثل في كتب الدراسات والتراجم، نراه مثلاً عند محمد سرور الصبان، ومحمد عبدالمقصود خوجه، وعبدالله بلخير وعبدالسلام الساسي وعبدالله بن إدريس وعبدالرحمن العبيد، ومحمد أحمد العقيلي ومن ترسم خطاهم من المتأخرين كالمسلم والحقيل.

وهذه الطائفة من المؤرخين والمترجمين والدارسين التي سنعرض لها بالتفصيل لا يعدها بعض الدارسين من النقاد لكون النقد عندهم يقتصر على مواجهة النص ومؤاخذة المبدع، أما تحليل النص وتحقيله فنيًا أو دلاليًا، والترجمة

للمبدع ودراسة البيئة المنتجة للأدب والمؤثرة في الأديب فليست عند هؤلاء من النقد في شيء وهذا تضييق لا مسوّغ له، وإضاعة لجانب من الحركة النقدية، وغمط لحق طائفة من الأدباء الذين أضاعهم هذا التصور الضيق.

ليس هذا الاتجاه فقط هو السائد في البدايات. لقد كان العواد رأس المجددين، وكان عزيز ضياء رائد المستشرفين لبوارق التحديث، وكان حمزة شحاتة من النقاد المتأملين لفلسفة الجمال وخوالج النفس، وكان العطار من المرهصين للاهتمام اللغوي، وكان الفلالي وأبو مدين من فرسان المصححين والمقوّمين، وكان الرميح من المتمذهبين. وهكذا تشعبت الطرق وتفرقت السبل.

وإلى جانب هذا اللون من الدراسات نرى ألوانًا أخرى تشيع في النقد القديم والحديث وهو ما يمكن أن نسميه بالنقد القيمي أو الأخلاقي، وهو الذي يعمد فيه الناقد إلى التماس القيم الأخلاقية؛ وهذا المذهب النقدي معروف في النقد العربي القديم وفي النقد الغربي القديم والحديث وإن جهله بعضهم وأنكره آخرون. وقد أشار بعض الدارسين إلى شيء من ذلك، ولعل من أوسع الدراسات ماكتبه الدكتور محمد بن مريسي الحارثي في كتابه (الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري) وبصرف النظر عن إبراز عناصر الجودة ومظاهر الضعف والحكم على النص وطغيان الانطباع الشخصي، وصراع القديم والجديد، واللفظ والمعنى والطبع والصنعة وقضايا الاحتذاء والسرقة، فإن الجانب الأخلاقي يحتل أهمية كبرى لدى الناقد القديم والحديث، وهذه الظاهرة التراثية والحديثة أخذت طريقها إلى الحركة النقدية في البلاد، فكان الناقد يعيب الإسفاف والإقذاع في الهجاء، والتهتك في الغزل والدقة في وصف المفاتن وذكر مجالس الشراب وأثر الخمرة في الشاعر والغزل بالغلمان وماهو في سبيل ذلك، ويرى أن الشاعر حين لا يحتشم يصم نصه بالعيب ويعرّض سمعته الفنية للسقوط، ولعلنا نستحضر الحملة النقدية على الشعراء المتهتكين والماجنين أمثال معروف الرصافي وإلياس أبو شبكة ونزار قباني.

هذا الاتجاه الأخلاقي تجلى عند بعض النقاد وأدى إلى غمط الشاعر في جانبه الفني الذي لا علاقة له بالبعد الموضوعي، ولربما كان الدكتور محمد بن سعد بن حسين وعبدالرحمن العبيد خير من يمثل هذا الاتجاه إذ يضعان كل الاعتبار أو أكثره للمضمون، وقد ينشغل الناقد بالموضوعات والمعاني مستدبرًا الصياغة والجماليات الأسلوبية. ومع أنني أضع اعتبارًا للبعد القيمي إلا أنني لا أمس القيم الفنية بجريرة الانحراف الأخلاقي، كما لا أجد بدًا من الإشارة إلى ذلك ليكون المتلقي على بينة من الأمر.

وإذ يذهب بعض النقاد إلى مساءلة المبدع عن أخلاقياته والتزامه وعقيدته، نرى اتجاهًا شكليًا دلاليًا له جذوره التراثية وتجلياته المعاصرة، وله ملامحه الواضحة في الحركة النقدية في المملكة ذلك هو ما يمكن أن نسميه تجوزًا بالنقد المقارن. وقد اتخذ عدة مسارب، جاء على شكل مقارنات وعلى شكل موازنات وعلى شكل معارضات، ويسميه الحداثيون (بالتناص) وهذا الاتجاه له جذور تراثية كما قلت، ولعل رائد ذلك الآمدي في موازنته، والخالديان في كتابهما (الأشباه والنظائر) وكل الذين تحدثوا عن السرقات الأدبية وألفوا فيها يندرجون ضمن هذا الاتجاه. وممن ألم بذلك إلمامًا يتراوح بين بداية التصور وشمولية الأداء أحمد عبدالغفور عطار في كتابه «مقالات في الأدب»، ومحمد عامر الرميح في كتابه «قراءات معاصرة، ومحمد بن سعد بن حسين في دراسته لابن بليهد وابن عثيمين، وفي دراسته للشاعر الحجي، وفي كتابه (المعارضات في الشعر العربي الحديث)، وفي دراساته للمدائح النبوية، وفي دراساته لشعراء الإسلام. وكل الدارسين والمؤرخين الذين تناولوا العوامل المؤثرة في الشعر السعودي المعاصر ألموا بهذا الاتجاه. على أنني لا أستطيع أن أحكم بجودة هذا الاتجاه ونضجه، فكل المحاولات التي جاءت على هذه الشاكلة تعد بدايات هشة تحتاج إلى زمن طويل لتأخذ وضعها الطبيعي وشكلها النهائي.

لقد عالج المحافظون والتراثيون القضايا النقدية القديمة بأسلوب لايكاد يختلف عن طريقة المتقدمين، ومن هذه القضايا (اللفظ والمعنى) و(السرقات الأدبية) و(الطبع والصنعة) و(المبالغة والاعتدال).

كما عالجوا القضايا النقدية الحديثة، التي عالجها الديوانيون والأبوليّون والمهجريون ونقاد الشام الذين وفدوا على الحجاز وأقاموا فيها، فأشاروا إلى الصدق القائم على التعبير عن خلجات النفس، وعدّوا الشعر المطبوع ما يعبر عن نفس صاحبه أصدق تعبير، وفي ظل هذه القضية ظهرت مصطلحات كثيرة كشعر الصنعة، والتكلف، والكاذب، والمزيّف، والتقليد، والمناسبات وغيرها. وظهر إلى جانب ذلك ما يمكن تسميته بشعر الشخصية، أي التعبير عن وجدان الشاعر بحيث يعرف الشاعر من شعره.

الدخول إلى عالم النص يبدأ من خارجه، فالناقد لا ينشأ من داخله، وإن تنطع بموت المؤلف

التأثر بالنقد المصري

والناقد السعودي لم يغص في أعماق هذه القضايا وإنما مسها مسًا خفيفًا وبشيء من الإيجاز، أو قل ألمح إليها في سياق التنظير أو التطبيق، ذلك أنه لم يتبنّ هذه الظواهر وإنما استخدمها كأدوات ليس غير؛ على أن مايمكن أن نعده ظاهرة نقدية اعتماد الناقد على التقويم والتوجيه وكأنه معلم يشير إلى الصواب وينبه على الخطأ، ومن ثم لم يكن هم النقاد التفسير والتحليل والتأويل، كما نراه الآن وبخاصة عند النصوصيين، ولربما كان هذا من رواسب النقد العربي القديم، والناقد السعودي لم تكن له فروض فنية تخرج عما هي عليه مدارس النقد الحديث، حتى هذه الفروض التي أحدثها الديوانيون والأبوليّون وعدّوها مناهج نقدية أو مطالب إبداعية لم تكن واقعية ولا ممكنة بحيث لم تتمثل في إبداعاتهم.

ومحمد حسن عواد، وأحمد عبدالغفور عطار اللذان اتخذا هذه الفروض الفنية وأطالا الحديث عنها حين أبدعا لم يكن في مقدور أحدهما أن يتمثلها، ومن ثم انصرف العطار عن الشعر في وقت مبكر كما انصرف المازني، وظل العواد يبدع ولا يجلّي كما كان العقاد كذلك، على أن صلف النقد الذي بدا بشكل واضح عند الديوانيين، وعند الرافعي، وزكي مبارك ظهر جليًا عند العواد والعطار.

إن كتاب (خواطر مصرحة) الذي نشره العواد عام 1926م وما فيه من حدة وجور لا يقل عن مستوى ماكتبه الرافعي عن العقاد، كما أن ماكتبه (العطار) عن خصوم العقاد لا يقل عن صلف الرافعي وتعنته، مما يؤكد تأثير النقد المصري في النقد السعودي، فهو بلا شك باد من وجوه، فمن حيث الأسلوب وطريقة الأداء نجد أسلوب طه حسين وسخريته المهذبة بادية في أسلوب عزيز ضياء وعبدالفتاح أبي مدين، ونجد صلف العقاد وتعاليه باد بين في طريقة العواد والعطار. أما من حيث المنهج فإن كتاب الديوان، والغربال متمثلان بعض التمثل في (المرصاد) للفلالي و(أمواج وأثباج) لأبي مدين مع اختلاف تقتضيه طبيعة الثقافة، والمبلغ من الدربة والاقتدار والأجواء الثقافية. أما مدرسة أبوللو وأساليبها النقدية فظاهرة بعض الظهور في كتاب (قراءات معاصرة) للرميح، وإن كان في إطاره العام مأخوذًا بالرمزية الألمانية. ذلك رأي رأيته، وربما لا أكون دقيقًا كل الدقة فيه. وسوف يتحدد رأيي عندما أباشر الدراسة النقدية لرموز النقد في المملكة.

على أن بعض الدارسين ألمح إلى شيء من التأثر والاحتذاء، وهذه الملامح لا تعد من التقليد ولا تمس الشخصية الأدبية، وإنما هي نوع من التأثر الذي تفرضه مصدرية الثقافة، وما الأسد في حقيقته إلا مجموعة من الخراف المهضومة كما يقول بعض المفكرين الذين لا تحضرني أسماؤهم.

ومرد تأثير الأدب المصري لمرونة تحركه واستجابته وتعدد قنوات التواصل معه، وتعدد الأطروحات الفكرية واتساعه لهذا التباين الفكري والفني، إضافة إلى عراقة المعرفة وسبقه في ارتياد آفاق التجديد واتصاله بآداب الأمم المعاصرة.

الهوامش والمراجع:

1-هناك سيرة ذاتية تختص بالجانب الفني لحياة المبدع يحدد من خلالها مذهبه الفني،مثل:«سيرة شعرية» للشاعر الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي.

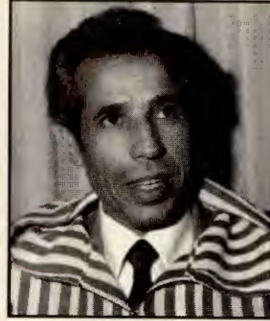
2-تاريخ مكة، المجلد الأول، ص ١٩٢، أحمد السباعي. وراجع:الشعر الحديث في الحجاز، عبدالرحمن أبوبكر، ص ٩.

3-الشعر الحديث في الحجاز، ص ١٨.

4-ثورات العرب لابن سعيد، ص ٤٧.

مُشكِل عنوانات بعضِ الكتبِ المُهمّة

د. عبدالسلام الهراس



إن عنوان الكتاب الذي يضعه المؤلف نفسه لايظل دائمًا كذلك، فقد يعتريه تغير ما، إما بسبب ما قد يبدو للمؤلف نفسه من ضرورة ذلك التغيير، فيعدِّل في العنوان في النسخة الجديدة التي يحملها عنه الرواة، ويظل العنوان السابق كما هو عند الرواة القدماء الذين لم يتمكنوا من الاتصال بالمؤلف أو بمن أخذ عنه بعد ذلك، وإما بسبب تصحيف وقع في حروف الكلمة أو شكلها، وإما بسبب سقوط كلمة كاملة من العنوان؛ وربما يكون للكتاب عنوانان يضعهما المؤلف نفسه، فيشتهر عنوان هنا وآخر هناك. وهناك أسباب كثيرة، لأن الأعمال البشرية غير مضمونة الحفظ إلى الأبد. وهناك من أراد أن يضع لكتابه عنوانًا معينًا، ثم رأى رؤية، أو اقترح عليه صديقٌ من أصدقائه تغييره إلى عنوان يكون أنسب للموضوع وللقصد والنية!!

وقصة عنونة الكتب أو قصصها كثيرة وطريفة، لكن الذي يهمنا هو بعض المشكلات التي نشأت عما وضعه المحققون والناشرون لبعض الأمهات من الكتب طبقًا لاقتناعهم بذلك، لكن الأمر لم يمر بسهولة، فوراء المحققين باحثون ومحققون ومتعقبون في المستوى أو دونه أو فوقه، وإني مقتصر في هذا المقال على نماذج ونظائر أحسبها مهمة ودالة في الموضوع.

وأول هذه النماذج كتاب «طبقات فحول الشعراء» الذي نشره شيخنا الجليل محمود محمد شاكر أول الأمر سنة 1371هجرية الموافقة1952 م بعنوان «طبقات الشعراء» ولم يقل حققه وعلّق عليه بل قال: «قرأه وشرحه»، ثم نشره مرة ثانية 1394هـ الموافق 1974م، وقدم لقراءته وشرحه بمقدمة ضافية، وأوضح الفرق في العنوان بين الطبعة الأولى والثانية، لكن هذا الفرق لم يمر دون تعليق من قراء الكتب وشراحها ومن المحققين المحدثين.

ومن الصنف الأول الأستاذ السيد أحمد صقر، وهو صديق الأستاذ صداقة متينة، وهما معًا من مدرسة واحدة في العربية والشريعة وعلومها، ومن الصنف الثاني الدكتور علي جواد الطاهر. وقد اتفق كلٌ من السيد أحمد صقر والدكتور مندور والدكتور علي جواد الطاهر على أن عنوان الكتاب هو ما ثبت في الطبعة الأولى، أي «طبقات الشعراء»، ولكن الذي أثار الأستاذ إثارةً جعلته يؤلف كتابه «برنامج طبقات فحول الشعراء» وهو نقد الدكتور جواد علي الطاهر لأسباب بسطها الأستاذ في مقدمة البرنامج. وفيما يتصل بالعنوان فقد قدم الدليل المادي إلى جانب أدلة أخرى، بأنه أصيل وواضح على صفحة الكتاب، وقد حسم الموضوع فيما يتعلق بالكتاب المهم.

لكن الكتاب الذي حام حول عنوانه كلام خافت منذ عقود من السنوات ثم ارتفع لكن في نطاق ضيق، ثم اشتد في إطار علمي، حين اقتضى تخصيصه ببحث خاص، هو كتاب «البيان والتبيُّن»، الذي حققه الأستاذ الكبير عبدالسلام محمد هارون ونشره كذلك. مع ما أشير بإشارات عابرة أو جازمة إلى أن اسم الكتاب البيان والتبين فإن بحثًا خاصًا يجعل من هذا العنوان قضية تستغرق زهاء أربعين صفحة من القطع المتوسط بدأ إنماؤه وبناؤه أواخر سنة 1973م بكلية الآداب بفاس على يد باحث جاد وحازم وصامد وصامت، هو الدكتور الشاهد البوشيخي الذي أهمه موضوع تحديد المصطلحات البلاغية والنقدية عند القدماء كُتّابًا وشعراء قبل التدوين وبعده، وكانت البداية بكتاب «البيان» للجاحظ، لكونها «مفاتيح العلوم بل وخلاصة البحث فيها» ببدايتها يبدأ الوجود العلمي للعلوم، وفي تطورها يتلخص تطور العلم (مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب «البيان والتبين» للجاحظ).

وقد بدأ الموضوع بالقراءة الأولى ثم الثانية، ثم إثارة السؤال، ثم أصبح السؤال إشكالاً يتطلب الحل، وقد أفضى به البحث إلى أن لهذا السؤال قضيةً لها تاريخ، وإذا هناك أصناف ثلاثة ممن تصدوا لهذا الإشكال:

صنف وقف موقف الإشارة فقط كالمستشرقَيْن دسلان وبروكلمان والأستاذين عبدالسلام هارون والدكتور إبراهيم سلامة.

وصنف كان له موقف بين الجزم والظن الغالب بأن التبين هو الصواب كالمستشرق كليمان هيوار ثم الدكتور بدوي طبانة والدكتور ميشال عاصي.

والصنف الثالث: هو المعارض للتبين المستمسك بالتبيين، وعن علم بالتبين وهو الجمهور، يقول المؤلف: ولعل الدكتور الطاهر مكي أول من كتب منهم في ذلك (ص:27).

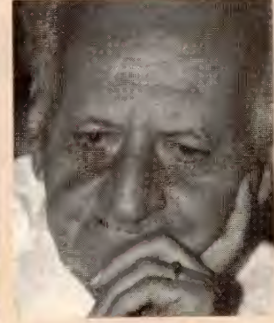
وقد فصل المؤلف القول بعض التفصيل لكل صنف عارضًا أقوالهم التي نمّت عن موقفهم؛ ولم يصحب أي واحد منهم قوله بدليل من الرواية أو الدراية إلا ما كان من آخرهم، وهو الدكتور ميشال عاصي، لكنَّ ملفَّ القضية ظل ناقصًا من الدراسة العلمية الشاملة والمستقصية والعميقة حتى استقر في يد الدكتور الشاهد الذي وفقه الله لإضافات جديدة، بل لإعادة النظر في الملف من جديد والتعامل مع القضية بجدية أكثر للبتّ فيها بحكم مبني على حجج نقليّة وعقلية مستخرجة من الكتاب نفسه ومن المخطوطات الموثقة والمعتمدة من الكتاب نفسه، ويغلق الملف بقوله: «هذه أهم الأدلة ولعلها كافية لتحصيل اقتناع، إن لم يكن يقينًا قاطعًا فهو أقرب ما يكون إلى اليقين، بأن العنوان الحقيقي للكتاب هو «البيان والتبين» بياء واحدة مشدّدة، وليس البيان والتبيين بياءين.

وعسى أن يكون في ذلك بيانٌ لحقيقة وفصلٌ في نزاع، وتصحيح لتحريف، وإنصافٌ لصواب

مهجور من خطأ مشهور، وخدمة للعلم وأهله وبالله التوفيق (ص46).

ولست أدري ما الذي حمل الدكتور الشاهد على أن يجعل الحكم أقرب إلى اليقين وليس اليقين نفسه بعد سوقه أدلةً وحججاً قوية وواضحة الرواية والدراية. يصعب بل ربما يمتنع نقضها وتسريب أي شك إليها. وكان الأستاذ عبدالسلام هارون عازماً على أن تخرج الطبعة الخامسة الجديدة للكتاب باسمه الحقيقي «البيان والتبيّن» يقول في حوار أجراه معه الأستاذ يوسف نوفل في مجلة الفيصل العدد 54بتاريخ ذي الحجة 1401هـ تشرين الأول - أكتوبر 1981م وكان هذا اللقاء والحوار بعنوان: حضارتنا وإحياء التراث. وقد نشر في كتابه قطوف أدبية ص 86 ورد فيه ما يلي: ص 97-98.

التبين والتبيين:


د. علي جواد الطاهر

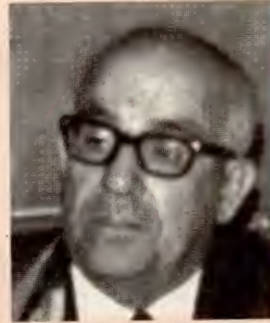
(ســـؤال) سمعتكم تقولون في حفل التكريم المنعقد في فندق الكونتنتال «البيان والتبيّن» كما رأيتكم الآن تكررون في الإجابة السابقة عبارة التبين (أي الإجابة عن أهم كتبه مكانة في مسيرته العلمية ص 96) وقد كان المتداول لدى الكثيرين «التبيين» ما تفسيركم لذلك؟!

الجواب: هذه ملاحظة وجيهة بلا ريب، وأنا معك في أن المعروف المتداول في اسم هذا الكتاب هو «البيان والتبيين» يباءين ولكن طبيعة الأمور ترى أن هذه التسمية لا تتمشى مع المنطق، فإن البيان هو التبيين بعينه، ونحن نربأ بالجاحظ أن يقع في مثل هذا العيب في تسميته أشهر كتبه وأسيرها، والدارس لهذا الكتاب يرى أنه ذو شقين متداخلين: الشق الأول هو ما اختاره الجاحظ من النصوص والأخبار والأحاديث والخطب والوصايا وكلام الأعراب والزهاد ونحو ذلك، وهو ما يعنيه الجاحظ بكلمة البيان.

والشق الثاني هو النقد الأدبي في صورته المبكرة، فللجاحظ في هذا الكتاب نظرات فاحصة في نقد نصوصه وفي الكلام بصفة عامة تسمى بعد ذلك بفن النقد فهذه النظرات وهذه القواعد التي ساقها الجاحظ هو ما عناه بكلمة «التبيّن».

هذا من ناحية، وهناك ناحية أخرى تاريخية وثائقية، فإن النسخ العتيقة من هذا الكتاب تقطع بأن عنوانه هو «البيان والتبين». ويقول أخيراً:

«وسأعيد هذه التسمية الصحيحة إلى نصابها في الطبعة الخامسة إن شاء الله» والحقيقة أن هذا الكتاب مرّ بي دائماً في بعض المخطوطات الأصلية الأندلسية بعنوانه الصحيح: «البيان والتبيّن، كما كنا نسمع من أستاذنا الدكتور بدوي طبانه - حفظه الله - أثناء تدريسه لنا مادة البلاغة بكلية دار العلوم أن هذا الكتاب عنوانه الصحيح هو «البيان والتبيّن» وكان يفيض في الموضوع؛ ومن المعلوم أن الدكتور طبانة من أبرز طلاب الدكتور إبراهيم سلامة الذي كان يرى أن الأقرب إلى الصواب هو التبيّن اعتماداً على بعض المستشرقين؛ لكنْ للخطأ الشائع المشهور سلطانٌ على الذاكرة والعقل والقلم والسوق، لذلك مايزال هذا الكتاب يُقرأ بعنوانه الأصلي على ألسنة الباحثين. ولعل الأستاذ عبدالسلام هارون قرأ ما كتبه الدكتور الشاهد البوشيخي الذي نشر بحثه هذا مستقلاً في مجلة المجمع اللغوي بدمشق (المجلد 53 ج1 سنة1978) إذ بين ما يقوله هنا وما قاله الدكتور الشاهد تشابه كبير!!


عبد السلام هارون

وهناك كتابان آخران أندلسيان نُشرا بعنوانين مختلفين عن أصليهما.

أما الأول: فهو العقد الفريد الذي اشتهر بهذا العنوان إلى درجة أنه من الصعب جداً أن نغير فيه شيئاً، والنسخة الأصلية منه الموجودة في خزانة القرويين عليها العنوان هكذا: «كتاب العقد» ولعل الفريد زيد في العنوان ليقابل كتاب «اليتيمة» وإن كان الكتاب الذي ألفه الأندلسيون في مقابلته هو كتاب «الذخيرة» لابن بسام. وكان بعض المنافسين لابن عبد ربه (ت:328هـ) يطلق على كتاب «العقد» حبل الثوم.

أما الكتاب الثاني: فهو كتاب الحلة السيّراء في أشعار الأمراء. فقد نشره الأستاذ الكبير المؤرخ الدكتور حسين مؤنس بعنوان «الحُلّة السِّيَراء» مع تحقيق غني بالهوامش والتعليقات خدمة للكتاب وللقارئ معاً، ويقول عن العنوان، وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن عنوان الكتاب الكامل «الحلة السيراء في شعر الأمراء»، ولم نجد ما يؤيد هذا في المخطوطة ولاعند الموثوق فيهم ممن كتبوا عنه، ولهذا جعلنا عنوان الكتاب «الحلة السِّيَراء» فحسب ولو أن إكماله بعبارة «في شعر الأمراء» معقول. (انظر مقدمة المحقق)

وقد بيّنا في دراسة خاصة بمحمد بن عبدالله المعروف بابن الأبار (ت:658هـ) أن عنوان الكتاب عند المترجمين لابن الأبار الموثّقين هو «الحلة السِّيَراء في شعر الأمراء»، ولاسيما ابن عبدالملك المراكشي (ت:703هـ) صاحب كتاب الذيل والتكملة، وابن رشيد السبتي (ت:721هـ) في رحلته المشهورة «ملء العيبة فيما جُمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة» مخطوطة الإسكوريال رقم 1737لوحة 64-65 مصورة معهد مولاي الحسن بتطوان إضافة إلى أحمد بن محمد المقري (ت:1041هـ) في كتابه «نفح الطيب»، وهؤلاء جديرون بالثقة وبذلك يتضح أن حقيقة عنوان هذا الكتاب ذهب ضحية عدم تصفح النفح الذي كان إذ ذاك مطبوعاً، أو الذيل الذي كان مخطوطاً أو رحلة ابن رُشيد التي كانت متداولة بين الباحثين. وبهذه المناسبة أود أن أعترف أن أول من نبهني على رحلة ابن رشيد وأهميتها فيما يتعلق بترجمة ابن الأبار وبالقرن السابع بالأندلس هو الشيخ الجليل محمد إبراهيم الكتاني رحمه الله، بل أبت أريحيته إلا أن يدلني حتى على أرقام اللوحات التي ورد فيها ذكر ابن الأبار في أشعاره وأخباره، ففتح لي بذلك بابا كان مجهولاً عند الباحثين، بَلْه عندي أنا المبتدئ، وكان هذا أوائل الستينيات بالتاريخ الميلادي، وكان قد أتيح لشيخنا الكريم أن يظل شهراً كاملاً بمكتبة الأسكوريال.

وهناك كتب أخرى وقع في عنواناتها ما وقع مثل كتاب «البرهان في وجود البيان» لابن وهب الكاتب، الذي نُشر بعنوان نقد النثر ونُسب إلى غير صاحبه، ومثل أدب الكاتب الذي يرد عند الأندلسيين باسم «أدب الكُتاب» وقد شرحه ابن السيد البَطَلْيوسي (ت521هـ) وسمى شرحه «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب».

وقد أورد المقري في «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» الجزء الثالث صفحة 198 نصاً يبين أن الأندلسيين كانوا يتداولون هذا الكتاب بالعنوان المذكور يقول المقري:

قال ابن الأحمر (ت:807هـ) :

ومن إنشاء ابن جزي (ت:757هـ) البارع موريًا بالكتب ورفعها لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان فارس (ت:759هـ) رحمه الله يهنئه بإبلال ولده وولي عهده الأمير أبي زيان محمد من مرضه:

ماذا عسى أدب الكُتّاب يُوضح من
خصال مجد له، والزاهر الزهي
وما الفصيح بكليّات موعبها
كاف فيأتي بأنباء وإنبّاه

ومهما يكن من شيء فهذا باب ربما كان واسعاً، وهو مهم إذ مازالت بعض عنوانات الكتب لم تنبش قضاياها، وبعضها الآخر لم يحسم الأمرُ فيها. وتحقيق عنوانات الكتب مثل أسماء الرجال والقبائل والأماكن وغيرها لهو من الأهمية بمكان، ولهذا قال تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كُلّها﴾ البقرة:31 فتعلم الأسماء هو باب العلم، وطريق معرفة الصواب.

أوزان متشابهة في الشعر العربي

د. جميل علوش

يجد من ينعم النظر في أوزان الشعر العربي نماذج متشابهة منها لا يدرك ما بينها من تمايز واختلاف إلا كل مرهف الحس حاد البصيرة، ولاسيما إذا كان موضوع التمايز ما بينها مقطعًا قصيرًا أو طويلاً أو سببًا خفيفًا أو ثقيلاً أو وتدًا مجموعًا أو مفروقًا.



وملاحقة هذه الفروق بين الأوزان بالوصف والتحليل والموازنة، مّما ينمي ذوق الدارس ويرهف إحساسه ويوثق الصلة بينه وبين الشعر العربي الأصيل. فلا شك؛ أن من دلائل معرفة الشعر والإحاطة بخصائصه ومزاياه الإحساس الشديد بموسيقاه وتذوق تلك الموسيقى، لما تخلفه من أثر في النفس وما تحركه فيها من عواطف واختلاجات.

وإني لأؤكد أن الشاعر الذي لاتساعده أذنه على معرفة مابين أوزان الشعر من فروق، ولاتتيح له الإلمام بما يتميز به كل وزن من خصائص وسمات لايستحق أن يُسمى شاعراً.

وإنه من المفارقات الكبيرة أن نطلق لقب شاعر على من لايستطيع تذوق الأوزان الشعرية وتلمس خصائصها.

الكامل والرجز

ننفذ من هذه المقدمة القصيرة إلى إظهار ما بين بعض البحور من تشابه وتقارب. ونبدأ بالكامل والرجز. فالمعروف أن الكامل يتكون من (مُتَـفَـاعِلُن) مكررة ست مرات. ومن المعروف كذلكَ أنه يجوز نقل (مُتَفَاعلن) هذه إلى (مُتْفاعلن = مستفعلن) في أي موضع وقعت، بشرط أن يبقى الشاعر على واحدة منها في البيت على حالها خشية أن ينتقل من الكامل إلى الرجز.

ولقد خالف خليل مطران هذا الشرط بقوله:

يستكبر الصعلوك منهم دائسًا
في أضلع الأبطالِ والقوّادِ

فقد جاءت تفعيلات هذا البيت كلها على مستفعلن إلا الأخيرة فقد جاءت على (مُسْتَفْعِلْ = مفعولن) وهي مما يتفق فيه الكامل والرجز. وعلى هذا الأساس، كان بيت خليل مطران السابق من الرجز. مع أن القصيدة كلها من الكامل بدليل قوله في مطلعها:

مشت الجبالُ بهم وسال الوادي

ومَضَوا مهاداً سرنَ فوق مهادِ

يُحدى بهم متطوعين كأنهم

عيس ولكنَّ الفناءَ الحادي

لله يوم قد تقادم عهده

فيها وظلَّ يروع كل فؤاد

وكنا قد قرأنا البيت المشار إليه على أستاذنا الشيخ جميل الفاخوري الذي لَمَسَ أنه يخالف بقية القصيدة فاقترح إصلاحه على الوجه التالي:

يستكبر الصعلوك منهم دائسًا

بأضالع الأبطال والقوّاد

بوضع (أضالع) بدل (أضلع). ويحقق بذلك هدفين لا هدفًا واحدًا:

الأول - رد البيت إلى البحر الكامل

الثاني - استعمال جمع الكثرة الذي يتطلبه المعنى بدل جمع القلة الذي يبدو منافيًا له هنا، لأن الشاعر لايتحدث عن بطل واحد أو قائد


علي محمود طه

واحد بل عن أبطال وقوّاد في معركة.

وكنت قد نبهت في وقت متأخر على أننا نستطيع أن نبرئ مطران من هذه المخالفة التي نسبناها له. وذلك بتحريك ميم (منْهم) بالضمّ بدل إبقائها ساكنة. وهو إجراء جائز من الناحية اللغوية. ومن شأن هذه الحركة الصغيرة أن ترد (مستفعلن) إلى (متفاعلن) وتزيل ما علق بالبيت من قصور. ويصبح البيت بعد هذا التصحيح كما يلي:

يستكبر الصعلوك منهُم دائسًا

في أضلع الأبطال والقوّادِ

مع ضرورة التنبيه على أنّ استبدال (أضالع) الذي هو جمع كثرة (بأضلع) الذي هو جمع قلة إجراء ضروري من وجهة نظر لغوية معنوية.

الخفيف والمديد

ليسَ بين البحر الخفيف والمديد فرق إلا أن التفعيلة الوسطى للخفيف (مستفعلن) في حين هي للمديد (فاعلن). ويشهد الله أنني ما قرأت بيتًا على البحر المديد في صورته الأولى مرة في حياتي إلا أحسست أنه مختل أو أنه ثقيل على الأذن. أما سبب هذا الثقل فهو أنه ينقص عن البحر الخفيف مقطعًا طويلاً أو قصيرًا حسب مجيء التفعيلة الوسطى في الخفيف على (مستفعلن) أو على (مفاعلن) والبيت الذي يُوردُه العروضيون مثالاً على المديد هو قول مهلهل بن ربيعة:

يالَبَكر أنشِرُوا لي كليبًا

يالبَكر أينَ أينَ الفِرار؟

وهذا البيت يبدو مختلاً فلا ترتاح إليه


ميخائيل نعيمة

الأذن المرهفة لأنها تؤنس به نقصًا في وسطه. ولايزول هذا النقص إلا بصياغته على الوجه التالي:

يا لبكر فأنشروا لي كليبًا

يا لبكر فأين أين الفِرارُ؟

وكل ما صنعناه هو أننا زدنا الفاء مرة في وسط الصدر والأخرى في وسط العجز.

ولو قطعنا البيت بعد زيادة هذه الفاء وجدناه على البحر الخفيف. فقد انتقلت (فاعلن) إلى (مفاعلن). وهذا الانتقال البسيط حَوّلَ وزن البيت من المديد إلى الخفيف. ونحن هنا أمام خيارين لا ثالث لهما. فإما أن نعد البيت صحيحًا قبل التغيير، فلابد أن يكون التغيير قد أفقده صحته واستقامته. أو أن يكون مختلاً قبل التغيير فصححه التغيير وأزال اختلاله. وإما أن يكون صحيحًا قبل التغيير وبعده فهذا مالا يعقل، لأن التغيير لايمكن أن يكون قد دخل البيت عبثًا. والذي يقدره كل من له علم بموسيقى الشعر أن البيت كان ثقيلاً في صورته الأولى وأنه فقد ما فيه من ثقل في صورته الجديدة.

ولا بأس في أن نعرض مثالاً آخر من القصيدة اللامية التي تنسب إلى تأبط شرًا، قال:

إن بالشِّعب الذي دون سَلْع

لقتيلاً دَمُهُ مايُطَلُّ

خلّف العبء عليّ وولّى

أنا بالعبء دونه مستقلُّ

هذان البيتان في (المديد)ولا يخلوان من بعض الثقل، ولايزول هذا الثقل إلا إذا صُغناهما على الوجه التالي:

إنّ بالموقع الذي دون سَلْع

لقتيلاً دماؤه ما تُطلُّ

حمَّلَ العبءُ كاهلي ثم ولّى

أنا بالعبء دونه مستقلّ

ويلاحظ أن التغيير الذي أجريناه على

في قصيدته «أخي»، خلط ميخائيل نعيمة بين الهزج ومجزوء الوافر

البيتين قليل ضئيل. فكل ما صنعناه أنّا نقلنا (فاعلن) إلى (مفاعلن) في كل شطر من الأشطر الثلاثة، أي إننا زدنا مقطعًا قصيرًا في كل من هذه المواضع، فنقلنا البيتين من المديد إلى الخفيف.

ويبدو ممّا سلف أنّ البحر الخفيف أقرب إلى النفس من البحر المديد وألصق بالأذن. فالبحر المديد كما ذكرنا لايخلو من الثقل. ولعلّ هذا الثقل هو السبب في عدم إقبال الشعراء عليه لا قديمًا ولا حديثًا. فالقصائد التي نظمت في

القديم على المديد تعدُّ على الأصابع. أما في الحديث فلا أذكر أنني عثرت على قصيدة نظمت على هذه الصورة في المديد. أما صور المديد الأخرى فلها حديث آخر.

المديد والسريع

وكما التقى المديد في صورته الأولى بالخفيف يلتقي في صورة أخرى من صوره بالبحر السريع حتى ليبدو الفرق بينها معدومًا، والصورة الأخرى للمديد هي:

فاعلاتن فاعلن فاعلن
فاعلاتن فاعلن فاعلن.

ومثلوا عليه بقول الشاعر:

زَعَمَ النعمانُ مَلْكَ العَرَبْ
ليسَ ينجي من عصاه الهَرَبْ

فلو أجرينا عليه زيادة طفيفة وصُغناه على الوجه التالي:

وزعم النعمان ملك العربْ
أن ليس ينجي من عصاه الهرب

لأصبحَ من السريع. وكل ما صنعناه أننا وضعنا واو الاستئناف في أول الصدر و(أن) المخففة من الثقيلة في أول العجز. وواو الاستئناف كثيرة الوقوع في بدء الكلام. وكذلك (أنْ) المخففة كثيرة الوقوع بعد أفعال القلوب وبخاصة (زعم). يضاف إلى هذا كلّه أن الصيغة الجديدة للبيت أكثر قبولاً من الصِّيغة الأصلية، مما يدل على التشابه الكبير بين المديد في هذه الصورة والسريع.

ومن هذا القبيل ما أوردوه في التمثيل على البحر المديد:

إنّما الذلفاءُ ياقوتة
أخرجت من كيس دهْقان

ونجري عليه تغييرًا يسيرًا فيصبح من البحر السريع فنقول:

وإنما الذلفاءُ ياقوتة
قد أخرجت من كيس دهْقانِ

زدنا الواو في أول الصدر وقد التحقيقية في أول العجز. وهكذا يكون الفارق بين المديد في إحدى صوره والسريع مقطعًا واحدًا قصيرًا أو طويلاً. فمثل هذه الأبيات التي أوردها العروضيون من المديد، تبدو كأنها من السريع الذي أصابه (خرم). والخرم حسب تعريف العروضين حذف أول الوتد المجموع في أول البيت.

المديد والبسيط

وخير صورة للمديد هي ما جاءَ فيها على الوجه التالي:

فاعلاتن فاعلن فعلُنْ
فاعلاتن فاعلن فعَلُنْ

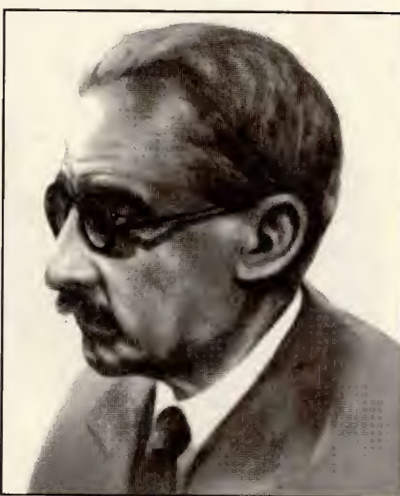
ومنه قول الشاعر:

للفتى عقل يعيش به
حيث تهدي ساقه قَدَمُه

فهذه الصورة لاتشكو أي ثقل أو اضطراب بل هي تنساب في السمع انسيابًا. ولذلك استعمل في الموضوعات الوجدانية الرقيقة. وقد نظم أبو نواس عليه قصيدتين مشهورتين:

مطلع الأولى:

ياشقيق النفس من حكَمِ
نِمْتَ عن ليلي ولم أنَمِ



خليل مطران

ومطلع الثانية:

أيها المنتاب من عُفُرهْ
لستَ من ليلي ولا سمره

وقد نستطيع أن نجعل تفعيلات الوزن كما يلي:

فاعلن مستفعلن فَعِلنُ
فاعلن مستفعلن فَعِلُن

ونلاحظ أنَّ هذه التفعيلات حتى تفعيلات البحر البسيط ناقصة التفعيلة الأولى التي هي (مستفعلن). فإذا أثبتناها في موضعها انتقل البيت في المديد إلى البسيط. فلو أدخلنا هذه الزيادة على مطلع قصيدة أبي نواس التي أشرنا إليها أصبَحَ المطلع كما يلي:

(تحيةٌ) يا شقيق النفس من حَكَمٍ (أراكَ) قد نمت عن ليلي ولم أنم

وهكذا نستطيع أن ننقل قصيدة أبي نواس كلها إلى البحر البسيط. ولو أدخلنا هذه الزيادة على قول الشاعر:

للفتى عقل يعيش به
حيث تهدي ساقَهُ قدمُه

لأصبَحَ البيت من البسيط كما يلي:

(وإنما) للفتى عقل يعيش به
(يسوقه) حيث تهدي ساقه ودَمُه

ويبدو مما سَلف أنّ الفرق بين هذه الصورة من المديد والبسيط هو تفعيلة واحدة.

المديد والرمل

ويبدو المديد في صورته السابقة أقرب



حافظ إبراهيم

الأوزان إلى الرمل. فلئن كانت تفعيلات المديد هي (فاعلاتن فاعلن فعلن) مكررة، فإنّ تفعيلات الرمل هي (فاعلاتن فاعلاتن فعلن) مكررة. وبالتأمل السريع يبدو أنّ الفرق بينهما مقطع طويل هو الجزء الأخير من (فاعلاتن) الثانية أعني (تن) فلو زدنا هذا المقطع في المديد لأصبح رملاً، ولو نقصنا من الرمل لأصبح مديدًا.

فمن هذا النوع في المديد قول الجاحظ:

أدلال ذاك أم كَسَلُ
أم توانٍ منك أم مَلَل؟

وبإدخال تغيير يسير عليه يصبح من الرمل:

أوزان متشابهة في الشعر العربي

أدلال ذاك لا بل كَسَلُ؟

أم توانٍ منك لا بل مَلَلُ

فكل ما صنعناه أننا زدنا حرف النفي (لا) ومازاد على ذلك فهو ضرب في الإبدال المقبول الذي لايعد زيادة أو نقصًا. أقصدُ أننا أبدلنا أم بِبَلْ ولا غرو فإن أم المنقطعة تؤول ببَلْ.

الرمل والوافر

يتكون الرمل من (فاعلاتن) مكررة ثلاث مرات في الصدر وثلاثًا في العجز. أما الوافر فيتكون من (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) وكثيرًا ما يدخل مفاعلتن العصب، وهو تسكين الخامس المتحرك فتصبح (مفاعلتن) بتسكين اللام وتنقل إلى (مفاعيلن) وهكذا تصبح تفعيلات الوافر مفاعيلن مفاعيلن فعولن.

وإذا انتقلنا من النظرية إلى التطبيق بدت لنا حناكة هذا الفرق بينهما.

فقول عنترة:

وسيفي كان في الهيجا طبيًا

يداوي رأس من يشكو الصُّداعا.

من الوافر. فإذا أجرينا عليه تعديلاً يسيرًا كالتالي:

إنّ سيفي كان في الهيجا طبيًا

فيداوي رأس من يشكو الصُّداعا.

أصبح في الرمل. وكل ما صنعناه هنا أننا حذفنا الواو الاستئنائية واستعضنا عنها (بإن) التوكيدية في صدر البيت وزدنا الفاء الاستئنائية في عجزه.

ولنقرأ لحافظ هذا البيت:

طَمَع ألقى عن الغرب اللثاما

فاستفقْ ياشرق واحذر أن تناما

وهو من الرمل. فإذا أجرينا عليه تعديلاً يسيرًا أصبح كالتالي:

هوى ألقى عن الغرب اللثاما

فثِبْ ياشرق واحذر أن تناما

وكذلك قوله في قصيدة أخرى من الرمل أيضًا:

بالذي أجراك ياريحَ الخُزامى

بلّغي البوسفورَ عن مصر السَّلاما،

ننقله بقليل من التعديل إلى البحر الوافر فنصوغُهُ على الشكل التالي:

بمن أجراك ياريحَ الخزامى

صلي البوسفورَ عن مصر السَّلاما

وقد تكون (صلي) غير دقيقة في مكانها. ولكن القصد هو التمثيل والتعامل بالأوزان لا بالألفاظ والمعاني. وبوسعنا أن نكثر من هذه الأمثلة. فقول الأخطل الصغير مثلاً:

سائل العلياء عنا والزمانا

هل خفرنا ذمة مذ عرفانا؟

من البحر الرمل فإذا قلنا:

سل العلياءَ عنا والزمانا

(مفاعلين مفاعيلن فعولن)

أما الشطر الثاني فيه فيستحيل تحويله إلى الوافر لأنه دخلته (فعلاتن) بدل (فاعلاتن).

فيتضح مما سبق أن التشابه قائم بين الرمل والوافر، وأنَّ (مفاعيلن مفاعيلن فعولن) هي نفسها (علاتن فاعلاتن فاعلاتن) في التقطيع، وأن الفارق بينهما هو المقطع الطويل الأول في الرمل. فإذا انتقلت (فاعلاتن) إلى (فعلاتن) وعادت (مفاعيلن) إلى (مفاعلتن) بعدت الشقة بينها وضعفت أوجه التشبه.

الخفيف والمنسرح

كثيرًا ما يتضاءل الفرق بين الخفيف والمنسرح حتى لتختلط الأمور إلا على صاحب الأذن المرهفة والذوق المتحفز المتوفز. فتفعيلات الخفيف في إحدى صوره هي: (فاعلاتن مستفعلن فعلن) وتفعيلات المنسرح هي: (مستفعلن فاعلات مفتعلن). وبالموازنة بينهما يبدو أن المنسرح يزيد مقطعًا واحدًا في أول الشطر على الخفيف. قال أبو نواس:

يا ليلةً طابَ لي بها الأرقُ

حتى بدا من صباحها الفَلَقُ

فهذا من المنسرح. ونصوغه بقليل من التعديل على الوجه التالي:

ليلة طابَ لي بها الأرقُ

فبدا من صباحها الفَلَقُ

فيصبح من الخفيف. ولم نصنع أكثر من حذف ياء النداء واستبدال الفاء بحتى وكذلك قول جميل بثينة:

رسم دار وقفت في طللهْ

كدْتُ أقضيَ الغداة من جَلَلهْ.

فهذا من الخفيف. ونزيد الواو في أول صدره والفاء في أول عجزه فيصبح:

ورسم دار وقفتُ في طلله

فكدت أقضيَ الغداة من جلله

فهذا من المنسرح

وهكذا ليس ثمة فرق بين الخفيف بهذه الصورة والمنسرح إلا مقطع واحد. فالتشابه بينهما كبير جدًا. ولذلك فقد يخلط الشعراء بينهما أحيانًا. ومن هؤلاء الذين خلطوا بين الخفيف والمنسرح الشاعر علي محمود طه في قصيدة له بعنوان (في الشتاء) ومطلعها:

ذكريني فقد نسيت ويا

ربّ ذكرى تعيد لي طربي

فهذا من الخفيف ولكنه في قوله:

واعجبا منك إن نسيت وما

أسفي نافع ولا عجبي.

يخلط بينهما. فالصدر من المنسرح والعجز من الخفيف. وقد يزول الإشكال لو حذف أداة الندبة (وا) من أوله. وكذلك في قوله:

موعدنا كانَ في أصائله

ضَفة سندسية العُشُبِ

فصدره من المنسرح وعجزه من الخفيف ولايزول هذا الازدواج إلا بإلحاق حرف الجرّ (في) بأول عجز هذا البيت فيصبح كما يلي:

موعدنا كان في أصائله

في ضَفةٍ سندسية العُشب

ونحن نجري هذه التصحيحات على مستوى الواحد لا القصيدة كاملة. وإلا حصل ثمة تناقض بين أن يكون بيت على المنسرح

البحر المديد لا يخلو من الثقل، ولعل هذا سبب عدم إقبال الشعراء عليه لاقديمًا ولاحديثًا

أوزان متشابهة في الشعر العربي

والآخر على الخفيف.

الطويل والكامل

يتقارب الطويل والكامل أحيانًا حتى لايعود بينهما في الفروق إلا حرف عطف فقط. ولايكون الكامل متهيئًا للانتقال إلى البحر الطويل بزيادة حرف إلاّ إذا كان ترتيب تفعيلاته هكذا: (مستفعلن مستفعلن مُتفاعلن). ومن الأمثلة على ذلك قول علي محمود طه:

أمشي بها فوق الرمال كأنني

أمشي بطيف في الظلام مقنَّعِ

ونزيد واو العطف في أول الصدر وسين الاستقبال في أول العجز فيصبح من الطويل هكذا:

وأمشي بها فوق الرمال كأنني

سأمشي بطيف في الظلام مُقنّعِ

ويقول من الكامل:

تُحصِي حراكِي إن مشيت لشرفتي

وتعدّ خطوي إن رجعت لموضعي

وننقله إلى الطويل بتعديل يسير فيصبح:

فتحصي حراكي إن مشيت لشرفتي

وتحسب خطوي إن رجعت لموضعي

وقد تنبه حافظ إبراهيم إلى هذا الفرق الطفيف بين الكامل والطويل، فضمّنَ أسطرًا من شعر شوقي قصيدته (أي قصيدة حافظ) التي قالها في مبايعته بإمارة الشعر. فكان بحيلة بسيطة يقتبس شطرًا من شعر شوقي على الكامل، ويضعه في قصيدته التي هي من الطويل فيقول:

أ أفضى إلى ختم الزمان ففضّه

من الوحي والإلهام أم قول لوذعي!

وقلبي ادّكرت اليوم غير موفق

وفي السحر أم أنّات أسوان موجَع؟

وقد ضمّن حافظ إبراهيم البيت الأول من بيتيه المثبتين الشطر الأول من بيت شوقي في (كرنارفون) هو:

أفضى إلى ختم الزمان ففضّه

وحبا إلى التاريخ في محرابه

وضمنّن البيت الثاني منهما الشطر الأول من بيت لشوقي هو:

قلبي ادّكرت اليوم غير موفق

أيام أنت مع الشباب موفق

وقد زاد حافظ على الشطر الأول همزة الاستفهام. وزاد على الشطر الثاني (صدر البيت الثاني) واو العطف، فنقلها من الكامل إلى الطويل.

الحذذ والسريع

الحذذ هو صورة من صور الكامل حيث تنتقل (متفاعلن) الثالثة إلى (متفا) وتنقل إلى (فَعِلُن). وقد سميَ بذلك لدخول الحذذ عليه والحَذذ هو حذف الوتد المجموع برمته. ولقد مثّل له بعضهم بقول الشاعر:

وحلاوة الدنيا لجاهلها

ومرارة الدنيا لمن عَقَلا

أما السريع فقد مثلوا عليه بقول الشاعر:

سبحان من لاشيء يعدلُهُ

كم مَن غني عيشهُ كَدَرُ

والفارقُ بين البيتين أن الأول يتضمن (متفاعلن) واحدة في كل من شطريه في حين لايتضمن الثاني هذه الميزة. ولذلك قد يخلط الشعراء بينهما كما يخلطون بين الكامل والرجز. فهذا علي محمود طه في قصيدة بعنوان (حانة الشعراء) يقول:

قد ظنّها والسحر قالبها

شيدت من الياقوت والذهب

فهذا من السريع لأن تفعيلاته الأساسية هي مستفعلن مكرر، مع العلم أن القصيدة من الحذذ. ويقول كذلك:

في ظلة باتت تداعبُها

أنفاس ليل مقمر السُحُب

وهذا من السريع أيضًا، مع أن القصيدة من الحذذ كما ذكرنا. لذلك يجدر بالشعراء أن يتنبهوا إلى هذا التشابه بين الوزنين فيتجنبوا الخلط بينهما.

كثيرًا ما يتضاءل الفرق بين الخفيف والمنسرح، فلا يعرفه إلا صاحب الأذن المرهفة والذوق المتحفز

الهزج ومجزوء الوافر

يخلط الشعراء كثيرًا بين هذين الوزنين، لأن الهزج يتكون من مفاعيلن أربع مرّات كما يتكون مجزوء الوافر من (مفاعلتن) أربع مرّات. ولأنه يجوز نقل (مفاعلتن) إلى مفاعيلن لذلك يقع الشعراء في المحظور، أو يُحوِّلون كل تفعيلات مجزوء الوافر إلى (مفاعيلن) ويصبح بذلك في الهزج. وحسبنا أن نضرب لذلك مثلاً قصيدة ميخائيل نعيمة (أخي). فبعض أبيات هذه القصيدة من الهزج وبعضها من مجزوء الوافر. فمن الهزج قوله:

أخي إن ضجَّ بعد الحرب غربيّ بأعمالهِ

ومن مجزوء الوافر قوله:

وقدّس ذكر من ماتوا

وعظّم بَطش أبطالهِ

ومن الهزج قوله:

ويبني بعد طول الهجـ

ـر كوخًا هدّه المدفع.

ومن مجزوء الوافر:

أخي إن عادَ يحرث أر

ضه الفلاح أو يزرَعْ.

ولا أريد الإفاضة في خلط الشعراء بين الهزج ومجزوء الوافر، فقلَّ من سَلِمَ من هذا الخلط من كبار الشعراء. وقد زاد هذا الخلط في شعر المحدثين إلى حدّ أن الغيت الحدود بين الوزنين فأصبحا كأنهما وزن واحد.

خاتمة

وهكذا تكثر نقاط التشابه بين الأوزان الشعرية وتختلط الأمور على الشعراء أحيانًا. ولذلك رأيت من الجدير بي التنبيه على هذه المزالق التي قد تعترض سبل الشعراء عند انهماكهم في عملية النظم أو في عملية الخلق والإبداع كما يحلو للنقاد المعاصرين أن يسموها، وإن كنت أوثر أن أسمّيها عملية النظم لأن الخلق والإبداع مرتبة راقية تعزّ إلا على العباقرة الأفذاذ، ونحن نجمل بحديثنا الشعراء بجميع طبقاتهم. هذا علاوة على أننا نتحدث عن الجانب اللفظي في الموضوع متوقّفين عند الناحية العروضية منه، لما للعنصر الموسيقي من أهمية في العمل الشعري.

تسعة قرون
منذ بداية الحروب الصليبية!

د. حلمي محمد القاعود

مضت تسعة قرون على بداية الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين. في عام 1095م انطلقت جحافل الصليبيين من فرنسا، يقودها بطرس الحافي عبر أوربا لتحتل القدس مدة سبعين عامًا تقريبًا، وتُقتّل من المسلمين أعدادًا غفيرة. شاركت أوربا شعوبًا وملوكًا في الحرب بوصفها حربًا مقدّسة ضد «الكفرة» - أي المسلمين - وبذلوا في سبيلها ما يستطيعون، وكانت الصيحة التي يردّدها الجمع الصليبي: «إنها إرادة الله».

الأساس الديني للحرب كان هو المحرّك والدافع الأول، وهو ما وحّد الفرقاء المتناصرين في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وبريطانيا وغيرهم، وجعلهم يسيرون تحت راية الحرب ضد المسلمين فريقًا واحدًا، يسعى لغاية واحدة هي تخليص أرض المسيح من أعداء المسيح كما يزعمون.

كانت أوربا في ذلك الحين تعيش ظلامًا فكريًا دامسًا؛ الكنيسة تُحكم قبضتها على المجتمعات اللاتينية، وصكوك الغفران والحرمان تُخضع عامة الناس لسيطرتها، والتخلف يضرب أطنابه في الأرجاء الأوربية كافة، والأمية متفشية، ويكفي أن نعلم أن «شارلمان» إمبراطور بيزنطة على عهد «هارون الرشيد» لم يكن يستطيع كتابة اسمه، في الوقت الذي لم يكن فيه في بغداد أميّ واحد!!

كانت الحروب الصليبية تعبيرًا عن حقد أسود دفين، شنتها الكنيسة وزعماء أوربا لمنع النور الإسلامي من التدفق إلى أوربا المظلمة الظالمة، ومنع اليقظة الإنسانية من التفتح في القلوب الأوربية التي طحنتها الصراعات العرقية والطبقية البغيضة، وحوّلتها إلى قلوب حجرية قاسية لاتعرف غير التعصّب وسفك الدماء. ودفع المسلمون ثمنًا باهظًا للحقد الصليبي الدفين والشرّ الأوربي الكامن.

لم تستلم الأمة الإسلامية على كل حال، وبذلت من دمائها الغالي والنفيس، وخاضت جولة بعد جولة، وعرفت التمزق والمحن والصراعات، وشهدت قلوبًا راسخة قوية، واثقة من نصر الله في قلب الظلمات، كما شهدت قلوبًا ضعيفة واهنة، نسيت ربّها، وتعلقت بأهداب العدوّ الغاصب، فتحالفت معه أوهادنته في ذلّة، أو رضيت اللحاق في مهانة.. ولكن التاريخ سجّل حلقة رائعة من الجهاد الإسلامي ضد أولئك الهمج من أهل الصليب، واستطاع المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي، الرجل الصالح، التقيّ النقيّ، أن يحرروا القدس العتيقة، وأن ينزلوا بأهل الصليب هزيمة فادحة لم يعرفوها من قبل، وأن ينهار قادتهم الذين كانوا يملؤون الدنيا ضجيجًا وعجيجًا مثلما تنهار الأرض الرخوة، ثم تعلو في الأفق مملكة صلاح الدين الإسلامية شامخة ظافرة على أطلال الممالك الصليبية التي ظنّ ضعاف القلوب أنها لن تزول أبدًا.

قالت الأنباء إن عددًا من الشباب الفرنسي خرجوا من مدينة رينيه كلير، أو سانت مونت كلير كما كانت تسمى أيام الحروب الصليبية، كما خرج بطرس الحافي من قبل، وتوجهوا إلى القدس في ذكرى مرور تسعة قرون على الحروب الصليبية، ليعتذروا للمسلمين عما فعله أجدادهم من قتل وتخريب ونهب وتدمير. وهي خطوة جيدة لا بأس بها، ولعلها توقظ أوربا، ليس من أجل الاعتذار عن الحروب الصليبية، ولكن لإعلان انتهائها، فهذه الحروب لم تتوقف حتى اليوم، إنها قائمة على قدم وساق منذ تسعة قرون وإن تعدّدت أشكالها وألوانها. يكفي أن أوربا تدعم دولة العدوان اليهودي عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا وإعلاميًا وتقانةً (تكنولوجيا)، ويكفي أن أوربا تعمل على نهب العرب والمسلمين وتمتصّ ثرواتهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ويكفي أن أوربا مازالت تعامل الإسلام والمسلمين معاملة تتنافى مع الشرائع السماوية التي يفترض أنهم يؤمنون بها، وحقوق الإنسان التي يجأرون بالحديث عنها ليل نهار، ويكفي أن أوربا تدعم الطوائف غير الإسلامية والأعراق غير العربية في العالم العربي لتمزيقه وتشتيته وتقطيع أوصاله، والأمثلة كثيرة ولاتحتاج إلى دليل أو برهان.

ومن المؤسف، أن العالم الإسلامي، لم يلتفت إلى ذكرى الحروب الصليبية بعد تسعة قرون، باستثناء الندوة التي أقامها اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة، وألقيت فيها بعض البحوث العلمية، ومن المؤسف أيضًا أن هذه الندوة لم تجد التغطية الإخبارية الملائمة.. وليت المسلمين يستثمرون هذه الذكرى على المستوى الدولي، فتستيقظ بعض العقول والقلوب في الغرب كي تكفّر عن سيئات التعصّب الأعمى والعدوان الهمجي والقتل الوحشي!

الثقافة وأبعادها التربوية والتنموية

د. مصطفى رجب

لعل مصطلح الثقافة من أكثر المصطلحات الاجتماعية دورانًا في ميادين البحث المختلفة في العلوم الاجتماعية، وبالتالي فهو من أكثرها تعرضًا للجدل حول تحديد أبعاده المختلفة، حتى ذهب بعض دارسي علم الاجتماع الثقافي إلى «أن هناك أكثر من مئة تعريف للثقافة لعلماء ينتمون إلى تخصصات مختلفة منها الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والطب العقلي، والاقتصاد، والسياسة، والجغرافيا...»(1).

فالثقافة بمعناها الأنثروبولوجي الذي حدده كثير من المتخصصين في الأنثروبولوجيا أو علم الاجتماع الثقافي تتضمن كل نواتج الحياة الإنسانية مادية كانت أو عقلية، وهي بهذا المعنى تقترب من مفهوم الحضارة Civilization، حتى إن بعض كبار المتخصصين الأوربيين تنبهوا لضرورة التفرقة بين المصطلحَيْن Culture و Civlization مثل تايلور Tylor وماك إيفر Mac Iver وألفريد فيبر Alfred Weber الذي خص الحضارة بالأنشطة التقنية (التكنولوجية)، والثقافة بالجوانب الروحية الذاتية كالدين والفلسفة والفن(2).

وأيًا ماكان حجم الاختلافات حول مفهوم "الثقافة" فإنه من الممكن النظر إليها - في مجال التربية - على أنها من أكثر العوامل تأثيراً في سلوك الفرد، فالتربية في ذاتها عملية معقدة متشابكة الأطراف، وإن كان من أكثر أطرافها وضوحاً: الفرد، والثقافة.

فإذا نظرنا إلى التربية من منظور اجتماعي وجدنا أن من أهم وظائفها: نقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل وتطويره، وتطهيره من مظاهر التقليد الخرافي، وإذا نظرنا إليها من منظور خلقي وجدنا أن من أهم وظائفها: المحافظة على مافي الثقافة من قيم خلقية وتدعيمها، وإذا نظرنا إليها من منظور معرفي وجدنا أنها (أي التربية) تهتم بغرس الثقافة في الفرد من خلال عمليات التنشئة المختلفة. وبوسائط متعددة كالأسرة والمناهج الدراسية ودور العبادة وغيرها.

ومن هنا يمكن تمييز الأبعاد التربوية للثقافة وتحديدها في النقاط التالية:

1- الوظيفة العامة للثقافة هي«توجيه المجتمع نحو الأفضل، ففي كل مجتمع يطلب من الثقافة بصفة عامة أن تشكل وترسخ نظامًا للقيم يساعد على توجيه أفراد المجتمع»(3)ومن هنا فإن الثقافة تسهم في تحقيق بعض الأهداف الاجتماعية للتربية.

2- الثقافة تعد جهازاً معرفياً يتقدم به المجتمع مستجيبًا من خلاله لما يواجهه من تحديات، ثم تتحول رموز هذا الجهاز إلى مُركَّب من المعارف والاعتقادات والتقاليد، وسائر طرائق التعبير، وهي بهذا المعنى يمكن أن تصبح غاية تربوية، ويمكن أن تشمل عدداً من الوسائل التربوية أيضاً إلى جانب غايات تربوية أبعد مدى.

3- الثقافة في بعض الأحيان قد تكون مرادفة للتربية إذا وضعنا في الاعتبار أن عملية التشكيل الثقافي للفرد عملية مكتسبة، فطبقًا لرأي كروبر A.L.Krober "فإن الفرد ينشأ من خلال الثقافة التي تحيط به وتشكله، ويسهم هو أيضاً فيها"(4).

وهنا تكتسب الثقافة خصوصية تربوية تتمشى مع مبدأ الفروق الفردية، من حيث إنها - كالتربية - عملية تحدث لكل فرد على حدة، بالتدريج.

4- الثقافة تشمل المبادىء الأخلاقية للمجتمع، وتصبح المدرسة مخفقة في أداء وظيفتها إذا غفلت عن الجانب الأخلاقي، واقتصرت على تلقين المعلومات كما يقرر جون ديوي، وبهذا تكون الثقافة في معنى من معانيها جزءاً من عملية التربية المدرسية.

وللثقافة صلة وثيقة بالتنمية ذلك أن «العنصر البشري أهم عناصر الإنتاج، وأساسها جميعاً ونوعيته هي العامل الحاسم في تحديد مدى التقدم أو التخلف الذي يتحقق لأي شعب من الشعوب»(5) والفرد هو الوعاء الذي يظهر فيه أثر الثقافة، وبقدر سلامة البنية الثقافية للفرد تكون سلامة أدائه التنموي لمجتمعه وبيئته.

وفي هذا المجال يرى مارتيندال أن الافتراضات الأساسية للنظرية الاجتماعية السلوكية المتعلقة بالتغيير الاجتماعي والثقافي يمكن تحديدها على النحو التالي:

- جميع عمليات التغيير الاجتماعي هي من عمل الأفراد.
- الأحداث الجسام في التاريخ البشري تتمثل في تشكيل المجتمعات والحضارات وتدميرها.
- وبسبب دورهم في تشكيل أو تدمير المجتمعات،

فإن المثقفين يمثلون هدفًا مرجعيًا مهمًا لدراسة هذه العمليات(6).

ومن الخطأ الشائع الاعتقاد بأن التنمية «عملية "ميكانيكية" يمكن إتمامها من خلال رفع معدلات الاستثمار، وتحديث بعض أساليب الإنتاج»(7). بل إن الدور الذي يمثله العنصر البشري يعد العمود الفقري لأي عملية تنمية.

وقد أوضحت نتائج البحوث والدراسات التي أجريت في مجال الاستثمار البشري الأهمية القصوى لتنمية الموارد البشرية قبل تنمية الموارد الاقتصادية، أو على الأقل بالتوازي معها.

الثقافة الوطنية

إن التغييرات الهيكلية التي شهدتها البلدان العربية في أثناء السبعينيات، وبصفة خاصة ماترتب على الانفتاح الاقتصادي وماصاحبه وماتلاه من تغيرات في سياستها خارجياً وداخلياً، ترك بصمات واضحة على التركيب الاجتماعي للسكان بقدر ماترك بصمات على الثقافة بوجه عام.

وكان ظهور التيار الديني في السبعينيات من دلائل التغيير الثقافي الذي طرأ على مجتمعاتنا والذي يتراوح مابين الفعل (كالانفتاح) ورد الفعل الذي شمل فيما شمل ظهور التيارات الدينية بين الشباب، والانهيار المتتابع لمحاولات إصلاح الصدع الاقتصادي.

ومن هنا فإن الحاجة ماسة لضرورة توجيه البحوث والدراسات في شتى العلوم الإنسانية لدراسة البعد الثقافي في التغيير من خلال الشباب. وترجع هذه الحاجة إلى عدة أسباب:

- الشباب هم وقود التنمية وحاجة الأمة إليهم ذات جوانب مختلفة، منها: الحاجة السياسية إذ إن تربية الشباب عملية سياسية خاصة ونحن نعيش في عصر الصراعات العقدية والمذاهب الفكرية ذوات الطابع السياسي(8).

- التعليم - بصفة عامة - مؤسسة وقائية(9) يمكنها فقط أن تتبع التغيير الاجتماعي لا أن تسبقه، ومن هنا فإن دراسة أثر التغييرات الاجتماعية في المؤسسات التعليمية تصبح بالغة الأهمية.

- الذاتية الحضارية لأي شعب من الشعوب يمكن أن تتأثر بالتغييرات الثقافية، وبخاصة إذا فترت عزيمة الأجيال في الدفاع عن ذاتيتها الحضارية.

ويمكن تعريف الذاتية الحضارية بأنها«جماع مايميز حضارة ما عن غيرها من الحضارات في زمن معين» (10).

- ويرتبط بالنقطة السابقة ضرورة تضمين المناهج الدراسية قدرًا من الثقافة الوطنية، وهذا ماتنبهت له سلطات الاحتلال الإسرائيلي، حيث تخصص المناهج الإسرائيلية للتاريخ العربي في الصف الثامن سبع حصص وللتاريخ اليهودي ثلاثين حصة، ويدرس التاريخ العربي كغزوات وفتن، والتاريخ المعاصر - في المناهج الإسرائيلية - يركز على الانقسامات القطرية ويتجاهل الثورات العربية من أجل الاستقلال الوطني(11).

أهمية دراسة الثقافة الوطنية

يقول جون ديوي: "إن الطريق الوحيد للإعداد للحياة الاجتماعية هو بالذات ممارسة الحياة الاجتماعية نفسها"، ومن هنا فإن عملية غرس القيم الخاصة بحب الوطن والانتماء إليه ينبغي لها أن تكون في وضع القلب من المناهج الدراسية والمناشط المدرسية، وذلك لأن "الجزء الرسمي من عملية التشكيل الثقافي للفرد هو مايسمى بالتربية المدرسية".

فدروس التربية الوطنية - على سبيل المثال - تهتم بتعريف التلاميذ بشؤون الحكومة، وحقوق الأفراد وواجباتهم(12).

وفي غير التربية الوطنية، يجب أن يكون محتوى كل المناهج الدراسية متفقاً في أهدافه الخاصة مع الأهداف العامة التي تتبناها الخطة (الاستراتيجية) التربوية الوطنية، بحيث تؤدي في النهاية إلى تخريج المواطن المؤمن بأهداف وطنه العليا، الساعي إلى تحقيقها، المنتمي إلى تراثه الوطني والمدافع عنه دفاع المقتنع للدفاع المقلد، وعلى هذا الأساس تتحول الوطنية من ثقافة تلقينية إلى سلوك إنساني حضاري.

وإذا كانت دولة متقدمة مثل فرنسا قد بدأت تخشى الغزو الثقافي الأمريكي لتراثها الثقافي الوطني، فإن على الدول النامية التي تمر بمراحل التغير الثقافي أن تكون أكثر استمساكاً بجذورها التاريخية، وأكثر حرصًا على تأكيد معاني الوطنية وأبعادها المختلفة في نفوس شبابها.

يقول جاك تيبو أحد المفكرين الفرنسيين: "إن فرنسا هي الآن بلد قيد الاستعمار فطريقة الحياة الأمريكية بلغت إلى أعماق المجتمع الفرنسي وبالذات إلى عقله وحساسيته وفكره، كما تنبأ ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا الأسبق في أحدث مؤلف صدر له بأن أوروبا إذا استمرت في فقدانها الراهن لهويتها، وفي عجزها الراهن عن تحديد نفسها بنفسها، لن تكون في المستقبل إلا مستلحقة أمريكية"(13).

وقد فطنت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى حقيقة أن المناهج الدراسية يمكن أن توظف بكفاءة لخدمة الأهداف الوطنية، وانعكس هذا على برامج التعليم في الأرض المحتلة، فالمناهج الإسرائيلية تخصص للتاريخ العربي في الصف الثامن سبع حصص، وللتاريخ اليهودي ثلاثين حصة ويدرس التاريخ العربي كغزوات وفتن، وتتجاهل مناهج التاريخ المعاصر في إسرائيل الثورات العربية من أجل الاستقلال الوطني بينما تركز على الانقسامات القطرية، كما أشرنا من قبل.

وفي المقابل إذا نظرنا إلى المناهج العربية نجد أنها لاتوظف لخدمة الأهداف القومية والوطنية العربية بشكل سليم، فالنظم التعليمية العربية تعاني من تسلط المناهج وطرق التدريس التقليدية وغياب روح الحوار والفهم القائم على الاقتناع والاعتراف بالحقيقة النسبية وبث روح التفكير العلمي بين الطلاب(14).

مما سبق نخلص إلى الحقائق الآتية:

- هناك حاجة ماسّة إلى توجيه الدراسات نحو الثقافة الوطنية.

- هناك حاجة إلى إحكام الربط بين الثقافة الوطنية والخطة (الاستراتيجية) التربوية.

- العلاقة بين الوطنية كسلوك، والثقافة الوطنية كمنهج دراسي ينبغي أن تُقنَّنَ وتكونَ واضحةً في أذهان أطراف العملية التربوية كافة.

- العلاقة بين التنمية والثقافة الوطنية يجب أن يُعادَ النظر فيها بين حين وآخر في ظل التغيرات الاجتماعية التي ظهرت على المجتمعات العربية في الآونة الأخيرة.

المراجع:

1- سامية الساعاتي، الثقافة والشخصية، (القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، 1977م)، ص23.

2- محيي الدين صابر، الإعلام وتنمية المجتمع العربي، مجلة الدراسات الإعلامية (القاهرة: المركز العربي للسكان والتنمية والتعمير العدد10، سبتمبر 1978م).

3- فؤاد مرسي، حول الأزمة الثقافية والاجتماعية في مصر، مجلة اليقظة العربية (القاهرة: حزب التجمع الوطني) العدد 7، يوليو 1987م، ص 100.

4- Alfred L. Krober, Anthropology (N.Y: Harcourt Brace & Co., 1948) P:288.

5- محمود عبدالحميد، "الجوانب الاجتماعية للتنمية الاقتصادية" مجلة اليقظة العربية، (القاهرة: حزب التجمع) العدد 7، مايو 1987م ص 72.

6- محمد أحمد إسماعيل علي، دور المثقفين العرب في التنمية، مجلة الوحدة (الرباط: المجلس الوطني للثقافة الوطنية) العدد 45، يونيو 1988م، ص91.

7- محمود عبدالحميد، مرجع سابق، ص 82.

8- عباس محجوب، مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي (قطر: كتاب الأمة) ص 21.

9- F. Swift, The Sociology of Education (London: Routledge & Kegan Poul) P.86.

10- حسين خلاف، "المؤثرات الخارجية في الذاتية الحضارية" في "مستقبل الاتصالات والذاتية الحضارية في عالم متشابك" (القاهرة: المجالس القومية المتخصصة) ص47.

11- مجلة الوحدة، العدد الثالث، 1984م، ص54.

12- A.Kroeber, Op. Cit, P.288.

13- جميل طراد، الغزو الثقافي الأمريكي لأوروبا والعالم الثالث، مجلة الوحدة (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية) العدد 3 ، ديسمبر 1984م، ص24 .

14- عبداللطيف محمود محمد، التعليم والمشروع الحضاري العربي، القاهرة، مجلة اليقظة العربية، حزب التجمع الوطني، العدد 4 ، يونيو 1985م، ص 88، 89.

قصة قصيدة

ملكة جمال وجمال الإبل

عاصم بن محمد بهجة البيطار

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «أفَلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقَتْ» الغاشية:17.
ويقول سبحانه ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافعُ ومنها تأكلون. ولكم فيها جمالٌ حين تُريحون وحين تَسْرَحُونَ﴾.. النحل:5-6.

الإبل: سفينة الصحراء التي أبدع الله خلقها لتكون ملائمة للصحراء القاسية بحرارتها، واتقاد رمالها، وشُحِّ مياهها؛ غير أن الأستاذ عز الدين التنوخي(1)يتساءل: أليس من الأولى أن نستدل على عظمة الخالق، وبديع صنعه، بالجمال الباهر الأخاذ الذي يبدو في وجه «نكتار.. ملكة جمال لبنان، ينظر إليه الناظر فيحسّ بأنه يسيل رقة وعذوبة» فيوجه سؤالاً بهذا المعنى إلى صديقه وزميله في مجمع اللغة العربية بدمشق الشيخ محمد بهجة البيطار(2)قائلاً:

بالله سَلْ ليَ في الميدانِ عالمَها
الشيخَ بهجةَ بل سلْ عالم الشام
أيُستدَلّ عل الخلاّق بالإبل الـ
ـعجماء، للعنق العوجاءِ والهام
ولا تدلّ عليه العين ساحِرَةً
من وجه نكتار ذات المنظر السامي

فيجيبه الشيخ البيطار (رحمهما الله) بالأبيات التالية :

إلى الأديب التنوخيُّ الذي اشتهرت
آدابه في ربى لبنان والشامِ
إلى صديقيَ عزُّ الدين أرسلها
تحيّةً مُزِجَت مني بإعظامِ
أهديتني من عروس الشعر مسألةً
صيغَت لآلئها من فيضك الهامي
فدونك القولَ مني غيرَ ذي عوجٍ
يهدي إلى الحق، يجلو كُلَّ إيهامِ
أمّا التي جازت البيداء مُثْقَلَةً
عجماءَ عَوْجاءَ تَعلو شُمَّ آطامِ
فتلك للرُّكْبِ في الصحراء جائبة
قِفارها، حاملاتِ الساغب(3) الظامي
تغذوه ألبانُها والصوف كسوته
وفي السُّرادِقِ مأوى ليثها الحامي
ما أجمل العيش في حلٍّ ومُرْتَحلٍ
وأصبرَ العيش في حَزْن وآكامِ
فما القطار كما الرقطاءِ ملتوياً
يطوي الفيافيَ مكدوداً بإضرامِ
ولا التي قد جَرَت في البَرِّ مسرعةً
تعلو وتهبط كالأمواجِ في الطامي
أشهى وأجملُ من عُوج الرقاب إذا
سالت بأعناقها - الوديانُ - والهامِ
فهل عليهم جناحٌ من أخي ثقةٍ
إذا استدلّوا على المولى بأنعامِ
فهي الدليل على الخلاّق تُذكِرُهُم
بأنعُمِ الله من برٍّ وإنعامِ
أما أولو العلم في الدنيا فترشِدهم
«قُلِ انظُروا»..(4) فهي آيات لأعلامِ
تَهديهُم لبديع الصنع إن نظروا
صُنْعَ البديع بإمعانٍ وإنعامِ
تباركَ الله دلَّت كُلُّ بارقة
في كل شيءعلى سرٍّ له سامِ
إنَّ العيونَ التي يَسبيك منظَرُها
أوحتْ لك الشعر في سحرٍ وإلهامِ
لكنْ صديقي أدامَ الله طلْعَتَه
آدابُه الغُرُّ تنحُو نحوَ إسلامِ
حُرّ الشمائل لم يلحق به وضَرٌ(5)
عَفُّ الخليقة لم يعلَقْ بآثامِ
إني أسائله فيما أحاوله
من الجواب على سُؤْلٍ له حَامِ:
هل أثْخَنَ الجرحَ في الأكباد والهِمَةَ
إلاّ التي أرسلت من طرفها الدامي
وهل أصاب الفتى يومًا فأكمده
إلا بُروقٌ لحاظ سَهْمها رامِ
كيف السبيل إلى ودٍّ يدومُ على
مَرِّ السنين ويزكو غَرسُهُ النامي
يهنا به كلُّ مَزْهوٍّ بصاحبه
وفي مودّة أخوالٍ وأعمامِ
يكونُ من ثمرات الحبّ بينهما
نبتٌ تفتّح عن زهرٍ بأكمامِ
غُرٍّ ميامينُ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
تحكي مطالعهم أشبال آجامِ

الجَمَالُ نعمة الله التي زان بها الكون ليكون آية من آيات جميل صنعه، تحلو به الحياة، وتصفو القلوب، وترتاح العيون، وترق المشاعر وتسمو، وتتعلق النفوسُ بخالقها، وتستدلّ عليه به؛ ولكن هل الجمال يقتصر على الخد الأسيل، والخصر النحيل، والعيون الحور العين، وغير ذلك مما توصف به النساء؟ وهل نستدل على الخلاّق بتلك العين الساحرة من وجه «نكتار» أم بتلك الجمال التي تجوب الصحراء بخَلْقها العجيب، الذي صنعه الله فأحسن صُنْعه، ليكونَ الوسيلة الملائمة للتغلب على قسوة الصحراء، وصعوبة اجتيازها، والصبر على شدائدها.

الحقيقة أن الجمال ليس وقفًا على الإنسان والحيوان وكل ذي حياة، بل هو سمة مشاعة في الكون الفسيح الذي أتاح الله للإنسان أن يستعمره، ويستمتع به ليشكر آلاء ربّه، وليكون له في كل مظهر من مظاهره ما يثير تفكيره، ويوسّع آفاق عقله. ويذكّره بنعم ربه.. إن الجمال الحقيقي تناسق بديع بين عناصر المخلوقات تشير كلها إلى الواحد الأحد الفرد الصمد:

وفي كل شيء له آية

تدلّ على أنه واحد

وقد اقتضت حكمة الله أن يجمع للإنسان فيما حوله المتعة والفائدة جميعًا، وتفرّد بذلك فاستحق التفرّد بالشكر والألوهية. اقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿والأنعامَ خَلَقَها لكم فيها دفءٌ ومنافعُ ومنها تأكلون. ولكم فيها جَمَالٌ حين تريحون وحين تَسْرَحُونَ. وتَحملُ أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس إنّ ربكم لرؤوف رحيم. والخيلَ والبغالَ والحَميرَ لتركبوها وزينةً، **ويَخلقُ مالا تعلمون**. وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لَهَدَاكم أجمعين. هو الذي أنزل منَ السماء ماءً لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تُسيمُونَ. يُنبتُ لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كلِّ الثمرات **إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون**. وسخّر لكم الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ، والنجومُ مُسَخّراتٌ بأمره **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**. وما ذرَأَ لكم في الأرض مختلفًا ألوانُهُ **إنّ في ذلك لآية لقوم يذّكّرون**. وهو الذي سخرَّ البحرَ لتأكلوا منه لحمًا طريًا وتستخرجوا منه حليةً تلبسونَها، وترى الفُلْكَ مَوَاخر فيه، ولِتَبْتَغُوا من فضله **ولعلكم تشكرون**﴾النحل:5-14.

ثم اقرأ بعض الآيات الأخرى مما يأخذ بيدك إلى الله، ويملأ قلبك بحبه وخشيته والأمل فيه: ﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لِنَبْلُوَهم أيُّهم أحسن عملا﴾ الكهف:7 ﴿المالُ والبنونَ زينةُ الحياة الدُّنيا﴾. الكهف:46 ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فُرُوجٍ. والأرضَ مَدَدْناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كلِّ زوجٍ بهيج. **تبصرةً وذكرى لكل عبدٍ منيب**. ونزّلنا من السماء ماءً فأنبتنا به جنّات وحبَّ الحصيد. والنخلَ باسقات لها طلعٌ نَضيد. **رزقًا للعِباد**..﴾ ق:6-11.

إن الله يخاطب أصحاب العقول السويّة، والنفوس المطمئنة الرضية، الذين يجدون في كل ما حولهم آيات باهرات تزيدهم إيمانًا ويقينًا وإقبالاً على الله، ولذا أشار سبحانه في الآيات السابقة إلى الذين يتفكرون ويعقلون ويذّكرون ويشكرون، وإلى ربهم ينيبون.

أما أسرى «نكتار» ومثيلاتها فقد وجدوا سلامة عقولهم في فقدانها، وغاية حياتهم في مصرعها، وراحة قلوبهم في الاستجابة لإغراء الشيطان وعصيان الرحمن، يقول مسلم بن الوليد (ت208هـ).

وما العيشُ إلا أن تروح مع الصِّبا

وتغدو صريع الكأس والأعيُن النُّجْلِ

ويقول جرير بيته المشهور:

إنّ العيون التي في طَرْفِها حَوَر

قَتَلْننا ثم لم يحيين قتلانا

ويقول جميل بثينة:

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما

قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي

لقد جعل الله في كل شيء آيةً سماوية ترشد إليه وتدل عليه، حتى «نكتار» هذه آية من آيات الله كان يمكن أن تجد الزوج الذي تسكن إليه، وتحاط حياتها بالمودة والرحمة، ويبث الله منهما بنين وبنات، ولكنها ومثيلاتها جعلن فتنتهن بضاعة تباع وتشرى، وبلاءً أودى بكثير من العقول، وغيَّر كثيراً من القيم المثلى، وصورةَ الأخلاقِ التي تفاخر الناس بها من أبعد الأزمان.. فالعقلَ مرفوض إن صدّ عن الهوى، والجَور أحبّ من العدل، والذل في الحب أشهى من العزّ، يقول ابن عبد ربه في العقد الفريد:

أتقتلني ظلمًا وتجحدني قتلي

وقد قام من عينيك لي شاهدا عدل

أطلابَ ذَحلي ليس بي غيرُ شادنٍ

بعينيه سحرٌ فاطلبوا عنده ذَحلي

أغارَ على قلبي فلما أتيته

أُطالبه فيه أغارَ على عقلي

إذا جئتها صدّت حياءً بوجهها

فتهجرني هجرًا ألذُّ من الوصلِ

وإنْ حكمت جارت عليّ بحكمها

ولكنّ ذاك الجورَ أشهى من العدلِ

وأحببتُ فيها العذلَ حبًّا لذكرها

فلا شيءَ أشهى في فؤادي من العذل

أقول لقلبي كُلَّما ضامه الأسى

إذا ما أبيتَ العزّ فاصبر على الذلّ

وَجَدتُ الهوى نصلاً من الموت مُغْمدًا

فجرّدته ثم اتكأتُ على النصل

هذا بعض ما تفعله عين «نكتار»، إنها تجعل درب ضعيفي الإيمان إلى مهاوي الضلال والفساد سهلاً ممّهدًا، وتعطّل فيهم تفكيرهم، وتنزع عنهم حياءهم، فهذا عمر بن أبي ربيعة يزور صاحبته في الليل، فلما انبلج الفجر، وخشيا الفضيحة استعانت بأختيها اللتين تعرفان من أسرارها ما هو خاف على الناس، فأحطن به متنكرًا، واجتزن به مضارب القوم ثم قلن له:

فلما أجزنا ساحة الحيّ قلن لي

ألم تتق الأعداءوالليل مقمر

وقلن: أهذا دأبُك الدهرَ سادرًا

أما تستحي أو ترعوي أو تفكّر؟!

ولو عقل هؤلاء الغاوون لعرفوا أن كل شيء زائل فانٍ إلاّ الله، يقول المتنبي:

لو فكَّر العاشق في منتهى

حسنِ الذي يسبيه لم يسبه

وما أجمل أن يبني الإنسان حياته مستمتعًا بما أحلّ الله، واضعًا نصب عينيه قوله تعالى: ﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات:56.

وحينذاك لايتسع قلبه إلا للخير، ويرى في كل شيء طريقًا يهديه إلى الله، ويكون هواه تبعًا لطاعته وعبادته، ويستعمل نِعَم الله في جوّ من الخشية والأمل والرجاء. قال الشاعر:

يقولون: لاتنظر، وتلك بليّة

بَلَى كُلُّ ذي عينين لابدّ ناظرُ

وليس اكتحالُ العين بالعين ريبةً

إذا عفّ في ما بينهنّ الضمائر

وما قصة يوسف الصدّيق عليه السلام وامرأة العزيز ببعيدة عَمَّن أحبّ أن يعرف الهدى، ويميّز الهداية من الغواية.

الهوامش

1- عضو المجامع العلمية في سورية ومصر والعراق، نال العالمية من الأزهر، وشهادة مهندس زراعي من السوربون في باريز، وكان أستاذ البلاغة في جامعة دمشق. وموسوعة في علوم العربية. توفي في أوائل السبعينيات.

2- سيدي الوالد رحمه الله حامل لواء السلفية في بلاد الشام بعد عالمي الشام شيخيه عبدالرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي، وعضو المجامع العلمية المذكورة آنفا، وأستاذ أدب القرآن والحديث في جامعة دمشق، وكانت له بالمملكة صلة وثيقة ومن آخر أعماله فيها تأسيسه لدار التوحيد في الطائف. تولى الخطابة والإمامة في جامع كريم الدين الشهير بالدقاق، وهو من أكبر جوامع دمشق، ما يزيد على ستين عامًا. توفي عام 1976م.

3- الساغب : الجائع التعب.

4- الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾.. الآية: يونس:101.

(5) الوضَر (محركة) وسخ الدسم واللبن، أو غُسالة السِّقاء والقصعة ونحوهما، وما تشمّه من ريح من طعام فاسد.. ج أوضار.

اللغة القصصية

كمال سعد محمد خليفة

العملية الإبداعية في القصة قوامها اللغة التي تنسج خيوطها في مهارة إبداعية رشيقة، تجمع بين الرهافة والجمال، والقوة والانسيال، ليحقق القاص، من خلال هذا النسج، رؤيته ويحدد ملامحه في كلمات موحية ذات ظلال، فتقترب من فن الشعر، خاصة إذا كانت (الرواية) قصة الأنواع، ذلك أنها تستوعب الرسالة والمذكرات والسيرة الذاتية والحوار المسرحي، بل يمكن أن تستوعب حتى الشعر(1) والأديب في إبداعه القصصي، يمارس حضوره الشعري؛ لما له من موهبة خصبة مبدعة في عالم الخيال ولاسيما إذا عرفنا أن كثيراً من المبدعين يجيدون إبداع الشعر، فيتقاطع مع السرد في كثير من المواقف لوظيفة فنية يعجز عنها النثر(2).

التواصل

والقاص يمزج في بناء عالم قصصه، بين نوعين من أساليب التعبير الفني هما: (السرد، والحوار) ومن هنا تتضح صعوبة مهمته من حيث المهارة والذكاء الذي يوائم من خلال هذا المزج بين التعبيرين المختلفين في التركيب والأداء. فلا مندوحة له من عملية المواءمة بينهما، إذ لا يمكن أن يستغني بأحدهما عن الآخر، فهما رئتا القصة سواء كانت رواية أو قصة قصيرة أو طويلة.

الكلمة جسر إلى العقول

تختلف مساحة ـ السرد والحوار ـ في المتن القصصي باختلاف المواقف والأحداث، وأدوار الشخصيات وعمقها، وعلاقاتها بعضها مع بعض، فلا ينبغي أن يتقاسما العمل معًا بمقياس دقيق، ولكن يختلف حجم كل منهما باختلاف متطلباته، في ظروفه المختلفة. ولكن ينبغي أن يتميز كل منهما بمزايا، تمنح القصة النجاح والتفوق، من خلال الكلمة الموحية، الزاخرة، الهادرة حتى يبث الحياة في العمل الفني. فالكلمة في القصة هي الأداة التي تعبر عن هذه الحياة، تقدم تجربتها الزاخرة المترعة، الغنية.. الكلمة هي الجسر الذي يصل بين التجربة الفذة وعقول الآخرين وحسهم ووجدانهم (3)، فلا بد أن تكون كلماتهم حُبْلى بالقيم الجمالية المؤثرة القادرة على تفجير الأحاسيس الكامنة في ذوات المتلقين « فيجمع في لغته بين الفائدة القصصية في الدلالة على تطور الحدث وحركة الشخصية وبين القيمة الجمالية للعبارة القصصية» (4).

فاللغة في القصة بأنواعها ذات خطر كبير في بنائها الفني فإذا أحسن استخدامها وهبت القصة الحياة، وإذا لم تنل الاهتمام سُلبت القصة هذه الصفة، فالقاص المبدع هو الذي يعرف قبل كل شيء أسرار الحياة، ويعرف كذلك كيف يحسن البوح لقارئه بهذه الأسرار، فإيقاع العبارة القصصية شرط لازم للسيطرة على نفس المتلقي، إذ به يتميز القاص بأدائه الرشيق ونضارة لغته، وخِصْب عبارته وحيويتها.

فاللغة ذات أثر أساسي في بناء الفضاء القصصي، فهي ليست أداة توصيل فحسب؛ بل هي عنصر بنائي أساسي يقدم الفكرة في إطار يهيىء لقبولها، والتفاعل معها.. والعمل الفني الناضج هو الذي لا تنفصل لغته عن مضمونه (إذ كل منهما مؤثر في الآخر)، والفنان الحقيقي هو الذي يجعل من اللغة والمضمون جسمًا واحدًا لا نستطيع الفصل بين عنصريه إلا فرضًا (5).

السرد والحوار.. وثلاث رؤى

وإذا كان القاص لا يمكنه الاستغناء عن أحد الأسلوبين (السرد والحوار) في بنائه لقصصه فما سلطته في التوفيق بينهما عند البناء أو استخدام كل منهما في بناء فنه؟

هل سيكون حياديًّا؟ أم سيهيمن أحدهما على الآخر؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات نستحث الخُطا نحو دراسة نشرت حديثًا (6) لنتعرف الرؤى التي يسترشد بها الكاتب في أثناء عملية الكتابة، يذكر الناقد الفرنسي جان بوفيون (Jan Povioun) في كتابه الزمن والرواية «ثلاث رؤى أساسية كفيلة بتوجيه الكتابة القصصية نحو هذا الموقف أو ذاك. وبالتالي تحديد المكان الذي يُمارس منه وعبره

الكاتب حياده أو هيمنته (7).

الرؤية من خلف: وتتلخص هذه الرؤية في اعتبار الراوي الصوت العالم بأحوال أبطاله وتفاصيلها، بل القادر على استنطاق خفايا النفوس وفضح سلوكها، أو تعليل مواقفها فهو ذاتٌ مهيمنة توجه الأحداث نحو القناعة التي يريد أن يحفرها في ذهن المتلقي ويتوسل لذلك بضمير الغائب في عملية الحكي، لما لهذا الضمير من رحابة حكائية قادرة على الإمساك بكل العناصر التي تتحرك داخل الفضاء القصصي، فهو صوت سلطوي يتحسس القارىء اليقظ وجوده في كل وحدة سردية أو حوارية لكنه صوت، صوت «ذكي» يجنب نفسه نفور القارىء، فيتحايل على هذا الأخير بكل أفانين الكتابة والإيحاء حتى يخضعه في النهاية للموقف المروم.

الرؤية مع: على الرغم بأن الراوي يبدو عادة على علم بالأحداث والشخصيات فإن هذا النمط الخبير البصير لا يبيح له إلا أن يكون على حد التوازي من دون سبق أو تأخير في علاقته مع الحدث والشخصية.. أن لا يستبق شيئًا أو شخصًا، ولا يقدم تفسيرًا أو إيحاءً بل يترك للآخر حق المبادرة في الإعلان والفعل من دون أن يغفل أن يكون معه في كل لحظة وعلى كل مستوى.

الرؤية من خارج: في هذا النوع تنتفي «الهيمنة» أو «السلطة» حيث يقف الراوي موقف الحياد من الأحداث فينقل الأصوات، وينسق بينها، ويصف الحركات الخارجية من دون المساس بوجهة البطل، أو مسار الحدث.. إن الراوي يقف خارج اللعبة القصصية ويكتفي بنقلها إلى المتلقي من دون أن ينتصر لهذا الصوت على حساب الصوت الآخر، ومن دون أن يخنق هذا الحدث لينفخ في الآخر، فهو بمنحى عن التأثير أو التأثر الذي يجعله طرفًا في اللعبة؛ لأنه يشاهد من الخارج فقط، ويحكي بتفصيل وصدق كأنه لا يعرف عن العالم القصصي الممتد، إلا زمن اللحظة الآتية التي يشتغل فيها.... وهذه تقنية.

نوعان من الكُتّاب

ومن خلال هذه الرؤى والتقنيات المختلفة في الإنتاج، أو التعبير الذي يُنسج منه العمل القصصي، يتضح أن الكُتّاب عندنا نوعان:

نوع متمرس يجيد استخدام الحيل الفنية في لعبته القصصية فيقدم لك عملاً قصصيًا ناضجًا مقنعًا، وهو الذي أجاد استخدام هذه الرؤى أو إحداها في بناء قصصه من خلال موقعه وتصوره الحياتي أو الفكري (8) بوعي وذكاء، فتتلون لغته بتلون المواقف والأدوار وطبيعة الشخصيات والأحداث.

ونوع تخونه أفانين الكتابة والحيل الفنية مما يدفع عمله إلى دائرة السقوط لأنه لا يجيد فنون اللعبة الفنية والكتابية، فيتحرك وفق وتيرة واحدة، فمهما تلون أو تعدد السرد أو الحوار نجده على مستوى الأسلوبين باختلاف أشكالهما صوتًا واحدًا هو صوت الكاتب ليس غير، فلا فاصل إذن بين حوار الأشخاص والسرد لأسلوب الكاتب، وهنا ومن خلال هذه الهيمنة التي تحتوي السرد والحوار لا تفضي في النهاية إلا إلى حالتين سلبيتين في الغالب: ترسيخ الأنا القاصة عبْر الحضور المكثف الذي يلغي حسابات الآخر، وسقوط أساسيات الإبداع..(9)

فالروائي المفن، الذي يجيد حيل الكتابة الفنية ينبغي أن يكون يقظًا في اختيار ألفاظ لغته، واعيًا بتقنيات فنه ووحداته القصصية، ماهرًا بصياغة عبارتها؛ ليصل بها حد الإبداع والإبهار؛ ليتسنى له وضع كل لبنة.. لفظة.. في مكانها الطبيعي الذي

القاص المبدع هو الذي يعرف أسرار الحياة، ويعرف كذلك كيف يبوح بها لقارئه

تشع من خلاله وتؤدي وظيفتها منه «فإن الكلمة الخاطئة، والفقرة التي توضع في مكان غير ملائم، والعبارة غير المناسبة، أو الشرح الذي يخدم المؤلف ويضر تأليفه، كل هذه تُحدث فجوات سيئة جدًا في هذا النوع من الكتابات» (10).

فالكلمة في البناء القصصي لابد أن يكون لها هدف من موضعها، وغاية وإشعاع يضيء الحدث، أو يجلّي جانبًا من جوانب الشخصية التي تتلفظ بها. فالكلمات في التعبير القصصي - كما يقول الناقد الأمريكي ألبرت كوت،(11) - «لا تشير إلى كلمات أخرى فقط، ولكن إلى مُشار إليه في الواقع، والمشاهد التي تقدمها اللغة في رواية لا تأخذ مكانتها القصصية إلا بقدر ما ينبغي أن تكون صدى لحقيقة في الواقع..».

تقنيات السرد في الروائي

فالسرد: مصطلح أدبي يقصد به الطريقة التي يصف بها الكاتب جزءًا من الحدث، أو جانبًا من جوانب الزمان أو المكان اللذين يدور فيهما، أو ملمحًا من الملامح الخارجية للشخصية، أو قد يتوغل إلى الأعماق فيصف عالمها الداخلي أو مايدور فيه من خواطر نفسية أو حديث خاص مع الذات(12) من خلال لغة خاصة ودقيقة ومؤثرة. لأننا «حين نقرأ القصة، نتمثل الحادثة فيها من خلال تلك الألفاظ المنقوشة على الورق...» (13).

وللكاتب أن يراعي مستويات التخاطب، وتطور أساليب الاتصال البشري، وتأثير الفلسفات والمذهبيات (الأيدلوجيات)، والأفكار العالمية المعاصرة (الرؤى) وتغيُّر نماذج القراء وعاداتهم القرائية، وتبدل الحياة البشرية وثقافاتها..

وتتعدد تقنيات السرد الروائي إلى أنواع مختلفة، جميعها متاح للروائي أن يستخدمه؛ ليقدم وجهة نظره لقارئيه من خلال هذا النسيج اللغوي للعمل القصصي شريطة أن يعي كيفية توظيفه، وقيمة موقعه في النسيج القصصي.. وأهم هذه التقنيات:

1- الوصف: يقوم القاص من خلاله بوصف مشاهد الطبيعة أوبيئة القصة أو المكان (مسرح الأحداث) أو الشخصية والحدث، وتعد هذه التقنية الفنية من الأدوات الفاعلة في إبداع القصة «فالأوصاف في القصة لا تصاغ لمجرد الوصف؛ بل لأنها تساعد الحدث على النمو. وهي في الواقع جزء من هذا الحدث» (14).

الترجمة الذاتية: يقص الكاتب بوساطة هذا الأسلوب أحداثه «بضمير المتكلم» ويضع نفسه مكان البطل أو مكان أي شخصية ليبث من خلالها وعلى لسانها مايريد قوله من آراء أو أحداث متخيلة، فهذه الوسيلة الفنية تستطيع «تجاوز النطاق المحدود للسيرة وبنائها المفكك وأسلوبها التقريري، واستغلال تلك المادة في عمل فني أوسع أفقًا، وأكثر ترابطًا بأسلوب تصويري يكون أكثر خيالاً وحرية»(15) لأنهم يتوارون خلف الأحداث والمواقف ليعبروا عنها على هذا النحو الفني الذي ينحاز بسيرهم إلى الفن، أكثر من أن يجعلها منتمية انتماءً كاملاً إلى فن السيرة، وفي هذه الحالة يكون الكاتب أكثر تحررًا من الالتزام الصارم للحقيقة المطابقة للواقع مطابقة شديدة فيتاح له منطلق من الإبداع والخيال..

المذكرات أو اليوميات: وهذا الأسلوب قريب جدًا من أسلوب الترجمة الذاتية ففيه يلجأ الكاتب إلى أن يكتب قصته أو بعض أجزاء منها بطريقة المذكرات أو اليوميات بحيث يقدم الكاتب أدواته

الفنية (الحدث أو الموقف) في شكل اعتراف ليوهم القارىء بأن هذه القصة بأحداثها وقعت بالفعل (حقيقة)...

طريقة الرسائل أو الوثائق: يلجأ الكاتب إلى هذه الحيلة أو التقنية الفنية لما لها من أثر في إثارة المتلقي وإقناعه بما يدور في القصة شريطة أن يعي ملاءمة هذه الرسائل لمستوى التفكير، بحيث تكون معبرةً عن شخصية كلٍّ من الطرفين فمن خلال هذه الرسائل والمواثيق يستطيع الكاتب أن يمنح بناءه الروائي مجالاً للمفارقة أو المقارنة بين الماضي والحاضر من دون أن يعوقه ضمير المتكلم عن نظم هذه النصوص أو المكاتبات في سياق الحكي أو العرض الروائي (16).

الحوار وإضفاء الحيوية

أما الحوار، فهو مايدور بين شخصين أو عدة أشخاص أو شخص مع نفسه في القصة، فهو الأسلوب المروم في خلق التعددية عبر تقنية المقابلة والصراع وتعقيد المواقف، فيستخدم لكشف الأصوات فيعد صورة تعبيرية لتطوير الحكي وتأزيم الموقف الدرامي.. فينسحب من ثمَّ على كل المقابلات الكلامية بين طرفين أو أكثر سواء تم ذلك بالتحاور المباشر أو بعملية السرد (حوار كامن) التي

على القاص أن يراعي مستويات التخاطب وتطور وسائل الاتصال وتبدل الحياة البشرية وثقافاتها

يشخص من خلالها الراوي صراع البطلين أو الأبطال (17) فيعد من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب القصصي في بث الحياة والصدق في شخصياته، أضف إلى ذلك، أنه يضفي على المواقف التي يدخلها أهمية وتركيزًا، ويقطع السياق الممل (رتابة السرد)، ويزيد إحساس القارىء بواقعية القصة (18).. والغرض منه - غالبًا - هو التعبير عن آراء المؤلف التي يضعها على ألسنة الشخصيات، كما يساعد على تطوير موضوع القصة حتى النهاية، ويساعد على رسم الشخصيات بوصفه وسيلة من وسائل التعبير عنها، كما يساعد على تصوير موقف معين في القصة، أو صراع عاطفي، أو حالة نفسية من الحالات المختلفة التي تكون عليها الشخصية في ظروف معينة (19).

والكاتب المفن يمكنه الاستفادة من هذا الأسلوب الإبداعي في بناء قصته، فمن خلال الحوار يتمكن الكاتب من بث الحياة في شخصياته فيجعلهم يتحدثون دونما تدخل منه متفاديًا الجدل الذاتي الذي ربما لا يجيد تقديمه، فيظهر الكاتب كأنه بعيد عن الصراع المحتدم في العمل القصصي.. وفي ذلك متعة للقارىء إذ يشعر وهو يقرأ كأنه يسمع الأفكار مباشرة من أفواه الشخصيات، كما تتضح من خلاله «طبيعة الشخصية والطريقة التي تفكر بها ومدى وعيها بالقضية أو المأساة التي تشكل حياتها المتخيلة..» (20).

إذن الكلمة الحوارية في الخطاب الروائي «تستهدف بعض المرامي الفنية المشتركة كالكشف عن نفسيات الشخصيات أو الإيحاء بصدى الحدث فيها» (21).

وعلى الكاتب إذا مااستخدم أسلوب الحوار، أن يراعي «الفروق الفردية الدقيقة بين الشخصيات (المستويات) في التفكير، والتعبير، بحيث يجعل حوار كل منهم مختلفًا عن الآخر، كما يفرق بين حديث المثقف والعامي» (22). وحديث الرجل يختلف عن حديث المرأة، فلكل منهم معجمه التعبيري في الحوار، كما يراعي في أثناء صياغة الحوار الصياغة اللغوية المحكمة للجملة، فالكاتب يستخدم اللغة بإيجاز وتركيز شديدين.. إذ البلاغة - كما يقولون - الإيجاز، فلا شك أنه أبلغ من الإطناب.. وهذا مايُدْعى بالحوار مع «الغير».. (الديالوج).

نماذج للحوار القصصي

والناظر في أعمال الكيلاني يجد أنه استوعب هذه التقنية في قصصه تمامًا، ووعى خطرها، فوظفها توظيفًا فنيًا رائعًا، فلنطالع معًا هذا الحوار في روايته «عمر يظهر في القدس»: بين عمر والطبيب عبدالوهاب.. قال عمر: (23).

الجهاد فرض..

أصول السياسة الحديثة ياأمير المؤمنين تقتضي التأني الزائد حتى نكمل العدة ونكسب تأييد الرأي العالمي..

قال في أسى:

الرأي العام!! يالها من مأساة.. لقد عرفت.. لا تنضح المستنقعات إلا بالعفن.. والجاهلية الضاربة لا تلد إلا أحكامًا متحيزة، ولا تغرس إلا الرزائل.. دائرة مفرغة..، أنت تستعد، وعدوك يستعد.. أنت تحاول اكتساب الرأي العام وعدوك يفعل نفس الشيء، النصر الذي ناله يقلب ميزان العدل.. الحق في جانب الأقوياء.. استمع إليَّ جيدًا.. الكفر ملة واحدة.. ماقامت حرب في الدنيا إلا وكان أحد الفريقين أقوى عسكريًا من الآخر.. التفوق العسكريّ وحده لم يكن العامل الحاسم..

أكثر الذين انتصروا وهم أقل عددًا وعدة.. لأنهم كانوا أكثر إيمانًا.

طأطأ عبدالوهاب رأسه قائلاً:-

نحن لا نحارب إسرائيل وحدها.

أتعني أنه لا مفر من الانتظار؟ لقد طال.. ذلك يعني الهزيمة والموت.. لو اتحد المسلمون جميعًا، لهزَّ هديرهم زبانية الظلم والطغيان.

تململ في سريره، واستطرد:

والقضية الأولى ليست السلاح والرأي العام.

ماذا إذن؟

أن يوجد الفرد المسلم.. ثم الجيش المسلم.. ليس هذا مجرد وجهة نظر شخصية، إنه بديهة في ظل مبادىء الدين..

فالحوار هنا «اعتمد على الاقتصاد في الألفاظ بحيث جعل العبارة المركزة كاشفة لموقف أو فكرة أو حديث أو شخصية» (24) كما أوضح الفكرة التي أرادها الكاتب وهي «إذا عجزنا عن مواجهة إسرائيل عسكريًا فلنا أن نقهرها فكريًا» فالكاتب قدَّم وجهة نظر الدين الإسلامي على لسان شخصيته (عمر بن الخطاب) التي ترفض سياسة المهادنة في ظل الاحتلال والرأي العام العالمي وغيره، فكلنا يعرف أين تتجه وجهة الرأي العام، وأين يميل ميزان القوى؟..

وكذلك حواره المركز جدًا في «عمالقة الشمال بين كل من عثمان أمينو وشيخه، فكان حوارًا سريعًا مركزًا، كل كلمة فيه مشحونة بمالا يحصى من المعاني والمشاعر تومىء إليها إيماءً، ولكن لها في النفس فعل السحر وهذا هو الفن: أن تقول ولا تقول، أن تكون الصنعة خفية ثم أن يكون المحصول غزيرًا رغم قلة البذور» (25).

شيخي.. قلبي يرتجف من الخوف.

لا قيمة لذلك.

أبحث عن الاطمئنان.

ستجده.

كيف؟؟

عندما تُطلَّق شهوات الدنيا.

فلا داعي للزواج إذن.
ضحك شيخي، واحتقن وجهه وقال:
الزواج سنة الله، وليس شهوة من الشهوات.
وعدت أقول:
الدنيا مغرية ياشيخي.
ولهذا كانت معركة الإنسان مع نفسه.
لماذا خلقها الله هكذا؟؟
أستغفر الله.. لا يُسأل عما يفعل..
دائمًا أبحث عن علة الأشياء، عن حكمتها.
فكِّر كيف شئت ياعثمان ـ لكن حذار أن تقترب من حافة الشك أو يخالط فكرك نازعة تمرد على حكمة الله..
كيف؟؟
ثق في عدل الله وحكمته..
نعم.. أنا المخلوق وهو الخالق..
أجل.. وشتان بين العقل وخالق العقل.
أجل....
وميدان الروح فسيح وللبصيرة الصافية مجالات لا حدود لها. وانهمرت دموعي فجأة، وأخذت أنشج، وربت شيخي على رأسي وقال في رضًا:
لماذا تبكي؟؟
لأني ضعيف.. وأخاف يوم الحساب.
بل أنت قوي بدموعك.
أفي الدموع قوة؟؟
أجل.. دموع الندم تغسل ثوب النفس وتمحو الوساوس.. الدموع اعتراف.... الجاحدون لايبكون....
وهمست لشيخي:
«أبكي كثيرًا في الليلة الطويلة.. ودخلت جاماكا حياتي كشيطان جميل.. هل هذا هو الحب.
قال شيخي في جدية ظاهرة:
لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما
ولهذا أخرجتها من حياتي..
لماذا؟؟
لأن حبها طريق إلى الشرك.
ليس تمامًا.
كيف؟
من يحب الله ورسوله يستطيع أن يحب خلقه.. حبهما هو المدخل.. هو الحب الكبير الذي يُظِل بأفرعه السامقة الخضراء كل الدنيا.. أتفهم؟؟ .. كل الدنيا..
أشعر بالحيرة.
العبادة ياولدي حب.. والجهاد في سبيل الله حب.. وتنفيذ شرائع الله حب... هل فهمت الحب؟؟.
فهمت، أن الحب شيء غير الشهوة.
وفي الحب الحلال قدر من الشهوة لا فكاك منها.
قلت في فرح مباغت:
هذا ماأردت أن أعرفه بالضبط..
ضحك شيخي قائلاً:
مازلت تفكر طول الوقت في جاماكا.
لا أنكر..
متى ستسافر؟؟
غدًا بإذن الله.. (26).
فالحوار هنا مملوء بالألفاظ الشفافة ذوات المعاني الصوفية العميقة، بعيدًا عن الثرثرة والفأفأة، فحواره مُركَّز في كلماته، موجز في عبارته، صور لنا حيرة النفس وتطلعات العقل وهواجسه داخل الروح الصافية الرقراقة، يضوع منها عبير الإيمان ليبدد الحيرة والهواجس بأنواره الساطعة ويقينه الصحيح..

الحوار الجيد يبث الحياة في شخصيات العمل القصصي، ويظهر الكاتب كأنه بعيد عن الصراع الدائر فيه

ففي الحوار الإجابة على قدر السؤال، ومن بين السطور يطل القلق والسكينة في جدل إيجابي حيٍّ، بأجنحة رفرافة، حول نور اليقين فيمثل سيمفونية يطرب لها المؤمن؛ لأنها انبعثت من يقين الهداية.. وفي النهاية يسقط القلق ويحترق، وتنطلق السكينة محلقة في الآفاق الإيمانية الرحبة..
وهناك الحوار مع النفس (المنولوج الداخلي) (27).

الوعي واللاوعي في القصة

هو عبارة عن حديث ـ بلا صوت ـ يدور في إطار العالم الداخلي للشخصية، وفيه تُكلِّم الشخصية نفسها، وتصور لنا الحياة كما تتصورها تلك الشخصية ـ كما يكشف لنا هذا الحوار ـ عن نظرة الشخصية إلى الشخصيات الأخرى وبالعكس (28).. ويستطيع القاص من خلال هذه الوسيلة الفنية أن ينطق شخصياته بما يريد من دون حرج، يفرضه أدب الحديث أو أي عامل آخر من عوامل ضعف النفس البشرية، لأن تيار الوعي وسيلة أو إحدى الوسائل التي تعبر عن الوعي في الرواية...(29).
فالقصة من عمل الوعي، ونصيب اللاوعي فيها محدود، وأثره لا يبدو في التصميم الفني للقصة، ولا في التعبير عنها إلا بمقدار، فقد لا يكون له الأثر في تكوين الشخصيات وتصوراتها وأفعالها، ولكنه أثر في التعبير عن هذه التصورات لأن التعبير في القصة يتم في حالة وعي كامل.. (30).
يسهم هذا الحوار (المنولوج) بتلاحمه مع الأحداث، في الكشف عن الأبعاد النفسية للشخصيات، واستبطان الوعي الداخلي لها، «وبهذا تقوم لنا صورة تنضح بالطرافة والألفة والصدق..» (31).
فمن ثمَّ ينبغي على القاص أن يُعْنى بتصوير الجانب النفسي لشخصياته بتلقائية دونما تدخل منه، ليعبر عن معاناته ومشكلاته بعفوية مع مراعاته لمنطلق البناء الفني للعمل القصصي بحيث يتسق التفكير الخاص للشخصية مع الفكرة العامة للعمل، و «يوظف الحوار لاتخاذ موقف أدبي يتطلبه، إثراء لهذا الموقف/الفكرة، وتعميقًا لإطار الشخصية التي تحاور نفسها»(32).
والباحث في أعمال الكيلاني يجده كعادته يستخدم هذه الوسيلة ببراعة في قصصه. فرواية «قاتل حمزة» «اضطلع الكيلاني في هذه الرواية بعملية التحليل النفسي دون أن يأخذ ذلك هيئة التفسير العلمي فيسيء إلى جمال الفن الروائي، فإنها رواية تميل في بنائها الفني العام إلى الرواية السيكولوجية الممتزجة بالدراما، فبرز التحليل النفسي منصبًا على شخصية واحدة.. (وحشي) ومع هذا فالقارىء لم يفقد الإحساس بعضوية العمل الفني وتماسكه، وتلاحم الأحداث وتفاعلها مع الشخصيات، في نسق لا تهيمن عليه ذاتية المفن وتدخلاته مما يقلص من مهارة تركيز العدسة على الباطن ويسيء إلى جمال العفوية في أنماط السلوك البشري لدى شخوصه» (33).
وإذا ماذهبنا نقلب صفحات الرواية نستمع إلى وحشي فنجده في منولوج طويل لا يمكن إيجازه،

فمعنى ذلك جناية في الفن ولكني لطوله سأحيل القارئ إليه (34) يفكر في حال قريش وماأصبح فيه بعْد أن تعاقد على قتل حمزة بحربته، وجلس يتخيل نفسه وهو حر ويستعيد هيئة سيده، وهو يرمقه باحترام، وهند بنت عتبة وهي تركع دون قدميه، تمدُّه بالمال والمستقبل ويعده سيده بالحرية التي كثيرًا ما طلبها فلم يجدها... وقتل حمزة ومجده الذي يجنيه من ورائه...

وهناك منولوج آخر يعكس مايعانيه وحشي من مرارة وذل وهوان وحيرة ويأس، يجري هذا الحوار مع الأحداث في تشابكها وتلاحقها عبْر الساحة الروائية الفسيحة لإبراز الحقائق النفسية:

وامصيبتاه.. عبلة لها رسالة، ومحمد له رسالة.. وأبو سفيان أيضًا يحمي دينه... الشيء الوحيد الذي أتفق فيه مع محمد أن هذا العصر عصر جاهلية وضلال وزيف، كل من فيه فلاسفة حتى سُهيل ووصال وعبلة.. لكن أحدًا لم يستطع حتى الآن أن يهبني السعادة والأمن.. إن أفضل شيء أفعله الآن هو أن أجمع إبلي وأغنامي وأذهب بها إلى المرعى هناك حيث الصمت والأفق الرحيب والصحارى الواسعة والوحدة الضارية.. هناك قد أجد شيئًا من الراحة.. وأنعم بالهدوء مع الحيوان والجماد..»(35).

تتضح من هذا الحوار مأساة وحشي الذي أصبح حرًا في نظر المجتمع الجاهلي ولكن إلى مدى تحققت ذاته في هذه الحرية؟! فيكاد يُجنّ ولا يجد مناصًا من أن يهرب من هذه الحرية التي اشتراها بقتل حمزة، فيهجر مجتمع الناس ويأوي إلى المراعي والصحارى الواسعة والوحدة والصمت ليذوق طعم الحرية هناك.. بعد أن أصبح بين الناس أحقر من ذي قبل، بل أخذ الصبية في مكة يتضاحكون منه، فلا يفيق من مسكرات الخمر إلا على سخرياتهم وقهقهاتهم بعد أن أصبح أهزوءة بين الأطفال يتندرون عليه وفي الوقت نفسه ملأت الدعوة الإسلامية أسماع مكة، فما كان منه إلا أن يجلس مرة أخرى إلى نفسه يحاورها (36).

فالحوار عند نجيب الكيلاني مباشرًا كان أو كامنًا أو داخليًا يسهم إلى جانب وحدات القص الأخرى في خلق حيوية قصصية لا غنى عنها. ومن ثمَّ أصبح للحوار فوائد أو أغراض ربما لم تتحقق من خلال السرد يمكن أن نجملها فيما يلي: (37)

- إلقاء الضوء على الشخصية وتعرّفها داخليًا بوصفها ذاتًا فاعلة/ منفعلة على مستوى المقول القصصي التقريري والفني.
- فسح المجال للشخصية كي تعبر عن نفسها، وتكشف المسكوت عنه في سردية الراوي.
- قتل رتابة السرد والوصف عبر تقنية التعبير (الإخبار/الصراع) المباشر بين الطرفين أو أكثر.
- الإيهام بحقيقة المشهد عن طريق تغييب صوت الراوي واستحضار الأصوات المشخصة.
- الإسهام في تطوير الحكي تطويرًا عاديًا (خاصية الإخبار) أو تطويرًا دراميًا (خاصية الصراع).

تلك هي أهم الخصائص أو الأغراض لوحدة الحوار في التركيبة القصصية التي تحققت إلى حد بعيد في إبداعيات الكيلاني من خلال حواراته المختلفة على امتداد المساحات الواسعة للفضاء القصصي عنده.

فاللغة حوارًا كانت أو سردًا في القصة ذات أهمية قصوى فضلاً عن أنها لغة أداة التعبير الوحيدة للقاص بإمكان القاص الماهر أن يحيل العمل القصصي إلى عالم مملوء بالصور والحركات والمشاهد والألوان فتكون القصة حياة مستمدة من الواقع الحقيقي إلا أنها تختلف اختلافًا، إن لم يكن كليًا، ففي كثير من جوانب الحياة الواقعية، فتكون القصة الصورة الجميلة للواقع ومايقدم هذه الصورة الجميلة للقارئ غير اللغة الفنية..

الهوامش:

1- انظر المشكاة عدد 9 ص32.

2- من هذه الوظائف كسر رتابة اللغة وإثراؤها، وعجن لغة السرد بماء الشعر لتتدفق بعفوية وانسيابية ناعمة موحية، كما تعين القاص في تجسيد المشاهد وتجسيمها، وإبراز الدلالات التي تحيط به من كل جانب، كما يضفي الشعر كذلك عمقًا بما يتيحه للروائي من تصوير لخفايا النفوس والفعال الإنسانية المتضاربة، كما تُمكّن الروائي من الوصول إلى مايسعى إليه من دون تدخل منه بتقرير هذا المضمون - نقد الرواية ص101 دكتور أحمد الهواري بتصرف.. فالرواية كما يقول الناقد إدوار الخراط (ألبوم) الشكل الذي يمكن أن تحتوي على الشعر والموسيقى وعلى اللمحات التشكيلية...

3- مجلة المشكاة، عدد 4، السنة الأولى، ص40.

4- الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، ص244، د. حلمي محمد القاعود، دار الاعتصام، القاهرة.

5- ونعني بمعنى الفصل هنا أو فرضيته للدراسة حيث إن كثيرًا من النقاد يرون أن تجزئة النص إلى مقاطع ووحدات متمايزة هو أقرب سبيل إلى تشويهه وابتساره، ولكنْ هناك فرق بين التجزئة وبين التشويه، فالتجزئة بغرض الدراسة ماهي إلا وسيلة مؤقتة، لتشريح وحدات القص واستنطاقها في ضوء المنهاج المرسوم. فوحدة اللغة، ووحدة السرد، ووحدة الموضوع، ووحدة البطل (الشخصيات) ووحدة الحبكة كلها وحدات فنية بدراستها دراسة مستفيضة ودقيقة بمنحى عن باقي الأجزاء الأخرى، غير أن هذه الدراسة المفككة التي قمنا بها هنا في المبحث الخاص بدراسة الرواية لاتروم إحداث قطيعة بين وحدات المركب القصصي، بل تفسح المجال أمام قراءة داخلية متأنية تستكشف تفاصيل الوحدة داخل العمل الفني المتكامل وعلاقاتها بكل منها. راجع مااستفاض به مقال الأستاذ/ حسن كاوز (ميكانيزمات الحوار في عملية القص الأدبي بمجلة الحرس الوطني عدد 110ص140ربيع الآخر 1412هـ.

6- راجع دراسة الأستاذ/ حسن كاوز (ميكانيزمات الحوار في عملية القص الأدبي - نشرت بمجلة الحرس الوطني عدد 110ص104:108.

7- المصدر نفسه ص106، 107، وكتاب «بناء الرواية» دكتورة سيزا قاسم ص132.

8- لكل كاتب الحق في التصوّر الذي يقتنع به أو يعتنقه بشرط أن يمتلك هذا الكتاب الحد الأدنى من المصداقية والالتزام ومسؤولية الكتابة والكلمة ليتحقق الهدف الصحي للفن.

9- ميكانيزمات الحوار... ص107بتصرف.

10- القصة القصيرة ص108، تأليف آيان رايد، ترجمة د. منى مؤنس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1990م.

11- نقلاً عن دراسات في نقد الرواية، ص42، طه وادى.

12- السابق ص43.

13- الأدب وفنونه، ص186، عزالدين إسماعيل.

14- فن القصة القصيرة، ص110، د. رشاد رشدي.

15- فن القصة القصيرة، ص78، د. يوسف نجم.

16- الرواية التاريخية، ص352، د. حلمي القاعود.

17- انظر مقال ميكانيزمات الحوار.. باختصار.

18- القصة في الأدب العربي الحديث، ص52، محمد يوسف نجم، دار الثقافة بيروت الطبعة الثانية سنة 1966م.

19- نظرات في القصة القصيرة، ص69، بتصرف - حسين القباني، دار المعارف كتابك رقم 125.

20- دراسات في نقد الرواية.. ص47.

21- فصول، عدد 2/2، مارس 1983م، لغة الحوار الروائي فتوح أحمد، ص83.

22- ليس معناه أن يستخدم اللغة العامية في الحوار (بل ينقل الحوار إلى اللغة العربية التي تناسبهم، فيها سذاجة إذا كانت تلك الشخوص ساذجة، وفيها سخرية إذا كانت ساخرة) - القصة من خلال تجاربي الذاتية ص23.

23- عمر يظهر في القدس، ص156، 157.

24- انظر الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، ص349، حلمي القاعود.

25- مجلة الثقافة، عدد 34، مقال للأستاذ إبراهيم عوض.

26- عمالقة الشمال، ص32، 34، دار الرسالة.

27- يلاحظ أن كلمة (المنولوج) الداخلي أكثر دقة من مصطلح (تيار الوعي) لأنه ينطوي على عقلانية وذكاء لا يوحي بهما تيار الوعي.. إن الارادة المتحركة لدى الكاتب إذ يصور، وعي (محاكاة) أعلى أو أدنى، مسألة سلم بها في أغلب الاستعمالات العرضية لهذا المصطلح الذي نطلقه على كتّاب من أصحاب العمل المتقن مثل فرجينيا وولف وجيمس جويس.. لكن المصطلح في معناه الأساس، حيث لايمكن فرض اختيار أو سيطرة فنية، يقع على بعد كبير من هذا المعنى..، راجع موسوعة المصطلح النقدي المجلد الثالث ص521/52 ت عبدالواحد لؤلؤة (الحبكة - اليزابث ديل) المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى سنة 1983م.

28- فن القصة، ص84، نجم.

29- موسوعة المصطلح النقدي، 522/3/لؤلؤة

30- النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، ص79، سيد قطب، الطبعة الثالثة، دار الشروق بيروت.

31- فن القصة، ص85، نجم.

32- دراسات في نقد الرواية، ص50، طه وادي.

33- مجلة المشكاة، عدد 1983/1م.

34- قاتل حمزة، (ص13، 14، 15، 16، 17).

35- قاتل حمزة، ص75، 76.

36- قاتل حمزة، ص234.

37- ميكانيزمات الحوار في عملية القص الأدبي ص106.

حُلُم في ظلال الحرم

عبدالجليل عليّان

من ضرامِ القلبِ أرسلْها حُمَيّا ... من شغافٍ لملمتْ قلبًا حميًّا
إنّما دنيا الهوى محضُ هوانٍ ... فترفّعْ، وانثُرِ اللحن شجيّا
طِرْ طليقًا في سماءِ الحُلمِ حلّقْ ... مزّقِ الظّلماءَ واطوِ العتم طيّا
فإذا شُفْتَ العذارى غافياتٍ ... بأمانٍ عند أهداب الثُّريّا
وشممْتَ العطر فتّانًا شذاهُ ... وشداك الكونُ لحنًا عبقريّا
إنّما تلقى المنى طيفًا شرودًا ... في ظلالِ الرّوضِ بسّامًا بهيّا
فترشّفْ، واخلعِ الذّكرى لديها ... وانثرِ الرّوحَ نشيدًا سرمديّا
إنّ ذكرى أدمتِ القلبَ مرارًا ... لهي أوْلى أن تُرى اليوم دميّا

ياعشيرَ العمرِ أطلقْها رويّا ... هذه الأشواقُ أعيتْ أصغريّا
خبّرِ السّمراءَ عن داءٍ بحالي ... قدْ رماني وهي لاتشعرُ بيّا
إنّ صمتي كحيائي مستبدٌّ ... بجناني وكذا في شفتيّا
ولِصَمتي من حيائي مستمدٌّ ... هكذا أحيا الهوى صبًّا حَيِيّا
ومِنَ الأشواقِ في القلبِ المعنّى ... مَنْ شويْنَ القلبَ منّي بيديّا
وكذا الآهاتُ قد ضيّعْنَ عمري ... فصحوتُ اليوم لاأملكُ شيّا
غيرَ جُرْحٍ في دليلي بيْدَ أنّي ... ماتجرّعْتُ الهوى إلاّ نقيّا

كمْ أذبتُ القلبَ نشوانًا بوجدي ... وسكبتُ الشّعرَ سَلْسالاً هنيّا
وغزلتُ البوحَ في همسي صريحًا ... ليعيشَ الحبُّ في قلبي سويّا
ولكمْ أصبحتُ مطعونًا بظهري ... بعدما أمسيتُ والدّنيا لديّا
تِلْكَ أوهامُ الهوى في ثوبِ حُلْمٍ ... كمْ رميْنَ الصّبَّ في الصّحرا نسيّا؟!.

من روائع القضاء الإسلامي:

سلطة القاضي في مراجعة حكمه

د. عمار بو ضياف

خلف لنا القضاء الإسلامي منذ عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثروة عظيمة من فقه الأحكام، تعد من دون ريب مفخرة في تاريخ القضاء بشكلٍ عام. فكان للقضاة قدرة خارقة في فهم النصوص وتطبيقها على الوقائع المعروضة عليهم، وفي إدراك مقاصد الشريعة، قضوا فعدلوا، وحكموا فأنصفوا، وظلت أحكامهم ذخرًا لنا نتناقله جيلاً بعد جيل.

وإذا كانت مهمة القاضي هي الإخبار عن حكم شرعيٍّ على سبيل الإلزام(1)، بحسب ما أشار إليه فقهاء الإسلام، فإنه ينبغي أن يُترك له المجال واسعًا لاستخدام علمه وفق ما تقضي به قواعد الشريعة الإسلامية، وتبعًا لما توصّل إليه فهمه واجتهاده.

قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين ولاه القضاء: بم تقضي يا معاذ؟ قال بكتاب الله، قال فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسوله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي(2).

وبإقرار الشريعة الإسلامية لقاعدة الاجتهاد تكون قد فتحت أمام رجال العدالة مجالاً للفهم والربط والمقارنة والاستنباط من أجل حل المنازعات وقطع المشاجرات، فظهرت شخصية القضاة واضحة فيما قضوا، وتجلى نبوغهم الفقهي فيما حكموا.

ومع أن الشريعة الإسلامية قد وضعت بين يدي القضاة من النصوص ما يحكم كثيرًا من القضايا المعروضة عليهم، وأجازت لهم الاجتهاد فيما لم يرد بشأنه نص، إلا أنّ استنباط مقاصد الشريعة والوصول إلى حكم عادل واجتهاد صائب أمر محاط بمخاطر وصعاب جمّة. قال صلى الله عليه وسلم وهو ينذر أبا ذر: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلاّ مَنْ أخذها بحقّها وأدّى الذي عليه فيها»(3). ولقد دفعت عظمة أمانة القضاء ومخاطر الانزلاق والوقوع في الخطأ كثيرًا من العلماء والصالحين إلى الامتناع عن تقلد القضاء. قال الإمام أبو حنيفة معللاً سبب امتناعه عن القضاء بين الناس في زمن ابن أبي هبيرة: «يا ابن فروخ القضاة ثلاثة: رجل يحسن العوم فأخذ البحر طولاً فما عساه أن يعوم يوشك أن يَكِلّ فيغرق، ورجل لا بأس بعومه، عام يسيرًا فغرق، ورجل لايحسن العوم ألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته(4).

وممن جاهر بالإصرار على الإباية من القضاء محمد بن عبدالسلام الخشني، لما سأله أحد أمراء الأندلس القضاء فأبى ونفر نفورًا شديدًا، وقال «أبيت كما أبت السماوات والأرض إباية إشفاق لا إباية نفاق(5) وردد قوله تعالى: ﴿إنَّا عَرَضْنا الأمانةَ عَلى السَّماواتِ والأرضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وَأشْفَقْنَ منهاَ وَحَمَلَهَا الإنسانُ إنَّه كانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ الأحزاب:72. غير أنّ عظمة رسالة القضاء وسمو مكانته وخطورة أمانته تقف حائلاً أمام كثير من الصحابة والصالحين، فسخّروا أنفسهم للفصل في المنازعات، يحدوهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إن المُقْسِطين عند الله على منابرَ من نور عن يمين الرحمن عز وجلّ - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا»(6). ولقد دلّت تجارب الحكم في النظم المختلفة وعلى مدى التاريخ أن أعظم وظيفة تقلدها الإنسان هي وظيفة القضاء. فالتمييز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والنزاهة والاحتيال عملية شاقة وصعبة وعلى غايةٍ من الدقة. كما أن الموازنة والمفاضلة والتخيير بين الأدلة وترجيحها مسائل محفوفة بصعابٍ كثيرة. فقد يرى القاضي بعد سماع طرف وتقديم أدلّته أن الحق معه، وما يلبث أن يغيّر وجهة نظره بعد سماع دفاع الطرف الثاني.

إنها عدالة الإنسان تظل مهما اكتملت صورها محاطة بالنسبية، فالعدل صفة من صفاته عز وجلّ...

من أجل ذلك حرصت الشريعة الإسلامية - إلى جانب اعترافها للقاضي بالاجتهاد عند اللزوم - على سلطة نقض حكمه دون حاجة لأن يطلب ذلك الخصوم. قال عمر بن الخطاب لقاضيه أبي موسى الأشعري: «... لايمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهُديت فيه لرشدك، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل..» (7) وعليه واستناداً إلى هذا الكتاب إن رأى القاضي أنه جانبَ الصواب في قضائه، فقضى بملكية شيء لغير مالكه، أو تجاوز نصًّا صريحًا في الكتاب أو السنة، أو خالف إجماعًا، ثم راجع نفسه وأدرك الخطأ، فإن له سلطة نقض حكمه.

وإذا كان قد تقدم معنا البيان أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حث على الاجتهاد فيما لم يرد بشأنه نص، بل وأثنى على كلّ حاكم مجتهد، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد»(8). فلايجوز تبعًا لهذه القاعدة مساءلة القاضي عن حكم أصدره واجتهد فيه، كما لايجوز قطع السبيل أمامه لمراجعة حكمه والعدول عن قراره مادام قد تبيّن له الحق واتضح له العدل بعد أن قضى.

وللتقليل من درجة أخطاء القضاة نصح الخلفاء قضاتهم بالمساواة بين الخصوم، وحسن الإصغاء، ودقة الملاحظة، والتريُّث وعدم الانسياق. قال عمر بن الخطاب لأبي موسى في كتابه المشهور: «... فافهم إذا أدلي إليك» وقال له أيضًا: «... اعرف الأشباه والأمثال ثم قسِ الأمور بعضها ببعض، فانظر أقربها إلى الله وأشبهها بالحق...»(9). كما رسم الفقهاء آداب الاجتهاد وأحكامه، قال الإمام أبو حنيفة: «إن كان أعلم من مُخَالفه عمل على اجتهاد نفسه، وإن كان مخالفه أعلم منه عمل على اجتهاد مُخَالفه(10). وذلك تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهلَ الذِّكْرِ إن كُنتم لاتَعْلَمُونَ﴾ النحل:43.

وقال الإمام الماوردي قال الإمام الشافعي: «إن بان للقاضي أنه أخطأ في حكمه فذلك ضربان:

أحدهما: أن يخطئ فيما يسوغ فيه الاجتهاد. والثاني: أن يخطئ فيما لايسوغ فيه الاجتهاد. فإن أخطأ فيما يسوغ فيه الاجتهاد كان حكمه نافذًا، وحكم غيره من القضاة نافذًا، لايُتعقب بفسخ أو نقض. وإذا خالف مالا يسوغ فيه اجتهاد، وهو أن يخالف نصًّا صريحًا من كتاب أو سنّة أو إجماع ينقض به حكمه وحكم غيره.»(11).

ومنه يتّضح أن الشريعة الإسلامية انفردت بنظرية خاصة في مجال المرافعات، هي نظرية مراجعة الأحكام، فأجازت للقاضي بإرادته المنفردة ومن دون حاجة لطلب الخصوم أن يبادر لنقض حكمه إذا تبيّن له الحق بعد أن قضى.

ولاشك أن هذه النظرية تتماشى وروح الشريعة الإسلامية ومقاصدها، كما أن في تطبيقها رعاية للحقوق ودعامة أساسية لانتشار العدل بين الناس، فضلاً عن أنها تحمي القاضي، فتفتح أمامه سبل تصحيح خطئه من دون انتظار طلب الخصوم.

وبذلك تميزت شريعتنا من سائر النظم الوضعية؛ لأن الأخيرة غَلّت يد القاضي ومنعته من نقض حكم أصدره، أو تصحيحه، ولو أدرك خطأه في زمن قريب لصدور الحكم. فالعلاقة بين القاضي والقضية المعروضة عليه وفقًا للنصوص الشرعية في مختلف الأنظمة الوضعية تنتهي بإصدار الحكم، فلا يسوغ بعد الإصدار أن يراجع القاضي حكمه، أو أن يُعدّل فيه، أو أن ينقضه بإرادته المنفردة، مهما قدم من الأسباب التي تسوّغ عدوله ورجوعه. فتعديلُ الأحكام أو نقضُها لايكون في النظم الوضعية إلا من خلال طعنٍ يُقدّم ضدّ الحكم الأول من قبل صاحب المصلحة والصفة، أو ترفعه النيابة العامة في الأمور الجزائية أمام هيئة قضائية تعلو درجة الهيئة مصدرة الحكم الأول.

وبذلك تكون النظم الوضعية قد حرمت القاضي مُصدرَ الحكم من تصحيح خطئه، وعهدت بذلك لقاضٍ آخر على مستوى محكمة الاستئناف أو النقض، بل علقت المراجعة على إجراء جوهري هو الطعن خلال مدة زمنية معينة. ولعلَّ سؤالاً يُطرح: لماذا مكّن عمر بن الخطاب قاضيه من مراجعة أحكامه، وما غاية هذه القاعدة؟.

لقد أجاب الفاروق في متن كتابه عن هذا التساؤل قائلاً: «... لايمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك، وهُديت فيه لرشدك، فإنَّ مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل...»

إن كل عاقل لو خُير بين التمادي في الباطل ومراجعة الحق لاختار المراجعة؛ لأن فيها الإنصاف والعدالة. ولامراء أن القول بخلاف ذلك نُكران للحق وَوَأْدٌ للعدل في ساحة العدالة.

ولعله قد تبين لنا الآن الحكمة من إقرار سلطة المراجعة ونُبل مقاصدها وسموّ أهدافها، كما تبين لنا الصلاحياتُ الواسعةُ والحريةُ التامةُ التي كان يتمتع بها القضاة، فلم يقطع أمامهم سبيل لإقرار العدل بين الناس ورفع لواء الحق. إنها شريعة العدالة، وعدالة الشريعة.

الهوامش:

(1) انظر في تعريف القضاء: الدكتور جبر محمود الفضيلات، القضاء في صدر الإسلام، الجزائر، شركة الشهاب، 1987م، ص12ومابعدها.
(2) انظر: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، السلطة القضائية، بيروت، دار النفائس، 1978م ص53.
(3) انظر: الدكتور صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، بيروت، دار العلم للملايين، 1962م، ص319.
(4) انظر: الشيخ «أبو الحسن» عبدالله النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1948م ص2.
(5) انظر: محمد شهير أرسلان، القضاء والقضاة، بيروت، دار الإرشاد 1969م، ص163.
(6) رواه الترمذي.
(7) انظر: وكيع محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، صححه وعلق عليه وخَرَّج أحاديثه عبدالعزيز مصطفى المراغي، القاهرة، مطبعة الاستقامة، 1948م، ص 71 و 72.
(8) رواه مسلم.
(9) انظر: وكيع، المرجع السابق، ص71 و 72.
(10) انظر: يس عمر يوسف، استقلال السلطة القضائية في النظامين الوضعي والإسلامي، رسالة دكتوراه، حقوق عين شمس، 1984م، ص 361.
(11)انظر: ظافر القاسمي، المرجع السابق، ص543.

أرسطو.. وميتافيزيقا الحركة!!



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

يذهب أرسطو إلى أن الحركة دليل على وجود المحرك. ويريدون بالمحرك ربنا سبحانه.. وأرسطو وأتباعه ليسوا أهل وحي فيسمون الله ويصفونه بما رضيه لنفسه اسمًا وصفة.

وإنما المهم أن هذا الاستدلال بطريقتهم ينتهي إلى إنكار ربٍّ فعَّال لما يريد قدير سبحانه وتعالى، فهم يصفون مازعموا إثباته بأنه محرك غير متحرك، ويقيدون تحريكه بما مآله أنه لاتحريك له، لأن الحركة الفلكية عندهم هي تحريك الرب سبحانه.

ثم يقولون: إن الذي تحرك إنما هو الفلك تحرك بإرادته.. تحرك ـ تعالى الله عما يقولون ـ متشبهًا بالرب، لأنه عشق الرب فتشبه به.. لا أن الرب محدث الحركة(1).

وهذا الكلام لا يُسلَّم في ذاته لتناقضه، إذ كيف يصفون الرب بأنه محرك غير متحرك، ثم يجعلون تحرك الفلك تشبهًا بالرب؟.. أيتشبه الفلك المتحرك في التحرك برب غير متحرك؟.. ما معنى هذا؟.. هل في التناقض أبعد من هذا؟.

قال أبو عبدالرحمن: وهذا إضافة إلى ما انتقده شيخ الإسلام ابن تيميَّة بقوله: «معلوم أن المحبوب المتحرك إليه غيره بالمحبة له والشوق (ولاسيما إذا كان محبًا للتشبه به لا لذاته كما يتشبه المأموم بإمامه) لايكون هو المبدع المحدث للحركة بمجرد ذلك، وإنما يكون علة غائية لا علة فاعلية.. فلم يثبتوا الواجب الوجود بنفسه فاعلاً لشيء من الحوادث كما قد بسط في موضعه.

وأرسطو وأتباعه معترفون بأن الأول عندهم لايفعل شيئًا ، ولا يعلم شيئًا، ولا يريد شيئًا»(2).

ثم ذكر شيخ الإسلام قصور الإيمان بالحركة ـ لو صح إقرارهم بها دون معكر ـ عن الإيمان بحق الرب سبحانه، ولهذا قال: «بتقدير أن يثبتوه محدثًا مبدعًا للحركة التي لاقوام للفلك والعالم إلا بها (كما قد يدعي ذلك ابن رشد وأمثاله): فإنما يكون فاعلاً لما هو شرط في وجود العالم.. لايكون فاعلاً لنفس جواهر العالم وسائر أعراضه، بل هو فاعل لعرض واحد من أعراضه، وهي الحركة التي زعموا أنه لا قوام له دونها ـ أي للعالم ـ.

وهذا من أبعد الأشياء عن كونه مبدعًا للعالم.. ولاسيما إذا جعلوا فعله للحركة من جهة كونه محبوبًا، فهو بمنزلة كون كل محبوب يبدع المحب الذي لايقوم دون تلك المحبة.. بل بمنزلة كون الإمام المقتدى به مبدعًا للمؤتم به، من جهة كونه يحتاج إلى الائتمام به.

ومعلوم أن هذا لايقوله عاقل، بل هذا يتضمن أن واجب الوجود كالفلك عند أرسطو وأتباعه يفتقر إلى شيء بائن عنه، وذلك يدل على فساد قولهم، فما قاله أرسطو وأتباعه من الحق يدل على فساد قول المتأخرين، وما قاله المتأخرون من الحق في الواجب يدل على فساد قول أرسطو وأتباعه»(3).

قال أبو عبد الرحمن: فساد قول أرسطو ها هنا ـ على التسليم بأنه أثبت للرب فعل الحركة ـ أنه لم يثبت خالقًا ومخلوقًا، ولا ربًا ومربوبًا.. وإنما عد عالمين غير كاملين ولا مستقلين.

والمعادلة بين أرسطو وابن رشد أرجو أن يأتي لها مناسبة.

ومما يلاحظ أن تعيين الحركة تحديد لفعل الله وخلقه بما لا دليل عليه، وهذا ما بينه شيخ الإسلام بقوله: «كون العالم لايمكن وجوده بدون الحركة أمر لا دليل عليه.. بل هو باطل.. وأقصى ما يمكن أن يقال: يمكن وجوده لكن يكون ناقصًا. ومعلوم أن هذا حال سائر المخلوقات التي لها صفات كمال إذا عدم بعض صفاتها: إنما يلزم نقصها لايلزم عدمها»(4).

قال أبو عبدالرحمن: وشتان ما بين فاعل يقوم به الوجود، وفاعل يصدر عنه فعل يحرك العالم فحسب، فتنتفي معاني القدرةوالتدبير والإيجاد من عدم، وتجدد المفعولات، ولهذا قسم ابن رشد الفاعلين قسمين غير حاصرين، فقال: «بلى مذهب الفلاسفة مفهوم من الشاهد وذلك أن الفاعل قد يُلْفَى ضدين: ضد يصدر منه مفعول يتعلق به فعله في حال كونه، وهذا إذا تم كونه استغنى عن الفاعل، كوجود البيت عن البنَّاء.

والصنف الثاني: إنما يصدر عنه فعل فقط يتعلق بمفعول لا وجود لذلك المفعول إلا بتعلق الفعل به.

وهذا الفاعل يخصه أن فعله مساوق لوجود ذلك المفعول.. أعني أنه إذا عدم ذلك الفعل عدم المفعول، وإذا وجد ذلك الفعل وجد المفعول.. أي هما معًا.

وهذا الفاعل أشرف وأدخل في باب الفاعلية من الأول، لأنه يوجد مفعوله ويحفظه.

والفاعل الآخر يوجد مفعوله، ويحتاج إلى فاعل آخر يحفظه بعد الإيجاد. وهذه حال المحرك مع الحركة، والأشياء التي وجودها إنما هو في الحركة»(5).

ولقد تعقبه شيخ الإسلام بقوله: «ادعى أن هذا الفاعل أشرف من الفاعل الذي فعل البناء ونحوه.

فيقال: إن ادعيت أن ما يفعل حركة في غيره أشرف مما يفعل التأليف القائم به: فهذا غير مسلم. ولاسيما إذا كان فعل ذلك بجهة كونه محبوبًا أو مؤتمًا به، وهذا مبدع لنفس التأليف القائم بغيره.

ومعلوم أن حاجة المؤلف إلى التأليف القائم به أعظم من حاجة المتحرك إلى الحركة القائمة به، وأن تغير ذات المؤلف إذا انتقض تأليفه، أبين من انتقاض ذلك المتحرك إذا زالت حركته.

فإذا جعلتم فاعل الحركة فاعلاً، ففاعل التأليف أولى أن يكون فاعلاً، وهذا أمر مشهود، ليس من جمع الأجزاء المتفرقة وجعلها شيئًا واحدًا، كمن حرك الشيء الساكن.. ولاسيما إذا كان تحريكه كتحريك الخبز للجائع، والماء للعطشان، والمرأة للرجل، والرجل للمرأة.. فكيف إذا كان كتحريك الإمام للمؤتم به؟!»(8).

قال أبو عبدالرحمن: ليست المسألة مسألة مفاضلة بين فاعل وفاعل لنساوم ربنا في ملكوته وخلقه وتدبيره.. بل نقول لاتنفصل أولاً ثنائية الخالق والمخلوق إلا بخالق يقوم بنفسه جل جلاله، ولا يقوم بغيره، وكل شيء يقوم به، فالوجود والخلق والعالم له إيجاد من عدم، واختراع خلق، وفعل، ومفعول يتجدد.

والله سبحانه له خلق الخلق إيجادًا، وله سبحانه حفظه وصيانته، فلا يتبدل إلا من قدره إلى قدره.. ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليمًا غفورًا﴾ فاطر: 41.

وابن رشد ذو علم وذكاء، وإمامة في الفقه، ولكن انبهاره بالعقلية اليونانية، وصدمته بعوام أبناء جنسه جعله يبعد خطوات عن الإرث الشرعي، ويندفع خطوات إلى ثمار عبقرية أمثال أرسطو، ويغفل عن محاكمة فلسفته.. ومن تهيب عبقرية علم، ونظر إليها بعين الكمال أحجم عن المحاكمة وإن كانت لديه القدرة.

ولهذا فمن البدهي أن يغيب عن العقل الكبير لابن رشد الحفيد أن محرك موجود ليس من إبداعه ليس أعظم ولا أجل من موجد ذلك الموجود، ومخترع صنعه، ومؤلفه، ومدبره بحركة وسكون وفق تدبيره وقدره.

وغير غائب عن العلم الشرعي لدى ابن رشد الحفيد أن فعل الله شامل للحركة والسكون والخلق والتأليف.. إلخ.

وفقر العالم إلى ربه في كل أفعاله ليس فقر تدبير بحركة، بل فقر إيجاد، وتأليف، وتقدير، وغاية، وحكمة، ورحمة.

ومراد شيخ الإسلام في آخر كلامه أن فعل الخالق الأكمل ليس تأليفًا من موجود من غير فعله، بل هو إيجاده وتأليفه.

كما عرَّض بدعوى تحرك الفلك للغائية لا الفاعلية بأن الجائع تحرك من أجل الخبز، فكأن الخبز هو الذي حركه!!.

ويستمر العناء لهذه الميتافيزيقية الأرسطية التي تبناها ابن رشد بفرض جدليات محتملة، كهذا الافتراض الذي طرحه شيخ الإسلام.. قال: «وإن قال: إن ذلك الفاعل للحركة يفعلها دائمًا، وفاعل التأليف لا يفعله إلا حال إحداثه.. وهذا هو الوجه الذي قصده.

فيقال: ليس في الشاهد أمر يفعل الحركة التي لا قوام للمتحرك إلا بها دائمًا.. فقولك: «إن مذهب الفلاسفة مفهوم في الشاهد، وذلك أن الفاعل قد يصدر منه مفعول يتعلق به فعله في حال كونه، وقد يصدر عنه فعل يتعلق بمفعول، لا وجود لذلك المفعول إلا بتعلق الفعل به.. وهذا الفاعل يخصه أن فعله مساوق لوجود ذلك المفعول، وهذه حال المحرك مع الحركة، والأشياء التي وجودها إنما هو في الحركة».

فيقال لك: ليس فيما نشاهده شيء من هذا الصنف الثاني، وإنما الفاعل المشاهد هو من النمط الأول.

شتان ما بين فاعل يقوم به الوجود، وفاعل يصدر عنه فعل يحرك العالم فحسب

وإن قلت: إن النفس تحرك البدن بهذا الاعتبار.

فيقال لك: كون النفس وحدها هي المحرك للبدن، دون أن يكون هناك سبب للحركة: أمر لو كان حقًا لم يكن من المشاهدات.

وأيضًا فالنفس لا يقول عاقل: إنها هي الفاعلة للبدن.

وأيضًا فكل من النفس والبدن شرط في حركة الآخر»(7).

قال أبو عبدالرحمن: خير من هذا الرد أن نرفض هذه المساومة، وأن نمنع حصر ربوبية الله في حركة مجردة عن الإيجاد والخلق.

وخير من ذلك المطالبة بمفهوم الحركة ماذا تعني، فنشد بالمعقول من دعوى الحركة أزر إيماننا بأن العالم خلق الله، وأن الله يخلق ويدبر مباشرة، وبكُنْ فيكون، بوساطة إقداره شيئًا من خلقه، فالله خالق الخلق وما صنعوا.

وخير الرد كله ما نزل على الواقع، وعلى معتقد المخالف كقول شيخ الإسلام: «نحن نسلم أن الفاعل الذي يفتقر إليه المفعول دائمًا أكمل ممن لايفتقر إليه إلا حال حدوثه.

لكن إذا قيل: إن المخلوقات مفتقرة إلى الخالق دائمًا: كان هذا قولاً صحيحًا، وليس هذا نظير ما ذكرته من الصنفين.

بل لو قيل: إنه يفعل تأليف العالم دائمًا، وإن تأليفه لايقوم إلا به: كان هذا خيرًا من قول سلفك: إنه يفعل حركة العالم دائمًا، لو كانوا قائلين بذلك.

فكيف وحقيقة قولهم: إنه لايفعل شيئًا؟.

فأنت لو جعلته من الصنف الأول من الفاعلين الذين يفعلون تأليف المؤلفات: كان خيرًا من أن تجعله فاعلاً للحركات.

لكن الفاعل الدائم للفعل الذي يحتاج إليه المفعول دائمًا: أكمل ممن لايفتقر إليه المفعول إلا في حال حدوثه.. فإذا جعلته فاعلاً للتأليف (وهو محتاج إليه دائمًا): كان خيرًا من أن تجعله فاعلاً للحركة.. فكيف ولم تجعلوه فاعلاً إلا من جهة كونه متشبهًا به فقط؟»(8).

وها هنا نص مطول لشيخ الإسلام أعرضه كاملاً وهو يحتاج إلى وقفات.. قال رحمه الله تعالى: «العالم ليس فيه مخلوق يشهد أنه فاعل لشيء منفصل عنه من كل وجه.. لا عين ولا صفة، فإن فاعل التأليف في غيره (كالبنَّاء والخيّاط والكاتب ونحوهم) غاية فعله تأليف تلك الأجسام.. مع أن كثيرًا من متكلمة الإثبات كالأشعري ومن وافقه يقولون: ليس فعله إلا ما قام به في محل قدرته، وما خرج عنه ليس فعله.

والقائلون بالتولد يقولون: بل ذلك التأليف فعله.

والقول الوسط: أن التأليف حادث بسبب فعله القائم به، وبسبب ما في الأجزاء المؤلفة من قبول التأليف وحفظه، ولهذا لم تكن الأجزاء محتاجة إلى الإنسان المحدث لتأليفها بعد التأليف، لأنها تمسك التأليف بما فيها من اليبس والقوة التي جعلها الله فيها، وتلك لا حاجة إليه فيها، فالذي احتيج إليه إنما هو مجرد فعله القائم به فقط.

وأما مبدع العالم فهو المبدع لأعيانه وأعراضه وحركاته، فليس له نظير، إذ هو سبحانه ليس كمثله شيء: لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وأما ما ذكره هو من إثبات مخلوق محدث لحركة تقوم بغيره لا يقوم إلا بها (والمخلوق يحدثها دائمًا): فليس هذا بمشاهد في الفاعلين.

والمثل الذي ضربه لقوله وقولهم (وإن لم يكن مطابقًا، وليس في المشاهدات ما يكون فعْلُهُ كفعْل الرب تعالى): فقولهم أقرب من قوله، لأنه موجود في العالم، وهو أقرب إلى الفاعل المطلق.

فقوله: إن الفاعل الذي يوجد مفعوله ويحفظه أشرف وأدخل في باب الفاعلية من الفاعل الذي يوجد مفعوله، ويحتاج إلى فاعل آخر يحفظه بعد الإيجاد: كلام صحيح، لكن ليس هو مطابقًا لقول إخوانه الفلاسفة، فإنهم لم يثبتوا أنه فاعل لجواهر العالم ولأعراضه، بل غاية ما جعلوه فاعلاً للحركة.. ثم لم يجعلوه فاعلاً لها إلا من جهة كونه علة غائية، لكون الفلك يقصد التشبه به، وهذا القدر لايوجب أن يكون هو الفاعل.. وأما أولئك فأثبتوا أنه فاعل لجواهر العالم.

ثم من قال من المتكلمين (المعتزلة ونحوهم): إن المحدثات لا تحتاج إلى الفاعل المحدث إلا في حالة الحدوث لا في حال البقاء: فقوله: ـ مع فساده ـ أرجح من قول الفلاسفة لكونهم أثبتوا فاعلاً حقيقة.

فأما قول أهل السنة وجماهير أهل الملة (الذين يقولون: إن المخلوقات محتاجة إلى الخالق في حال الحدوث وحال البقاء): فهذا أكمل من قولهم من كل وجه.

وإذا ضم إلى ذلك أنه إلههم الذي يعبدونه ويحبونه، وأنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا: تبين بذلك أن العالم محتاج إليه من جهة كونه ربًا فاعلاً، ومن جهة كونه إلهًا محبوبًا معبودًا.

وفي هذا من التفاضل بينه وبين قول سلفه الفلاسفة ما لايخفى على أضعف الناس نظرًا»(9).

قال أبو عبدالرحمن: قال شيخ الإسلام في أول كلامه «فاعل لشيء منفصل عنه من كل وجه»، فضمير عنه راجع للفعل.

وقوله: «وأما أولئك فأثبتوا أنه فاعل لجواهر العالم»، فالمراد بهم متكلمو أهل الإسلام من المعتزلة وغيرهم، وليس المراد بهم إخوان ابن رشد من الفلاسفة.

وقوله: «ثم من قال من المتكلمين المعتزلة».. إلى قوله: «فاعلاً حقيقة» ترجيح لكلام ابن رشد الفاسد على كلام المتكلمين؛ لأن ابن رشد تكلم عن الفاعل حقيقة فجعله من يفتقر إليه المخلوق بإطلاق، وهذا هو الصحيح.. ووجه فساد قوله أنه لم يذعن لربه بغير فعل الحركة في خلق موجود من غير إيجاده!!.

ووجه مرجوحية قول المتكلمين أنهم آمنوا بأن لربهم الخلق والإيجاد، ثم جعلوا المخلوق مستقلاً في حال أمد البقاء.

الهوامش

(1) انظر درء تعارض العقل والنقل 139/8.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق ص 139-140.
(4) المصدر السابق ص140.
(5) تهافت التهافت2/ 427-429.
(6) درء تعارض العقل والنقل 141/8.
(7) المصدر السابق ص141-142.
(8) المصدر السابق ص 142-143.
(9) المصدر السابق ص 143-147.



المستشرق الفرنسي المسلم
أمين عبدالكريم باربو

تعلمت العربية فأصبحت أرى بعيون الكون كله

أجراه: د. حسن عزوزي

يتسم البحث الاستشراقي في مجالي التراث والفكر الإسلاميين بتعدد الاتجاهات وتنوع المناهج وتباين المدارس، وذلك بحسب قناعات المستشرق المذهبية (الأيديولوجية)، وميوله الفكرية، مما يكسب الأعمال الاستشراقية تفاوتًا من حيث الموضوعية والجدية والإنصاف. إلا إنه في خضم كل الاتجاهات البحثية تأتي إسهامات المستشرق المسلم - الذي يندر وجوده - ذات طابع متميز، فهي من جانب تنطلق من فكر مؤمن محترم للمصدر الغيبي لمعطيات الإسلام وثوابته، ومتجاوز لكل الإسقاطات التي من شأنها أن تصدم الحس الديني وترتطم بالبدهيات الثابتة، كما أنها من جانب آخر ترتكز على رصيد مهم من أدوات البحث وطرائقه الحديثة مما يجعل تلك الإسهامات ذوات أثر بالغ في تسديد مسالك البحث الاستشراقي وتقويم مناهجه وأساليبه في النقد والتحليل.

من هنا تأتي أهمية الحوار مع المستشرق الفرنسي أمين عبد الكريم (ميشال باربو) مدير معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة ستراسبورغ الفرنسية، وهو رجل متخصص في اللسانيات العربية وفقه اللغة، اهتم بكشف أسرار اللغة العربية وترابطات ألفاظها الدلالية مدة تقارب الأربعين سنة، وهو الاهتمام الذي مكنه من إجادتها، بل التميز فيها من كثير من زملائه المستشرقين.

- لاحظت من خلال بحثكم المنشور بمجلة كلية الشريعة بفاس أن إتقانكم للغة العربية جيد للغاية، عكس ما نلمسه لدى كثير من المستشرقين. فهل لكم أن توضحوا لنا الأسباب التي دفعتكم إلى تعلم اللغة العربية، ومن ثم إلى إتقانها والكتابة بها؟

* لقد قال طه حسين عندما تعلم اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية: كنت أرى بعين واحدة فأصبحت أرى بعينين. أما أنا فأقول: لقد تعلمت إلى جانب اللغة الفرنسية عدة لغات منذ الصغر، لكن عندما تعاطيت اللغة العربية، اكتشفت أنني

حوار مع

المستشرق الفرنسي المسلم أمين عبدالكريم باربو

كنت أرى بعين واحدة فصرت أرى بعيون الكون كله، والفضل لبديعها سبحانه وتعالى. توغلت في أعماقها بحب وشغف، وصادفت المحاسن والدرر. إنها لغة غنية جداً غذت فكري ووجداني ودفعتني إلى الخوض فيها بكل جهد وحماسة. فجمعت طوال حياتي حقائق علمية ثرية ومهمة أكدت لي أن العربية الفصحى لغة ليست لماض متألق فقط، وإنما أيضًا لمستقبل العالم بأسره شرقًا وغربًا. إنها لغة فكر وروح وحضارة أفضل للبشرية جمعاء.

ـ هل يمكن أن نتعرف معهد الدراسات العربية والإسلامية التابع لجامعة ستراسبورغ الذي تترأسونه: تاريخ نشأته، وأقسامه المختلفة، ومناهج التدريس فيه؟

* إن معهد الدراسات العربية والإسلامية بستراسبورغ مؤسسة جامعية قديمة، اشتهرت منذ نهاية القرن الماضي إلى حدود الحرب العالمية الأولى بعناصر معادية للإسلام، منهم المستشرق الألماني «نولدكه»، ومنذ ذلك العهد، بدأ هذا التيار العدواني يمّحي شيئًا فشيئًا، ونرجو لها اليوم الخلاص الكامل والنهائي من النفوس الحاقدة. أسهر على خلق مناهج علمية حديثة في اللغة والأدب والحضارة العربية الإسلامية في المعهد كاللسانيات المعاصرة والسيميائيات ومذهب النقد الجديد. الخ، دون الإعراض عن المذاهب القديمة النيرة، لكل من الشباب الغربي والعربي (من بينهم أبناء الجالية العربية بالغرب)، وذلك ابتداء من مستوى التلقين حتى الدكتوراه. وأشير إلى أن مجال البحث بمؤسستنا نشيط جداً بدليل وجود العشرات من الباحثين المترشحين. وأرجو تقوية البحث والدراسة في الشؤون الإسلامية خلال السنوات المقبلة بالمعهد ـ إن شاء الله ـ. ولا يخفى عليكم أن هناك مشروعًا لايزال معلقًا إلى الآن لفتح مركز للأبحاث الإسلامية بالعاصمة الأوربية على الرغم من اعتراض أعداء العروبة والإسلام في المنطقة..

ـ ألكم أن تحدثونا عن رحلتكم مع الإسلام على المستوى الوجداني من جهة، وعلى المستوى الحضاري العلمي من جهة أخرى؟

* الطريق إلى معرفة الحقيقة ليس سهلاً أبداً. فاقتناعي بأن الدين الحق هو الذي يضم البشر في قالب الأخوة والرحمة لأجل حياة فاضلة، تَطَلَّبَ السنوات الطوال من الدراسة والتأمل والموازنة بين دين وآخر. وقد ساعدني في ذلك تخصصي في الميدان. فبعد رحلة متعبة وممتعة في الوقت نفسه صارعت خلالها الأفكار المشوشة والوضعية، وبحثت بلا هوادة في جوف الحضارات الماضية، عثرت في النهاية على ذلك الانسجام الذي يُبقي الحضارة واقفة على قدميها، الانسجام بين الروح والمادة، فكان هو الإسلام. من هنا كان اقتناعي وإيماني جذريًا وقويًا ـ ولله الحمد والشكر ـ إنه لايمكن لغير المسلم معرفة كمال الإسلام إذا لم يتأمله بموضوعية بموازنته مع الديانات الأخرى. ولعل الذي دفعني إلى البحث عن هذه الحقيقة هو ذلك الإحساس المُرّ بروح جوفاء جرداء عطشى لشيء أجهله، ذلك الشعور العسير بالاغتراب عن محيطي وأهلي وحضارتي التي وصلت إلى قمة الإبداع المادي وأسفل الانحطاط الروحي. هذا الخلل الخطير ناتج ولابد من غياب ميزان الحق. وفي غمار مجتمع وحضارة كهذه يحلو للإنسان الانفصال والانسلاخ عن مجراها والتعلق بكل ما يمكنه أن يكون أملاً يوصل للَمْسِ الحقيقة.

ـ ما اتجاهات البحث الاستشراقي بفرنسا، وما أبرز المدارس التي تنضوي تحتها فئات المستشرقين المعاصرين؟

* لاتوجد الآن بفرنسا مدارس معينة في الاستشراق يترأسها رواد العلم والفكر، وإنما هناك فئات متجاورة، وكل فئة تجمع بين أفرادها التوحد في طبيعة فكر ومصالح تختلف عن الأخرى. وطبيعة هذه النزعات شاسعة ومتشابكة يصعب إيرادها بإيجاز؛ فلا يمكن فهمها جيداً إلا بعد العودة إلى المؤلفات والأطروحات التي خصصت للمذاهب الاستشراقية بأوربا بصفة عامة في العهد المعاصر. وأود أن أشير هنا إلى أنني لا أعد نفسي مستشرقًا، وإنما أنا إنسان عشقت اللغة العربية منذ شبابي، وانضممت تحت لوائها وانصهرت في أمتها بكل ما أملك من روح ووجدان وفكر، وإنني أتعاطى لأبحاثي وتعليمي متجاهلاً كل النزعات المتباينة والمذاهب المتخاصمة التي من شأنها أن تمتلكني وتتحكم في مسير أعمالي. لا أطلب من العليم ـ سبحانه ـ إلا الاهتداء والإعفاء من الضلال، ولا أرجو لقرائي إلا الاستفادة من اجتهادي الصريح.

ـ ما تخصصكم في الإسلاميات، وما اهتماماتكم في ميدان الاستشراق بصفة عامة؟

* إن مجال تخصصي في الإسلاميات هو الفكر الإسلامي والتراث العربي الأصيل.

ولقد ساعدني تخصصي الحقيقي الذي هو اللسانيات العربية والعامة وفقه اللغة، على دراسة ألفاظ القرآن الكريم وأسلوبه المعجز. وعلى سبيل المثال لا الحصر تعرضي لدراسة أصالة لفظ «الصراط» في المقالة المنشورة ـ مؤخراً ـ في مجلة كلية الشريعة بفاس (العدد 20، 1995م). إنني أهتم بهذه الميادين العلمية لما لها من فوائد تخدم ديننا الحنيف أكثر من اهتمامي بما يصدر عن بعض المستشرقين الذين يُكِنُّون لديننا شعوراً غير طيب كما نعرف، ومن ثم يسهمون في إسقاط المثل عن وجه حقيقة الإسلام عند الغربيين، وإن كان أحيانا عن جهل وغرور. انظروا مثلاً في الترجمات الأخيرة للكتاب الكريم إلى اللغة الفرنسية، فتصوروا عواقب أغلاطها وحتى هفواتها عند عامة القراء غير المسلمين. لايصح أن ألح على مثل ذلك، فحري بأولياء الأمر أن يصححوا أغلاط المغرورين المغرضين.

ـ كيف تنظرون إلى مستقبل الدراسات الاستشراقية، وما رأيكم في مقولة «نهاية الاستشراق» أو «أزمة الاستشراق» التي أعلن عنها كثير من الباحثين العرب من جهة، وبعض المستشرقين من جهة أخرى؟

* ليس هناك «نهاية الاستشراق»، وإنما تحول.

أمين عبدالكريم.. في سطور:

ابتدأ مساره العلمي أستاذاً بمعهد الدراسات الإسلامية العليا التابع لجامعة الجزائر العاصمة عام 1959م؛ حيث كان يدرس الفلسفة الإسلامية، ثم أستاذًا للسانيات العربية والعامة بكلية الآداب وذلك إلى حدود عام 1964م، حيث عين بعد ذلك أستاذ كرسي اللهجات بمدرسة اللغات الشرقية بباريس وكذا بمدرسة المترجمين، وذلك إلى حدود عام 1979م، إذ انتقل بعد ذلك إلى جامعة السوربون (باريس 4) مدرسًا للغة والآداب العربية مدة عشر سنوات، وفي عام 1989م عين أستاذاً ومديرًا لمعهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة ستراسبورغ.

أشرف على مايزيد على تسعين أطروحة، حضر كثيرًا منها أساتذة جامعيون مغاربة. نظم في السنوات الأخيرة مؤتمرين مهمين هما: المؤتمر الدولي حول التراث الثقافي العربي الإسلامي في أوروبا تحت إشراف الأمانة العامة لمجلس أوروبا 1992م، وفي كانون الثاني/ديسمبر 1994م أشرف على تنظيم مؤتمر: المجتمعات العربية المعاصرة: تاريخ وسيميائيات).

العناوين الفرعية:

قادني إلى الإسلام شعوري بالاغتراب عن محيطي وحضارتي التي وصلت إلى قمة الإبداع المادي ودرك الخواء الروحي.

الاستشراق تغير إلى الأحسن، ومن سماته طغيان الموضوعية على التحيز.

فبعد زوال عهد الاستعمارات البغيضة، اتخذ الاستشراق منحى آخر، وقد سبق لي أن تحدثت عن نزعاته المعاصرة في المقال الصادر في مجلة «كونفلوانت» الفرنسية المغربية (العدد 33/32 - يونيو/يوليو (حزيران/ تموز) 1963م المعنون بـ «الاستشراق وميثاق التصالح». إن ما ألاحظه اليوم هو أن الشباب الغربي، عندما يعتنقون الإسلام سرعان ما يتعلمون اللغة العربية، بل يتخصص بعضهم - بالإضافة إلى ذلك - في الدراسات الإسلامية؛ وكل ثمرة تنتج من هذه الفئة الصالحة تكون في خدمة الدين الإسلامي. وإن الذي يساعد على مثل هذا التخصص هو أن برامج التعليم ومقرراته بفرنسا تفتح مجالاً أوسع لتدريس المسائل الإسلامية ودورها الخالد في تاريخ البشر. ومن جراء ذلك لايزال عدد المتعلمين يزداد مع الزمن، كما يزداد اهتمام الجمهور الفرنسي بتلك القضايا. وإن هذا لدليل على أن الاستشراق يشهد تغيُّراً إلى الأحسن - والحمد لله - ومن سماته طغيان الموضوعية على التحيز، التحيز الذي لانزال نلمسه عند المستشرقين ذوي النزعات المعادية للعروبة وللمصالح العربية، وعلى رأسهم الباحث الأمريكي ب .ليويس، والذين يسهمون في تعليق المسألة الفلسطينية.

- يجتاز الوطن العربي أزمة حادة على الصعيدين الثقافي والفكري، فما الملامح العامة لهذه الأزمة؟ كما تشهد الثقافة العربية الحديثة نوعًا من الجدال الصاخب بين تياري الحداثة والعودة إلى التراث، فما رأيكم في ذلك؟

* لو تأملنا تاريخ الفكر والثقافة العربيين لوجدنا له عهودًا نابضة بالحياة، وذلك بفضل أعلام الفكر العرب الذين كانوا يمتلكون ملكة إبداع ينطلقون بها من قمة الحضارات العابرة بكل ذكاء، حتى إننا لا نلحظ ملامح «الغير» في إبداعهم أو نكاد. وما كانوا ليصلوا إليه لو أنهم انطلقوا من الفراغ. وما كانوا ليحققوا شيئًا لو أنهم أخذوا عن الآخرين بلا غربلة وبلا عقل ناقد. والمشكل في الفكر العربي اليوم هو أن أهله تخلوا عن مناهج أسلافهم في الإبداع، فنجدهم، إمّا يدعون للعودة إلى القديم دون أن يدركوا أن الماضي تبلور بفضل الانفتاح على «الغير»، فيعرضون عن فكر الحضارة المعاصرة - وأخطر شيء على الأمة هو انغلاقها على نفسها -؛ وإما يأخذون عن الحضارة المعاصرة الصالح والطالح دون فحص أو تمحيص.

إن رجل الفكر في الوطن العربي اليوم يمكنه أن ينعش فكره ويلهم حاضره بمقومات الماضي متفتحًا على حضارة الغرب تفتحًا مقننًا ومضبوطًا.. عندها تضمحل الأزمة، وإن كان الغرب أيضًا لايخلو منها عندما يتناسى تعليمات ماضي الإنسانية وأخلاقها.

قصيدة

حدائق خولة

شعر: د. حسن الأمراني

ألبسيني من خلعة النور حُلَّهْ ... أنا في دوحة الجمال مولّهْ

وأفيضي عليَّ من مائك السحـ ... ـري كأساً تسبي (سبو) أو (دجلة)

قطرة تبعث الجنون وتحيي ... أنفساً زُلزلت وتطفئ غلّهْ

أخطأ العاشقون نور مغانيـ ... ـك فتاهوا بكل أرض مزلّهْ

أتبعوا الأنفسَ السرابَ ضلالاً ... إن من يعبد السراب أضلّهْ

لو رأى فارس الفوارس أنوا ... رك لم تسبه مفاتن عبله

ولوَ انَّ المجنون آنس ناراً ... لم يشُقْه جيدٌ لليلى ومقلَهْ

أنت فيض من المواهب تزجى ... لفتى أقعدت مناه التَّعلَّهْ

أنتِ علمتني السمو عن الطيـ ... ـن وأسكنت روحي بين الأهلّه

أنتِ بصّرتني وقد كنت أعمى ... أن حُبَّ الإله أعظم نحله

أنت حرّرتني فطار فؤادي ... يبتغي في الوجود خير محلّه

من لروحي إن غاب صوتك عني ... من لقلبي الشريد بعدك؟ من له؟

أنت ورد للروح في هذه البيـ ... ـد وظلٌّ للقلب ضيّع ظلّه

أنت أيقظت شعلة الشعر في صد ... ري وألهبت في الجوانح صوله

أنت أججت في دمي ألف لون ... يتلظى وألف ظل مدلّه

أنت ملكت أضلعي صولجاناً ... ما رأت صولة السلاطين مثله

شوق أسماء في دمائك يسري ... وإليه تسعى حدائق خوله

قد صهرت النفس الجموح بنار الـ ... ـحب فانجابت الغواشي المذلّه

أنقذيني يا جنتي من سعير ... لم أطق في لظى الحوادث حمله

أنقذيني يا جنتي من سعير ... لم يزل في الوجود يلهب غلّه

وأنيري دنياي إن ظلامي ... آرِميٌ لولاك ياخير خَلّه

حول تجربة رشيد ميموني الروائية

عادل البطوسي

بداء الكبد، وفي صمت تام رحل الأديب الجزائري رشيد ميموني (1945-1995م)(1) ، وتناقلت وكالات الأنباء العالمية خبر وفاته، ولم تتابعه وسائل الإعلام العربية بالقدر الذي يستحقه!! ونحن هنا نُقدِّم إطلالة على عالمه الروائي الذي انتشر مكتوبًا باللغة الفرنسية، يحدونا أمل ترجمة أعماله؛ فهو من أبرز المبدعين الذين دافعوا عن القضايا العربية وأبرزوا هموم الوطن بأسلوب عميق في معالجة القضايا الإنسانية، ولاسيما هموم المواطن المغاربي في ديار الغربة(2).

كان من آثار الاستعمار الفرنسي لبلاد شمال أفريقيا أن أصبحت اللغة الفرنسية تُدرَّس في جميع مراحل التعليم، وفي أحيان كثيرة كانت تتغلّب على اللغة العربية، اللغة القومية في بلاد المغرب(3)، الأمر الذي أدَّى بالكُتّاب إلى الكتابة باللغة الفرنسية لجهلهم بالعربية، وأصبحت اللغة الفرنسية هي الأداة الوحيدة التي في حوزتهم لكي يعبِّروا عمَّا يكمن في أعماقهم تجاه المستعمر باللغة التي يفهمها.

انتشار الأدب المغاربي

وقد انتشر الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية في الجزائر أكثر مما انتشر في تونس والمغرب، ويرجع السبب في ذلك إلى أنّ الاستعمار الفرنسي قد ساد في الجزائر مدة أطول مَّما أدَّى إلى تأثير الثقافة الفرنسية في العقول وطرائق التفكير بصورة أقوى، وظهر هذا في بواكير القص الجزائري الذي عبَّر عن الآمال والتطلعات وصحوة الضمير القومي وكفاح الشعب الجزائري (4)، وصار صدًى للنضال المرير من خلال أدباء حاربوا بالبندقية وآخرين حاربوا بالرواية السياسية مثل كاتب ياسين(5).

وبعد الاستقلال كان لابد أن يلتفت الأدب إلى المجتمع ويؤدي دوره الاجتماعي، وفي هذه المرحلة وما تلاها من أحداث ومنعطفات تاريخية حتى يومنا هذا برزت أسماء عديدة: في تونس: مصطفى تليلي(6) وألبير ميمي(7) وغيرهما. وفي المغرب: دريس شرايبي(8) ومحمد خير الدين(9) والطاهر بن جلُّون الذي نال جائزة جونكور عام 1987م عن روايته ليلة القدر(10) وغيرهم.

أما في الجزائر فقد ظهر مراد بوربون(11)، ونبيل فارس(12)، ومحمد ديب(13) ورشيد بوجدره الذي تعد روايته (الهجر) 1969م نقطة تحوُّل في عالم الرواية الجزائرية(14) ورشيد ميموني الذي أصدر روايته الأولى (لن يكون الربيع أقل جمالاً) 1978م، ثمّ تتابعت أعماله المكتوبة بالفرنسية: النهر المتحوِّل 1982م - تومبيزا 1984م - شرف القبيلة 1989م - حزام الغولة 1990م - صعوبة العيش 1991م - اللعنة 1993م.

البقعة المكانيَّة

كانت أعمال رشيد ميموني الأولى بمثابة تغلغل في المجتمع الجزائري، والعزف على نغمة مفضّلة كثيرًا لدى الأدباء والمبدعين وهي كشف مساوئ الاستعمار الفرنسي، وأحداث (النهر المتحوِّل) تدور إبان هذا الاحتلال، فالبطل مناضل من الجيش الوطني الجزائري في معركة التحرير تصوَّر البعض أنَّه مات، وفوجئوا بعودته إلى القرية، ولم يكن أمامهم سوى نكرانه لأنّ البطل دائمًا يجب أن يكون ميتًا. ومع أن اسم الرجل نُقش على نُصب الشهداء فإنَّهم يكتشفون أنه لم يكن مناضلاً بل هو صانع أحذية متواضع!!

وفي (شرف القبيلة) صراع بين الفرنسيين المستعمرين من ناحية، والثوَّار الجزائريين من ناحية أخرى عبر المكان، وهو دائمًا قرية صغيرة لدى ميموني، فقرية الزيتونة لديه تشبه قرية ماكاندو لدى ماركيز، والجزيرة لدى كازنتراكس، والمنفى لدى ديستويفسكي.

فالبقعة المكانية هذه خلاَّقة ومولِّدة ومثيرة ولها بُعدها المعرفي والنفسي، وزمنها وعناصر تكوينها، ولغتها ومعلوماتها التي يعرفها الروائي معايشة أو قراءة أوتخيُّلاً.

وطاقة هذه الأمكنة تكمن في آفاق البناء الأسلوبي للنص، وتكمن علاقة المكان باللغة في تلك البنى التوليدية التي يولدها المكان لُغويًا، فلكل مكان مفرداته الخاصة التي تدل عليه ولا تُقال إلاّ بحضرته.

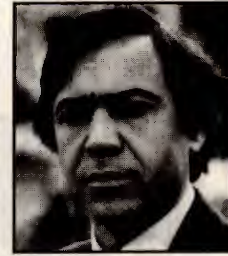
وإلى جانب المكان - وهو عند ميموني دائما قرية - هناك مجموعة من الأشخاص المرتبطين بهذا المكان ففي (شرف القبيلة) قرية وقبيلة، وفي (صعوبة العيش) قرية وقبيلة، وكذلك في غيرهما..

محاور روائية

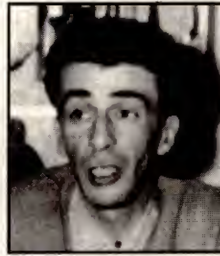
المكان في رواية (شرف القبيلة) قرية بعيدة عن الذاكرة تسمّى الزيتونة، والأحداث تبدأ بساعي البريد الذي يجيء برسالة مثيرة تدخل أبناء القرية



رشيد ميموني



محمد خير الدين



كاتب ياسين

في دائرة الضوء، ونطّلع على تقاليد القبيلة ونعرف كيف تمّ إنشاء القرية أيام الاحتلال عام 1830م وكيف حملت القرية اسم مؤسس القبيلة؟

وفي (صعوبة العيش) تبدأ حياة البطل اليتيم في قبيلة من الغجر تقضي عمرها في محاولة البقاء، وتعاني صعوبة العيش. ومنذ البداية، حيث لحظة ما قبل الموت، يستحضر البطل حياته الماضية والبنادق مصوّبة نحوه وهو يتقدم نحو مصيره باسما يروي لنا سيرة حياته بأسلوب صارم وخال من الانفعال مفعم بلا مبالاة تجاه ما يحدث له!!

وتتسلسل الأحداث على لسانه عبر المجتمع والحوادث التاريخية بسرد يسير بتؤدة ولكن بشكل ثابت دون مواربة، تمامًا مثل تلك البنادق الموجهة إليه، والتي تنطلق في نهاية الرواية نحو جسده وتخترقه!!

مثل هذه المحاور الروائية والفكر السردية تنهج نهجًا كافكاويًا (نسبة إلى كافكا)، وهذا لا نلمسه في (صعوبة العيش) لكون الطاغية فيها ليس شخصًا بل هو المجتمع! ولكن نجده في (النهر المتحوّل) حيث البطل الميّت!! وفي (تومبيزا) حيث الشخص المولود من أم اغتصبها رجل وأنكرتها عائلتها بعد فعلتها الشنعاء التي ليس لها يد فيها، ويحيا وهو يحس أنّه (سفاح) يحاول أن يجد لنفسه ظلاً في هذا العالم!! وفي (شرف القبيلة) حيث المكان المكبّل بالأصفاد وهذا نجده لدى كافكا في عدة أعمال مثل: مستعمرة العقاب - المحاكمة - القلق - راكب الدلو... إلخ.

علاقات معقدة

إذا كانت رواية (تومبيزا) قد أحدثت ضجّة تستحقها في الأوساط الأدبية الفرنسية والمغاربية والعربية بوصفها تجربة أدبية حيّة، فإن (شرف القبيلة) أحدثت ضجة أعمق فور صدورها ووصفت بأنها أجمل روايات الموسم الروائي.

يطرح ميموني في (تومبيزا) إشكالية علاقة الفرد بالجماعة، والعصر بالذاكرة، والهوية بتحديات التطوّر، وإذا كانت ترسم ملامح البؤس في ليل حالك السواد؛ فإنّها تراودنا بالتماعات حب جارف في فضاء سُرقت منه الأضواء!

وفي (شرف القبيلة) يظهر عنف الخطاب الروائي لديه في نقده المزدوج لما قبل الاستقلال ولما بعد الاستقلال على السواء من خلال شخوصه: حسن المبروك الراوي - عمر بن حسن الذي هجر القبيلة - ماريشال الضابط الفرنسي رمز الاستعمار والاغتصاب - أوريده رمز الطهر والكرامة وشرف القبيلة.

هذه شخوص ترتبط بعلاقات معقدة؛ فها هي ذي أوريدة يفض بكارتها/الرمز الضابط الفرنسي، وها هو ذا عمر بن حسن يرافق بنت الضابط، وها هو ذا علي بن علي يعود للقرية بلا روح، وها هي ذي الصرخات المفعمة بالمرارة تتصاعد ويرحل صداها في متاهات الذات ويحفر في وجدانات القبيلة جرحًا غائرًا يترك بصماته فوق خرائط وتأريخ البشرية!!

النزيف الأخير

مثلما أمعن ميموني في السخرية وكشف لنا أن البطل في (النهر المتحوّل) ليس بطلاً بل صانع أحذية!!.. كشف لنا في (شرف القبيلة) أيضًا أن قاضي القرية الجديد هو الابن غير الشرعي لعمر المبروك من أوريدة، وتتحول أوريدة، التي كانت رمزًا للفضيلة وشرف القبيلة، إلى منبت لبذرة اللعنة، التي تلاحق قرية الزيتونة.

وجاءت روايته الأخيرة (اللعنة) وكبده تتقرح ألمًا من المرض، ووطنه يتفطر حزنًا من الأحداث الأخيرة على أرضه، فيستوحي من الأحداث الجارية في الجزائر في الوقت الراهن كمنعطف تاريخي مرير روايته، حيث الاغتيالات وغيرها من خلال (قادر)، والهجرة من الجزائر ومرارة الغربة، ومعاناة (ناديه - نفيسة - لويزا) والمساءات العابرة والعلاقات المتباينة.

هذا هو النزيف الروائي المرير؛ أمّا النزيف المرير الأخر فهو توجع الكاتب الذي يكتب عن بلده العربي بلغة غير عربية، فهو وجع يميته في وطنه الذي يكتب من أجله ملتزمًا قضايا بلده في نضال حقيقي بالكلمة المكتوبة.

وهنا أعود وأؤكد ضرورة ترجمة أعمال مثل هذا الكاتب الذي رحل عن دنيانا في صمت تام من وسائل الإعلام العربية بعد صراع مرير مع داء الكبد الذي لايرحم. رحمه الله وغفر لنا جميعًا.

الهوامش:

1- ولد في 1945/11/20م في قرية (بوداوا) ودرس حتى حصل على بكالوريوس العلوم عام 1968م، ثم استكمل تعليمه في كندا، وعمل أستاذًا بالجامعة الجزائرية حتى ارتحل بعيدًا من وطنه قبل عامين إلى المغرب.

2- هذا ما جاء في تقرير لجنة تحكيم جائزة الحسن الثاني للإبداع 1991م التي منحت لرشيد ميموني، وقد حصل عام 1993م علي جائزة (ليفان) الكبرى عن روايته (اللعنة). ومما يذكر أن لجنة تحكيم جائزة الحسن تكونت من: بول جوث وأندريه برانكو ومانويل روبلر وهنري بونيه وسوبيران وابن جلون

3- لا مجال بتاتا - والكلام للرئيس الجزائري السابق هواري بومدين - للمقارنة أو المفاضلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى؛ فاللغة العربية هي لغة الشعب، والفرنسية لغة الاستعمار لا لغة الجماهير الشعبية.

4- من بواكير القصص التي ظهرت في مطلع الخمسينيات: الأرض والدم لمولود فرعون - البيت الكبير لمحمد ديب - الهضبة المنسية لمولود معميري 1953م.

5- تعد قصة (نجمة) من أكثر قصص هذه المرحلة تأثيرًا، فنجمة أصبحت رمزًا للجزائر الأرض - الأم - الوطن الذي يبحث عنه البطل.

6- مؤلف الثورة الجارفة 1975م - الضوضاء النائمة 1978م - مجد الرمال 1981م.

7- مؤلف العقرب 1969- الصحراء 1977م، وغيرهما.

8- من مؤلفاته (الحضارة؛ أمي) 1972م.

9- مؤلف أغادير 1967م - حياة شعب 1978م، وغيرهما.

10- نشر عام 1973م (هرودة) وعام 1976م (الانزواء) ثم (مها المجنون؛ مها العاقل) 1978م.

11- مؤلف رواية (المؤذن) 1968م.

12- من أعماله (سيئ الحظ) 1970م - (المنفي والحيرة) 1976م.

13- من رواياته (الشاطئ المهجور) 1964م - (سيد الصيد) 1973م - (هابيل) 1977م.

14- من أعماله (ضربة الشمس) 1972م - (الحلزون العنيد) 1977م، وغيرهما.

المراجع:

1- د. ضحى محمد شيحه: الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية، عالم الفكر، ع:1- م: 13- ص:217.

2- محمود قاسم: من لم يمت بالإرهاب مات بالكبد، أخبار الأدب - ع: 86- ص:24-25

3- ملف عن الجزائر: الطليعة - ع: 6- س: 12- ص: 66.

4- ياسين النصير - البنية المكانية للنص - الأقلام، ع 11/12 - 1989م ح- ص: 180.

5- حول (شرف القبيلة): اليوم السابع - ع: 1989/12/18م - ص: 40؛ وقد صدرت عن دار (روبير لافون).

6- حول (صعوبة العيش): الفرسان - ع: 716- ص: 108 وقد صدرت الرواية عن دار (ستوك).

7- عادل البطوسي: فرانز كافكا - المنهل - الحلقة الأولى - ع: 500 - ص: 100- الحلقة الثانية - ع: 501- ص: 100.

ظاهرة الازدواج في الإبداع الأدبي



عبدالله بن سليم
الرشيد

مدخل لدراسة مقترحة

تزخر المكتبة العربية بالدراسات الأدبية، التي تعرض للشاعر أو الناثر، مفصلة القول في مواطن الإجادة وخلافها عند الشاعر في شعره، أو الناثر في نثره.

ولكننا نكاد نعدم الدراسة الناقدة، التي تكشف علاقة الشعر بالنثر عند امرئ واحد، وتلقي الضوء على أسباب الجمع بين أكثر من فن من فنون الأدب.

وقد شهد التراث الأدبي عند العرب رجالاً أبدعوا شعرا ونثرا، كابن زيدون، وابن شُهيد الأندلسي، والمعري، ولسان الدين بن الخطيب، وأسامة بن منقذ.

كما شهد العصر الحديث مَنْ جمعوا بين الشعر وغيره من الفنون القديمة والمحدثة، فهذا العقاد يجمع بين الشعر والمقالة، وطه حسين يبدأ شاعراً ثم ينصرف إلى النثر، وكذلك الرافعي، والأمثلة كثيرة.

وقد آثرتُ أن أطلق على هذا الجمع بين فنون الأدب مصطلح (الازدواج في الإبداع)، وهذا الازدواج ذو شقّيْن: الأول: يجيء موهبةً فطرية وملكة ثابتة، فتبرز عند صاحبها الإجادة والتمكّن في كل ما يعالج من فنون الأدب، ويكون شعره ونثره مثل قضيبيْ سكة الحديد، أو كالعينين في الوجه، لافضيلة لأحدهما على الآخر.

والآخر: يجيء الازدواج فيه مُتصنّعًا، فتجد أحد فنَّيْه شائقًا رائقا، والآخر ضعيفا مُستكرها، لكونه متكلَّفا، ولعل الرغبة في الجمع بين فنين عائدة إلى أسباب اجتماعية ونفسية: فمنها طمع الكاتب في أن يذكر في عداد الشعراء بعدما ذكر في عداد الكتاب، أو رغبة الأديب في إظهار مواهبه؛ مكايدة لمن حط من شأنه، أو استجابة لرغبة راغب. وربما سعى الأديب إلى أن يُذكر في ضمن الرواد الأوائل لبعض الفنون المقتبسة من الآداب الأخرى، كفعل بعض كتاب العصر الحديث، الذين كتبوا الرواية والمسرحية.

هذا، وقد وقفت على نص لبديع الزمان الهمذاني في المقامة الجاحظية (1)، على لسان أبي الفتح الاسكندري، ورد فيه: «إن الجاحظ في أحد شقّيْ البلاغة يقف، وفي الآخر يقطف، والبليغ من لم يقصّر نظمه عن نثره، ولم يزْرِ كلامه بشعره» [يقطف: يسير سيراً بطيئًا].

وهذه أقدم إشارة وجدتها إلى هذه الظاهرة، ولعلها حين تُعضَد بنصوص أخرى، تعين على تبيّن آراء النقاد الأقدمين فيها.

وفي هذا العصر كثرت الإشارة إلى ازدواج الإبداع، واختلف النقاد في حقيقتها الفنية، فذهب ميخائيل نعيمة إلى أن «العالم لايعرف إلا القليل ممن أجادوا ضرب آلة أو آلتين، وأقل منهم من برّز بين الكتاب في أكثر من أسلوب من أساليب الأدب»(2)، ورأى أنه يستحيل على الكاتب أن يجيد في كل فنون الأدب على السواء(3)، وكان يقول: إن العقاد في نظره كان بحّاثا ونقّادا أكثر منه شاعرا(4).

أما يوسف عز الدين فقد ذهب إلى أن هذا الازدواج يأتي نتيجة صراع بين فنون الأدب في نفس الأديب؛ ذلك أن «الكاتب يحاول أن يكون شاعراً بكل وسيلة، فإذا أخفق تحوَّل إلى النثر، وأصبح كاتب قصة أو ناقداً»(5).

وإشارات المعاصرين إلى هذه الظاهرة كثيرة، ولاسيما في اللقاءات الأدبية والمذكرات الشخصية، فهذا روائي يعلل انصرافه بقوله: «كان لابد لي من التعبير عن أمور كثيرة لايستوعبها الشعر»(6). وهذا آخر يقول: «خامرني شعور بأن الشعر غير ملائم لمزاجي»(7)والنصوص حول هذا المعنى وأشباهه كثيرة.

وحين يجتمع فنّان من فنون الأدب عند شخص واحد، أو أكثر من فنّين، فلابد أن يسيطر واحد منها، ويطغى على ما عداه، ولذلك أسباب تتنازعها النواحي النفسية والاجتماعية في الغالب.

فعبدالله بن المقفّع له شعر في مُقَطّعات قصار، ولم يُعرف شاعرا، بل عُرف أديبا مترسلا ذا أسلوب سهل ممتنع، والسرّ في عدم إجادته الشعر تكوينه النفسي، إذ إنه رجل يزيد عقله على كلامه، وقد عرف من نفسه الضعف في ممارسة الشعر، فقال مجيبا من سأله: مالك لاتجوز البيتين والثلاثة؟، قال: إن جزتها عرفوا صاحبها(8).

وكذلك كان أبو عثمان الجاحظ، فقد أُثر له شعر رديء، لايبلغ مُدَّ نثره البليغ ولا نصيفه، وماذاك إلا لأنه خُلِق كاتبا مَبدعًا، يروض القول فيَسْمحُ له صعبه، وينقاد له شامسُه.

وفي العصر الحَديث قيل عن الريحاني إنه كاتب مقالة أبلغ منه روائيًا وشاعرًا، وعلة ذلك - في رأي ميخائيل نعيمة - «أن فكره راجح على عاطفته، ومنطقه متغلّب على خياله»(9).

وقد تؤثر الاتجاهات الأدبية العامة في الأديب، فيهجر لذلك فنًا إلى فن آخر، فيبدع فيه، فهذا فؤاد قنديل - مثلاً - يهجر الشعر من أجل القصة؛ لأنه أدرك أنها أقرب إلى «تأمل بنية المجتمع والتعامل مباشرة مع مشكلات الناس ودوافعهم النفسية»(10).

وقد يكون الأمر على خلاف ذلك، فالشعر ديوان العرب، وهو الفن الأقرب إلى أذهان الجماهير ومشاعر الشعوب، ومن أجل ذلك يحرص بعض الأدباء على معالجته ونظم القصائد المثيرة للأحاسيس، حتى يكونوا في دائرة الاهتمام.

غير أن استعدادهم الفطري لفن آخر يخذلهم، فلا يمكنهم التبريز «وكم من روائي عظيم توهم في طور من أطوار حياته أنه خُلق للقريض، لكنه نظم ولم ينظم سوى كلام، إلى أن قيّض الله له ناقدًا رفع الغشاء عن عينيه، فأراه أن الرواية مسرحه، وليس البحور الشعرية»(11).

ولاشك في أني لا أستطيع حصر الأسباب التي تجعل الأديب يبدع في فن دون آخر؛ ذلك أنها متشعّبة، متعددة، وقد يكون ذلك التعدد بقدر تعدد الأدباء أنفسهم.

وذلك الازدواج في الإبداع قد يكون في بداية أمر الأديب، عندما تتفتّق مواهبه، وتتملّكه ضروب الفن، فيجرّب حظه في كل لون، حتى إذا استوى عوده، تبينتْ له السبيل التي يُسِّرَ لها.

فطه حسين مثلاً، ومصطفى صادق الرافعي، ومحمد كرد علي، وعلي الطنطاوي، وحمد الجاسر، بدؤوا ينظمون الشعر، وأعدوا له عُدَدا، وأصدر بعضهم دواوين، ولكنهم انصرفوا عنه، بعدما تبيّن لهم أنهم في ساقته لا في مقدمته.

وقد يكابر بعضهم - ممن لم يؤت حظا في الشعر - فيرى أنه أشعر الشعراء، وإن طالته مقاريض النقد ووخزات المستهزئين، كما فعل الرافعي والعقاد وزكي مبارك، الذين كانت صولاتهم في النثر الفني البديع مثل النيران على الأعلام.

والشعراء في الغالب - ويلحقهم المتشاعرون والشعارير - يُعجبون بما ينظمون، وتلك سنّة معروفة، ودرب لا حب، ولايكرهون شيئًا كراهيتهم لمن يتصدى لنقد أشعارهم، وقد قال أبو تمام:

ويريك بالإحسان شعرا، لا كمن

هو بابنه وبشعره مفتون

وقد كان أحمد شوقي من أشد الشعراء حذرا من النقد، وكرها للنقاد، وانظر إن شئت ما كتبه زكي مبارك في مقالاته عنه(12).

إن ظاهرة الازدواج في الإبداع الأدبي، لحرية بالدرس والتحليل، ولعل من يتصدى لدراستها، يتعرض - فيما يتعرض له - للمسائل الآتية:

أ - مظاهر الازدواج المثمر، ومن أمثلته قديمًا: سعيد بن حميد الذي كان شاعرًا رقيقا وكاتبا مترسّلا، وبديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات الشاعر المبدع، وابن زيدون شاعرا وكاتب رسائل، وابن شُهَيْد صاحب التوابع والزوابع الشاعر المجيد، والمعرّي الشاعر الفيلسوف صاحب رسالة الغفران، وأسامه بن منقذ شاعرًا وكاتبًا للسيرة الذاتية، وهلم جرا.

ب - مظاهر الازدواج غير المثمر، ويظهر عند الجاحظ وعبدالله بن المقفع وأبي هلال العسكري، وابن العميد وآخرين.

ومن أمثلة الأول في العصر الحديث: شفيق جبري، وحسين سرحان، ومحمد حسن فقي، ونزار قباني، وسليمان العيسى.

ومن أمثلة النوع الآخر: أحمد شوقي الذي كان نثره عبثا بالنسبة إلى شعره، والريحاني، ومحمد كرد علي، وطه حسين، علما أن تَخَيُّر تلك الأسماء من القديم والحديث عائد إلى ذوق شخصي بحت، ورأي أدبي خاص للكاتب، قد لايوافقه عليه كثيرون، ولا مشاحّة في الذوق.

ج - الدراسة النقدية والنفسية، ويندرج في إطارها دراسة الرغبة في معالجة أكثر من فن، وأسباب الانصراف عن فن إلى آخر، وعلاقة ذلك بالأوضاع الاجتماعية لكل عصر. مع عرض كثير من المقولات القديمة والحديثة، مما قد يَمُتُّ لهذه القضية بسبب، مثل:

- إطلاق صفة (النابغة) على من قال الشعر كبيرا.
- قولهم: (أجبل الشاعر) إذا انقطع عن قول الشعر.
- قول المعاصرين: إن الناقد شاعر مخفق.
- قولهم: (الشعر ديوان العرب).
- الرأي الذي يذهب إلى أن زمننا هذا هو زمن القصة والرواية، وأثره في الأدباء.

وقبل أن أختم هذه المقالة أعود إلى نص البديع الهمذاني: (والبليغ من لم يُقصّر نظمه عن نثره، ولم يُزر كلامه بشعره) فأقول: إن في قوله هذا شذوذًا لا أظنه وُفْق عليه؛ ذلك أن أشهر البلغاء عند العرب كانوا إما شعراء، وإما كُتّابا، وإما خطَباء، كالمتنبي وعبدالحميد الكاتب وخالد بن صفوان والحجاج، والأمثلة كثيرة.

غير أن هذا القول يثير عدة أسئلة: هل رأيه ناتج من رأي عصره كله؟ أم إنه رأي خاص؟ وإن كان الثاني، فهل وافقه معاصروه ومن بعدهم أم لا؟ وما رأي النقاد المعاصرين في هذه المسألة؟!

إن مباحث ظاهرة الازدواج في الإبداع الأدبي متشعّبة، ومسائلها متساوقة، ولم تكن فقَر مقالتي هذه إلا صُوًى وعلامات، أردت بها التنبيه إلى تلكم الظاهرة، علّنا نَحظى من بعد بدارس متمكن عميق، يبرز لنا طرافة الموضوع، ويتحفنا بنوادره وشاذّه وفاذّه(13). والله المستعان وعليه التكلان.

الهوامش

1- شرح مقامات البديع لمحمد محيي الدين عبدالحميد/87.
2- الغربال/164.
3- السابق/164.
4- بين نعيمة وجبران لمحمد الصايغ/33.
5- شعرنا بين أصالة العرب ورطانة الغرب، مجلة الفيصل ع213/ص11.
6- المجلة العربية، ع207/ص61.
7- هجرت الشعر من أجل القصة، فؤاد قنديل، مجلة الفيصل، ع213/ص67.
8- الحيوان132/3.
9- الغربال/164.
10- مجلة الفيصل (مرجع سابق) ع67/213.
11- الغربال/19.
12- أحمد شوقي، بقلم زكي مبارك، انظر مثلا: 34و73.
13- الفاذّة: المنفردة في معناها. وكلمة فذّة وفاذّة: شاذة.

المرأة المسلمة وتحديات المجتمع المعاصر

الحلقة الأخيرة

الشيخ: فيصل أنور مولوي

في الحلقة الماضية استهل الكاتب حديثه عن التحدي الثاني الذي تواجهه المرأة المسلمة في مجتمعنا المعاصر؛ ألا وهو الأسرة بوصفها الخلية الأولى التي يقوم عليها بناء المجتمع الإنساني. ثم تحدث عن المرأة والزواج، وعمّن يقود الأسرة، والمفهوم الشرعي لقوامة الرجل على المرأة، مما دعاه لمناقشة مسألة المساواة بين الرجل والمرأة، وعقد الزواج، ثم تعدد الزوجات ولماذا اختار الإسلام نظام التعدد.

وفي هذه الحلقة الأخيرة يختتم الشيخ الحديث عما بدأه في الحلقتين الماضيتين.

الأحكام الشرعية

وبعد، فإن الحكم الشرعي في تعدد الزوجات هو كما يلي:

1- أنه مباح وليس فرضًا.

2- ويصبح أولى وأفضل إذا وجدت أسبابه الاجتماعية أو الشخصية.

3- وفي كل الأحوال يجب التزام الشروط الشرعية المعروفة.

4- وإلاّ أصبح الأولى والأوجب عدم التعدد.

5- ويجوز للزوجة أن تشترط في عقد زواجها أن لايتزوّج عليها، وهذا الشرط واجب الوفاء عند الحنابلة، بحيث يحق لها فسخ الزواج إن لم يف لها زوجها بالشرط، وهو مستحبّ الوفاء عند المالكية [الأحوال الشخصية ـ محمد أبو زهرة].

6- وإذا لم تشترط الزوجة هذا الشرط عند الزواج فبإمكانها أن تطلب المخالعة، وهي أن تبرئ ذمّة زوجها من المهر مقابل طلاقه لها.

7- والمتزوج يباح له الزواج بثانية، فإن لم يتزوج وزنى يُقتل حدًّا؛ لأن الإسلام لا يبيح المعاشرة الجنسية إلاّ من خلال الزواج وملك اليمين.

تعدد زوجات الرسول

يزعم كثير من الغربيين أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان شهوانيًا تزوج كثيرا من النساء، وأحل لنفسه ما حرّم على أمته؛ إذ تزوّج إحدى عشرة امرأة. ونحن نريد توضيح هذه المسألة، فنقول باختصار شديد:

1- تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم في الخامسة والعشرين من عمره بالسيدة خديجة بنت خويلد وكانت في الأربعين من عمرها وهي ثيّب؛ أي سبق لها الزواج من غيره.

2- ظل الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة خمسًا وعشرين سنة حتى ماتت، وهذا هو سن شبابه، ولم يتزوج غيرها.

3- ظل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة

خديجة رضي الله عنها ثلاث سنوات من دون زواج حتى صار عمره ثلاثًا وخمسين سنة، فتزوج عائشة بنت أبي بكر الصديق، وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما، ثم تزوج باقي نسائه خلال سن الشيخوخة (53-63) حتى وفاته صلّى الله عليه وسلم.

4- كان لزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل واحدة من زوجاته سبب وحكمة لا نستطيع الإحاطة بها في هذه العجالة.

وحسبنا أن نقول: إن زواجه المتكرر لم يكن جريًا وراء الشهوة قط، وإلا لأكثر من الزواج في سن الشباب، ولما تزوج - مثلاً - سودة بنت زمعة وهي في السبعين من عمرها وغيرها من الأرامل المسنّات.

صحيح إنه تزوج بعض الشابات - حفصة، وعائشة - ولكن ذلك كان لحكم تعليمية أو تشريعية أو اجتماعية أو سياسية [يراجع بالتفصيل أخبار زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم في كتب السيرة، والحكمة من زواجهن، ولاسيما في كتاب: نظرات في تعدد الزوجات للدكتور محمد الزهراني].

5- أما الزعم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح لنفسه ما حرّم على المسلمين - وهو الزواج بأكثر من أربعة - فنقول: إن آية تحديد عدد الزوجات بأربع نزلت في السنة الثامنة من الهجرة بعد أن بنى رسول الله صلّى الله عليه وسلم بزوجاته جميعًا. ولم يكن قبل ذلك حدّ للعدد.

فلما شرع التحديد أمر المسلمين بفراق ما يزيد على الأربع. والله تعالى الذي حرّم على المسلمين الاحتفاظ بأكثر من أربع لم يحرّم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم لحكم يعلمها، منها:

إن أي مسلم يفارق زوجته يمكنها أن تتزوّج غيره، أما زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم فهنّ ممنوعات من الزواج بغيره: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ الأحزاب:53.

كما أن الله تعالى الذي أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم الاحتفاظ بزوجاته حرّم عليه الزواج من غيرهن. قال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ..﴾ الأحزاب:52.

أيهما أولى: التعدّد أو الاكتفاء بزوجة واحدة؟

ويكثر الحوار بين المسلمين حول أيّهما أفضل: الاكتفاء بزوجة واحدة أو تعدد الزوجات. ويرى البعض أن الأصل في الإسلام تعدد الزوجات لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ النساء:3.

ومع أن الآية الكريمة تتضمّن سببًا لهذا الحكم، وهو عدم القسط في اليتامى، وتتضمّن إباحة لتعدّد الزوجات، وفعل الأمر يأتي أحيانًا ومعناه الإباحة وليس الوجوب كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ الأعراف:31. ثم تضع الآية الكريمة قيدًا عند استعمال هذه الإباحة وهو العدل بين الزوجات.

مع ذلك، فإن الفطرة هي التي تحدد الأصل والأولى. والله تعالى الذي خلق الرجال والنساء هو الذي أباح تعدد الزوجات، والمعروف في التاريخ البشري كله أنه لم تأت حقبة كان عدد الرجال أكثر من عدد النساء حتى يحتاج الأمر إلى تعدد الأزواج، فلذلك لم يشرع هذا الأمر بالإضافة إلى أسباب أخرى معلومة. وفي حقب التاريخ البشري كله، وفي الأمم كلّها، كان عدد النساء دائمًا أكثر من عدد الرجال بقليل، مما يعني إباحة تعدد الزوجات لبعض الناس دون البعض الآخر، ولو كان الأفضل بإطلاق تعدد الزوجات بحيث يكون لكل رجل زوجتان أو أكثر، لكان ذلك محالاً في الواقع لأنه يحتاج أن يكون عدد النساء ضعفي عدد الرجال، وهذا لايكون في الظروف المعتادة، مما سيؤدي إلى وجود رجال لهم زوجتان في مقابل رجال ليست عندهم زوجة واحدة. وهذا بلا شك مخالف لروح الشريعة، ويؤدي إلى ظلم لهؤلاء الرجال، وإلى انتشارالمفاسد في المجتمع، لذلك يكون الأولى الاكتفاء بزوجة واحدة ليترك المسلم المجال لأصحاب الحاجة والظروف الخاصة التي تفرض على كل منهم أن تكون له زوجتان أو أكثر.

ومن المعروف أن عدد النساء لم يتجاوز أربعة أضعاف عدد الرجال في جميع الظروف حتى في ظروف الحروب التي يموت فيها الرجال بشكل كبير، وهذا يؤكد أن الله تعالى الذي وضع هذا التشريع، هو الذي يتصرّف بخلق الذكور والإناث: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ الشورى:49، وهو الذي يتصرف بالموت والحياة: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك:2. وبذلك يكون التوافق كاملاً بين الخلق والتشريع، لأن الإسلام دين الفطرة. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ..﴾ الروم:30.

المرأة... والعمل

قد تقضي الضرورة أن تخرج المرأة من بيتها لتعمل، لظرف من الظروف، والإسلام لا يمنع ذلك، ولكنه يمنع أن تنقلب الآية كلها: فيصبح الأصل عند المرأة العمل في الخارج وتضييع البيت، وتضييع الأولاد، هذا الذي يرفضه الإسلام رفضًا قاطعًا. أما أن تضطر امرأة أو أكثر للخروج من بيتها لحاجتها هي، أو لحاجة المجتمع إليها فهذا كله جائز عند الضرورة.

والله عز وجلّ يحكي لنا في القرآن قصة امرأتين قابلهما موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ القصص: 23، 24.

امرأتان أخرجتهما الحاجة، تريدان أن تسقيا من الماء وأبوهما شيخ كبير لا يستطيع أن يستقي هو، وليس لهما رجل يمكن أن يقوم بهذه المهمة، فخرجت المرأتان للقيام بها، ولم ينكر رب العالمين هذا، وموسى عليه السلام، وهو يعلم أن الأصل في مهمة المرأة أن تكون في البيت، سقى لهما حتى يبعدهما من الاحتكاك بالرجال وما يسببه لهما ذلك من الأذى أو الانزعاج.. ثم تولّى.

حشمة المرأة

إذن، يمكن أن تخرج المرأة من بيتها لتعمل عندما تكون هناك ضرورة، فإذا وجدت الضرورة وخرجت المرأة من بيتها للعمل، فلا بد لها أن تلتزم الحدود، وأول هذه الحدود الحشمة: في الكلام، وفي اللباس، وفي الحركات، وفي كل شيء.

في اللباس لايجوز لها أن تُظهر إلا وجهها وكفّيها كما يفهم من كتاب الله عزّ وجلّ ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أقوال الفقهاء.

وفي الكلام لايجوز لها أن تتكلّم بما يستثير غرائز الرجال. لقد خاطب رب العالمين أمهات المؤمنين وزوجات رسول الله - وهنّ على ما هنّ عليه من التقوى ومن الالتزام - قائلا: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ الأحزاب:32. ومن يطمع في زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ ومعروف أنهن حتى بعد وفاة الرسول صلى الله عيله وسلم لايجوز لهن أن يتزوّجن إنسانًا آخر، من يطمع بهن؟ ومع ذلك قال لهنّ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾

أما في الحركات، فالحشمة مطلوبة أيضا. ألم يقل رب العالمين مخاطبا النساء المؤمنات: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ..﴾ النور:31. فحركة الأرجل قد تدفع الإنسان إلى تخيل الزينة الخفيّة وما يؤدي إليه ذلك من استثارة الغرائز. وعند ذلك لايكون في عملها إلاّ الخير لها وللمجتمع.

إذن الإسلام لم يمنع المرأة من العمل خارج البيت، وليس هناك أي نص يأمر بذلك، ولكن الإسلام ألزم المرأة العمل في بيتها، وهو عمل كبير وشاق. فإذا انتهت منه وبقي عندها من الوقت والجهد بقية فإنها يمكن أن تعمل خارج البيت، في المجتمع الإسلامي

النسائي بأي عمل تريد، سواء كان عملاً اجتماعيًا قائمًا على الدعوة إلى الله، أو عملاً معيشيًا تبتغي منه الأجر المادي، ولايشترط في ذلك، إلا أن يأذن الزوج، وذلك للتأكد من أنها أتمّت واجبات بيتها. ويمكنها أن تعمل خارج البيت وأن تتعاطى مع الرجال ضمن حدود الحشمة المشروعة، إذا وجدت في ذلك ضرورة شخصية لها، أو إذا كانت هنالك ضرورة للمجتمع.

إن هذه القيود الشرعية الواردة على حق المرأة في العمل خارج البيت، إنّما تؤدي في النتيجة إلى حماية الأسرة؛ لأن المرأة إذا كان لها دور في الأسرة تؤديه، فتركته لتعمل خارج البيت بحجة المساواة مع الرجل، تكون قد شاركت في تهديم الأسرة.

فإذن، يمكن للمرأة استثناءً أن تخرج للعمل عندما تكون هي بحاجة إلى هذا، أو عندما يكون المجتمع بحاجة إلى عملها، فقد كانت النساء المسلمات يخرجن مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ومع المجاهدين يخدمن في الجيوش، يقمنَ بمهمّات تساعد الرجال،

الفصل التام بين مجتمع الرجال ومجتمع النساء أمر غير ممكن، واختلاط المجتمعين دون ضرورة أو ضوابط فيه خطر على الأسرة

وفي بعض الأحيان كُنَّ يحملنَ السلاح، ويقاتلن دفاعًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفاعًا عن المسلمين؛ فقد احتاج المجتمع لأن تكون النساء معه في المعركة، وقد يحتاج لأن تعمل النساء معه في مجال آخر. وعندما يكون المجتمع بحاجة إلى المرأة، يمكنها أن تخرج من بيتها لتلبّي حاجة المجتمع، وعندما تكون هي بحاجة إلى الخروج للعمل لأي سبب من الأسباب، ولأي ظرف من الظروف المشروعة، يمكنها أيضًا أن تخرج، وخروجها مقيّد كما ذكرنا بالحشمة الشرعية، وبأن يكون اختلاطها مع الرجال في الحدود التي شرعها رب العالمين من دون تجاوز.

الاختلاط

الاختلاط بين الرجال والنساء في الأصل لايجوز، يقول الرسول صلى الله عليه وسلّم: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحَمْو ـ أي القريب ـ قال عليه الصلاة والسلام: «الحَمْو المَوْت»رواه مسلم.

فالاختلاط أصلاً لايجوز بين الرجال والنساء، إنّما إذا وقعت الضرورة يجوز الاختلاط ولكنّه يجوز مقيّدًا بقيود، ومن هذه القيود: الحشمة من المرأة، والحشمة من الرجل أيضًا في حديثه وفي كلامه وفي حركاته مع المرأة، وأن يبقى الاختلاط المباح للضرورة مقدّرًا بحدود هذه الضرورة، فلا يتجاوزها ولايزيد عليها.

فإن قضت الضرورة أن تتعامل المرأة في بعض هذه الوظائف مع الرجل، فليس معنى هذا أن تمتدّ هذه الضرورة لتبيح المرأة لنفسها أن تسهر مع هؤلاء الرجال، بحجة أنها تلقاهم في العمل، فلا مانع أن تلتقي بهم في فرصة أخرى، في سهرة، أو رحلة، أو في أية مناسبة من المناسبات، هذا تجاوز لحدود الضرورة التي أبيح فيها الاختلاط.

إن المجتمع الإسلامي في الأصل له وجهان:

الأول: أنه مجتمع ينفصل فيه الرجال عن النساء، ويكون لكل منهما مجتمعه الخاص، هذا ماتقتضيه الفطرة، ولايكون اللقاء بين الرجال والنساء إلاّ في نطاق الأسرة التي تجمع الزوجين والمحارم من الأهل.

الثاني: أنه مجتمع مختلط عندما تقتضي الضرورة، وفي حدود الضوابط الشرعية، والضرورة تقتضي في كثير من الأحيان أن يلتقي الرجال والنساء، فلابدّ أن يُنَظَّم هذا اللقاء ضمن الضوابط الشرعية المعروفة. فالفصل الحادّ بين مجتمع الرجال ومجتمع النساء أمر غير ممكن، واختلاط المجتمعين دون ضرورة أو من دون ضوابط أمر يحمل الكثير من الأخطار على الأسرة، لذلك يأتي الموقف الإسلامي من الاختلاط ليصبّ في مصلحة حماية الأسرة والمحافظة عليها.

الاختلاف في بعض الأحكام الشرعية

قلنا هناك مهمّة للإنسان هي تحقيق العبادة لله عزّ وجلّ. وهناك مهمة خاصة للرجل ومهمّة خاصة للمرأة، وبينهما اختلاف؛ لأن مهمة المرأة في البيت ومهمّة الرجل خارج البيت، وقد ترتب على هذا الاختلاف في الوظيفة بين الرجل والمرأة اختلاف في بعض الأحكام الشرعية نعدّها ونتحدّث عنها.

أولاً: الشهادة، ثانيا: الميراث، ثالثًا: الديّة، رابعًا: رئاسة الدولة.

أربعة أحكام شرعية ميّز الله عز وجل فيها الرجال عن النساء، أو النساء عن الرجال. إن سبب هذا الاختلاف في الأحكام الأربعة لا يتعلّق بالمرأة من حيث كونها إنسانًا، بل هو نتيجة لاختلاف الوظيفة بين الرجل والمرأة، وعندما تختلف الوظيفة يختلف ما يترتب عليها بشكل طبيعي. فمثلاً: الدولة عندما تعيّن موظفًا في عمل تهيئ له من الظروف ما يتناسب مع هذا العمل، فإذا عيّنت موظفًا في عمل آخر تعطيه من الظروف ما يتناسب مع هذا العمل، وهذا أمر طبيعي. كبار الرؤساء والزعماء يكون معهم حرس لحمايتهم، أما سائر الموظفين العاملين عند الدولة فلايُعطون حرسًا لحمايتهم، وليس معنى هذا أن الدولة تميّز، فتعد رئيس الحكومة أو الوزير أو النائب أفضل من غيره، ولكن مهمة رئيس الحكومة، ومهمة النائب، ومهمة الوزير قد تعرّضه للأخطار، لذلك تعطيه حارسًا، بينما مهمّة الموظّف والمعلّم وبقية الناس لاتعرضهم للأخطار فلاتعطيهم حرّاسًا.

هذا التمييز يقع بالنسبة للإنسان في كل نواحي الحياة، وهذا هو المنطق في التمييز الشرعي بين الرجل والمرأة في هذه الأحكام الأربعة.

أولاً: في الشهادة

اشترط الإسلام في القضايا الجنائية، وفي قضايا البيع والشراء في الأمور المدنية والتجارية شهادة رجلين، فإن لم يوجد: ﴿فَرَجُلٌ وامرأتان ممَّن تَرْضَوْنَ منَ الشُّهداء﴾ البقرة:282.

بعض الناس يظن أن هذا احتقار للمرأة، كيف يعتبر الرجل مساويا امرأتين؟ مع أن الذي يفكّر في حقيقة هذه المسألة لن يجد شيئًا من الاحتقار أبدًا، بل يجد انسجامًا مع اختلاف الوظيفة الأساسية بين الرجل والمرأة.

فالمرأة، بحكم وظيفتها وفطرتها واهتمامها، إذا مرّت في الطريق ورأت جريمة تقع بين رجلين يتشاجران، أحدهما يشهر مسدسًا، أو سكينًا، وهجم أحدهما على الآخر، هل تتمالك نفسها لتبقى تنظر ولتعرف من الذي بدأ؟ وعلى من يقع اللوم؟ وكيف وقعت الجريمة؟ أم إن فطرة المرأة تدفعها فورًا إلى أن تخبئ وجهها وتصرخ وتولول وتهرب!

هذه هي فطرة المرأة الطبيعية، بينما فطرة الرجل في مثل هذه الحالة، الإنسان العادي، أن يقترب ليحاول إنهاء المشكلة وفضّ الخلاف ويتدخّل للصلح، وعلى الأقلّ إذا لم يكن يتحلّى بالمروءة والشرف يبقى يتفرّج، فيرى ماذا يجري.

من أجل ذلك عندما يشهد الرجل في مسألة كهذه فمن الطبيعي إذا كان موجودًا أن يعيها تمامًا، ومع ذلك اشترط الشرع هنا شهادة رجلين لأن القضية تتعلّق بالتوثّق قبل إصدار الحكم.

أما شهادة المرأة هنا فلأنها بفطرتها تهرب من ملاحظة هذه الأمور ملاحظة دقيقة اشترط معها امرأة ثانية، لا احتقارًا لكرامتها ولكن: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إحداهُمَا فتُذَكِّرَ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ البقرة:282. بمنتهى البساطة يبيّن ربّ العالمين العلة، السبب: ربما نسيت إحداهما لأنها قليلة الاهتمام سواء بأمور الجرائم، أو بأمور البيع والشراء والمداينات وما إلى ذلك، فقد لاتنتبه وقد تنسى، فإن كانت معها واحدة أخرى تذكّرها، والمسألة أننا نريد قبل أن نعطي الحكم، أن نتثبّت من الحق، حتى لانظلم إنسانًا على حساب آخر.

فاشتراط شهادة المرأتين بدلاً من الرجل الواحد،

لايقصد منه إلا الاطمئنان إلى الحق تمامًا، مادامت المرأة بفطرتها قليلة الاهتمام بمثل هذه الأمور، ومما يؤكد أن القضية ليست امتهانًا لكرامة المرأة أن الإسلام في كثير من الأمور التي لايطّلع عليها إلاّ النساء يكتفي بشهادة امرأة، وبشهادة المرأة وحدها.

فلو كان الأمر احتقارًا للمرأة لما قبلت شهادتها بالإطلاق، أو لكانت شهادتها دائمًا تعادل نصف شهادة الرجل، ولكن عندما يقبل الإسلام شهادة المرأة وحدها في بعض المواطن التي هي من اهتمامها نتأكّد عند ذلك أن السبب في هذا: إنما هو التحقّق من الأمر، ومن حقيقته ليُبنى عليه الحكم الصحيح، وليس الامتهان للمرأة أو التكريم للرجل.

ثانيًا: في الميراث

انطلاقًا أيضا من اختلاف الوظيفة بين الرجل والمرأة كان اختلاف النصيب في الميراث، مع أن الإسلام هو أول نظام في التاريخ أعطى المرأة نصيبها في الميراث بأروع ما يكون، ولكن بقي عنده حكم شبه عام في أن نصيب المرأة يكون نصف نصيب الرجل في الميراث وسببه واضح.

فإذا عرفنا أن الرجل هو الذي يعمل وينفق على البيت، وأن المرأة تجلس فيه لتقوم بواجب بيتها وأولادها، ولاتكلف الإنفاق حتى على نفسها، لأن زوجها مُجبر على الإنفاق عليها، ولو كانت غنيّة ميسورة، مقابل هذا التكليف بالإنفاق للرجل، أعطاه الله في الميراث ضعفي نصيب المرأة، إذا كان هناك شيء من المحاباة - ومعاذ الله أن يكون في دين الله محاباة -؛ ولكن بحسب كلام الذين يريدون أن يحسبوا الأمور كلها بالمادة والأرقام، فالمرأة أخذت أكثر من الرجل ولم تأخذ أقل منه، ونعطي على ذلك هذا المثال:

لو أن رجلاً توفي وترك ذكرًا وأنثى، وأخذ الصبي ضعفي ما أخذت أخته، ماذا تكون النتيجة بعد ذلك؟ البنت تأخذ حصّتها فتحتفظ بها، وتنتظر الزوج، فإذا جاء الزوج أعطاها المهر فوق حصتها، فإذا تزوجت بعد ذلك أُنفق عليها، فهي بإمكانها أن تأخذ حصتها من ميراث أبيها لتفعل فيها ما تشاء، وربما تثمرها، وربما تتضاعف.

أما أخوها الذي أخذ ضعفيها فماذا فعل بنصيبه؟ أخذه وذهب يقيم عملاً، وقد يحتاج في عمله إلى رأسمال يذهب بكل ما ورث عن أبيه، ثم هو يريد أن يتزوج فيخطب فتاة ويعطيها المهر المناسب. إنه قد يدفع كل ما ورث، ثم يريد أن ينفق عليها. وبعد ذلك إذا تغيّرت الأحوال بأخته وافتقرت بعد غنى، إذا ضيّعت نصيبها من الميراث ولم تتزوّج أو طلّقها زوجها وأصبحت فقيرة لا شيء عندها، من المسؤول عن الإنفاق عليها؟ إنه أخوها الذي أخذ ضعف ما أخذت، لأنه دائمًا قادر على أن يعمل وينتج وينفق حتى على هذه الأخت!.

فمن المظلوم - إن كان هناك ظلم ومعاذ الله أن يكون في شريعة الله ظلم -؟

ولكن في حسابات البشر الماديين المرأة هنا أخذت أكثر من الرجل، والتفريق لا يتعلّق بكرامة المرأة ولا بكرامة الرجل، وإنما يتعلق باختلاف الوظيفة، فإذا كلّفت أحد أولادك الذهاب إلى السوق ليشتري لك براداً تعطيه ألفي ريال أو أكثر، أما إذا كلّفته شراء خبز أو طعام فقد تعطيه عشرة ريالات مثلاً. ليس معنى ذلك إلاّ أن هذا مكلّف وظيفة تحتاج إلى مبلغ كبير، والآخر مكلّف وظيفة لاتحتاج إلاّ إلى مبلغ صغير.

فهذا التمييز نتيجة طبيعية لاختلاف الوظيفة، ولا علاقة له أبدًا بكرامة المرأة أو بإنسانيّتها.

ثالثًا: في الدية

ومثل ذلك التمييز في الدّية، عندما تُقتل المرأة خطأً، أو يُقتل الرجل خطأً، تفرض الشريعة على القاتل أن يدفع الدية، والدية هنا للرجل ضعفي دية المرأة.

هذا التفريق ليس لأن الرجل يَساوي امرأتين كما يظن بعض الجهلة؛ بل لأن الرجل عندما يُقتل تخسره العائلة كلها، وتخسر فيه المُنفق، إنّ خسارة العائلة المالية بالرجل أكثر بكثير من خسارة العائلة المالية بالمرأة، هذا أمر طبيعي، ومن أجل ذلك فالدّية تعويض عن الخسارة اللاحقة، فلمّا كانت الخسارة اللاحقة بالعائلة بسبب قتل الرجل أكبر، كان التعويض فيها أكبر، لا أكثر ولا أقل، التمييز هنا أيضًا منطلق من الاختلاف في الوظيفة بين الرجل والمرأة، وأن الرجل هو المكلّف الإنفاق وليست المرأة مكلّفة الإنفاق.

ومثل هذا التمييز معروف في كثير من القوانين الوضعية، حيث يختلف مقدار الدية بحسب ظروف المقتول، فدية الصغير الذي لاينتج أقل من دية الرجل المنتج، ودية العجوز أقل من دية الشباب، وهكذا..

رابعًا: في رئاسة الدولة

يبقى الأمر الأخير وهو رئاسة الدولة التي يخصصها الإسلام دائمًا للرجال من دون النساء. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «ما أفلح قومٌ يلي أمرهم امرأة» رواه أحمد في المسند.

هذا التخصيص بالنسبة لرئاسة الدولة سببه أن رئيس الدولة في الإسلام ليس مجرد موظّف عادي، وليس أي رئيس دولة في كل دول العالم.

رئيس الدولة في الإسلام - أو أمير المؤمنين - يجمع في شخصه كل الصلاحيات: فهو الإمام في الصلاة، والخطيب في المسجد، والقائد العسكري في الحرب، وهو في الوقت نفسه الذي يدير كل أمور الرعية. إن المرأة لاتستطيع بفطرتها، وما خُلقت له أن تقوم بهذه المهمّة؛ لا تستطيع أن تقوم بقيادة الجيوش، ولا تستطيع أن تقوم بإدارة الدول في كل الظروف، وأن تكون هي الرأس الأعلى، كما أنها لاتستطيع أن تؤمّ الناس في الصلاة.

والقيادة في الإسلام تشمل كل الأمور السياسية والعسكرية والدينية، والله تعالى أعلم بالرجل والمرأة على حد سواء.

من أجل هذا كان حصر هذه الوظيفة في الرجال من دون النساء، وحصر الوظائف أمر تعمل به اليوم كل الشعوب وكل الأمم وكل الدول. يُمنع العسكريون مثلاً أن يترشحوا للنيابة، كما يُمنع بعض الموظفين أن يترشحوا للنيابة، فالقوانين تمنع فئة من الناس أن تدخل هذه الوظيفة. هل معنى هذا أن هذه الفئة أقل في كرامتها أو في تفكيرها أو في قدرتها، أو في إنسانيّتها من غيرها؟ كلا، ولكنّه اختصاص، وكل وظيفة ينبغي أن يتقدم إليها من هو أهل لها.

فقضى الله عز وجل بإرادته - على وفق علمه الواسع المحيط بالإنسان - أن وظيفة الرئاسة العليا في الدولة مخصصّة دائمًا للرجال من دون النساء: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك: 14.

إنني أعتقد جازمًا أن تحدّيات المجتمع المعاصر تجاه المرأة المسلمة لن يكون لها تأثير، لأن هذا المجتمع نفسه سيرجع عنها، لا أقول إلى دين الله عزّ وجلّ فقد يصعب هذا الرجوع لأسباب كثيرة، ولكن المجتمع المعاصر سيتخلى عن طروحاته بالنسبة للمرأة، ومساواتها المزعومة مع الرجل، واختلاطها من دون قيود، وعملها خارج البيت دون ضرورة. إن المجتمع المعاصر سيتخلى يقينًا عن كل هذه الطروحات لمصلحة الفطرة الإنسانية السليمة وهي نفسها دين الله عز وجلّ. قال تعالى: ﴿فأقم وجهكَ للدين حنيفًا فطرَةَ الله التي فَطَرَ الناسَ عليها لاتبديلَ لخلق الله ذلكَ الدِّينَ القيِّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون﴾ الروم:30.

وإذا كانت العقوبات الفطرية التي أنزلها الله تعالى بالناس لقاء مخالفتهم مقتضيات الفطرة، كالأمراض الكثيرة التي ظهرت في هذا العصر لم تؤدّ حتى الآن إلى ردع الناس عن غيّهم؛ فإنها بإذن الله ستؤدي إلى ذلك في المستقبل، إذا انطلقت الصحوة الإسلامية بوعي وحكمة، تدعو إلى الله على بصيرة، وتبيّن للناس حقائق هذا الدين العظيم، بعيدا من العنف والإرهاب الذي شكل حاجزًا بين الناس وقبول مبادئ الإسلام الحنيف.

الإسلام ميَّز بين الرجل والمرأة في الدية والشهادة والميراث انطلاقا من الاختلاف الوظيفي بينهما

الشعراء.. هل يكتمون السر؟

د. نوره الشملان

الكتمان صفة محبوبة دعا إليها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - حين قال: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان».

وكَثُر حث حكماء العرب على ضرورة حفظ السر، فهذا معاوية بن أبي سفيان الخليفة الذي اشتهر بالدهاء والحلم والذكاء يقول: «الحازم من كتم سره من صديقه مخافة أن تبدل صداقته عداوة فيذيع سره».

وافتخر الشعراء بمقدرتهم على كتمان السر وإماتة الخبر، فهذا المتنبي يقول:

وَللسر مني موضعٌ لا ينالُهُ
صديقٌ ولا يفضي إليه شرابُ

إن المقدرة على الكتمان من مؤهلات الشاعر التي يفخر بها ويعلن عنها، سواء أكان هذا الشاعر مادحًا ملازمًا لشخصية عامة، أو كان عاشقًا عفيفًا يخشى على نفسه وعلى صاحبته من ألسنة الناس.

فالشاعر المادح لابد أنه يلازم ممدوحه ويرى من الأمور مالا يراه الناس، فإذا لم يكن كاتمًا للأسرار فسدت علاقته بممدوحه؛ فالكتمان من مستلزمات الشاعر المادح ومؤهلاته التي لا تقل عن الشاعرية، وكم شاعرٍ أخفق في علاقاته مع الممدوحين بسبب طول لسانه وكشفه لعورات كان يجب عليه سترها. أما علاقة الشاعر الوجدانية بالمرأة فلعل أهم ما يحرص عليه المحب حقًا هو أن يخفي هذه العلاقة وأن يحيطها بسياج الكتمان. ولهذا الكتمان أسبابه ومسوّغاته، لعل أهمها المحافظة على سمعة تلك المرأة وصيانتها من ألسنة العابثين، ولهذا نجد بعض الشعراء يعشق ويموت دون أن يعلم أحد بهذا العشق. وقد عبَّر أحدهم عن ذلك بقوله:

لَوَ انَّ أمرأً أخفى الهوى عن ضميره
لمتُّ ولم يعلم بذاك ضميرُ
ولكن سألقَى اللّه والقلب لم يَبُح
بسِرِّكِ والواشون عنك كثير

واحتقروا الشخص الذي يبوح بأسراره أو أسرار الآخرين، وقد عبَّر أحدهم عن هذا الاحتقار بالقول:

وحاجة دون أخرى قد شقيتُ بها
خلّفتها للذي أخفيت عنوانا
إني كأني أرى من لا حياء له
ولا أمانَةَ وسط الناس عُريانًا

وميَّز أحدهم نفسه بالمقدرة على كتمان أسرار من استودعه سرًا، على حين أخفق بعض الأحرار في هذه المهمة فقال:-

وإن ضيَّع الأحرار سرًا فإنني
كتومٌ لأسرار العشير أمين
يكون له عندي إذا ما ضمنته
مكانٌ بسوداء الفؤاد مكين

وهذا الشاعر العفيف العباس بن الأحنف يعبّر عن وجده بمحبوبته فَوْز وإصراره على كتمان هذا الوجد حتى الموت، إنه يعلن جزءه من هذه العلاقة وإصراره على كتمانها بهذه الأبيات:

أبكي الذين أذاقوني مودتهم
حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
جاروا عليَّ ولم يُوفُوا بعهدهم
قد كنت أحسبهم يُوفون إنْ عهدوا
لأخرُجَنَّ من الدنيا وحبّكم
بين الجوانح لم يشعر به أحدُ

وقد رأى الشاعر حبيبته تبكي لَمّا بلغها أن سرهما فشا بين الناس لأنها أفضت به إلي إنسان عزيز عليها ظنته كاتمًا لأسرارها، فقال مواسيًا:

ولا تُسمِعِي سِرّي وسِرَّكِ ثالثًا
ألا كلُّ سرٌ جاوزَ اثنين ضائعُ

وقال آخر:

أمِت السرَّ بكتمان، ولا
يدوَنْ منك إذا استودعت سرِ
فإذا ضقت به ذرعًا فلا
تجعلنْ سرَّك إلا عند حُرْ

وبلغ الكتمان ببعض الشعراء المحبين أنه كان إذا سمع حديثًا عن المحبوبة أو قومًا يتحدثون عن محبوبته تظاهر بالجهل لئلا يُستدل من تلهفه على معرفة أخبارها ما يؤدي إلى إفشاء أسراره. يقول:-

كريم يميت السرَّ حتى كأنه
إذا استنطقوه عن حديثك جاهلُهْ
رعى سركم في مضمر القلب والحشا
شفيق عليكم لاتُخَافُ غوائلُهْ

وأكتم نفسي بعضَ سري تكرمًا

إذا ما أضاع السرَّ في الناس حاملُهْ

ومن الأخلاق الكريمة إلى جانب حفظ السر عدم التطلّع إلى معرفة أسرار الناس، وفي هذا يقول عبدالله بن طاهر:

ومؤتمن بالحزم في كل أمره

وأسرارُهُ منه بحيث المَقَاتِلُ

فلا سِرُّه عن ساحةِ الصدر نازح

ولا هو عن سرٍّ تعدّاه سَائِلُ

ويفتخر شاعر آخر بذلك فيقول:

يأبى له الذمَّ أخلاق ومكرمة

مني وأذنٌ عن الفحشاء صَمَّاءُ

والنجم أقرب من سرّي إذا اشتملت

منّي على السر أضلاعٌ وأحشاءُ

ولنا أن نتساءل: هل هذا كلام شعراء يقولون مالا يفعلون أم هي مُثُلٌ أخلاقية يستطيع أيُّ إنسان أن يتحلى بها فيكسب حب الآخرين واحترامهم وثقتهم؟ لو أن كل إنسان تمتع بهذه الخصلة الحميدة لتحول المجتمع إلى قومٍ متحابين، وماتت كثير من الخلافات التي سبّبها ليس إفشاء الأسرار فقط، بل التزيد فيها وتضخيمها بالتأويل حينًا وبالكذب حينًا آخر.

وأختم هذه المقالة بهذه الأبيات لطيفور التي يعبر فيها عن كتمان المتحابين:

حبيبي حبيب يكتُم الناس أنه

لنا حين ترمينا العيونُ حبيبُ

يباعدني في الملتَقى وفؤاده

وإن هو أبدى لي البعادَ قريبُ

ويُعرض عني والهوى منه مقبلٌ

إذا خاف عينًا أو أشارَ رقيبُ

فتخرسُ منا ألسنٌ حين نلتقي

وتنطق منّا أعينٌ وقلوبُ

قصة قصيرة

الختان

عبدالله علي المطمي

كان الجد جالسا في إحدى الغرف المنزوية بالدار الذي يعج بالحركة والزغاريد، وتتصاعد من منافذه أدخنة البخور. يتهلل وجهه بشرا وفرحا؛ فمنذ أسبوع حلَّ على المنزل ضيف جديد طالما انتظره وتمناه، واليوم تتم عملية ختان حفيده وسميّه. لبس الجد أجمل ثيابه ووضع بجانبه رفيقته التي لاتفارقه، والتي تشاطره الشبه؛ حيث احتلت جنباتها الأخاديد، واكتسب حديدها صفة البِلى، وعلت فوهتها التشوهات؛ تماما كفم صاحبها الخالي من الأسنان، فكم من أعيرة نارية غادرت ماسورتها، فهي قابعة صابرة إلى جانبه رهن إشارته.

ظل جالسا منتظرا المهنئين، مسندا ظهره إلى الجدار. أطرق مسترجعا ذكريات قديمة غطاها رماد الزمن، وأزالت رياح الذاكرة هذا الرماد، فأذكت نيران ذاكرته حتى غدا لايسمع من بالدار، وراح يبرح مسافات زمنية خلفها عمره المديد، وبدأ النعاس يغلبه.

أمسك بالبندقية وجلس مع الحضور في ساحة القرية وأمامهم (المُدَرَّم)(1) واقفا بكل شموخ وتحد منشدا (القِيفان)(2)، والوجوه شاخصة بين معجب ومشفق. يخترق الصفوف في سرعة رجل تبدو عليه الشدة والبأس، شاهرا بيده شفرته التي يتقاطر من حدها اللمعان كالسراب في الفلاة. يضرب على كتف المدرم صائحا: أزهمني عنْك(3)، وفي لحظة وقبل أن ينزل دمه تكون الزغاريد والأعيرة النارية قد تصارعت في سماء المكان، وصوت القوم وهم يطوقون المدرم من كل جهة: كنك تقطع في الخشب، ياذا المعلي طحت في شوك النشب(4).

طلق ناري من الخارج يرج صوته في أرجاء المنزل، ويرن في أذن الجد الذي أفاق من غفوته ممسكا بندقيته خارجا يرحب بالمدعوين، وهو يحمد الله أن ما استرجعه في غفوته قد أصبح من مخلفات الماضي البعيد.

الهوامش:

1- اسم يطلق في منطقة جيزان على الشخص الذي سوف يختن، ويطلق أيضا على كل من لم يختن بعد.

2- القيفان: نوع من الشعر يحفظه المدرم وهو غالبا في مدح أخواله.

3- أي انتبه وخذ حذرك.

4- وهي باللهجة الجيزانية: كأنك تقطع الخشب، وصاحبنا لن تقدر عليه. والمعلي: الذي يقوم بالختان.

مونتسدات روفيرا

معتدية فرت بدينها

ولدت مونتسدات روفيرا في مدينة برشلونة بإسبانيا، ابنة لأسرة نصرانية، ولم تكن هي أو أسرتها يعلمان شيئًا عن الإسلام سوى أنه الدين الذي كان مسيطرًا فيما مضى من القرون على أرض الأندلس التي هي بلادهم حاليًا، وبطبيعة الحال، فإن مضي القرون على سقوط الأندلس، وما تبع ذلك من قتل للمسلمين وتشريد لهم، رافقه تشويه متعمد للعقيدة الإسلامية لدى العامة، جعل صورة الإسلام لدى معظم نصارى الأندلس - إن لم يكن كلهم - مشوهة، تتلاقى مع ما يروج له القُسيسون والرهبان من أباطيل وأكاذيب.

شكوك

مع أن نشأة مونتسدات كانت في أسرة نصرانية؛ إلا أنها لم تحس منذ طفولتها بأدنى ارتباط بهذه العقيدة إذ لم تستطع فطرتها الصحيحة أن تهضم فكرة أن الله ثالث ثلاثة، أو أن المسيح ابن الله وهو الله أيضا، تعالى الله عما يقولون.

وفي المدرسة علموها بعض الأشياء المغلوطة عن الإسلام، منها أن أخلاق المسلمين سيئة، وأن الرجل المسلم يبيح لنفسه أن يتزوج أربع نساء، ويعاملهن أسوأ معاملة، ويعدّهن جاريات مملوكات له بلا حقوق. وصدقت مونتسدات هذه الأقاويل، ولم يكن أمامها سوى أن تصدقها، فهو الرأي الوحيد الذي سمعته عن الإسلام والمسلمين دون أن تجد مَنْ ينقضه أو يشكك في صحته، ومن ثم عدته من المسلمات البديهية، وقبلت به دونما أي اعتراض أو شكوك حول مدى صحته.

إلا أن ما سمعته من سوء عن الإسلام والمسلمين لم يحل دون أن ترفض فطرتها السليمة دعاوى القسيسين وأكاذيبهم بشأن ألوهية السيد المسيح عليه السلام، إذ آمنت في داخلها بوجود الله، دون أن تستطيع تكوين فكرة واضحة عن خالق الكون، فَرَفْضُها الداخلي للقول بألوهية المسيح عيسى بن مريم لم يواكبه أي بديل آخر، فظلت الحيرة تلازمها، وتنغص عليها استقرارها وأمانها الداخلي.

التعرف إلى الإسلام

وحين التحقت مونتسدات بالجامعة لدراسة القانون، كانت ماتزال تعاني من حيرتها وضياعها الروحي، وتحس دائمًا بأن هناك شيئًا ما ينقص حياتها، ويجعلها تحيا في تساؤل دائم مستمر. ودفعها هذا إلى محاولة تلمس الحقيقة، وشاءت عناية الخالق - عز وجل - أن تلتقي بصديقة سبقتها إلى معرفة الله، والنهل من نبع الإسلام والعيش في ضيائه، فأخذت الأخيرة تحدثها، وقد لمست حيرتها، عن الإسلام شارحة حقائقه وموضحة مزاياه، وكونه الدين الوحيد الذي يقر بجميع الرسالات التي سبقت بعثة محمد عليه الصلاة والسلام.

كانت أحاديث تلك الصديقة دافعًا لمونتسدات كي تبحث عن حقيقة الله، وصحة العقيدة التي نشأت عليها، فأعادت قراءة التوراة والأناجيل، أو العهدين القديم والجديد كما يسميهما النصارى، فوجدت تناقضًا بينهما؛ فما يحرمه العهد القديم يحلله العهد الجديد، وما يحلله العهد القديم يحرمه العهد الجديد، مما يقطع باستحالة أن يكون كل منهما مكملاً للآخر، ويعزز ما قالته صديقتها عن حدوث تحريف في التوراة والأناجيل.

وعلى العكس من ذلك، لاحظت، حين عمدت إلى قراءة الكتب الإسلامية، أن عقيدة المسلمين لم تترك شيئًا للمصادفات أو التأويل، ففيها كل ما يحتاج إليه الإنسان من إجابات وحلول لأي تساؤلات أو مشكلات تعترض طريق البشرية؛ حيث تقدم الشريعة الإسلامية للمؤمنين أسلوبًا متكاملاً للحياة، يوضح علاقة الفرد بخالقه، والفرد بالفرد، والفرد بالمجتمع، ويوجد علاقة متزنة بين النواحي المادية والروحية التي يحتاج إليها الإنسان في حياته.

موازنات

وشدها للإسلام ما لمسته فيه من وضوح فكرة الألوهية ، وكون المسلمين يعبدون إلها واحدًا، لايعدونه إلههم فقط كما يفعل اليهود، وإنما إله كل الخلق على اختلاف الأجناس والأعراق والعقائد، كما أنهم - أي المسلمين - يؤمنون بأن علاقتهم بخالقهم هي علاقة مباشرة لاتحتاج إلى وساطة كاهن أو رضا حبر من الأحبار، بل تستمد وجودها من الإيمان بالله - عز وجل - والإخلاص في طاعته باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

وكانت كلما أمعنت في قراءة الكتب الإسلامية تزداد فهما لطبيعة الإسلام السمحة ووعيًا بحقائقه ومسلماته، وتجد فيه الصورة المثلى التي تنشدها في قراراتها وتحلم بها، ولهذا سعت حثيثًا للالتقاء بمزيد من المسلمين، لتعرف أشياء أكثر قد لاتتيح لها الكتب معرفتها، حتى إذا اكتملت لديها الصورة عن العقيدة الإسلامية

يمكن لها أن تتخذ القرار الذي يرتاح إليه قلبها وتطمئن إليه نفسها.

إشهار إسلامها

لم يطل الأمر بالمهتدية الجديدة، إذ ما لبثت بعدما اقتنعت بأن الإسلام هو الدين الحق، الدين الذي اختاره الله لعباده، به اختتمت الرسالات، واكتملت أنوار الحقيقة، فكان قرارها بإشهار إسلامها، واختارت أن تتسمى في حياتها الجديدة باسم «زينب» تيمنا بالسيدة زينب رضي الله عنها، وإعجابًا بها وبشخصيتها وكونها مثالاً للمرأة المسلمة الملتزمة المجاهدة في سبيل الله.

لاقى قرار «زينب» بالتحول إلى الإسلام رفضًا عنيفًا من قبل أهلها وصديقاتها، الذين لم يرضوا بهذا القرار، وسعوا جهدهم لردها إلى ظلمات جاهليتهم دون جدوى؛ إذ تمسكت زينب بحبل الله رافضة كل محاولات الردة، صابرة محتسبة على ما تعرضت له من مضايقات لم تقف عند حدود الأهل؛ بل امتدت إلى الأقارب والجيران الذين ساءهم أن يروها تترك الدين الذي نشأت عليه إلى دين يكرهونه أشد الكره دون أن يسعوا لمعرفة حقيقته..

زواجها ورحيلها إلى لبنان

واحتاج الأمر منها لتحافظ على دينها وسط مجتمع يعاديها إلى جهود كبيرة ومواجهة صعوبات جمة، تحملتها في صبر آملة أن تنال في النهاية الجائزة الكبرى: راحة البال والسعادة في الدنيا والعتق من النار في الآخرة.

وجاءت رحمة الله لتنقذها من نار مجتمعها وكراهيته، إذ تعرفت إلى شاب لبناني مسلم ، وتزوجته، وسافرت معه إلى قريته «عروب» في جنوب لبنان، لتحيا وسط عائلته المسلمة، ومجتمعه المسلم؛- حيث أتيح لها - للمرة الأولى - أن تمارس بحرية حياتها بوصفها مسلمة، متزودة من نبع الإسلام الذي لاينضب ، قارئة ما تحتاج إلى قراءته ومعرفته عن دينها. كما تعلمت اللغة العربية من أجل أن تستطيع قراءة القرآن الكريم باللغة التي أنزله الله بها، كما وضعت نصب عينيها هدفًا ساميًا، هو السعي لإنقاذ أرواح غير المسلمات بخاصة والفتيات بعامة بتبصيرهن بحقيقة الإسلام، من خلال تجربتها الشخصية ورحلتها الروحية من الشرك إلى نور الإيمان الساطع.

فلسفة التعليم وأثرها في إعداد المعلم

محمد يحيى ضميرية

التربية .. صدى لفلسفة كل أمة، وهي المعبرة عن روحها، وحيثما تكون فلسفة الأمة تكون التربية، أي إن التربية تأتي محققة، منفذة، لرغبات الأمة، عن طريق تنشئة أبنائها على المبادئ والقيم التي تدين بها، وما يؤمن به المجتمع ينعكس على التعليم، ومادامت المجتمعات مختلفة فطبيعي أن يكون لكل منها فلسفتها وأهدافها. وهدف التعليم بشكل عام هو: تحقيق أهداف المجتمع وتطويره من أجل مستقبل أفضل، ومن أجل حياة أرقى(1). فالمجتمعات القديمة كانت حريصة على أن تعلم الأبناء صناعة الآباء، وكان الآباء هم المعلمين في الأسرة أو القبيلة عن طريق التكرار أو الممارسة الفعلية. ثم دعت الحاجة إلى تخصيص شخص واحد فقط ليقوم بجمع أبناء القرية أو الأسرة في أي وقت وفي أي مكان من أجل تعليمهم ما يحتاجون إليه في مجتمعاتهم. وتطور مفهوم التعليم بعدها إلى تخصيص وقت ومكان، وعرف هذا المكان مؤخرًا باسم الكُتّاب، وانتشرت الكتاتيب في المجتمعات البدائية القديمة منذ فجر التاريخ.

ثم كان بجانب الكتاتيب: المشايخ، والمساجد، وبيوت العلماء، والمعابد، ودور الحكمة، ودواوين الاجتماعات الخاصة، وبيوت الأثرياء. وفي القرن السادس الهجري، أخذ الناس يسمعون ويرددون هذه الكلمة: مدرسة.

ظهر هذا الاسم وانتشر بعد ظهور المدرسة النظامية في بغداد، ونيسابور، وطوس، نحو 485هـ وهي أول مدارس بنيت للتدريس (2).

وطبيعي أن نقول: إن المدرسة لم تعد تقتصر على مدرس واحد يمثل كل شيء، وأصبح هنالك تعدد في المدرسين وتخصص. وكان هنالك تدخل لاختيار المدرس، واختلفت النظريات التربوية، وتطورت تبعًا لفلسفة كل أمة وأهدافها. وكان التأثير المتبادل.

وتغير دور المعلم عما كان عليه في التربية التقليدية من كونه محورَ كل شيء، ليكون الطالب هو المحور الفعّال، وليأخذ المعلم دور المرشد، ولكن هذا لم يقلل من دور المعلم وشأنه، بل أصبح دوره في التربية الحديثة يتطلب إعدادًا أصعب مما كان عليه في السابق، ليحسن القيام بدور الموجه والمرشد الذي يفهم طبيعة من يتعامل معهم، ويفهم ما يجب أن يقدمه، ويحسن تقديمه ضمن أهداف الأمة وسياستها التعليمية، وفلسفتها.

وإذا كان أساس التربية الحديثة في الغرب هو الحرية والديمقراطية، والفردية، وإذا كان فلاسفة التربية، ومعلمو المدارس، والجامعات في الولايات المتحدة مثلاً يهتدون بأفكار بنيامين فرانكلين، فنحن المسلمين، لنا تربيتنا الإسلامية التي تعبر عن روح فلسفتنا النابعة من ديننا الحنيف، ويجب أن تكون سياستنا التعليمية منفذة لروح تلك الفلسفة. فهل التربية الجارية في الوقت الحاضر، في الدول الإسلامية، تعبر عن الإسلام، وتحققه بحيث يتخرج الطالب في المدارس الموجودة حاليًا مسلمًا بمعنى الكلمة، كما كان المسلمون منذ أكثر من عشرة قرون؟.

وكيف ينبغي أن تكون التربية الحديثة الإسلامية حتى تتلاءم مع العالم الجديد الذي نعيش فيه(3)؟ وهل معلمنا مسلم يفهم دينه، ويفهم الفلسفة التعليمية التي يؤديها؟ وهل أعددناه الإعداد الكافي لهذه المهمة التي اخترناه لها، أو حمّل نفسه أمانتها؟.

يقول أبو الحسن الندوي: إن نظام التربية لباس يجب أن يفصّل على قامة البلد أو الأمة التي يراد تربية أبنائها أو شبابها، وعلى ملامحها الخاصة، وعقائدها العزيزة، وآدابها المفضّلة، وأهدافها التي تعيش لها، وتموت في سبيلها. إنه لباس يجب أن ينسجم مع أجوائها وبيئتها التي تعيش فيها، والآداب والعادات التي تحتضنها، والتاريخ الذي تغار عليه، والقيم والمثل العليا التي تعشقها، وتتغنى بها، وإن سياسة التعليم، أو المناهج التربوية ليست بضاعة تستورد من بلد إلى بلد، ومن أمة إلى أمة، أو شجرة تُقتلع من أرض، وتغرس في أرض أخرى(4). فإذا وجد اللباس الملائم غير المستورد - وهو موجود، يتمثل في النظام التربوي الإسلامي - ووجد الصانع الماهر - وهو المعلم المسلم - استطعنا أن نصل بهذا النظام إلى حضارة إسلامية مزدهرة من جديد.

المراجع:

1- الجديد في الإدارة المدرسية، حسين عبدالله محضر، دار الشروق، ط٢ ص63-1398هـ

2- المرجع السابق ص39بتصرف.

3- التربية في الإسلام، د. أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف بمصر، ص20، 1968م.

4- نحو تربية إسلامية، أحمد محمد جمال، ط1 ص 115-116، 1400هـ.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

حادثة الغرانيق

هل ثبتت حادثة الغرانيق حين سجد المشركون؟

ديانا لوج ، نيجيريا

قصة الغرانيق رواها جملة من كتبة السيرة، وفحواها أن المشركين في مكة سجدوا خلف الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قرأ سورة النجم، وجاء في قراءته «تلك الغرانيق العُلى ورن شفاعتهن لترتجى». ويُقصد بالغرانيق آلهة المشركين فقالوا: ذَكَرَهُنَ أو عَظَّمهن فنسجد معه. وقد نقل أحمد أمين وكثيرون غيره من المؤرخين المعاصرين، وبعض المفسرين للقرآن في هذا الحين الرواية هكذا.

وقصة الغرانيق لم تثبت لا متنًا ولا سندًا. ولكن كيف انتشرت وذاعت؟

يعود هذا إلى الجهل المطبق بحقيقة نظر أسانيد الروايات والمتون، كما يعود إلى العجلة في النقل دون معرفة حقيقة مَنْ نُقلت عنه، كما يعود أيضًا إلى قصد الدس والتشويه، وإلا فقد قال تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ فصلت:42. والآيات في هذا المعنى كثيرة تدل على حفظ القرآن، وحفظ السنة الصحيحة من الدخل واللبس والوثنية، أما السند فمتهالك جدًا لايقوم بحال. ولو نظر الكتبة والنقلة إلى المعنى المخالف لحقيقة البعثة أصلاً لنفوا هذه الرواية ولو لم يكن لديهم إلمام بعلم الجرح والتعديل وفن دراسة الرجال وأحوالهم.

الصلاة في السجن

مَنْ سُجن ومُنع من أداء الصلاة، ماذا يفعل؟

م م م، أفريقيا

يجتهد جدًا، فإذا لم يستطع فيصلي حسب استطاعته وعلى أي حال هو عليها لما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، ولقوله تعالى قبل ذلك: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ التغابن:16، ولايعيد الصلاة إذا فك الله أسره وأخذ بيده، والله أعلم.

لا تقل: لولا فلان

ما حكم قول: والله لولا فلان لما حصل كذا وكذا؟

براك م أ، المنامة، البحرين

تَرْكُ مثل هذا واجب، لكن إذا اقترن به النفع والضر بغير الله فهذا شرك. فمن اعتقد أنه لولا كذا وكذا لحصل كذا وتعلقت نية القائل بالمذكور دون الله فهذا هو المحظور، والتوحيد حساس، والمسلم عليه أن يحذر من الوقوع في مثل هذا.

التأدب مع الله

إذا قيل: والله أعلم، هل معنى هذا تردد القائل فيما قال؟

سعود بن علي اليزيدي، المغرب

كلا.. لكنه من باب (التأدب مع الله) سبحانه وتعالى فيوكل العلم كله إليه، لكن من تردد أو شَكَّ فلا يقول (الله أعلم) بل يتوقف أو يحيل السائل إلى أهل العلم، وليس في هذا ضعة على من قال لا أدري، أو أحال على غيره؛ بل هذا من كمال العلم وتمام الورع.

كتاب الأغاني

كتبتم عن (كتاب الأغاني) فهل كل ماورد فيه خطأ؟

سليم .م.ل، القاهرة، ج.م.ع

حينما يُراد الحكم على كتاب ما فيجب، بجانب الأمانة والتجرد، قراءة حياة المؤلف والظرف الذي أُلف فيه الكتاب، ثم عرض ما ورد فيه على قواعد النقد النزيه المتقن، وهكذا حال الشعر والقصة إلخ.

وأبو الفرج كما هو مُدوَّن في موضعه يميل إلى المجوسية، وهو كاتب متكسِّب. وأما كتابه الأغاني فهو كتاب أدبي تاريخي فكاهي قصصي.

وبعرضه على قواعد نظر المتون وحال الأسانيد يظهر ما يلي:

- الكذب في إيراد الحوادث.
- المبالغة في إيراد قصص الجنس والخمر واللهو وتزييفها.
- نشر الرذيلة والتهجم على العرب.

ويتضح هذا فيما يلي:

- جميع ما ورد من روايات أسانيدها باطلة، حسب تتبع الأسانيد.
- مخالفة ما أورده عن الحسن والحسين وسكينه رضي الله عنهم وسواهم للواقع سنداً ومتنًا.
- بطلان كل رواية عن الثلاثة.

وبهذا يتضح أن كل مايدور حول هذا الأمر خطأ بيِّن.

لكن هذا الكتاب منتشر كغيره بسبب جهل الأديب واللغوي والناقد والكاتب لحقيقة الجرح والتعديل وقواعد نقد المتون، فلايكون انتشاره حجة مثلاً، وقِسْ على هذا.

تقبيل الرجل للرجل

ما حكم تقبيل الرجل للرجل، وتقبيل الرجل للطفل، وهل صوت المرأة عورة؟

عبدالرزاق يوسف، الزلفي

الأصل في الشريعة هو المصافحة، وأما التقبيل فلم أجده في نص صحيح اللهم إلا تقبيل الرسول صلى الله عليه وسلم لجعفر حينما قدم عليه. لكنه ليس تقبيل الفم بالفم فتنبه.

وتقبيل الطفل لا بأس به إذا كان صغيرًا دون السابعة. لكن لايكون عن طريق الفم.

وصوت المرأة عورة عن الأجنبي عنها غير المحرم إلا ما دعت الضرورة إليه.

ردود خاصة

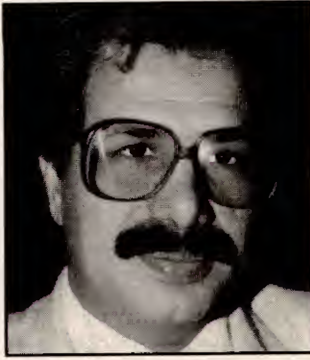
الدكتور مهدي بكر علوان، جدة:
يصلك خطاب خاص عن زراعة الأعضاء .

الشيخ مصطفى الحلس أبو سامي، الكويت:

يصلك جواب مطوَّل عن الوقف.

الأخ علي الزير، الساحل، بانياس، سورية:

البوطي رجل طيب، لكنه مخالف للتوحيد الذي عليه أهل السنة والجماعة، مثل قوله بشد الرحال إلى القبور، ونحو ذلك، وإلا فهو رجل قدير في مجال الفكر العام.



تأليف : د. محسن الموسوي

الوقوع في دائرة السحر

ألف ليلة وليلة في النقد الأدبي الإنجليزي

1704 - 1910م

عرض : د. جمال عبدالناصر

الباب المحرم إلى كنز لاينضب : دراسة النقد الأدبي الإنجليزي لألف ليلة وليلة، كان العنوان الذي حملته الرسالة الأصل التي كتبها محسن الموسوي باللغة الإنجليزية لينال بها درجة الدكتوراه من جامعة دالهوزي الكندية في ربيع 1978م. وقد ظفر القارئ من تلك الدراسة بكتابين في السنوات العشر الأخيرة: الأول بالإنجليزية يحمل العنوان المختصر "شهرزاد في انجلترا"، والآخر ترجمة له صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م تحت عنوان «الوقوع في دائرة السحر». وإذا كان الموسوي قد غيَّر عنوان النسخة العربية؛ فذلك لأنه أراد أن يؤكد جانب الانبهار بحكايات أميرة الشرق التي طالما جعلت قراءها وناقديها مشدوهين مسحورين، مأخوذين بعنصر الخوارق في حكاياتها تارة، وبالسمات الواقعية الصرف تارة أخرى، فكانوا في ردودهم وانفعالاتهم أشبه بمن وقع - على الرغم منه - تحت تأثير السحر.

ويقدم لنا هذا الكتاب الذي يقع في 292 صفحة من القطع الكبير (عدا الفهرست التفصيلي للمصادر والمراجع الأجنبية المختارة في 78 صفحة) أول دراسة ناضجة متكاملة لطبيعة الاستقبال الشعبي والأدبي النقدي لحكايات ألف ليلة وليلة في إنجلترا، لاسيما بين جمهور قراء القرن التاسع عشر. فـ "ليالي السمر العربية" - كما أطلق عليها مترجمها الإنجليزي المجهول في مطلع القرن الثامن عشر - تعد من الكتب القليلة الفريدة في تأثيراتها في القراء، وفي حجم القبول الذي لاقته، والرواج الذي حظيت به. ومع شيوعه الكبير وتأثيره الواضح في أوساط الثقافة الإنجليزية على وجه الخصوص؛ فقد تعرض هذا الأثر الأدبي لإغفال متعمَّد. فما زال الحديث مقتصرا على الآثار اليونانية واللاتينية في الحياة الأدبية الإنجليزية. أما حظ الثقافة الشرقية فلا

يتعدى الإشارات إلى الكتب المقدسة بعدما صودرت لتكون غربية قلباً وقالباً، حتى بات مؤرخو الأدب ينسون أنها هي الأخرى نفحات شرقية.

من هنا كانت محاولة الموسوي لدراسة اتجاهات النقد الأدبي الإنجليزي لـ"الليالي العربية"، التي أسفرت عن مجلد يطرح نفسه في ميدان المنازلات العلمية، معتمدا على كل الآراء والاجتهادات التي يعجز المكابر عن إهمالها، ومتوسلة بطرائق التنقيب الموضوعي لكي تُوصل الحقائق دون ادعاء وتضعها أمام القارئ، لكي يستنتج بنفسه في أغلب الأحيان. فالكاتب ينطلق هنا من واقع ذلك الإهمال ا لمجحف لـ«الليالي» محاولاً متابعة السمات البارزة لشعبية حكاياتها، وتقويمها وشيوعها خلال القرنين الثامن والتاسع عشر في إنجلترا.

وتعتمد الدراسة هنا على فرضيتين أساسيتين: أولاهما مؤداها أن أي تقويم مقبول ومعقول للشهرة الأدبية لـ «الليالي» لابد أن يقوم على معرفة حسنة وفهم واضح للنقد الأدبي الذي عاصر ترجمتها وشيوعها في المحيط الثقافي الجديد أو المستقبل. والثانية فحواها أن الترجمات والطبعات المنقحة أو المعدة لتلك الليالي تكشف - في نوعها وأسلوبها ومادتها وأشكالها - عن تطلعات وأذواق ورغبات واتجاهات سائدة في عصورها، ومن ثم تشكل علامات كبيرة الدلالة في التعبير عن القيم الأخلاقية والاجتماعية والجمالية النظرية القائمة.

وكان من مقتضيات الدراسة للاقتراب بموضوع البحث من الدقة المنشودة، والرصانة والتأصيل العلميين، الرجوع إلى المقدمات الذائعة للنسخ المترجمة، والطبعات المعدة من الحكايات العربية أو المقلدة لها، وكذلك العروض النقدية والمقالات المتميزة التي وردت في المجلات والدوريات المعاصرة آنذاك، والاطلاع على مذكرات النقاد والكُتّاب الرحالين والوجوه المعروفة ورسائلهم وأحاديثهم.

وتبسط الدراسة بعض شروط قراءة التأثيرات الأدبية والأبحاث المقارنة؛ فهي معنية مثلاً بالسمات الجمالية النظرية والاجتماعية للتأثيرات، معتمدة عينات شائعة وأكيدة بدل الإسهاب والتعداد الفهرسي الذي من شأنه أن يقتل روح الجدل ويوهنه، متخذة من هذه العينات أدلة وثوابت في استقصاء سر شيوع الحكايات أو بعضها بين فئة دون أخرى، متابعة قضايا الذوق الثقافي والاتجاهات النقدية المعاصرة، واضعة الليالي في إطارات نظرية الأدب وليس خارجها.

ولقد استدعت مثل تلك الدراسة جهدا مثابرا وبحثا واسعا، كما يتضح جليا في متن فصولها المختلفة التي تُعنى جميعها بطبيعة ردود فعل النقاد والمتذوقين وحجمها إزاء "الليالي العربية" بوصفها عملا أدبيا متميزا بغية تبيان شهرتها وذيوعها، بل تأثيرها في المجتمع الإنجليزي المثقف قرابة قرنين من عمر الزمان. كما تطلبت الدراسة -عند ترجمتها- إعادة النظر في عدد من التفاصيل، فأهمل المؤلف/ المترجم مالايهم القارئ العربي كثيراً، وأكد ماراَه مناسباً في تعريف قيمة الحكايات العربية الأدبية، أو في طبيعة ردود فعل القراء الأجانب وتجاوبهم مع هذه الحكايات.

ولكن الدراسة كانت لها حدودها البارزة؛

التحولات التي طرأت على المجتمع الإنجليزي تركت بصماتها على سمات التعامل مع الأدب التصوري، مما جعل «الليالي» تتأثر بفلسفة العصر الجديد وسياسته

فبرغم التركيز على النقد الكلاسيكي/ الأوغسطي والرومانسي/ الفكتوري لـ "الليالي"، لاسيما نقد الصحف والمجلات والدوريات الذائعة في العصرين الماضيين، فإن البحث لم يتناول بشيء من التفصيل الكتابات عن أصول الحكايات الشعبية والأساطير (الميثولوجيا) المقارنة. كما لم يسع إلى تقديم شروح للسمات المضمونية والبنائية لهذه الحكايات، فبقيت عملية استعراض التجاوبات مع "الليالي"، ومناقشة خصائصها الأسلوبية والمعرفية هامشية بالموازنة مع الانعطاف الرئيسي للدراسة؛ أي تفسير شهرة الحكايات وشيوعها من خلال علاقتها بإشكالات الذوق الأدبي المعاصر حينذاك.

وتحوي الدراسة ستة فصول هي: الليالي العربية في القرن الثامن عشر (اتجاهات الرؤية وإشكالات الذوق)، الرومانسيون يلتقون بشهرزاد، أشكال التجاوب النقدي (التثمين الرومانسي لجماليات شهرزاد)، نسخة لين وتغيرات الموقف الأدبي في العصر الفكتوري، بانوراما الحياة الشرقية، خاتمة (الاتجاهات الحديثة في دراسة ألف ليلة وليلة).

يدور الفصل الأول حول شكل تطور الموقف النقدي الفني في القرن الثامن عشر إزاء "الليالي" في ضوء شعبيتها وشيوعها، فيبين كيف كان منتقدو العصر مختلفين في حماستهم، وكيف تعددت وجهات نظرهم وتباينت بين رافض لهذا الجنس الأدبي ومعجب به، وكيف شعر المعجبون به بالحرج من التصريح، فأشاروا معتذرين إلى أصول الحكايات الكلاسية التي جعلتها مقبولة، في حين أن آخرين منحوا إعجابهم مشروعية مردها إلى تنامي الدعوة لتعزيز فاعلية الآداب وفائدتها. ومن ثم يبدأ الكاتب باستعراض العداء الكلاسي الجديد الذي وصف "الليالي" بأنها مثيرة للسخرية وغير طبيعية ولامحتملة.

فرواد الحركة الكلاسية الجديدة كانوا يعارضون التزويق الأسلوبي والخيال الجامح وغياب الوحدة والتقييد، إذ كانوا يمثلون الاتجاه المحافظ (التقليدي) السائد في الذوق الأدبي، ويعتبرون خرق قواعد التأليف وأصول الذوق والسلوك المتعارف عليها حينئذ مثلبة ومأخذاً هم أولى بمجابهته ورده.

وعلى صعيد آخر كان هناك من يجاري الذوق الشعبي ويروج القصة الشرقية، بوصفها نمطا جديدا ودخيلا قادرا على إحداث تغيرات في المفاهيم الدارجة عن الأجناس الأدبية، مما دفع أصحاب المجلات الأدبية إلى تقليد بعض الحكايات وإعداد عدد آخر مشابه لها لمغازلة الأذواق المختلفة، وذلك بعد تشذيبها بما يتوافق والتشديد (البرجوازي) المتزايد على الخلق القويم والحشمة. كما برزت نخبة من المستعربين وجدت في الحكايات تحررا فنيا وخروجا بارعا على الحدود الأدبية، والقناعات الدارجة والمألوفة، فراحت -إثر انبهارها بما هو غريب وجديد- تدافع بحماسة عن الجانب الخارق في "ألف ليلة وليلة" من منطلقات كلاسية محاولة حمايتها من النقد التجريحي. ولقد كان هناك اتجاه مواز آخر لقراءة "الليالي"، بوصفها عملا أدبيا، ذا نسيج متداخل من الخيالي والواقعي، وهو اتجاه نقاد نهاية القرن الذين أثنوا على الآلية الرومانسية لـ "الليالي"، التي اتفقت ونزعتهم لبلوغ نتاجات شبه مصنعة من

حيث دقة التزام القوانين والقواعد الفنية، وعلى إشكالات الغريب والمرعب. شهد القرن الثامن عشر إذن رغبة متصاعدة في متابعة "الليالي"، وانجذاباً إلى عجائبها اللذيذة، كما شهد ميلا شديداً مستمراً إلى الكشف عن تصاميمها المتشابكة وفنيتها الدقيقة. وأدى ذلك كله إلى كشف النقاب عن المقياس النقدي والذوقي المتغير خلال القرن، والذي أثر فيه بلاشك ولع الجمهور بالقصص الغريبة والمثيرة، بعد أن أثر أيضاً في نبرة كتاب الرواية ممن كانوا دائما منصتين باهتمام إلى مستلزمات ومتطلبات مجاراة الجمهور.

ويبحث الفصل الثاني في كيفية التقاء رومانسيي القرن التاسع عشر بشخصية شهرزاد، فيشير أولا إلى بعض الوقائع التي ميزت حركة العصر الفكتوري، ومنها التوسع الاستعماري في الهند والمشرق العربي، والتأثير المتزايد للصناعة على أصعدة الثقافة والحياة الاجتماعية، وثراء الطبقات الوسطى المحدثة. ثم يتحول الفصل بعد ذلك لتبيان التحولات الجذرية في الذوق التي تمخضت عن تلك الوقائع بما فيها أشكال التجاوب مع الفن القصصي العربي متمثلاً في "ألف ليلة وليلة". فيبين كيف كانت حكايات شهرزاد تُقرأ وتثير وتمتع في الربع الأول من القرن، وذلك بسبب بهائها ومواطن فتنتها الساحرة وغرابتها، إذ كان القصيُّ البعيد والغامض والشغف بهما يلوِّن مختلف الاتجاهات الجمالية، مع ما قوبل به من اعتراض مَنْ وجدوا الحكايات ركيكة وساذجة ومنافية للذوق العام، ومن تجاوبوا مع جوانب معينة منها دون الجوانب الأخرى. فرواج "الليالي"، استمر دون تلكؤ أو انحدار طوال العقود الخمسة الأولى من القرن؛ إذ لم يقتصر الرواج على الترجمات الدارجة أو الأنيقة الموجهة للموسرين، بل امتد إلى الطبعات الخاصة التي أُعدت لمسافري القطارات والقراء الفقراء، مما دل على أن الناشرين، وهم يقرون ذيوع "الليالي"، رأوا في تنوع مادتها وسحرها مايمكن أن يتجاوب مع مختلف الأهواء والنزعات. وسواء على المستوى الأدبي أو الشعبي فقد أسهمت "الحكايات" (أكثر من كتب الأسفار ومارافق التوسع الاستعماري من توجهات في النشر) في استشراق الأدباء والقراء معا. ولعل اشتداد عود الحركة الرومانسية هيأ المناخ الثقافي المناسب الذي توافرت فيه دواعي التجاوب مع "الحكايات" في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. إذ اتسعت آفاق شعبية جديدة أمامها، كما عكف الرومانسيون على الإفادة الابداعية الخلاقة من تقنية شهرزاد في إعادة بناء عوالم ذاتية جديدة أو أبراج عاجية فنية خاصة. لقد وجد إبداعيو العصر أنفسهم واقعين في شبكة السرد القصصي المتداخلة، بما فيها من أصداء لغرائزهم وهمومهم ورغباتهم، وإن تعارض ذلك مع الالتزامات الأخلاقية والاجتماعية المباشرة التي فرضتها الحياة في تلك الآونة. فعند متابعة قراءات جمهور العصر الفكتوري وكُتّابه، وحجم إفادتهم، وتنوع طرائقهم، يشعر المرء بأن ذلك العصر لم يخل من مفارقة ساخرة، فعلى الرغم من رواج "الليالي" المستمر وجذبها الغريب للذهن الرومانسي، لم تبق بمنأى عن الميل العاصف والمتزايد للهزء بكل الأشياء والسخرية منها.

ويرتكز الفصل الثالث بشكل خاص على الاتجاهات الرومانسية في تثمين "الليالي"، فيشرع الكاتب أولاً في العرض لنقاد نهاية العصر الأوغسطي ومطلع العصر الفكتوري، الذين لم يكن لهم حاجة إلى انتظار ردود فعل القراء وتجاوبهم؛ إذ أثبتوا من البداية أنهم أنفسهم قراء نهمون لحكايات شهرزاد. إذ كانت مختلف كتاباتهم ورسائلهم الشخصية وتعليقاتهم تنم عن إعجاب واضح يبلغ في بعض الاحيان ضربا من الغرام بتلك الصور والأخيلة المغرية. وعلى الرغم من أن النقد الأدبي في تلك المرحلة تعامل مع الرواية في أحايين عديدة في ضوء الرفض السلوكي والديني المتحمس لكل مايعد مضيعة للوقت وملهاة مخدرة مؤذية، إلا أن هذا النقد لم يكشف عن عداء يذكر للحكايات على أسس خلقية أو اجتماعية، وإن كانت طبيعة الأجواء وأشكال الإفادة من تكييف الحكايات وإعدادها تثير جدلا وتحديات. وأهم من ذلك بكثير أن بعض النقاد استعملوا "الحكايات" على أنها أساسيات نقدية في تقويم الأعمال الروائية والقصصية الإنجليزية المعاصرة، بعد أن رضوا عن عناصر معينة فيها ماكانوا يسمحون بها في غيرها من الأعمال، ولاسيما ما يتعلق منها بالاحتمالية والأخلاق، أي بالعنصرين اللذين يكونان ـ بأشكال متواضعة أو متطرفة ـ أساس أغلب النقد الأدبي المنشور آنذاك. فلقد ازدوج في "الليالي" جوهرها الاجتماعي (السوسيولوجي) مع حسنتها الأساسية بوصفها نتاجات تصورية، مما ساعد في تأسيس شهرتها في الساحة النقدية. وثمة اتجاه آخر في نقد "الحكايات" وضحت بداياته في العقود الأولى من القرن، عندما رأي بعض الكتاب البارزين أن الحكايات تمتلك سمات تؤهلها تماما أن تقبل نقدياً، ذلك لأنها تبقى مصدراً للجذب والإغراء غير المؤذي، بحكم كونها قادرة على تعزيز المتعة والارتياح دون فرض مطالب وشروط على ذهن القارئ، وبحكم قدرتها أيضاً على إبقاء المسافة التي تفصل القارئ عن عوالمها الخاصة. ولعل أهم الاتجاهات النقدية التي تعرضت لها الحكايات كان اتجاه اصحاب النزعة الرومانسية الذين فسروا نص "الحكايات" بصفتها ذلك النمط من النتاج التصوري ذي الآفاق غير المحدودة الذي يولعون به، وذي الأبعاد الخارقة والغريبة والسحرية والطقوسية التي طالما بحثوا وراء لامحدوديتها وغموضها وخروجها عن حدود المنطق والتجربة الحسية. فلقد مثل عالم شهرزاد، الذي تداخل فيه الطبيعي بالخارق تأثيراً وتأثراً، نسخة من الواقع الديني الذي كان الرومانسيون يبحثون عنه، فالحقائق المتسامية التي تشع داخل مجموعة الحكايات ليست مختلفة عن تلك التي أثرت في الذهن الرومانسي، مما جعل "الليالي" تستمر في الضرب على ذلك النبض الحساس في المخيلة الرومانسية سواء تمتع بها الرومانسيون على أنها مأوى تصوري أو خلاص من الألم والملل، إلى حيث يوجد عالمهم الشرقي الخيالي. ولكن سواء قدمت "الحكايات" مفراً من العالم إلى أرض مثيرة مغرية تتوافق مع تصورات الذهن الرومانسي، أو أبدت النصيحة الأخلاقية والمنفعة المعرفية، فإن "ألف ليلة وليلة" كانت واضحة التأثير في الوسط الثقافي الانجليزي في ذلك الوقت.

ويتناول الفصل الرابع طبيعة التغيرات في الاستجابة لحكايات شهرزاد، وبخاصة تلك التي نتجت عن التحولات الاجتماعية والحضرية والاقتصادية الكبيرة التي طرأت على المجتمع الانجليزي وتركت بصماتها الواضحة في اتجاهات الذوق وسمات التعامل مع الأدب التصوري. ويعني ذلك أن الحكايات كان لابد من تأثرها

بفلسفة العصر الجديدة وسياسته، مما أدى إلى ضرورة إعادة النظر في نسخة (جالان) للحكايات التي كانت سائدة في الأجواء الأدبية الإنجليزية. فالمرحلة الجديدة بطابعها الأكثر تميزا لم تعد تميل إلى حكايات باهتة اللون والتفاصيل، وكان لابد من نسخة تنسجم مع ذلك النزوع السكولاستي المتجرد من الأهواء والمفاضلات الشخصية، فجاءت ترجمة (لين) لتستجيب للدعوة إلى ترجمة دقيقة معززة بالشروح وذلك في العقد الرابع من القرن التاسع عشر. ولأن هذه الترجمة كانت تقع في سياق النزوع الواقعي تحت وطأة الديمقراطية السياسية والعلوم وتزايد التأكيدات البرجوازية على اللياقة في الأدب -أي تجنب العواطف والمشاهد الجنسية- كان مقدرا لها أن تحظى باعتراف كبير في عصر الملكة فكتوريا لكونها أحسن التقارير الوثائقية المسلية عن المجتمع العربي الوسيط. من هنا كان حرص (لين) على تشذيب نسخته من "الليالي"؛ أي حذف كل مايعد منافياً للذوق والأدب، بل كل ماقد يعطي فكرة خاطئة عن أخلاق المجتمع العربي. فـ(لين) لم يعد نفسه مجرد مترجم، وإنما عَدَّ نفسه مستشرقاً أو مستعرباً، كما أنه ابن ذلك المجتمع الذي بالغ آنذاك في الحشمة والتهيب من كل إشارة تعد منافية للخلق أو الحياء. ومن ثم فإن ترجمته تجاوبت مع الطلب المتزايد على نسخة تلتزم اللياقة المعاصرة -لياقة الطبقة الوسطى- التي ترى في كل إشارة إلى الجنس والغرام شيطاناً يغري الفتيات ويدفعهن إلى الطيش، وتجاوبت مع ذلك الميل المتجدد في النصف الثاني من القرن للتصدي لموجات الوصف الجمالي أو الطبيعي، حيث تأكيد السمات والأفعال الجسدية الظاهرية أو الحيوية التي تخص تفاصيل الحياة الجنسية. كما انسجمت نسخة (لين) تمام الانسجام مع ذلك النزوع المتزايد للواقعية. فبعد أن زود كل حكاية بهوامش اجتماعية وتاريخية واضعاً الجميع في إطار واضح، عائدا بكل حدث أو نادرة إلى ظروفها التاريخية -الاجتماعية، استطاع (لين) تقديم صورة غنية للحياة العربية ولاسيما في مصر. وبهذا الأسلوب لم تعد الرومانسية التي سحرت الذهن الرومانسي تحتل مكانها البارز في الحكايات، بل أصبحت ثانوية في تركيب عام ذي أطر متماسكة وواقعية. فـ(لين) تعامل مع "الليالي" واستوعبها على أنها مرآة للمجتمع العربي، متمسكاً بمنظار واقعي يتناقض كثيراً مع الرؤية الرومانسية عن الشرق، ومن ثم فإن نسخته تقدم في الواقع صورة لشرق فعلي على خلاف شرق الرومانسيين الذي ابتدعه الخيال الشعري وعاش فيه. لم تعد إذن بعد ظهور هذه النسخة الصورة الرومانسية لشرق غامض شبيه بالأحلام ممكنة القبول، فسرعان ماتخلت عن مكانها أمام تلك الصورة الحية لمجتمع واضح المعالم. وعلى جانب آخر فإن نسخة (لين) استجابت لطبيعة التحول الثقافي وقتذاك، وبخاصة فيما يتعلق بالقراءة. فلم يكن نمط القراءة الفكتورية للحكايات مشابهاً مثلاً لنمط القراءة الرومانسية. فالرومانسي قرأ "الليالي" لكي ينسحب إلى عوالم السحر والافتتان فيها، ولكي يلهو بتفصيلاتها محققاً تمتعه النهائي والمطلوب من الشروط الموضوعة ضمناً وفق مخيلته، ليمزج الحوادث والمشاهد في انطباع غنيٍّ وحَيٍّ ومتكامل.

أما قراء منتصف العصر فلم يكن لديهم الوقت الكافي لمثل هذا النمط من القراءة فوقتهم لم يسمح لهم بالتجوال طويلاً في مواطن الخيال الشاسعة، كما أنهم كانوا يفتقرون إلى ذلك الاستعداد الشعري الذي يتيح عادة لحظات من الحبور البديع. ففي ظل سيادة الفكر النفعي تنسحب ومضات الإبداع، وتخلي مواطنها للأسواق والمنشآت ومراكز التأهيل والتدريب. وقد تجاوب (لين) مع روح العصر الجديدة هذه فجاء للقارئ بمخزن من المعلومات المفيدة، وبعدد من الصور التي زينت مجلداته الثلاثة، لتحرر مخيلته من تلك الضغوط التي تضطرها إلى التأليف والجمع والتنسيق في مزيج متوحد. إن تنوع المداخل الأدبية تلك التي تطورت خلال القرن سواء أكدت النزعة الاجتماعية أو الرومانسية أو اهتمت بالمزايا الشاملة للحكايات، إنما يدلل من جديد على شعبية "الليالي العربية" وذيوعها بين القراء والنقاد على حد سواء.

ويتخذ الفصل الخامس من وصف حكايات "ألف ليلة وليلة" للحياة الشرقية موضوعا له. فيفتتح الكاتب الفصل بملاحظة أن الحكايات قد استمرت طوال القرنين الثامن والتاسع عشر في التوجه إلى القارئ الإنجليزي بخلاصة مركزة لحياة المسلمين، في الوقت الذي أثارت فيه ردود فعل متعددة وقعت بشكل حاسم في سياق الاتجاهات الثقافية السائدة لهذين القرنين، متناسقة مع الانطباعات الدارجة عن الإسلام والعرب، وإن كانت هذه الردود والاجتهادات والانطباعات أضعف من أن تقدم تقديراً شاملاً (للبانوراما) المتغيرة للحياة الشرقية، كما أنها من الجانب الآخر غالباً ماكانت تحتوي على تشويهات متوارثة للمعتقد الإسلامي. ولقد صدق هذا الرأي على أغلب ماكُتب حتى منتصف القرن التاسع عشر، باستثناء جهود المبرزين من المستعربين والمستشرقين والدارسين المتنورين. من هنا كان شعور النقاد يتصف بقلق واضح إزاء ماكان متوافراً، وطبيعة تأثيراته في الذهن الإنجليزي، إذ أدركوا أن أغلب كتابات الرحالين آنذاك لم تبلغ غير القشرة الخارجية من الشخصية الشرقية، كما سيطر عليهم شعور بالتمزق بين التشويهات المتوارثة من جانب، وغياب الدراسات العميقة عن حكايات شهرزاد، والبحث في السمات المتداخلة لاجتهادات الراوي وأساليبه السردية من جانب آخر. وربما كانت نزعة العداء المتبقية للإسلام بوصفه ديانة وثقافة دخيلة على المحيط الاجتماعي الثقافي الانجليزي من أهم المشكلات التي اكتنفت مناقشة "الليالي" ومحاولة تكييفها لذلك المحيط وملاءمتها لطبائعه المتعددة، مما دعا بعض الكتاب إلى طرح تفسيرات عنصرية للدين تتناسب مع أفكار دعاة الاستغلال الاستعماري وطموحاتهم. فبدل أن يعتمد الكاتب في استنتاجاته إزاء الآداب والمعتقدات الشرقية على مراجع أساسية ورئيسية، كان يحدد استشهاداته بالكتابات المقلدة والاستشراقية المزيفة، مما جعله يبذل جهداً خارقاً لمجرد البرهنة على تفوق الحضارة المسيحية على الحضارة الإسلامية، أو لتبيان أن الحكايات العربية لاتنم عن شيء آخر غير القسوة والشراسة والشهوة

نالت «الليالي» نصيبا وافرا من جهود باحثي أوربا؛ سواء من حيث أصولها، أو جزئياتها، أو أنماطها الروائية التي تشكل مجموع حكاياتها

والقبح، أو لعزل سحر "الليالي" الجمالي عن التكوين الاجتماعي الديني. وتجاه تلك النزعات الفردية كانت هناك جهود جماعية متعددة لإعادة تشييد الوجود الاجتماعي الثقافي للحكايات بالتأكيد على نغمة "الليالي" الواقعية التي اتفقت والميل الانجليزي المميز للأمور الواقعية، وتجاوبت مع النزعة (البرجوازية) للأناقة والوفرة والنظام والاستقرار، وإبراز معالجتها لحياة المدنية ومخاطرها وألاعيبها. أهم من هذا وذاك كان التأكيد العربي الوسيط من خلال رحلات السندباد بالحكايات لمفاهيم العمل الشاق والجدية والمهارة، وهي مفاهيم مدنية حلت بديلة لمفاهيم التفوق العشيري أو الاعتبارات التجريدية كالشرف والإيثار والكرم. وأوجدت بنية المدينة مقومات جديدة للحياة، كما أنها جاءت بأخلاقيات نفعية وتعاونية حلت -إن لم تلغ- محل عادات وتقاليد كانت دارجة في مجتمعات البداوة والقبيلة. ولقد تجاوب الفكتوريون مع نغمة "الليالي" المدنية الواضحة، وكذلك الكنيسة الإنجليزية التي كيفت وضعها مع مصلحة الطبقات الجديدة التي بدأت تمتلك السطوة، فكررت مفردات العمل الجاد والواجب والطهارة في أدبيات العصر. وعلاوة على ذلك فإن نقاد القرن التاسع عشر بدوا موافقين على أسس العدالة الخيالية المطروحة في الحكايات. كانت الأجواء المدنية إذن مسؤولة جزئياً عن رواج الحكايات العربية في مجتمع إنجليزي مدني سواء بين القراء أو النقاد، ولكن الفضل في رواجها يرجع أيضاً إلى السمة الهرمية في المجتمع الإسلامي الوسيط كما يتبدى من أقاصيص "الليالي". فعلى الرغم من يسر الحركية الاجتماعية من طبقة أو تركيبة إلى أخرى، كان هناك بناء هرمي لايعبأ في العادة بتلك الحركية المرتبطة بتقلبات الحظ والجاه والغنى، ويصعب تعرف مغزى المتابعة النقدية في عصر الملكة فكتوريا دون إشارة إلى مناخ الديمقراطية السياسية والصراعات الطبقية في العقود الأخيرة من القرن الماضي. ولقد تميزت الطبقات الوسطى المتنفذة ببحث مهووس في بعض الأحيان عن اعتبارات تقديرية للتجارة والأعمال في مواجهة عدم مبالاة الارستقراطيين والنبلاء، الذين مازالوا لايقيمون وزنا كبيراً لهذه الطبقات في مجالات الاتصال والمجاملة والزواج ومظاهر الاختلاط الأخرى. وعلى أية حال فإن مساعي الفكتوريين الجادة وإقبالهم على "الليالي" وتجاوباتهم المتباينة أفصحت عن اعتراف ضمني بالثراء المضموني للحكايات وطرحها صورة شاملة للتقاليد والعادات والمعتقدات الشعبية التي سادت في العصور الإسلامية الوسيطة؛ إذ اتفق الفكتوريون فيما بينهم على الاعتراف بـ "الليالي العربية" على أنها سجل غني عامر بالمعلومات عن الثقافة الشعبية الإسلامية بل بعناصر الحياة جميعها.

ويعرض الفصل السادس والأخير لأهم الاتجاهات الحديثة في دراسة "ألف ليلة وليلة"، فيطلع علينا بمطالعة سريعة للدراسات النقدية التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر عن "الليالي" وقامت على البحث التاريخي الأدبي والتحقيق النقدي، وبخاصة الكتابات المعنية بتركيب الحكايات الفني، وبمكانتها في الأدب الروائي، وبسماتها الخاصة وبجنسها وأنماطها وأشكال نموها وتطورها على مر العصور. لم يقتصر تأثير هذه البحوث والدراسات على الاهتمام النقدي بحكايات معينة وعقد قصصية متميزة، إذ انعكس بشكل واضح على المتابعات الأدبية عامة والتي تناولت موضوع حكايات شهرزاد بشكل أو بآخر، مثل تلك المقرونة بتطور الدراسة الأكاديمية والكشوف العلمية، والتي دعت للعودة إلى ينابيع الصدق والعفوية والحيوية والصفاء في القصص الرومانسي والأساطير، مما أحرز تقدما ملحوظاً في نقد مكانة "الليالي" الأدبية وتقويمها. وبخلاف فقهاء اللغة في أوائل القرن التاسع عشر؛ فإن باحثي أوروبا في نهاية القرن شرعوا أولاً في فحص وتوزيع القصص المنفردة، ومعرفة الجذور والأنساب للمجلد برمته، بما فيها من مصادر فارسية أو هندية أو إغريقية، بالإضافة إلى مايتعلق بالحضارات القديمة كالبابلية والفرعونية. فمنهم من استخلص المصدر الرئيسي للحكايات، ومنهم من اهتم بالجزئيات والأنماط والأجناس الروائية والأدبية التي تشكل مجموعة الحكايات، ومنهم من فرق بين الحكايات التي تعتمد على الخوارق وتلك التي يمتزج فيها الواقعي بالخيالي، ومنهم من أكد أن الرواية، كجنس أدبي، اعتمدت أصلاً على التأثير العربي فقامت على الاتجاه الرومانسي الأوربي الوسيط الذي كان مديناً بشكل أساسي إلى المساهمات العربية الروائية، ومنهم من حلل الدور التركيبي اللغوي في الحكايات بقصد تحريك عقدة الحكاية وتنشيط السرد القصصي. وفي مطلع القرن العشرين اتجه بعض النقاد إلى اعتبار السرد القصصي المتداخل مرادفاً لذلك السحر نفسه الذي يتخلل مضامين الحكايات، وليس مجرد خيط سردي فقط لجمع أطرافها. وإذا كان السحر يحيل المألوف والعادي إلى أشكال جلالية، فإن خيال شهرزاد يخلق حكايات أخاذة من مواضيع مألوفة ومطروقة، مالكة انتباه السلطان من جهة وجاعلة منه في الوقت ذاته متذوق أدب. ولاتقل أهميةً عن هذا الاتجاه النقدي المحاولاتُ التي جرت في هذا القرن لتضمين وتمثيل بعض المفاهيم والتقنيات العربية في الكتابات الروائية، والتي لامفر عند مراجعتها من الإلمام بحقيقة أن الأجيال المختلفة تجد أشياء متجددة باستمرار في الحكايات الثرية. ومع أن ردود الفعل المعاصرة حتما تُبنى على ردود سابقة؛ إلا أنها تتميز بقدرة على استيعاب بعض الصفات الدائمة في الفن القصصي، أي تلك المزايا التي تجعل تجربة شهرزاد تجربة فنية متجددة وأزلية خارج الأطر التاريخية، فـ "الليالي" تتضمن أكثر من صورة اجتماعية ونفسية ومشكلة فلسفية تستحق الدراسة والمتابعة، وإن كانت تبدو للروائي الحديث والناقد الأدبي المتخصص ينابيع للفن القصصي، تمتلك مواصفات ومزايا لابد أن يراجعها باستمرار قبل أن يواجه مشكلة الكتابة.

وبعد، فإن مجرد التطواف بين ثنايا هذا الكتاب الثري يجذبنا من جديد إلى دائرة سحر "الليالي"، التي تباعدنا عنها في هذا العصر الجحود، حيث نضجت خدمات واتصالات جديدة كان لها شأنها في تحجيم القراءة والاستجابة. والسقوط في دائرة السحر تلك يتيح لنا فرصة التريض في عوالم تراثية خلابة، نغترف من كنزها الذي لاينضب، و كان الصدأ قد بدأ يعتلي مفاتيحه بعد أن أهملنا أصولنا ونسينا جذورنا في غمرة الإغراء برياضات أخرى في بلاد غريبة، وبهذا يكون الكاتب قد أضاف للمكتبة العربية مؤلفاً مهما، ربما أغرى الكثير من الدارسين بالقيام بالمزيد من البحث والتنقيب الذي يعتمد الطرائق العلمية في التفسير والاستقصاء في هذه المنطقة النفيسة من تراثنا.

كتب التراث بين السلب والإيجاب:

حفظ التراث.. مش...

محمد سعيد المولوي

كانت فكرة إقامة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بَلَّ الصدى وفَيء المُهجر للباحث والدارس. وقد أدرك القائمون على المركز عظمة المهمة وعبء الواجب والدور الفعال الذي يمكن أن يؤدوه في خدمة الحضارة الإسلامية عامة، والتراث الإسلامي خاصة، وتيسير الكتب والمراجع، وحفظ المخطوطات وكتب التراث وصيانتها وتسهيل الاستفادة منها. وقد جاء في مسوّغات إقامة قاعدة المعلومات (الببليوجرافية) للمخطوطات الإسلامية ما يلي: «إذا كان بالإمكان اعتبار الأهرامات رمزًا للحضارة الفرعونية، والتماثيل والأنصاب والملاعب الضخمة رمزًا للحضارة الإغريقية، والقلاع والقصور العظيمة رمزًا للحضارة الرومانية، فإن رمز الحضارة الإسلامية على هذا المنوال سيكون - بلا شك - المساجد والمخطوطات بجميع أنواعها.

ولعل هذه الظاهرة الفريدة تمثل بوضوح وجلاء ما يتميز به الإسلام بين سائر الملل والأديان من عناية بالوجدان والفكر والقلب والعقل في آن واحد.

وقد كانت عناية المسلمين بالمخطوطات امتدادًا لعنايتهم بالعلم والمعرفة التي اعتبروها واجبًا شرعيًا وفرضًا دينيًا، ولئن تميز أوائلهم بإتقان صناعة المخطوطات والحرص على حفظها، ونشر المعرفة والعلم من خلالها، فقد تميز أواخرهم - للأسف - الشديد بإهمالها والتفريط فيها وتضييعها مع كثير مما ورثوا من كنوز الحضارة الإسلامية.

وقد نتج من هذا الإهمال والتفريط أن ضاع عدد كبير من المخطوطات الإسلامية، ونهبت الأمم الغربية عددًا كبيرًا منها، وما بقي بعد ذلك لدى المسلمين فهو لا يلقى منهم إلا أقل العناية والاهتمام. ورغم أن ما يقدر من المخطوطات في تركيا وحدها على سبيل المثال يربو على المليون مخطوط، فإن ما هو محفوظ ومُعتنى به منها لا يعدو ثلث هذا العدد، وما هو مصنف ومفهرس لا يتجاوز ربعه على أحسن تقدير.

إن هذا الواقع الأليم ليستوجب التفاتة جديدة من المسلمين واهتمامًا كبيرًا بأهم مصدر من مصادر التراث الإسلامي، ولعل أول ما يمكن فعله في هذا الصدد هو تصنيف وفهرسة ما هو معروف من المخطوطات حتى يتمكن الدارسون والباحثون من الاستفادة منها على الوجه الأمثل.

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية فقد أنشأ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية هذه القاعدة الببيلوجرافية عن المخطوطات مبتدئًا بما يحفظه منها في مكتبته ومنتقلاً إلى بقية المجموعات المعروفة والمفهرسة في مكتبات العالم(1).

والبيان السابق غني عن التعليق، فقد قدم الموجبات والأسباب والهدف والغاية من وراء نشاط المركز في هذا الجانب، وهذا الأمر كان موضع إصرار القائمين على المركز وشغلهم الشاغل حتى كانت الصورة كاملة وواضحة. وقد برزت هذه الصورة فيما قدمه المركز من بيان حيث جاء في النشرة التعريفية بالمركز وأهدافه:

«أهداف المركز ومهماته:

في إطار المساهمة في تحقيق أهداف مؤسسة الملك فيصل الخيرية يهدف المركز إلى خدمة الحضارة الإسلامية، ودعم البحوث والدراسات والنشاطات الثقافية والعلمية المختلفة في هذا الميدان وذلك من خلال الآتي:

1- الإسهام في إبراز دور الحضارة الإسلامية وما قدمته للبشرية في شتى الميادين، وما تميزت به عن سائر الحضارات الأخرى على مر العصور.

2- دعم حركة البحث العلمي وتطويرها على أسس علمية في المجالات المتعلقة بالدراسات والحضارة الإسلامية، وتشجيع الباحثين والدارسين على مختلف المستويات العلمية والأكاديمية، وتهيئة الوسائل والإمكانات اللازمة للمتفرغين للبحث سواء في المركز أو خارجه، وتقديم الخدمات والتسهيلات اللازمة لهم بتوفير ما يمكن توفيره من الكتب والمخطوطات ومواد المعلومات الأخرى ومساعدتهم على الحصول على المادة المطلوبة من المكتبات أو مراكز البحث المختلفة، أو الجامعات في المملكة العربية السعودية وخارجها.

3- إعادة تقديم التراث الإسلامي بمختلف فروعه في صورة تحفظه من الضياع والإهمال، وذلك بحفظه وصيانته وتنظيمه والتعريف به من خلال المعارض السنوية التي يقيمها المركز.

4- العمل على اقتناء المخطوطات الأصلية أو صور منها، واقتناء مواد المعلومات الأخرى من كتب ودوريات ومواد سمعية بصرية وما إليها، خاصة ما يتصل منها بالحضارة والدراسات الإسلامية، وذلك لإثراء مكتبات المركز وجعلها محور استقطاب الباحثين والدارسين..»(2).

ثمرات الإخلاص في العمل

وقد أثمرت الجهود الأولية التي بذلت في هذا المركز ثمرات يانعة خيّرة، ويكفي أن نعلم أن مكتبة المخطوطات في المركز تضم أكثر من (19000) مخطوطة أصلية، وأكثر من (10300) مخطوطة مصورة على مصغرات

ؤولية من؟

الحلقة الثانية

فلمية (ميكروفيلم)، وأخرى ورقية، كما تضم قسمًا لفهارس المخطوطات الموجودة في العالم مصنفة بحسب الدول، وقاعة للعرض والحفظ، وقسمًا لصور المخطوطات المتاحة في مصغرات فلمية.

وتعمل المكتبة السمعية والبصرية على توفير أوعية المعلومات السمعية والبصرية من أفلام وأشرطة وشرائح وغيرها من الوسائل التي تحوي مواد وثائقية ذات صلة باهتمامات المركز (3).

وكان من فضل الله عليّ أن أتيحت لي الفرصة لزيارة المركز والاطلاع على أقسامه المتنوعة، فرأيت ما يثلج الصدر ويبعث على الطمأنينة ويقر العين، فما رأيته كان أشبه بالحلم أو الخيال، فهو أمل كل باحث ودارس. لقد حوى المركز إدارتين للبحوث والدراسات والتراث والثقافة، مع التركيز على الأعمال المرجعية لإيجاد المصادر ذات الحقائق التي تثري الفكر والبحث العلمي، وقاعتين دائمتين لتنظيم معارض سنوية في مجال التراث والفن الإسلامي، وقسمًا لترميم المخطوطات، ومكتبة عظيمة برفوف آلية متحركة توصل الكتاب إلى القارئ في وقت قصير، «وتستخدم المكتبة الحاسب الآلي في جميع الإجراءات الفنية لمقتنياتها من تزويد وفهرسة وتصنيف وتكشيف، مما يتيح للباحث الحصول على ما يحتاجه من معلومات بسرعة ويسر عن طريق استرجاعها عبر مداخل متعددة كاسم المؤلف، وعنوان الكتاب أو الموضوع العام أو الموضوعات الجزئية الدقيقة»(4).

وحوى المركز أيضًا قاعة للمراجع، ومكتبة للمطالعة العامة، ومكتبة سمعية وبصرية، ومكتبة للأطفال، وقسمًا للتصوير ومطبعة خاصة وجناحًا للتجليد، وقد جاء في نشرته التعريفية: «فهناك قسم ترميم المخطوطات الذي يقوم بتعقيم جميع مخطوطات المركز إلى جانب ترميم ما يحتاج منها إلى ذلك، وهناك قسم للمصغرات الفلمية يتولى تصوير المخطوطات والدوريات على مصغرات ميكروفيلم وميكروفيش، واستنساخ وطبع ما يلزم منها.... إضافة إلى طبع فهارس المخطوطات الخاصة بالمركز بعد أن تم ربط قواعد المعلومات بجهاز صف الحروف لطبع البيانات المخزنة بشكل مباشر مما وفر الكثير من الجهد والوقت والمال»(5).

وأكبر الظن أنه لا حاجة بعد للتعليق على ما سبق لبيان قيمة هذا المركز وأثره في حفظ المخطوطات الموجودة في المملكة العربية السعودية، وإضافة ما استحصلت عليه دوائر المملكة الثقافية من مختلف كتب التراث من أطراف مختلفة من العالم.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

وهناك مركز آخر جدير بالاهتمام، وأن يقف الإنسان أمامه وقفة الاحترام والتقدير لمن أقامه وعمل فيه وطوّر نشاطه، لما لهذا المركز من أثر فعال في كتب التراث العربي من الناحية الإيجابية. وهذا المركز هو مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، في دبي من الإمارات العربية المتحدة.

ولا يخفى أن هذا المركز إنما كان نبضة من قلب رجل غيور على دينه وقرآنه ولغته العربية وثقافة أمته، فبذل ماله وجهده ووقته لإنشاء هذا المركز. وقد يكون من المفيد أن نقدم للقارئ العربي نبذة صغيرة عن نشأة هذا المركز وأقسامه، مبينين دوره في خدمة التراث وكتبه ووثائقه، وتقريب كل ذلك من يد المهتمين بدراسة العربية، وخدمة كتبها، كما نكشف صورة مشرقة تُحتذى ويُسار على نهجها لرجل محب للغته غيور عليها.

نبعت فكرة إنشاء المركز من حب السيد جمعة الماجد للكتب والمخطوطات، حيث كان يقتني كل ما تصل إليه يده من كتب قيمة مفيدة مخطوطة أو مطبوعة، حتى ضاق بيته عنها فنقلها إلى مقر مجاور لمكاتبه، وعيّن لها قيّمًا، فلما زاد عدد الكتب وكثر، نقلها إلى مكان أوسع، وعين لها موظفين وأطلق عليها اسم (مكتبة جمعة الماجد لإحياء التراث).

ونمت المكتبة وزادت محتوياتها نموًا عظيمًا، ففرضت أن ينشأ لها بناء واسع بلغت مساحته 5000م2 وأن يقام على أسس مكتبية حديثة، وأطلق الماجد على البناء ومحتوياته اسم: (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث) ووَضَعَ له نظامًا أساسيًا انبثق عنه نظام داخلي. وقد جاء في بيان أهداف المركز مايلي:

«يهدف المركز إلى نشر الفكر والثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة خاصة وفي الدول العربية والإسلامية عامة، وكذا في دول العالم المهتمة بالمجالات الثقافية والتراث العربي والإسلامي، ولهذا فإنه يتعاون مع مختلف المؤسسات الثقافية الرسمية والخاصة داخل الإمارات وخارجها، ويتيح الفكر والثقافة لمن يرغب، ويقوم المركز بالبحث المنهجي ويشجع عليه ويسهم في نشر المؤلَّفات القيمة التي تخدم أغراضه، كما يهتم بجمع الأوعية الثقافية المختلفة والدراسات المتميزة بما يخص العالم العربي والإسلامي ويحفظها بالطرق المكتبية الحديثة»(6).

وقد حوى المركز أقسامًا متنوعة لخدمة التراث والكتب، فهناك قسم لإدارة المكتبة والمعلومات ويضم قسم التزويد بشعبه الأربع، وقسم الفهرسة والتصنيف بما فيه من شعب التصنيف والفهرسة والإعارة، وقسم الإعارة بشعبه الثلاث، وقسم المخطوطات والكتب النادرة بشعبتي المستودعات والفهرسة والتصنيف، وقسم الوثائق التاريخية بشعبتيه، وقسم خدمة المعلومات بشعبه الثلاث، وقسم المطبعة والتجليد والتصوير والترميم بشعبه الأربع من طباعة وتصوير وتجليد وترميم، وقسم الأطفال، وقسم التراث الوطني، وقسم التراث الموسيقي العربي، وقسم خدمة المعاقين جسديًا والمكفوفين، وقسم الفنون التشكيلية والمواد

لا يخفى أن كتبا كثيرة ابتليت ـ عند نشرها ـ بالتحريف والأخطاء، وعلى الدارسين والمحققين يقع عبء إصلاح ما فسد، وإعادة نشرها صحيحة

الخاصة، وإدارة البحث العلمي بما تضمه من قسم الدراسات والترجمة، وقسم التوثيق بشعبتيه، وقسم تحقيق المخطوطات، وقسم المجلة، وقسم النشاط الثقافي، ثم إدارة الشؤون الإدارية والمالية(7).

والملاحظ من هذه الأقسام المتنوعة كم كان اهتمام المركز كبيراً بكتب التراث جمعاً وتصنيفاً، وعناية وفهرسة وترميماً وتصويراً وتمكيناً للباحثين والدارسين منها، وحفظاً للأجيال القادمة.

ومن نافلة القول أن نذكر أن هناك تشابهاً كبيراً بين مركز الملك فيصل ومركز جمعة الماجد، على فرق في الإمكانات من جهة، والخطوات التي تحققت حتى الآن من جهة أخرى.

دور النشر

فإذا خلفنا الحديث عن المراكز العلمية في حفظ كتب التراث قابَلَنا ميدانٌ واسع وعظيم كان ولايزال له الدور الفعال الأول في الحفاظ على كتب التراث عن طريق

الكتب العربية المخطوطة المتناثرة في مكتبات العالم يعسر جمعها وإعادتها إلى أوطانها، ولكن يمكن تيسيرها للباحثين من طريق تصويرها

تعريف القائمين بطباعتها وتحقيقها، ونعني بذلك أثر دور النشر والطباعة في نشر التراث. وسواء أكان المنطلق الباعث عند أصحاب دور النشر في طباعة كتب التراث وتحقيقها والعناية بها الرغبة في خدمة اللغة العربية وآدابها وعلومها، أو الربح المادي المتحقق من النشر؛ فإن النتيجة الإيجابية حاصلة. فهذه الكتب التي أمضت مئات السنين على رفوف المكتبات، وكانت محجوبة عن الباحثين والدارسين والمتعلمين، استطاعت أن ترى النور وأن تخرج للحياة، وأصبحت بين أيدي المطالعين يستفيدون من علومها. وتلك مزية كبيرة؛ فإن هذه الجهود الجبارة التي بذلها أصحاب دور النشر قد أسهمت في نشر كتب التراث وتمكين الناس منها، بحيث لو فُقدت الأصول المخطوطة أو ضاعت أو أُتلفت فإن الفائدة من هذه الكتب قد يُسرت وسُهِّلت. وكان النشر حفاظاً حقيقياً على الاستفادة من كتب التراث.

ولا يخفى أن بعض هذه الكتب قد أصيب ببعض التحريف أو الخطأ أحياناً أو نُشر المكتوب كما هو، ولكن هذه السلبيات لا تقف على قدميها أمام الإيجابية العظيمة، وهي ظهور الكتاب للنور وتمكين العلماء منه. ومهما كان في الكتاب من تحريف أو خطأ؛ فإن ذلك لن يمنع الدارسين والمحققين في المستقبل أن يحاولوا إصلاح ما فسد وتصحيح الخطأ، وإعادة طبع الكتاب محققاً مخدوماً.

والحقيقة أننا إذا حاولنا استقصاء أسماء دور النشر التي قامت في العالم العربي الإسلامي فإننا نحتاج إلى وقت كبير وجهد عظيم لا نستطيعه في هذه العجالة، وربما يتأتى له اهتمام بعض الباحثين أو المختصين فيضع معجماً لدور النشر، وسجلاً لأسماء مطبوعاتها مع الإشارة إلى قيمة هذه المطبوعات العلمية. وإنشاء مثل هذا المعجم يقدم خدمة كبيرة للناشرين أنفسهم، إذ يعرفهم أوضاع الكتب التي يودون نشرها حتى لا تكون هناك ازدواجية في العمل، ومن ثم لا يكون هدر للطاقات والأموال. وبدلاً من أن يطبع الكتاب مرتين في وقت واحد دون أن يكون لأية طبعة ميزة على صاحبتها، فإن الجهد والمال يمكن أن يُبذلا لكتاب آخر لم ير النور بعد.

ولا يفوتنا أن نشير في هذا الميدان - ونحن في صدد ذكر الإيجابيات - إلى ما صنعته بعض هذه الدور كالدار القومية للنشر في مصر من تصوير وطبع لأمهات الكتب والمراجع التي نفدت نسخها وباتت عزيزة وصعبة المنال حيث بذلت بأسعار رخيصة، ويسرت لقراء العربية.

الجهود الفردية والخاصة

ونحب أن نشير بعد إلى الجهود الفردية والخاصة التي قام بها بعض الأفاضل قديماً وحديثاً في حفظ كتب التراث، ونعترف أن هذه الإشارة عاجزة عن إحصاء هذه الجهود، فحيثما وجد محب للعربية وكتبها فثمّة جهد فردي للحفاظ على كتب التراث قد ينقلب إلى جهد عام أو نشاط دولي. ومنذ القديم عُني آباؤنا وأجدادنا بالحصول على الكتب وحفظها، وعرفت صنعة الوراقين منذ بدأ التسجيل والتأليف، وكانت الكتب القديمة عصارة فكر القدماء وعلمهم. وقد حرصوا عليها وحافظوا على وجودها واقتنوها وبذلوا في ذلك النفيس. ولا يغيب عن بالنا أن الأديب العظيم الجاحظ قد قضى تحت كتبه التي وقعت عليه، ولو لم تكن هذه الكتب كثيرة لما استطاعت أن تذهب به، مع ما كان أيضا من عدم استطاعته الحركة لإصابته بالفالج.

وقد ابتليت الكتب بالجائحات تذهب بقسم كبير منها، كما حصل للكتب الموجودة في بغداد والتي رمى بها المغول في مياه دجلة حتى اسودّ (8) وكما حصل في الأندلس بعد سقوطها في يد النصارى، إلا أن ذلك لم يمنع أن تؤدي الجهود الأخرى إلى الحفاظ على الكتب حتى وصلت إلى عهدنا هذا.

وحريٌّ بنا أن نشير إلى أمر يشد الانتباه وهو ذلك الحرص الفردي على إنشاء المكتبات والمحافظة عليها في أيام العثمانيين، فعلى الرغم من أن اللغة الرسمية للدولة كانت اللغة التركية، وأن اللغة العربية كانت في المرتبة الثانية؛ فإن كثيراً من الأتراك العثمانيين أعطوا الكتب اهتماماً خاصاً، وأولوا كتب التراث عنايتهم، وأنشؤوا المكتبات، ووقفوا عليها الكتب الكثيرة مما جعلها محفوظة حتى اليوم.

والحقيقة إن العلاقة الوثيقة بين الإسلام واللغة العربية هي التي حفزت أولئك المسلمين من العرب وغيرهم إلى أن يعطوا الكتب من العناية ما يدفع إلى الإعجاب. ولا بدع فيما صنعوا فما يتأتى لمسلم أن يفهم الإسلام حق الفهم دون أن تكون هذه العلاقة الجدلية قائمة، ففهم الإسلام يقتضي معرفة العربية وعلومها، ومعرفة العربية وعلومها تفضي إلى مزيد من معرفة الإسلام وفهمه، وهكذا فإن الكتب هي الوسيلة الأولى والمهمة في هذه العلاقة، لذا حرص المسلمون الأوائل على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات والمحافظة على هذه الكتب.

وفي العهد العثماني حصل إضرار كبير باللغة العربية وعلومها حين لم تتبن الدولة العثمانية اللغة العربية لغة رسمية، ولو أنها فعلت ذلك لصبغت أوربا وقسماً كبيراً من آسيا بالصبغة العربية، ولتغير وجه الثقافة العالمية، ومع هذا فإننا نجد في هذه الفترة حرصاً من بعض الأفراد على إقامة المكتبات، وسواء أصح القول إن العثمانيين قد حملوا كتب العربية إلى بلاد الأناضول أو لم يصح؛ فإن القضية تبدو متشابهة في جميع أنحاء الدولة العثمانية، فقد أقيمت المكتبات الفردية في البلاد العربية، وكذلك أقيمت في أراضي الدولة العثمانية الناطقة بالتركية. وهذه المكتبات كانت نتيجة جهود فردية لسلاطين أو علماء أو شيوخ إسلام أو أغنياء. وقد ذكرنا سابقاً أن هناك كمية هائلة ضخمة من الكتب فيما يطلق عليه اسم تركيا اليوم ليست محصورة في استانبول وحدها، بل هي متناثرة في أنحاء مختلفة من البلاد أقامها من ذكرنا من السلاطين والعلماء....الخ، فكانت هناك مكتبة السلطان بايزيد، والسلطان سليمان، ومكتبة فيض الله، ومكتبة كوبريللي، ومكتبة عيسى باشا، ومكتبة والدة جامع....الخ، ومكتبات أخرى لسنا في صدد إحصائها وإنما هي أمثلة ضربناها.

وكذلك وجدت في البلاد العربية مكتبات فردية انقلبت إلى مكتبات عامة أو أنشأها أفراد وجعلوها للناس كافة كمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة المنورة، ومكتبة قولة في القاهرة، ومكتبة جمعة الماجد في دبي.

ولعل من أهم المكتبات التي هي وسط بين القديم والجديد مكتبة المرحوم أحمد تيمور باشا المسماة بالمكتبة التيمورية، والتي جهد أحمد تيمور في جمعها واقتنائها

كتب التراث بين السلب والإيجاب:
حفظ التراث.. مسؤولية من؟

والحفاظ عليها حتى كانت مكتبة عظيمة مهمة، وقد أوصى أن تكون وقفًا على المسلمين في مكتبة دار الكتب المصرية في القاهرة.

والشيء بالشيء يذكر، فنحن لا ننسى تلك الجهود العظيمة التي بذلها عين أعيان جدة الشيخ محمد نصيف رحمه الله والذي أحسن إلى اللغة العربية وأبنائها فيما جمع من كتب التراث أو طبع أو أسهم في طبعها أو أوصى بتحقيقها وإخراجها. كما لا ننسى جهود الشيخ علي آل ثاني حاكم قطر الأسبق الذي كانت له الأيدي البيضاء على كتب التراث في العصر الحديث جمعًا واقتناءً وطباعةً وتوزيعًا بالمجان، كما نذكر بالخير جهود الرجل الصامت قاسم درويش فخرو، ونضم إلى ذكر هؤلاء مجموعة العلماء العاملين الذين كان لهم أثر في دفع المحسنين إلى اقتناء الكتب وطبعها وتوزيعها كالشيخين محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعبداللطيف آل الشيخ والشيخ محمد بن مانع.

إن الشرح الذي قدمناه كانت الغاية منه أن نبين الإيجابيات التي حظي بها التراث وكتبه، ونحن لا ندعي أننا قد أحطنا كل جوانب الموضوع، فذلك من العسير الشديد الذي قد يحوّل البحث إلى كتاب لسنا في صدده الآن. وإنما أردنا أن نضرب أمثلة ونشير إلى جوانب مشرقة في تاريخ هذه الأمة حَرِيَّة بأن تنشر وتبعث حتى تتخذ الأجيال اللاحقة من جهود الأجيال السابقة مثالاً يُحتذى، ومنهجًا يسار عليه.

بعض السلبيات

إن هذه الجهود الإيجابية كلها لم تمنع من أن يكون في الميدان نفسه جهود سلبية، وأخطار حقيقية تهدد التراث وتضر به وتسيء إليه وتمنع من الاستفادة منه.

وما دام بحثنا بين الإيجابيات والسلبيات فإنه حريٌّ بنا أن نشير إلى بعض السلبيات مبينين أثرها وخطرها، ولعلنا نتبعها بوصف لبعض الحلول التي يمكن أن تخفف من السلبيات وأن تزيد من الإيجابيات، وتكون مساهمة متواضعة في حفظ كتب التراث وإمكان الاستفادة منها.

لقد ذكرنا أن هناك أعدادًا هائلة من الكتب العربية المخطوطة متناثرة في مكتبات عالمية شرقية وغربية يعسر إحصاؤها ومعرفتها جميعًا، وأن إعادة هذه الكتب إلى الوطن الأم أمر مستحيل. ولكن هناك فرصة للاستفادة من هذه الكتب وما فيها من علوم ومعارف، وذلك عن طريق تصويرها وتمكين الباحثين والدارسين منها، وهو أمر قد أشرنا إلى بعض معالمه عند حديثنا عن معهد المخطوطات العربية ومركزي الملك فيصل وجمعة الماجد. لكن المؤسف أن بعض المكتبات التي توجد فيها هذه الكتب تضع العراقيل في وجه تصويرها. وأذكر أنني عندما كنت مدرسًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة اقترحت على الجامعة إنشاء مركز فيها لتصوير المخطوطات الموجودة في المملكة عمومًا والمدينة المنورة خصوصًا، والتبادل بها مع المكتبات العالمية، وبدلاً من ذلك أرسلت إدارة الجامعة بعثة إلى تركيا لتصوير المخطوطات الموجودة فيها، وأقامت البعثة قرابة عشرين يومًا دون أن تسمح لها إدارة مكتبة السليمانية بتصوير مخطوط واحد.

وقد يحار المرء من مثل هذا الإجراء؛ فأيّ ضرر يتأتى من تصوير هذه الكتب على هذه المكتبات؟ علمًا أن في تصويرها فائدة مادية تجنيها هذه المكتبات من الأجور التي تحصل عليها.

وإذا كانت بعض المكتبات تمنع التصوير مطلقًا، فإن بعضها الآخر يسمح بالتصوير ولكن بشروط معقدة شديدة التعقيد، بحيث تتداخل الأمور الإدارية في الأمور الأمنية العامة التي لها صلة بأمن البلد، وهذه الإجراءات قد تدفع الباحث إلى صرف النظر عن الكتاب أو الاستفادة منه تحاشيًا للاحتكاك بأمور هو في غنى عنها وليس له بها علاقة من قريب أو بعيد.

وثمة مكتبات تضع شروطًا مادية باهظة لمن يريد أن يصور كتابًا لديها يعجز الباحث عن تلبيتها (9)، إما لعدم وجودها أو لفداحتها.

إن منع تصوير المخطوطات وكتب التراث الموجودة في هذه المكتبات معناه أن يبقى الكتاب رهنَ رفٍّ مقيمًا عليه لا يستفيد منه إنسان ولا تتحقق الغاية التي أُلِّف من أجلها، وأكبر ظني أن المؤلفين لو عرفوا أن كتبهم ستبقى حبيسة لا يستفيد منها أحد لما ألّفوها، فإن من أكبر الدواعي إلى تأليفها قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(10).

ومن السلبيات التي يواجَهُ بها الباحث أو المحقق في محاولته تعرفَ كتب التراث أن تقوم إدارة مكتبة ما بمنع المراجع من المطالعة في هذه الكتب أو تعرفها متخذة لذلك حججاً مختلفة، منها الحفاظ على المخطوط، والخوف عليه من التلف. وقد يظن القارئ صحة هذه الحجج، ولكن الأمر خلاف ذلك فهذه الكتب إنما أُلفت لتُقرأ، وإن باحثًا يتجشم مشاق السفر ومصاعبه وتكاليفه للاطلاع على كتب التراث يقدر هذه الكتب أشد التقدير ولا يفكر بالإساءة إليها بل هو حريص عليها أشد الحرص (11).

ويدخل في هذا الإطار أن تجد بعض العلماء الأفاضل الذين نذروا أنفسهم للعلم قد جمعوا مكتبات ضخمة مهمة ثم اخترمتهم أيدي المنون وخلفوا هذه الكتب لأبناء ليسوا كآبائهم علمًا ومعرفة، فترى هؤلاء الأبناء يضنون بهذه الكتب ويمنعون المستفدين منها فيحجرونها في خزائنها ولا يمكنون منها أحدًا. ولسنا في صدد معرفة الأسباب الداعية لذلك، وإنما نصف أمورًا واقعة يمكن أن تدخل ضمن نطاق السلبيات.

ومن الأمور السلبية التي يقع ضررها على كتب التراث ما يصيب هذه الكتب من شرور الأَرَضَة والحشرات والغبار وعوامل الجو والرطوبة والحرارة؛ حيث تؤثر هذه العوامل مفترقة أو مجتمعة في هذه الكتب إتلافًا وتدميرًا، فمنها ما ينخرم في بعض أوراقه أو بعض أجزائه، ومنها ما يؤثر في أحباره فتضيع بعض كلماته، ومنها ما يحترق حبره أو ورقه بفعل هذه العوامل فيصبح بني اللون تعسر القراءة فيه، فإذا فتحه تكسرت أوراقه وكأنها أوراق أشجار جافة.

وما كانت صيانة المخطوطات صيانة علمية معروفة قديمًا، كما هي الحال اليوم حيث تستعمل الأدوية الكيماوية، لذلك وقع كثير من هذه الكتب فريسة لعوادي الزمن وأصابها الدمار.

ولكن في يومنا هذا تطور فن ترميم المخطوطات وصيانتها والحفاظ عليها، واستُنقذت كثير من الكتب وعادت إلى لبس حلتها القشيبة على أيدي أولئك الفنيين المهرة الذين أولَوْها العناية والاهتمام. والسؤال هو: كم هي نسبة الكتب التي حظيت بهذه العناية إلى بقية الكتب الموجودة.

إذا كانت الإجابة عن هذا السؤال قد تعسرت؛ فإننا نستطيع أن نقول: إن هذه الجهود جديرة بالتشجيع والانتشار.

الهوامش:

1- نشرة قاعدة المعلومات للمخطوطات الإسلامية ص1-2- مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

2- نشرة بعنوان: مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية ص3-4- مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بلا تاريخ.

3- المصدر نفسه ص7.

4- المرجع السابق ص6.

5- المرجع السابق ص10-11.

6- مجلة آفاق الثقافة والتراث ص6-7، حزيران 1993.

7- المصدر السابق ص8.

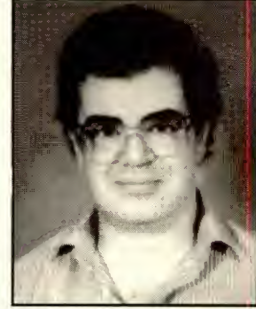
8- حاول بعض الباحثين المحدثين التشكيك في صحة هذه الرواية والأمر يحتاج إلى تحقيق.

9- أذكر أني في عام 1964م طلبت من مكتبة لينتغراد مصورة لمخطوطة كتاب (معجز أحمد) للمعري فطلبت المكتبة بديلاً لذلك مجموعة مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق منذ إنشائها وحتى ذلك التاريخ، وهو أمر مستحيل.

10- رواه مسلم في باب الوصية.

25) من الحجج المضحكة الواهية أني مُنعت من مراجعة كتب مكتبة الفاتيكان لأني لم أكن ألبس رداءً (جاكيتًا)، وحين اعترضت بأن الذي سيراجع الكتب هو أنا وليس الرداء، واشتد النقاش، عُرض علي حل وسط وهو الاطلاع على فهارس المخطوطات في غير غرفة المطالعة.

ماذا يريد الكاتب؟



محمد جبريل

لماذا أكتب؟ سؤال لم أعن بتوجيهه إلى نفسي أو مناقشته. نشأت في بيئة تدفع إلى القراءة والكتابة. مكتبة زاخرة بمئات الكتب، وأب جعل القراءة حرفته وهوايته، ومناقشات لا تنتهي في السياسة والاقتصاد والثقافة بين أبي وأصدقائه. أشارك فيها أحيانًا بما يدفع الأصدقاء إلى هز رؤوسهم بالإعجاب، أو بما يدفع أبي إلى إسكاتي، لسذاجة آرائي.

نشأت وأنا أقرأ وأكتب، فغاب السؤال، لأن الفعل سبق تقصي البواعث. وحين واجهني السؤال، بدأت التفكير في إجابة لم أكن فكرت فيها من قبل، ولا تدبرتها؛ لأني حين بدأت القراءة الأدبية، فالكتابة، لم أكن طرحت على نفسي أسئلة من أيّ نوع.

والحق إني لا أذكر متى حاولت الكتابة للمرة الأولى. كانت «أيام» طه حسين هي أول ما قرأت من أعمال أدبية. أذكر اليوم والظروف وتأثيرات القراءة. أما بدايتي الأدبية، أول ما كتبت، فإني لا أذكر متى ولا كيف؟، وهل عرضتُ محاولتي على آخرين؟ أم أني لجأت - عقب الكتابة - إلى تمزيقها.

أذكر قول أرسطو: «إن كل إبداع حقيقي يبدأ بكونه تقليدًا»، كانت القصيدة الشعرية أول ما كتبت. لم أكن تعلمت الأوزان، فلجأت إلى المحاكاة. قصيدة الرثاء التي كتبها شوقي - مثلاً - تتحول إلى قصيدة مناجاة للحبيبة. القصيدة البرمكية الشهيرة:

قل للخليفة ذي الصنيعة والعطايا الفاشية
وابن الخلائف من قريش والملوك العالية
إن البرامكة الذين رموا إليك بداهية
صفر الوجوه عليهمو حلل المذلة بادية..إلخ.

كتبتُ على منوالها: قل للحبيبة، وكلمات أخرى باعثها التقليد. فبديهي أن ابن الثامنة أو التاسعة لن يكون قد عرف حب الجنس الآخر بالمعنى الفرويدي، أو حتى الأفلاطوني!..

ثم كتبت العديد من القصص، وأنا في المرحلة الأولية، وهو ما أتصور أن الكثير من الأطفال - في المرحلة السنية نفسها - يفعلونه، لا شبهة نبوغ أو تفرد. القضية هي فيما يلي هلاميات البداية.

كنت أكتب قصصًا مما يبعث به الصغار إلى مجلات الأطفال، فتنشرها بعد أن تهذبها، أو تعيد كتابتها. وقرأت محاولاتي لتلاميذ - وأحيانًا: أساتذة - مدرسة البوصيري الأولية «مصر»، وعجّل زميلي في الدرج المجاور - فاروق حسني وزير الثقافة فيما بعد - باحترافي، حين أصر أن أكتب له قصة، لا يقرأها سواه، ودفع المقابل مليمين، كنت أسعد الناس بهما، لا للقيمة المادية، بل لأني تقاضيت أجرًا عما كتبته!..

كانت «الملاك» روايتي الأولى، المطبوعة. توليفة مقلدة للمنفلوطي وطه حسين والمازني والسباعي وعبدالحليم عبدالله وغيرهم.. تلتها رواية «ظلال الغروب». توهمت - دون وعي حقيقي - أن الجنس مهم في العمل الفني، فحشوتها بمواقف جنسية زاعقة، وغير مسوّغة، في حين كان قوام الرواية قصة حب ساذجة بين شاب وفتاة، انتهت بموت الفتاة إثر مرض لم يمهلها. قصة حب حقيقية أُتيح لي معايشتها، وكانت الفتاة الراحلة هي طرف العلاقة الآخر. ثم كتبت رواية باسم «أين الطريق»، لا أذكر شيئًا من أحداثها ولا شخصياتها، وإن كنت أذكر - بحب - محاولة صديقي المهندس صلاح شاهين طباعتها على نفقته..

إرهاصات، أحتفظ بها في مكتبي، من قبيل الذكرى، ولتلمس خطوات البداية. أما القصة التي أعدّها بدايتي الحقيقية، فهي «يا سلام». كتبتها في العام 1956م، ونشرتها ضمن مجموعتي «تلك اللحظة». حاولت - بالطبع - أن أنشر محاولاتي الباكرة في صحف الاسكندرية، قدمت الفصلين الأولين من روايتي «أين الطريق» إلى رئيس تحرير جريدة «العهد الجديد»، وكانت تصدر كلما توافر لها من الإعلان ما يحقق الربح سلفًا. ونشر الفصل الأول من الرواية في الجريدة، لكن رئيس

التحرير دفع بالفصل الثاني إلى جريدة أخرى اسمها «الاتحاد المصري»، فنشرته. وعرفت أن الجريدتين تتبادلان النشر بما يسود بياض الصفحات. ولأن القارئ الذي يتابع كان غائبًا، فقد كانت تكملة نشر مواد إحدى الجريدتين في الأخرى مسألة واردة. المهم أن تصدر الجريدة فور أن تتوافر لها الإعلانات التي تحقق لها الربح المسبق!..

الفن - الرواية والقصة على وجه التحديد - عالمي الذي أوثره بكل المودة. أتمنى أن أخلص لهما - تجربة وقراءة ومحاولات للإبداع - دون أن تشغلني اهتمامات مغايرة، لكن الإبداع الروائي والقصصي في بلادنا رخيص الثمن لا يشبع جوعا، ربما أتاحت رواية وحيدة في الغرب لكاتبها أن يقضي بقية حياته بلا عوز مادي، فيسافر ويتأمل ويقرأ ويخلو إلى قلمه وأوراقه، في حين أن المقابل المحدد، والمحدود، الذي يتقاضاه الفنان في بلادنا ثمنًا لعمله الفني، يجعل التفرغ فنيًا أمنية مستحيلة.

من هنا، كان اختياري - الأدق: لُجُوئي - للصحافة؛ فهي الأقرب إلى قدرات الأديب واهتماماته، وهمومه أيضًا. وكنت أتذكر المازني وهو يجد في كل ما يصادفه مادة صحفية، بينما الفن وحده شاغله وهواه. وكتبت فيما أعرفه واستعنت بالقراءة ومحاولة الفهم والاقتراب المباشر فيما لم أكن أعرفه. ووجدت في حياتي الصحفية أحيانًا ما يغري بكتابة عمل أدبي: رواية «النظر إلى أسفل» مثلاً، ورواية «الأسوار» ورواية «الخليج»، ورواية «متتابعات لا تعرف الانسجام» التي بدأت في كتابتها منذ أعوام بعيدة، ولا أدري متى أتمها. لكن الأدب ظل - على الرغم مني - تزجية فراغ. أحاول الكتابة إذا وجدت في أسوار الصحافة منفذًا.

أقدمت على العمل في الصحافة، وفي خاطري قول همنجواي: إن العمل الصحفي لن يؤذي الكاتب الناشئ إذا استطاع أن يتخلص منه في الوقت المناسب. وكنت أدرك - كما أدرك تولستوي دومًا - أن أي مهنة لا يمكن أن تنتزعني من الأدب. عاهدت نفسي - مثلما فعل كالدويل من قبل - على أن أي عمل أشتغل به غير الكتابة، سوف يكون مؤقتًا، لا لشيء إلا من أجل الاستمرار في العيش، والاحتفاظ بسقف فوق رأسي، وبكساء فوق جسدي.

والحق إني لم أحب الصحافة مطلقًا. إنها تقتل موهبة الأديب إذا نسي نفسه وارتمى في أمواجها. اخترت الصحافة لأنها أقرب المهن إلى طبيعة الأديب، وإلى اهتماماته، وحتى لا أصبح مثل جوليات سورل، بطل ستندال، فأواجه دائمًا تلك المشكلة الأليمة التي تتمثل في الوجبة التالية، ومن أين آتي بها. وإذا كنت قد حاولت الإجادة، فلأني أحاول الإجادة في أي عمل أوافق على أدائه، حتى لو لم أكن أحبه، فضلاً عن أني عملت في القسم الثقافي، فهو أقرب الأقسام الصحفية إلى نفس الأديب.

يقول همنجواي: «كلما ازداد الكاتب انغماسًا في عمله، بَعُد من أصدقائه، وأصبح وحيدًا». ومع أن جابرييل جارثيا ماركيز يؤكد أن لحظات السعادة المطلقة، والوحيدة، لم يعشها إلا أثناء الكتابة، فإن الكتابة - في تقديره - أكثر المهن عزلة في العالم، «فلا أحد بإمكانه مساعدة المرء في كتابة مايكتب».

ومن ناحيتي، فأنا لا أعتزل الناس حتى في لحظات الكتابة. إنهم شاغل ماأكتبه، وسدى كلماته. وإذا كان بوريس بورسوف يؤكد أن «أي فنان حقيقي ينطلق في أعماله من تجربته الروحية الذاتية»؛ فالواقع إني لا أكتب لنفسي. لا أكتب لأودع ماأكتبه أحد الأدراج، أو أمزقه، بعد أن أنتهي منه، وإنما أدفع به إلى الناشر، سواء في صحيفة أو كتاب. يشغلني أن يرى النور، أن يقرأه الناس، ويفيدوا منه، أو يستمتعوا به، أو يناقشوه، حتى إن لم يجدوا فيه مايستحق القراءة.

ابتداء، الكاتب لا يخترع شخصياته. من الصعب أن تكون الشخصيات منبتة عن الواقع تمامًا. بل إن الكاتب نفسه ربما تصور أنه اخترع الشخصية، والحقيقة ليست كذلك. إنه لو حلل الشخصية إلى عناصرها الأولى، فلا بد أن يجد فيها ملامح وقسمات شخصيات عرفها بصورة مقيمة، أو طارئة. وربما قرأ عنها، أو سمع بها، دون أن يتاح له تعرفها مباشرة. يقول ألبير كامي: «لا يمكن أن تكون إحدى شخصيات العمل الفني هي الأديب نفسه، لكنّ هناك احتمالاً بأن يكون الأديب في آن واحد، جميع شخصيات عمله الفني». بل إن العمل الأدبي - والقول للناقد الروسي بوريس بورسوف - يحمل طابع السيرة الذاتية، فالذي يكتب بشكل حقيقي هو من يفكر في نفسه، وفي كل شيء آخر في آن واحد «آفاق عربية - آب/أغسطس 1977م».

وإذا كان فوكنر قد اخترع مدينة، تدور فيها أحداث رواياته، هي جيفرسون، في حين اخترع جارثيا ماركيز مدينة ماكوندو تعبيرًا عن الحياة المتميزة في أمريكا اللاتينية؛ فإني حرصت على الكتابة عن حي «بحري» بالإسكندرية باعتباره كذلك. لم أحذف ولم أضف إلا بمقدار الاختلاف بين الواقع والفن؛ فإن الفن ليس نقلاً فوتوغرافيًا للواقع، لكنه إيهام بذلك الواقع.

حي بحري ليس «ماكوندو» جارثيا ماركيز. ليس فردوسًا أرضيًا وفرصة رائعة أمام الإنسان، ليحقق ماعجز عن تحقيقه من أمنيات. أهل بحري يعانون ويقاسون ويعملون ويمرضون ويفرحون ويموتون ويألمون ويأملون. لا أضيف جديدًا لو قلت إن المحلية هي البيئة الحقيقية التي يجدر بأعمالنا الفنية أن تتحرك في إطارها، توصلاً للإنسانية. وإذا كانت المحلية - في اتفاق الجميع - شرطًا أساسيًا لتحقيق العالمية، فإن المحلية ليست في تلك الحكايات الساذجة، أو الهلاميات، أو الصور التي تفتقد الترابط والحبكة، بحيث يصعب نسبتها إلى العمل الفني في إطلاقه. وعندما تُرجمت - بمبادرات طيبة من لجاننا المختلفة - نماذج من تلك الأعمال التي يمكن القول - بكثير من التجاوز - إنها هابطة فنيًا، فإن القارئ الأجنبي وضعها في الإطار الذي ينبغي ألا تتجاوزه. المحلية العالمية هدف من الصعب تحقيقه. ترجمنا العديد من أعمال كبار أدبائنا إلى لغات أجنبية، فلم تجاوز قيمتها، حتى في نظر المستشرقين والمعنيين بالثقافة العربية، مثل «نهر الجنون» لأستاذنا الحكيم، التي صارحني الدكتور حسين فوزي - وقد طالت إقامته في أوروبا - إنها حققت أثرًا سلبيًا؛ لأن قيمتها الفنية تهبط عما يمكن لطالب في المرحلة الثانوية - هناك - تقديمه. ليس في ذلك الرأى انتقاص - ولا مجرد محاولة - من أعمال أستاذنا الحكيم، فالإعجاب بيوميات نائب في الأرياف وعودة الروح - على سبيل المثال - يبين عن نفسه - في المقابل - في آراء النقاد الأجانب، وإن تحفظت كل الكتابات في نسبتها كذلك إلى الإبداع العالمي، بكل ماتنطوي عليه تلك الصفة من مواصفات محددة، وصارمة.

الملاحظة التي ربما أبداها البعض، واكتفى البعض الآخر بإيرادها تساؤلاً في عينيه، هي أن حياتي خاصة، فلا أغادر بيتي إلا نادرًا، ولا

ألتقي بالآخرين إلا لضرورة، ولا أتردد على الندوات أو المقاهي أو أماكن التجمعات عمومًا، بما يعجل بنفاد مخزون «التجارب» التي تصلح نبضًا لأعمالي. والملاحظة - في ظاهرها - صحيحة، بل إني أقدرها تمامًا، وإن كنت أجد فيما قدمت من أعمال جوابًا مقنعًا. وبصراحة، فليس ثمة فجوات في حصيلتي المعرفية والاجتماعية والنفسية. ولعلّي أحرص - في كل لحظة - على أن أحتفظ بقدرتي على الدهشة. فإذا زايلتني هذه القدرة، فإن الخطوة التالية - كما أتصور - هي أن أهجر الإبداع مطلقًا.

ومع تأكيدي أهمية التجربة، فليس إلى حد تذوق الزرنيخ، مثلما فعل فلوبير حين أراد التعبير عن انتحار مدام بوفاري، ليرى مدى تأثير الزرنيخ في النفس والجسد.

اللغة تقول: إن الإبداع هو «إحداث شيء على غير مثال سابق». وإذا كان أندريه جيد قد كتب إبداعاته «على أمل أن نجد قارئًا لم يقرأ الأعمال السابقة علينا» فإن ناتالي ساروت تعلن: «يجب ألا نكتب إلا إذا أحسسنا بشيء لم يسبق أن أحس به، أو عبر عنه، كتاب آخرون»؛ لذا فإني أبدأ في الكتابة عندما أشعر أن هناك إلحاحًا داخليًا يدفعني إلى ذلك. ربما انشغلت، أو تشاغلت، فتفلت اللحظة المناسبة. وحين أتوهَّم ثانية أنها قد عادت، تأتي الكلمات باهتة، باردة، كالوجبة التي لم تقدم ساخنة. وفي معظم الأحيان، فإن البدء والختام في قصة قصيرة - أحرص على أن يكون ذلك في جلسة واحدة - تأتي أقرب إلى المفاجأة، ربما تطاردني الفكرة شهورًا، فأتناساها وأهملها وأنصرف عنها إلى قراءات وكتابات أخرى. ثم يجري القلم على الورق دون تعمد. أحيانًا كنت أهم بكتابة رسالة أو مقال صحفي، فيتحول - منذ البداية - إلى القصة التي كانت تشغلني وتشاغلني. وعندما أنتهي من كتابة القصة، فإني لا أحاول نشرها قبل بضعة أشهر. أعيد النظر فيها بين حين وآخر، حتى أطمئن في النهاية إلى إمكان نشرها، فإذا نُشرت لم يعد لي بها بعد ذلك صلة؛ ولأن الفكرة حين تختار لحظة تسجيلها تكون أشبه بالمولود الذي لا بد أن يغادر بأكمله رحم أمه، فإني أكتب بسرعة، دون توقف. ما يشغلني هو التدوين فحسب.

ربما أتوقف أمام كلمة، أو جملة، أو موقف بكامله، فأتجاوز ذلك كله، وأترك السطور مكانه خالية وأواصل الكتابة، على أن أعود إلى السطور الخالية بعد ذلك، فأحاول أن أسوِّد بياضها. بعض أعمالي واتتني وأنا في حلم يقظة. قمت من فراشي، وسجلتها، كما رتبتها الذاكرة في حلم اليقظة. ولما قرأتها، لم أضف إليها، ولا حذفت حرفًا. كتبتها على الآلة الكاتبة بصورة الكتابة الأولى. كنت أتردد في البوح بذلك الأمر، حتى عرفت أنه يحدث للكثير من الأدباء، وأذكر قول همنجواي: «يحدث لي أحيانًا أن أحلم بالسطور نفسها. وفي هذه الحالة فإني أستيقظ وأكتبها، وإلا ربما نسيت الحلم تمامًا». لقد كانت كوليت تقضي الصباح كله في كتابة جملة واحدة. وأنا أفضل أن أترك لهذه الجملة موضعها من السياق، ثم أتأملها. أضعها في بالي، أحاول صياغتها في حياتي العادية: في البيت، في المكتب، في الطريق، حتى إذا تشكلت على النحو الذي يرضيني، ملأت بها الموضع الخالي من السياق. تعمّد وصل الجمل حتى بالمعاني الغائبة يضر العمل الإبداعي، فأنت قد تَقبل - لكي يتكامل العمل - كتابة ما، قد يكون في وعيك أفضل منها. أنا أكتب القصة القصيرة، أو الفصل من الرواية، في جلسة واحدة. لا أترك القلم والورق قبل أن أنهي مابيدي. يملي العمل مضمونه، ولغته، والتكنيك الذي يشكل صورته الظاهرة. ربما اتجهت الأحداث إلى عكس ماكنت أفكر فيه قبل البدء في الكتابة. وربما أبانت الشخصيات عن نقائض ماكنت أتصورها فيها. لا أحاول التدخل، إنما أترك المسألة برمتها إلى موروثات وقراءات ورؤى وتجارب.

لا أقصد بذلك أني أكتفي بمجرد وضع السواد على البياض - كما يقول موباسان -: «أكتب أي هراء، ولا يهمني ماذا يكون، ثم أنظر فيه بعد حين». إنما أنا أكتب بالفعل، أحاول أن أعبر بقدرما تواتيني الموهبة وحضور اللغة. فإذا استعصى التعبير، تركت الجملة، أو الفقرة، حتى لا أفقد المواصلة، ثم أعود إلى النص، أطيل قراءته، أعاودها، أتأمل وأفكر وأعدل وأبدل وأضيف وأحذف، حتى أطمئن إلى أني لم أخطئ في تركيبة جملة، ولا إلى موضع كلمة ولا حرف. وربما أقدمت على تمزيق العمل، لأن صورة المولود شوهاء، فلن تجدي إعادة نظر. عمومًا، فإنه يجب أن تكون أمام الفنان فترات للتأمل، وهذه الفترات عندي حين أقود سيارتي، أو عند استخدامي للمواصلات العامة «حافلة، مترو، قطار، الخ..» أو لحظات القراءة، عندما تثيرني معلومة، فأسرح فيها، وربما بعيدًا من المعلومة نفسها. وقد تأتي لحظات التأمل تحت «الدوش»، أو في دورة المياه، أو حتى أثناء تناول الطعام، إنها تأتي في اللحظات التي أنعزل فيها - دون وعي دائمًا - عن الآخرين. أذهب إلى جزر قريبة، وبعيدة، أتنقل فيها بين عوالم واضحة وضبابية التفصيلات وهلامية. في هذه اللحظات، تواتيني فكرة الرواية، أو القصة. استكمل الجملة الناقصة، أحذف الكلمة الزائدة، وربما الحرف الزائد. قرأت لفيليكس ألكرن أن قلمه كان يجري على الورق بقدرما تواتيه السرعة، فهو يجعل بعض الكلمات إشارات وخطوطًا، ويملأ الصفحات بما يصعب قراءته.

حين أشرع في كتابة عمل ما، فإن صورته في ذهني لا تكون واضحة تماما؛ لأنني أكتفي بالفكرة من دون التفصيلات، وقد تبين القصة عن ملامح ربما لم تخطر في بالي

ربما كان خط ألكرن جيدًا، فهو يسود بالكتابة السريعة. أما خطي فهو سيئ في الكتابة العادية، ويصعب عليّ قراءته - أحيانًا - بعد أن أكتب بسرعة. ولولا أني أفلح في القراءة بالتذكر، فلعلي كنت سأتخلص من الكثير الذي كتبته، يأسًا من قراءته.

وحين أشرع في كتابة عمل ما، فإن صورته في ذهني لا تكون واضحة تمامًا. أكتفي بالفكرة دون تفصيلات، وإن توضحت بعض التفصيلات الصغيرة، لكنني أفضل أن يكتب العمل الفني نفسه، بمعنى إني أرفض التحديد الصارم لصورة العمل منذ بداية الكتابة، حتى لحظة ترك القلم، ذلك تعسف لا أتصور أني أقدم عليه. وكما قلت، فإني أبدأ الكتابة وصورة العمل غير واضحة الملامح، فتتوضح معالمها أثناء الكتابة، لأنها هي التي تهب تلك الملامح، بإسهام من المخزون الذي أملكه من الخبرات والتجارب والرؤى والتصورات. عندما أبدأ الكتابة، فإني أعتمد كثيرًا على الخبرات -

خبراتي وخبرات الآخرين - الكامنة في أعماقي. لا أجهد نفسي في البحث، ولا أحاول انتزاعها، إنما أترك للعملية الإبداعية سبيل استدعائها على الورق. تظهر في الوقت الذي تريده، وعلى النحو الذي تريده، دون تعمد ولا قسر من ناحيتي. وربما تكون الشخصية أو الحادثة غائبة تمامًا، فلا أتذكرها إلا أثناء عملية الكتابة.

القصة يجب أن تكتب نفسها. فعْلُ الكتابة اكتشاف. أرفض التصوّر بأن الكاتبَ يبدأ قصته وهو يعرف تمامًا صورتها النهائية. القصة تكتسب ملامحها وقسماتها أثناء ولادتها. قد يأتي المولود في صورة غير التي ربما كان يتوقعها الفنان نفسه. قد تبين القصة أو الأحداث عن ملامح ربما لم تخطر في باله. كاتب القصة يختلف عن «السيناريست»، في أن «السيناريست» عنده قصة جاهزة، فهو يحول القصة إلى مشاهد. وفي كل الأحوال، فإن كتابة القصة ينبغي ألا تخضع للمنطق الصارم، للعقلانية التي قد تفقدها تلقائيتها. الفنان مطالب بأن يخفض صوته إلى حد الهمس، حتى يتحقق الإيهام بالواقع، ولا يتحدث الفنان نيابة عن شخصياته..

أحيانًا، أبدأ في تصوير الشخصية، ولها في مخيلتي ملامح بذاتها. ثم تذوي الملامح التي تصورتُها - أثناء عملية الكتابة - لتحل بدلاً منها ملامح أخرى، فتأتي الشخصية مغايرة - سلبًا أو إيجابًا - لكل ما تصورته. وربما بدأت في كتابة عمل ما وفي داخلي وهم أني أمتلكه، أعرف البداية والنهاية. فإذا بدأت في الكتابة، أسطر قليلة أو كثيرة، لم أعد سوى أداة للتسجيل. القصة تكتب نفسها، كأنها الأمواج التي تذهب بالقارب إلى شواطئ لم يكن يتوقع ربانه الوصول إليها. وكما يقول سيمينون: «أنا لا أعرف في البداية ماذا سيحدث لأبطالي بعد قليل. فإذا عرفت ذلك، انتابني السأم والملل. أنا لا أكتشف الوقائع دفعة واحدة، بل أقع عليها وأنا انتقل من فصل إلى آخر، وكأني أحكي قصتي لنفسي لا للآخرين». وبالتأكيد، فإن ما أريده بعد أن أتم كتابة عمل ما، يختلف عن الصورة التي كتبته بها فعلاً. تغيب شخصيات وأحداث وأماكن كنت أتصور أنها أساسية، لتحل بدلاً منها شخصيات وأحداث وأماكن كانت مختفية في تلافيف الذاكرة، ثم ظهرت في وقت لم أحدده. مجرى الشعور لا يعرف الترتيب ولا المنطق، ولا يحده زمان ولا مكان، لكنه أشمل من كل زمان ومكان.

ولقد بدأت روايتي «من أوراق أبي الطيب المتنبي» باعتبارها قصة قصيرة، لكن اتساع القراءة في الفترة التاريخية، وسع كذلك من «بانوراميـة» الصورة التي يجدر بي تناولها، فتضاعفت الصفحات القليلة - كما كنت أعد نفسي - إلى ما يزيد على المائة والخمسين صفحة. وكانت «تلك اللحظة» - مجموعتي الأولى - كتابًا أوليًا، يتكون من ثماني قصص، هي أقرب إلى الاسكتشات، أو الرسوم التخطيطية لأعمال أكثر اقترابًا من فن القصة القصيرة، أكثر اقترابًا من النضج. وباختصار، فقد وشت «تلك اللحظة» بطموحاتي، بأكثر مما أكدت تلك الطموحات. وكان عليّ بعدها أن أعطي نفسي إجازة، أُعيد خلالها تثقيف نفسي، وأعيد النظر في أوراقي الفنية، وأناقش إعجابي بالأساتذة الذين قرأت لهم.

التجربة الشخصية مهمة في العمل الفني، ولكن ليس إلى الحد الذي ذهب إليه فلوبير بتذوق سم الزرنيخ لكي يعرف مدى تأثيره في بطلته «مدام بوفاري»

الكثير من أعمالي، يبدو فيها البطل واضحًا، مسيطرًا، لا يفارقنا منذ بداية العمل إلى نهايته. نتعرف ملامحه النفسية - والجسمية أحيانًا - وظروفه الاجتماعية والثقافية، ونوازعه، وأفكاره، وآراءه.

وعلى العكس من ذلك، فإن بقية الشخصيات تعاني الشحوب، وفقدان الملامح المؤكدة، لأنها تؤدي أدوارًا مساعدة، تعمق من دور البطل، توضحه، تجسده، تثريه. والحق إني لم أكن أعرف أن هذا هو ماتعتمده - في الأغلب - الحكايات الشعبية، فقد حاكيت إذن تكنيك الحكاية الشعبية، دون تعمد. وعمومًا، فإني أفضل أن أقدم من ملامح الشخصية مايساعد على التعرف إليها، على فهمها. أحترم الميراث الإبداعي الروائي الذي يمتد عشرات الأعوام. أتفهم قول همنجواي: «إن الرواية مثل كتلة جليدية عائمة في البحر، ثلثاها مغمور في الماء». فأنا أكتفي برسم الملامح التي تهب الشخصية بلا ثرثرة، ولا زيادات مقحمة، ولا كلام مرسل، أو سرد ممل. أصور الشخصية لأضيف إلى الرواية، وليس لمجرد تصوير الشخصية في ذاته. وأحيانًا، فإن وصف الكائنات قد يقتصر على تقديم الدلالة الاجتماعية، أو النفسية، أو يصبح رمزًا، أو معادلاً لما يمور به داخل الشخصية من انفعالات.

حاولت أن تكون لي عاداتي المصاحبة للكتابة، مثل شرب القهوة وتدخين اللفافات، وسماع الموسيقى، والتحكم في مساحات الضوء، فلم أوفق. تكفيني المعادلة السهلة: فكرة + مكان للكتابة + أوراق + قلم. لا يشغلني - بعد ذلك - أي شيء. حتى الشاي عرفته مؤخرًا. وكنت قد حاولت - قبلاً - أن تكون لي - مثل بقية الناس - هوايات أمارسها، لكن الفشل كان هو الحائط الذي اصطدمت به كل محاولاتي.

كنت أتذكر في حجرتي بجريدة «المساء»: ثلاثة عشر مكتبًا، في مساحة حجرة متوسطة الحجم، ومخزن لأوراق رئيس التحرير، وبضعة دواليب للصحف، ومايبيعه السعاة من لفافات دخان وبسكويت وأقلام الخ..» أتذكر في ذلك اللغط مقولة همنجواي: إن المرء يستطيع أن يكتب في أي وقت يتركه الناس فيه وشأنه، ولا يشوّشون عليه ويقاطعونه.

كانت الشوشرة فضل الزملاء المقيمين في الحجرة، والوافدين إليها لتناول فطورهم الصباحي، بعيدًا من الأعين في الصالة الواسعة، فضلاً عن السعاة الذين تتعالى أصواتهم - بلا انقطاع - في طلب احتياجات الزملاء في الصالة. يقول بوريس بوريسوف: «من أجل الولاء للفن، تحتم على الفنان التضحية بنفسه، وأن ينصرف عن أي شيء يعرقل عملية الإبداع عنده. بل إن الظروف قد تضطره لأن يتجاهل مصالح المقربين له، والتصرف معهم بقسوة». الفن يحتاج إلى ضحايا، تلك مقولة شهيرة، لكنها لا تتجه إلى الفنان وحده، وإنما تشمل القريبين منه أيضًا. وإذا كنت قد أهملت البعد الاجتماعي؛ من حيث المشاركة في الحياة العامة، والخروج إلى المجتمعات، فإن ذلك قد انسحب بالضرورة على القريبين مني: على زوجتي وأبنائي، وعلى أصدقائي الذين أحبهم تمامًا، لكنني لا أستطيع أن أبذل لهم وقتي، على النحو الذي يريدونه، وأريده أنا أيضًا!.



غلاف الكتاب

العنوان: وقت الفراغ.. وأثره في انحراف الشباب.
المؤلف: عبدالله بن ناصر السدحان.
الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط1 1415هـ/1994م. (182ص)

هذا البحث نال به عبدالله السدحان درجة الماجستير، وهو دراسة ميدانية استطلاعية، تمّت في مدينة الرياض، واتبع فيها الإطار المنهجي المعهود من خلال معرفة المشكلة التي قامت من أجلها، وهي: الفراغ وأثره في انحراف الشباب - ثم تساؤلات البحث، وأهدافه، وأهميته، وحدوده ومصطلحاته.. فضلاً عن الدراسات التي سبقته. وعَدّ ذلك كله مدخلاً له، أو الفصل الأول فيه. بينما فصله الثاني كان عن: أهمية وقت الفراغ وكيفية قضائه في المملكة العربية السعودية، وتناوله في مبحثين: الأول: عن الآثار الإيجابية لاستغلال وقت الفراغ، والاهتمام الدولي به. والثاني عن استغلاله أو قضائه في المملكة العربية السعودية أو معرفته: كمًا وكيفًا ومكانًا ومشاركة. ووجد أن أربعة أوساط اجتماعية هي المؤثرة في انحراف الشباب أو الأحداث: الأسرة والمدرسة والحي والرفاق. فكانت فصله الثالث. أما الفصل الرابع فكان عن الإجراءات المنهجية للدراسة؛ أي عن منهج البحث والأداة المستخدمة فيه، ومجتمع الدراسة وخصائص العينة. وأما فصله الخامس - والأخير - فكان عن بياناته: تحليلها، ونتائجها، وتوصياته. وختم بحثه بملحقين: جداول إحصائية، وميثاق الفراغ الدولي. فضلاً عن قائمة بأسماء مراجعه التي بلغت ستة وستين مرجعًا، وكلها غنية بالمادة.

ولقد قامت مادة الدراسة لدى الباحث السدحان على عَيِّنتين: الأولى اختارها من الأحداث المنحرفين في (دار الملاحظة بالرياض)، والثانية من الأحداث الأسوياء في مدارس مدينة الرياض. وكانت أعمار كلتا الفئتين تتراوح ما بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة. ولهذا جاءت بياناته الإحصائية، العددية والنسبية، محللة ومفسرة من خلال هاتين العيِّنتين. وكذلك كانت النتائج، وكأنها موازنة بينهما من حيث آثار الفراغ في كلتا الفئتين. ولنقف عند بعض هذه النتائج، لاسيما تلك التي كانت موضع تساؤلات البحث؛ وإن كان أغلبها مستنتجا ممن سبقوه في البحث نفسه، ولم يخرج، أو يختلف، عنهم إلا فيما ندر.

تتراوح أعمار الأحداث الجانحين ما بين السادسة عشرة والثامنة عشرة، وأغلبهم يرتكبون جنحتهم بمشاركة الآخرين، ويعترفون أن أصدقاء السوء هم السبب الأول في انحرافهم، والفراغ هو السبب الثاني، وثلثهم كان منقطعا عن الدراسة، وتنتشر الأميّة لدى آباء المنحرفين بنسبة تفوق ما هي عليه لدى آباء الأحداث الأسوياء. وانخفاض مستوى أسرهم الاقتصادي، وتدني مستوى أحيائهم وسكنهم عما هو لدى الأحداث الأسوياء. وإن كان ثمة تساوٍ في عدد أفراد الأسر من كلا الجانبين، وهي نتيجة يخالف فيها أحد الدارسين..

أما النتائج التي توصل إليها الباحث السدحان، والمتعلقة بأوقات الفراغ ومتغيراته فهي أن الغالبية العظمى من الأحداث بنوعيهم - المنحرفين والأسوياء - يمتلكون فراغًا كبيرًا لايقل عن ثلاث ساعات يوميا أيام الدراسة، وأكثر من ست ساعات أيام العطلات والإجازات.

ولكن وقت الفراغ عند المنحرفين أكبر، ووسائل الترفيه في منازلهم هي (الفيديو والدش) أما الأسوياء فهي (الحاسوب والمكتبة، والأدوات الرياضية)، ونسبة امتلاكهم للسيارة أكبر من المنحرفين، ولاندري كيف خالف فيها نتيجة أحد الدارسين. كثرة ممارسة الأنشطة السلبية لدى المنحرفين، والإيجابية لدى الأسوياء. أكثر قضاء وقت الفراغ عند المنحرفين هو الشارع والأماكن العامة والمقاهي، أما الأسوياء فهو المنزل.. وكذلك المنحرفون ولكن بوقت أقل. والأسوياء أكثر ارتباطًا في قضاء وقت فراغهم مع أسرهم من المنحرفين، وكذلك في عمليات السفر خلال الإجازات. ويتجهون إلى مكة والمدينة، بينما المنحرفون يتجهون إلى جدة والدمام والجبيل. ونسبة مشاركة المنحرفين في النشاط المدرسي تفوق الأسوياء.

ثمة ثلث من الجانبين لا يشارك في ذلك النشاط لعدم الرغبة، ولأنها مملة، ولكثرة الواجبات المدرسية. وكلاهما يقرأ الصحف والمجلات الرياضية. والمنحرفون يقرؤون المطبوعات ويشاهدون الأشرطة المثيرة حسيًا وعاطفيًا، والأسوياء يشاهدون الأشرطة العلمية والتوجيهية. وهؤلاء أكثر ارتباطًا بالقرآن الكريم والمواظبة على الصلوات من المنحرفين، وأكثر منهم وعيًا بأهمية الوقت.

ومن توصيات الباحث السدحان، وكأنه يخاطب بها ذوي الشأن، التوسع في مدارس تحفيظ القرآن المسائية، والأندية العلمية والثقافية، والمراكز الصيفية، والرحلات الداخلية، والمسابقات المتنوعة، وتوعية الأسرة، ودعم المدارس بمرشدين وإخصائيين، وتبصير الشباب بخطورة رفاق السوء، وتقوية الوازع الديني، وتشديد الرقابة على ما تعرضه وسائل الإعلام. وهكذا فالوقت سلاح عصري نقتل به الفراغ الممل المميت، وعلى المرء أن يوظِّفه فيما يسعد الروح والجسد، وإلا استحال إلى علَّة قاتلة لكليهما، وتظل مقولة «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك» صحيحة.

العنوان: النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء.
المؤلف: د. عدنان علي رضا النحوي.
الناشر: دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1416هـ/1995م. (239ص)


د. عدنان علي رضا النحوي



غلاف الكتاب

حمّل المؤلف د. عدنان النحوي كتابه عنوانًا في (النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء). وحمّلت مقدمته كلامًا عن أسباب تأليفه، وهو - في الأصل - مقالة نشرتها الجزيرة فيها نقد لقصيدة له وأخرى للعشماوي، في رثاء المرحوم د. عبدالرحمن رأفت باشا. والكتاب من أربعة أبواب: الأول عن رسالة الأدب بين منهجين وحضارتين، وكان قد قدمه في الملتقى الدولي الأول للأدب الإسلامي في (وجدة) المغربية. والثاني في ثلاثة فصول هي: الشعر بين الهدم والبناء، والشاعر بين الناقد والجمهور، وأدب غير المسلمين وموقف الأدب الإسلامي منه. والثالث في خمسة فصول هي: القواعد الثابتة في الأمة، والمفهوم المحدد لبعض القضايا الفنية والأدبية، وعناصر النصح المتعلقة بالنص، والعناصر التي تتعلق بصاحب النص، والعناصر التي تتعلق بالناصح. أما الباب الرابع والأخير فكان: نماذج من النقد الأدبي، وهو دافعه لوضع كتابه كما ذكرنا. إذ أضاف لمرثيته ونقدها والردود عليها، وقفة له مع قصيدة «البردة» لكعب بن زهير. ولأن هذا الباب هو المعبر عن العنوان، فستكون وقفتنا معه هي الأطول.

والنحوي غزير النتاج الشعري والنثري. ولهذا كان يحيل القارئ من حين إلى آخر إلى الكثير من دواوينه وكتبه، ليزداد هذا القارئ معرفة واطلاعًا على القضايا الأدبية والدينية التي يعالجها. وإذا تكررت تلك القضايا؛ فلأن دائرة فكره محصورة في الأدب الإسلامي ومفهومه، وإبرازه بكل حماسة والتزام. وهذا لايمنعه من الإسهاب حينًا، والإيجاز حينًا آخر.

وربما كانت تلك الغزارة الإنتاجية تُعزى إلى حماسته الإسلامية والتزامها، كما ذكرنا. وبعدها لابد أن يلازم تلك الحماسة حبٌّ كبير، وإعجاب بكل كلمة يسطّرها يراعه.. لدرجة بات معها كثير الاستشهاد بنصوصه الشعرية والنثرية.

والكتاب، الذي نحن بصدد الكلام عنه، قد زخر بالنصوص الشعرية، وكانت سبعة نصوص: خمسة من شعره، ونصين لغيره من الشعر الجاهلي، أحدهما لامرئ القيس والثاني لكعب بن زهير.

كان النحوي في نيّته أن يتسع بمفهوم الأدب الإسلامي، حين أجرى معارضة أو موازنة بينه وبين امرئ القيس.. وكان نصا الموازنة بين بيتين لامرئ القيس، وأربعة أبيات للنحوي من نصين مختلفين:

يقول امرؤ القيس:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفاني، ولم أطلب، قليلٌ من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثلٍ
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقال النحوي معارضًا:

ولو أن ما أسعى لدنيا وزخرف
شقيتُ بما أجنيه من زخرف بالِ
ولكنما أسعى لفردوس جنة
وذاك - بعون الله - غاية آمالي

وقال أيضًا:

ولو أن ما أسعى لدنيا رخيصة
شقيت بسعيي أو رجعت بخسران
ولكنما أسعى لأغلى بضاعة
من الله جنات ونفحة رضوان

كان امرؤ القيس، في فخره، لايسعى إلى المال، وإنما إلى المجد الأصيل، أما النحوي، في فخره أيضا، فكان لا يسعى إلى زخرف الدنيا، وإنما إلى جنة الفردوس ونفحات رضوان. وينتهي من المعارضة أو الموازنة مستخلصًا مفهومه عن الأدب الإسلامي: «هذه أبيات توضح بصورة مباشرة جانبًا من الفروق بين الأدب الإسلامي الملتزم في كلمته ومنهجه، وبين غيره من الأدب». وهكذا أخرج نص امرئ القيس - وهو من الشعر الجاهلي - من مفهوم هذا الأدب، ومع ذلك فقد كان هذا الجاهلي يفتخر بمعالي الأخلاق التي يحبها الله، وهي التي جعلها النحوي في ص141 أساس (الجمال الفني ونظريته) معتمدًا على الحديث الشريف: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها».

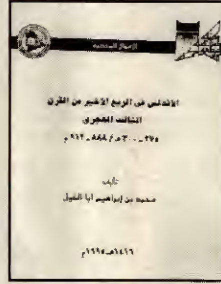
ولكن النص الآخر الذي استشهد به النحوي من شعره في صفحتي (78، 79) لايمت إلى التفاخر، وإنما يؤكد فيه «حضارة الإيمان» المتمثلة: «بطائفة من أمتي ظاهرين على الحق..» إلى آخر الحديث. ومن خصائص هذه الطائفة الإقدام ومواجهة الظلم والظالمين حتى النصر.

أما النص الخامس في موضع الاستشهاد، فكان قصيدته - المرثية - التي بلغت ثلاثة وأربعين بيتًا نشرتها له الجزيرة، ثم نقدها ممن أُطلق عليه (ابن جني) - الذي لانعرفه - بمقالة كانت سبب وضع كتاب: «النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء». وإذا كان الباب الرابع من هذا الكتاب يشمل (نماذج من النقد الأدبي)؛ فإن القارئ يتوق إلى المزيد من تلك النماذج، ليتعرف نقدنا المعاصر في هدمه وبنائه. فإن قصيدة واحدة في الرثاء، ونقدها، والردود على ذلك النقد.. لاتمنحنا الرؤية الكاملة والحقة لهذا النقد المعاصر. ولاسيما أن (ابن جني) قد أبرز رؤية نقدية تقوم على استحسان النص واستهجانه. فقد استحسن أربعة أبيات ونصف بيت واستهجن خمسة من القصيدة كلها وعرّفنا

أسباب استحسانه واستهجانه، وجاءت الردود من ثلاثة هم: د. محمد مصطفى هدارة، ود. عبدالباسط بدر، والأستاذ محمد حسن بريغش.

من هنا لايمكن أن يكون مقال ابن جني والردود المتشابهة حيال خمسة أبيات فقط، هي النماذج النقدية في الهدم والبناء، والصورة الصحيحة لنقدنا العربي المعاصر.

العنوان: الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري.
المؤلف: محمد بن إبراهيم أبا الخيل
الناشر: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط1، 1416هـ/1995م (479ص)



غلاف الكتاب

إذا كانت الدراسات التاريخية للأندلس قد ركّزت على الجوانب المشرقة للعرب والمسلمين في تلك الأصقاع، فإن الباحث محمد بن إبراهيم أبا الخيل، في هذا البحث المستفيض، قد ركز على الجوانب المظلمة التي سادت تلك البلاد في الربع الرابع من القرن الثالث الهجري 275-300هـ، وما أحوجنا إلى دراسة الجوانب القاتمة من التاريخ العربي والإسلامي القديم والحديث عسى أن نتلمس الجذور لأعماق قضايانا كافة، ونتعرفها، ونتبصّر بها؛ لنخرج بالدروس التي تُعلّمنا كيف نعيد الأوضاع السيئة إلى طبيعتها الخيرة،لكي تستقيم دنيا العرب والمسلمين في أيامنا المعاصرة. ذلك لأن أحداث التاريخ حلقات متسلسلة يضبطها نظام عام يستمد قوته من حقائق جوهرية وثابتة، وتعاليم وقوانين لا تتغير مع مرور الأيام والأزمنة.

إن تلك الفترة التي وقف عندها باحثنا لم تُشبع دراسة، ولم تُسلَّط عليها الأضواء من سائر جوانبها؛ فثمة عوامل سياسية وعسكرية واجتماعية ودينية كان لها دور كبير فيما حدث من الانقسامات والخلافات، وما نتج منها من تفسخ في الأوضاع وتغير في المصير.. ولابد من إبراز دور الرجال الذين كانوا من أسباب ذلك الانقسام والتفسخ، منهم الكبار المشهورون، ومنهم الصغار المغمورون. ولهذا تأتي دراسة باحثنا لتمنحهم الأهمية، وتورد أسماءهم، وتبيّن أجناسهم وبيئاتهم ومراكزهم وأدوارهم.

ولايتسع المقام لذكرهم، فالبحث مستفيض، وقد جعله المؤلف في تمهيد وستة فصول وخاتمة. وكان التمهيد مدخلاً مفصّلاً أضاء جوانب سائر الفصول؛ فقد بسط المؤلف من تاريخ الإمارة الأموية في الأندلس، منذ نشوئها حتى نهاية حكم الأمير محمد (238- 273هـ) الذي عانى كثيرا من المتمردين والعصاة، وحاربهم على مدى سنين طوال، ولهذا ركز عليه الباحث أكثر من غيره، وإن كانت تلك الاضطرابات امتداداً لعهود الأمراء الأمويين الذين سبقوه. ويأتي الفصل الأول بعنوان: أحوال الأندلس الداخلية في مطلع الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ويبدأ بكلام وجيز عن الأمير المنذر بن محمد، لأن حكمه لم يدم غير سنتين، حاول فيهما أن يحدث تغييرات في الحكم الأموي، والوضع الداخلي فلم يفلح. أما كلامه عن الأمير عبدالله بن محمد الأموي فتناول فيه حياته قبل الحكم، وكيف وصل إليه، وناقش ما أثارته بعض المصادر حول تآمره للقضاء على أخيه. وألقى الباحث الضوء على أحوال الأندلس حين تدهورت في أوائل عهد عبدالله، واستنبط عوامل هذا التدهور بموضوعية من واقع النصوص المتناثرة في زوايا المصادر. أما الفصول الثلاثة المتتالية فكانت عن حركات العصيان التي عمّت على معظم أرجاء الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري مشفوعة بمواقف الإمارة الأموية منها، ووزعت حسب عناصر المجتمع المتمردة. فالفصل الثاني عن حركات المولّدين، والثالث عن حركات العرب، والرابع عن حركات البربر والموالي، وقد رأى الباحث أن يعرض ذلك كله بشيء من الشمولية كيلا يحس القارئ أن هذه التقسيمات قد أثرت في تناسق الموضوع ووحدته. أما الفصل الخامس فقد خصّه بالعلاقات السياسية بين الأندلس والقوى الخارجية، ووجد أن هذا الموضوع لايقتصر على دراسة أحوال حكومة قرطبة الأموية فحسب، وإنما يشتمل على الأندلسيين عمومًا، ولاسيما في مجال التبادل الدبلوماسي والعسكري مع القوى الخارجية النصرانية والإسلامية معًا. وأما الفصل السادس والأخير فكان له ارتباط بما تقدم كله، وكان عنوانه: تقويم عام لأوضاع الأندلس، وذلك من خلال النظرة الموضوعية لأحوال الإمارة الأموية زمن الأمير عبدالله وآثار الفتنة في الأندلس.

ولقد التزم الباحث تلك الرؤية الموضوعية في سائر كتاباته التاريخية لهذا البحث المهم والكبير، ولاسيما فيما انتهى إليه من أسباب وعوامل أدت إلى تلك الفتنة، وعلى رأسها التفكك الاجتماعي الناشئ - بالدرجة الأولى - عن نظرة عنصرية ضيقة تبناها المتحكمون في شؤون الأندلس إبان تلك الفترة، وهذا ما يتعارض مع التصور الإسلامي. ومن تلك العوامل أيضًا طبيعة الأندلس الجغرافية، القائمة على انعزال كل إقليم عن الآخر، ومنها ما أحدثه الانفتاح على المشرق، والتخلخل الإداري، وأثر القوى النصرانية المجاورة في تأجيج نار الفتنة.

كما أن الباحث استطاع أن يرسم مسارين لرحى تلك الفتنة في أوائل عهد الأمير عبدالله: الأول: تصارع عناصر المجتمع الأندلسي الكبرى بعضها مع بعض، ولاسيما المولدين والعرب، والثاني: تسابق زعماء تلك العناصر في التحلل من ربقة الولاء للإمارة الأموية. هذا فضلاً عن النتائج المؤسفة التي انتهت إليها الأندلس آنذاك، في علاقتها الخارجية بالعالم النصراني، وبالعالم الإسلامي أيضًا، من اتصالات مدمرة، بالإضافة إلى ما لحق العباد من إذلال ونهب وسطو ودمار وهجرة من الديار.

الإرشاد والتوجيه الإلكترونيَّان..

تقنية تحل المشكلات المرورية في البر والبحر والجو



عدنان عضيمة

تقنيات وأنظمة بالغة التطور والتعقيد لتوجيه وسائل النقل المختلفة وإرشادها كالسيارات والسفن والطائرات، اقتحمت موقعها مؤخراً بوصفها واحدة من الشواهد الجديدة على سرعة التطوّر وزخم التحول الحضاري الذي يميز عصر المعلومات، وراحت تنتشر وتتطور بكيفية مثيرة للدهشة والإعجاب. فسائق السيارة، أو ربّان السفينة، أو قائد الطائرة، لم يعد محتاجاً إلى خبرته الشخصية في معرفة الطرق والممرات حتى يبلغ مقصده، لأن الدمج الذكي بين بعض وظائف الحواسيب والأقمار الاصطناعية ووسائل الاتصال المتطورة، تمخض مؤخراً عن جملة من أنظمة الإرشاد والتوجيه التي تحقق هذه المهمة بسرعةٍ أكبر وأمانٍ أكثر وتكلفة أقل.

إن الصِّعاب التي تواجهك وأنت تبحث عن الجهة التي تقصد إليها بسيارتك ضمن المدن الأوروبية، التي لاتعرف عن شوارعها وساحاتها شيئًا، تم، مؤخرًا، تذليلها تمامًا، بفضل ابتكار نظام إلكتروني جديد أطلق عليه (نظام المرشد الآلي) AUTO PILOT SYSTEM الذي يمثل خريطة حاسوبية برمجت فيها مواقع أسماء الشوارع والساحات والفنادق والمطاعم والمرآبات والشركات والمشافي والدوائر العامة ووضعياتها. ولقد جاء هذا الابتكار ثمرةً أولى للتعاون في مجال البحوث التقنية بين عدة شركات ألمانية، التزمت تطوير نظام إلكتروني للتوجّه قابل للتركيب في السيارات والحافلات، ومتخصص في إرشاد السائق إلى أي مكان يقصده في ألمانيا، ولقد طرح النظام فعليًا في أسواق بيع معدات السيارات وقطعها منذ ربيع عام ١٩٩٥م، وسوف يكون متوافرًا أيضًا بطرازه الأكثر تطورًا والأصغر حجمًا في أواسط عام ١٩٩٦م.

ويتألف النظام من لوحة الضبط CONTROL PANEL، وحاسوب التوجيه NAVIGA-TION COMPUTER، ونظام عام لتحديد الموضع GLOBAL PO-SITIONING SYSTEM يثبت في صندوق السيارة، ومكشاف للمجال المغناطيسي يثبت في العجلتين الأماميتين، وهوائي لاستقبال إرشادات الأقمار الاصطناعية مثبت على الهيكل.

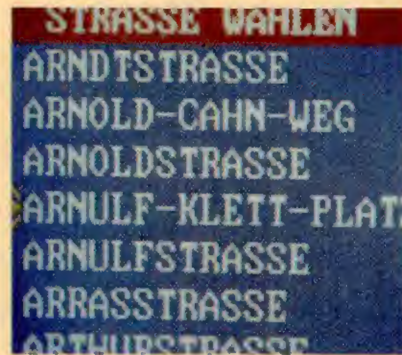
وخلافًا لوظيفة المذياع العادي للسيارة الذي يقتصر عمله على استقبال البث الإذاعي، فإن لوحة الضبط لنظام المرشد الآلي تقدم تعليمات حول مسالك الطرق بالإضافة لتقديم معلومات مبثوثة من محطات الخدمة اللاسلكية للسيارات.

فكيف يعمل هذا النظام؟

قبل بدء الرحلة يقوم السائق بإدخال اسم المدينة التي يوجد فيها واسم الشارع الذي يقصد إليه في ذاكرة الحاسوب. فيقوم نظام المرشد الآلي بتحديد الموقع الدقيق للسيارة باستخدام «نظام تحديد الموضع»، ثم يبدأ الحاسوب بالعمل. وتتم موازنة البيانات الجغرافية بالخرائط الحاسوبية العشرية المخزونة في القرص الكثيف CD-ROM. ويظهر على شاشة صغيرة اسم الشارع الذي توجد فيه السيارة في الوقت الذي يقوم فيه نظام المرشد الآلي باستنتاج الطريق الأقرب إلى الشارع المقصود. وهذه الطريقة المختارة تظهر أولاً على شكل لائحة تتضمن أسماء الشوارع المختلفة المؤدية إلى المكان المقصود فيحدد السائق عليها أسماء الشوارع التي يرغب في عبورها بتحريك علامة



القرص الكثيف CD-ROM جزء أساسي في نظام المرشد الآلي للسيارات فهو يختزن 600ميغابايت من البيانات والمعلومات حول الطرق وباقي المنشآت الحضارية.



عندما تريد التوجه بسيارتك إلى مكان ما، تظهر على الشاشة لائحة بأسماء الشوارع لتختار منها الشارع المقصود بوساطة علامة الإقحام الإلكترونية، وعندئذ يتولى نظام المرشد الآلي توجيهك إلى المكان خطوة بخطوة وبالصوت والصورة



تعبر الخانة الحمراء الظاهرة إلى يمين الشاشة عن بعد المسافة المتبقية حتى الوصول إلى المنعطف المبين باللون الأصفر.

الإقحام الإلكترونية. وحالما يتحرك السائق بسيارته فإنه يتلقى بشكل مستمر تعليمات حول كيفية إتمام الرحلة من كل من الشاشة والنظام المعلوماتي الناطق، وقبل بلوغ كل تقاطع للطرق يسمع صوتًا لطيفًا يشير إليه بالتعليمات الواجب اتباعها لبلوغ المقصد كأن يقول له: «من فضلك اتجه إلى اليمين» أو «التزم الدخول إلى اليسار في المنعطف التالي».

وإذا كان السائق لايرغب في اتباع الطريقة المستظهرة على الشاشة، فإن نظام المرشد الآلي يقدم له المعلومات والبيانات عن الطرق البديلة الأخرى بشكل فوري. كما يتولى النظام الناطق تنبيه السائق للامتثال لإشارات المرور آليًا قبل الوصول إليها بمسافة كافية مما يوفر عليه الكثير من مظاهر التوتر العصبي الذي ينجم عادة عن ضرورة تركيز الانتباه على العدد الهائل من الإشارات التي تعج بها الطرق.

إن القرص الكثيف المستعمل، ذو سعة خازنة تبلغ 600ميغابايت، ويحمل بيانات تغطي 650000 كيلو متر من الشوارع المنتشرة داخل المدن والطرق السريعة التي تربط مدن ألمانيا بعضها ببعض، ولقد أدخلت في البرنامج المسجل على القرص الكثيف الشوارع السالكة كافة في 44 مدينة رئيسة من التي يزيد عدد سكانها على مئة ألف نسمة، بالإضافة للشوارع الرئيسة في 90000 قرية وتجمع سكاني.

وخلال الرحلة، يتولى نظام التوجيه في السيارة إبقاءها على وجهتها الصحيحة باستخدام مكشاف المجال المغناطيسي المثبت



في نظام المرشد الآلي للسيارات، ما عليك إلا أن تتبع اتجاهات السهم في أثناء القيادة حتى تبلغ مقصدك من الطريق الأفضل. وإذا لم تستسغ النظر إلى الشاشة الصغيرة فلا بأس لأنك ستسمع أيضًا صوتًا لطيفًا يقول: اتجه إلى اليمين من فضلك!



الإرشاد الإلكتروني يقلل نسبة حوادث المرور في المدن

على العجلتين الأماميتين. ويقوم نظام المرشد الآلي بصفة مستمرة بمقارنة الطريق التي تسلكها السيارة بالخريطة المخزونة في القرص الكثيف.

ويتم الآن إدخال المعلومات والبيانات الجديدة إلى النظام حتى تغطي خدماته المدن والطرق الأوربية كلها. كما يجري تطويره بإضافة معلومات وبيانات جديدة لخدمة السوّاح ومواقع الفنادق والمطاعم ومراكز صيانة السيارات والمرآبات.

ولقد تعزز هذا النظام مؤخرًا بنظام مكمل له يعد فتحًا جديدًا في تقانة خدمات التوجيه والإرشاد يدعى: «المساعد العشري الشخصي» PER-SONAL DIGITAL ASSIST-ANT.

نظام«المساعد العشري الشخصي»

إنه النظام الإلكتروني الذي يَعدُ بالكثير، ويطلق عليه في أوساط الابتكارات الإلكترونية الاسم المختصر (PDA)، ويمكن وضعه في الجيب. وهو يجمع بين وظيفتي الهاتف الجوال والحاسوب ذي القدرة العالية على الإنجاز. ويمكنه فهم اللغة المنطوقة وإدخال النصوص المكتوبة بالقلم الحساس بالضوءLIGHT SENSITIVE STYLUS الملحق به ومعالجتها مما يجعله رفيقًا ذا فوائد هائلة. فهو مخصص لإنجاز جملة متنوعة من الوظائف الدقيقة نذكر منها ما يلي:

* يؤدي مهام الهاتف ذي الوظائف المعقدة والمتطورة.

* يتضمن التقنيات الخاصة باستخدام جملة من الأنظمة وتشغيلها كنظام التوجّه بوساطة الأقمار الاصطناعية، واستقراء الخرائط الجغرافية الحاسوبية، مما يجعله جهازًا كبير الفائدة في المساعدة على تعريف السائقين الطرق الواجب اتباعها لبلوغ مقاصدهم بالإضافة لتعرّف الأماكن الشاغرة في المرآبات وأماكن التوقف والحجز فيها.

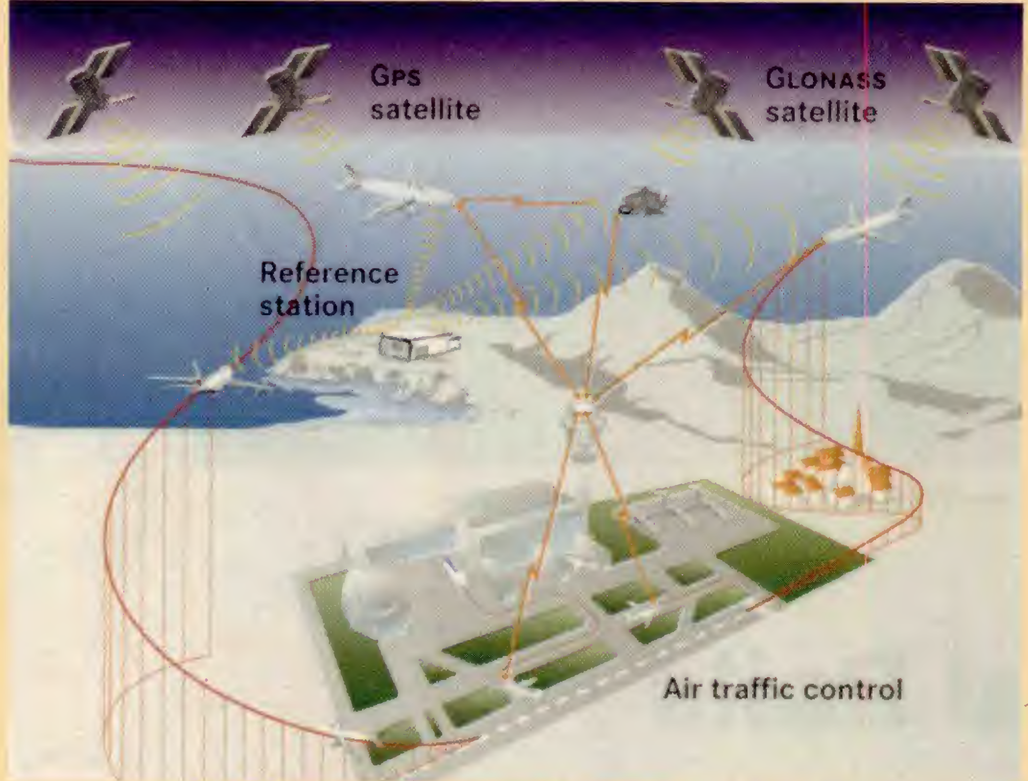
* يقوم النظام بالكشف الآلي عن حالة السيارة ويقدم تقريراً عن المعاطب فيها ومدى الحاجة إلى الصيانة بناء على بيانات برنامج الصيانة المخزون في الذاكرة، ويعلم السائق بأقرب مركز لخدمة صيانة السيارات من الموقع الذي يوجد فيه، ويقوم بشكل آلي بالاتصال الهاتفي بهذا المركز ليتولى بنفسه شرح حالة السيارة وتبيان نوع العَطَب الذي طرأ عليها.

* يتولى النظام الإنجاز الآلي لكل أنواع الحجز والاستئجار، كالحجز على الطائرات واستئجار السيارات، وهكذا، فإذا كنت تقود سيارتك الخاصة أو سيارة مؤجرة، فإن نظام المساعد العشري الشخصي يحقق لك الاتصال مع العالم الخارجي ويجعلك على دراية تامة بالطريق الذي يتعين عليك أن تسلكه لبلوغ مقصدك، ويعرفك بالحالة الميكانيكية لسيارتك.

تنظيم حركة السير في المدن بين الخيال والحقيقة

إذا كان كل ما سبق الحديث عنه من تطورات، لايمثل إلا البدايات الأولى لاستخدام هذه الأنظمة الإلكترونية المعقدة للحركة والتوجه، فكيف ستكون حالها في مراحلها المتقدمة؟

يضع الخبراء تصوّرات لوصف الاستخدامات المستقبلية لهذه الأنظمة تبدو



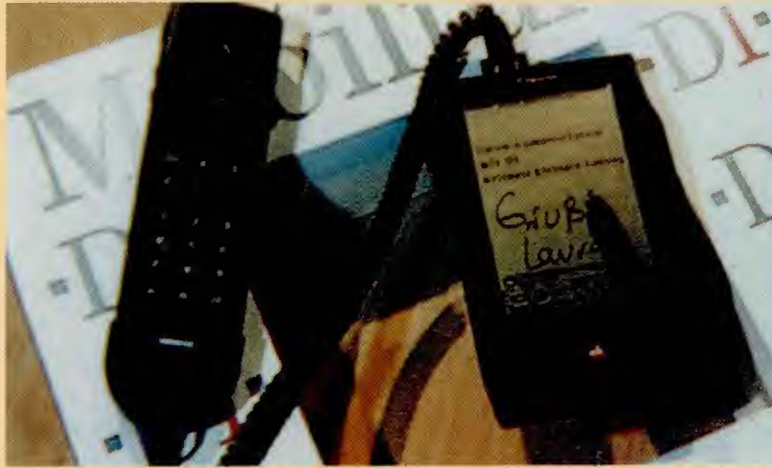
إن نظام الإرشاد والتوجيه الإلكتروني بوساطة الأقمار الاصطناعية جعل الطائرات تلتزم بممراتها الآمنة وكأنها طائرات الأطفال الهوائية المشدودة بالخيوط.

أقـرب إلى الخيـال منهـا إلى الحقيـقة. ومن ذلك أن فوائدها لن تقتصـر على مـجرد إرشـاد السائقين إلى مقـاصـدهم، بل ستـتـعدى ذلك إلى التنظيم الشـامل لحركـة السـيـارات والعربـات في المدن وخارجـها من دون الحـاجـة إلى شـرطة المرور أو الإشـــارات. ولـن يتـحقق هذا إلا عندمـا تصبح هذه الأنظمـــة شـــائعـــة الاستـعـمـال في السـيـارات والعربات كافة.

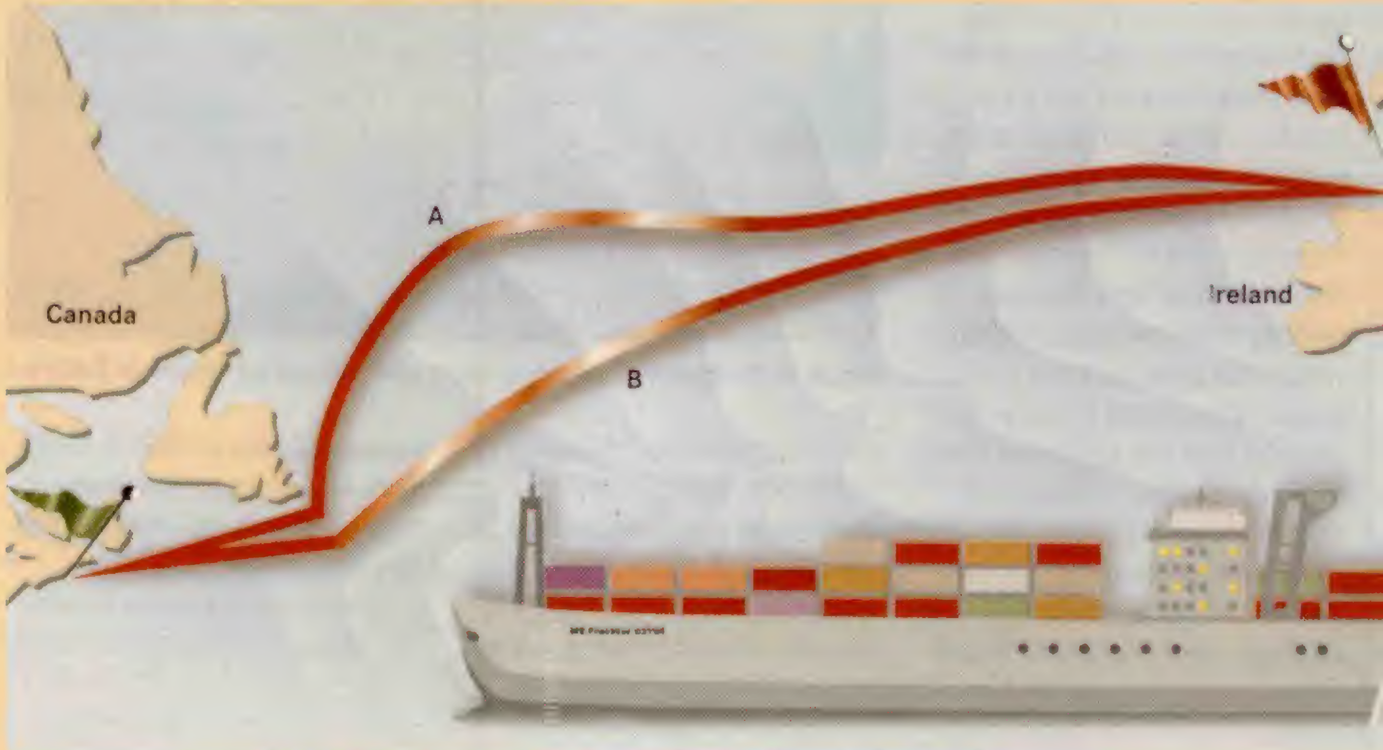
وعندئـذ، ستـكون أنظمـة الإرشـاد الموجودة في السيـارة هي المسؤولة عن توجيه السـائق تمامًا في أثناء القيادة وأينما كان. فـإذا اقـتـرب من طريـق يمنع دخـولـهـا فـإن النظام النـاطق سيخبـره بذلك لأن موقع السيارة معروف في كل لحظة وحركتها مـرصـودة باستـمـرار من مـحطة الخدمـة الإلكترونـية للسـيارات. فـمـا العـمل إذا خـالف السـائق التـعليـمـات؟ إن كل مـخـالفـة للتوجيـهات التي يتلقاها السـائق سـوف تكون مكشوفة تمامًا في محطة الخـدمـة الإلكـتـرونيـة وبشكل آني، مما يسـمح باتـخـاذ الإجـراءات الضرورية بـحق المخالف، ولقـد تم تصـوّر طريقـة ثانية أكـثر تعـقيدًا بكثير من هذه لمنع المخـالفـات بالطريقـة الإلكتـرونية بحـيث يتم تحـقـيـق نوع من الاتصـالات المبـرمـج بين أنظمـة التوجيه ونظام الحـركة للسيارة، فـإذا حاول السـائق عصـيان أمـر التـزام إشارة مـعينة فـإن أجـهـزة الحركة تمتنع آليًا عن تنفيذ رغبته ليـعود النظام النـاطق إلى تذكيـره بالتعليمات الواجب اتباعها.

أنظمة جديدة لإرشاد الطائرات

إن «أنظمـة ضبط حـركـة الطيـــران بـالأقـــمــــار



المساعد العشري الشخصي PDA مصمم لإنجاز مهمات لاتكاد تحصى لخدمة الأفراد



يمكن للبيانات التي ترسلها الأقمار الاصطناعية أن تساعد السفن على بلوغ مقاصدها بسرعة أكبر وأمان أكثر



تقليـــة تحل المشكلات المرورية في البـــر والبــحــر والجـــو

الاصطناعية»-SATELLITE CONTROLLED FLIGHT SYSTEM تعد من أحدث تقنيات الإرشاد والتوجيه الإلكتروني للطائرات على الإطلاق. ولقد جاءت هذه الأنظمة ثمرة للمشاركة التي استحدثت منذ بداية عام 1995 بين مؤسسة «داسا» الألمانية للبحوث DASA وشركة روكويل الأمريكية لبحوث الفضاء ROCKWELL، وكانت الغاية الأساسية منها، تعزيز القدرة على التحكم بحركة الطائرات، وضمان المزيد من الأمن والسلامة للركاب، وتوفير الوقود، وتنظيم حركة الإقلاع والهبوط في المطارات. وتتولى الأقمار الاصطناعية المتخصصة بالاتصالات والرصد، ولاسيما «قمر نظام تحديد الموضع» GPS، تحديد موضع كل طائرة محلقة بدقة كبيرة بغض النظر عن مكان طيرانها في العالم.

ويمكن لبرج المراقبة، المسؤول عن تنظيم الممرات الجوية وحركة الإقلاع والهبوط، أن يستغل هذه المعلومات لتحديد الممر الأمثل والأجدى لها.

ويتوقع الخبراء أن يصل حجم المبيعات من معدات وأجهزة خدمة الإرشاد والتوجيه الإلكتروني للطائرات في العالم نحو سبعة مليارات من الدولارات حتى عام 2005م.

مرشد فضائي للسفن

في مشروع «المرشد الفضائي» SPACE PILOT الذي تشرف على تنفيذه وكالة الفضاء الأوربية ESA، تقوم مؤسسة «داسا» DASA الألمانية بتطوير نظام متكامل لاستخدام بيانات الأقمار الصناعية لتحديد الطرق المفضلة لعبور السفن التجارية في البحار والمحيطات، وكما هو الحال لدى لسائق الحافلة أو السيارة الذي ينشد بلوغ مقصده بسرعة وأمان، فإن شركات النقل التجاري البحري عبر العالم تأمل باستحداث أساليب أكثر تطوراً تسمح لسفنها بالوصول إلى موانئ الشحن والتفريغ بسرعة أكبر ودقة أبلغ وتكاليف أقل.

والبيانات التي ترسلها الأقمار الاصطناعية عن حالة الطقس، أثبتت منذ وقت طويل فوائدها وإمكان الاعتماد عليها بوضعها وسائل مساعدة لبلوغ هذا الهدف. وعلى سبيل المثال، يمكن للمكتب البحري للأحوال الجوية MMO أن يرسل سيلاً مستمراً من الحقائق والنصائح حول حالة الإبحار نحو الجهات كافة بناء على المعلومات التي يتلقاها من الأقمار الصناعية. والآن، ولهدف تطوير هذا النظام، تقوم العديد من مراكز البحث برفده بنظام مساعد لتحديد الممرات المثالية للسفن التجارية عبر البحار والمحيطات. ويعد هذا المخطط الجديد جزءاً من مشروع «المرشد الفضائي» الأوربي الذي بدأ اختباره منذ شهر أكتوبر تشرين الأول من عام 1994م، ويعتمد على معلومات وبيانات يرسلها باستمرار قمر اصطناعي أوروبي متخصص يتخذ مداراً حول الأرض منذ عام 1991م. وهذا القمر مزوّد بأدوات تقانة الموجات متناهية القصَر (مايكروويف) تجعله قادراً على العمل في الأحوال الجوية كافة. فالنظرة الثاقبة لعيون راداره يمكنها أن تخترق الضباب والغيوم لتقدم صورة دائمة لسطح الأرض. وتعمل مجسّاته باستمرار على تحديد اتجاهها وسرعة الرياح على مستوى سطح البحر، وارتفاع الأمواج واتجاهها، ودرجة حرارة المياه. وعلى أن (كاميرات) الأقمار الصناعية المختصة بكشف حالة الطقس، كتلك المُركبة في القمر متيوسات METEOSAT، لا يمكنها أن ترى سطح الأرض عندما يكون مغشّى بالغيوم أو الضباب.

وهذه المعلومات كلها، التي يرسلها القمر الصناعي المزوّد برادارات الموجات متناهية القصَر، يتم إدخالها في برنامج حاسوبي بعد الاستفادة من المعلومات الإضافية المتجددة المرسلة من الفضاء والتقارير التي ترسلها شركات النقل البحري. ويتولى البرنامج الحاسوبي أيضاً أخذ الحجوم والأحمال والبيانات الإحصائية المتعلقة بالسفن في الحسبان. وبهذه الطريقة يمكن للحاسوب أن يحدد لها الطريق الأسرع والأكثر أمناً ووفراً في التكاليف. وحتى تستفيد السفن من هذا النظام لابد لها أن تكون مجهزة بمستقبلات RECEIVERS يمكنها أن تلتقط الإشارات اللاسلكية وإدخالها إلى الحواسيب الموجودة على متنها. وعلى أن الطرق المفضلة لحركة السفن ليست دائماً أقصرها، فقد يختار الحاسوب طريقاً أكثر طولاً إذا وصلته بيانات عن وجود جبال جليدية أو عواصف ودوّامات بحرية في مناطق تقع على مسالك الطريق القصيرة. فعنصر الأمان له أهميته الخاصة في هذا الصدد.

ويعمل الخبراء المتخصصون في إنجاز هذا المشروع المهم على إدخال كمّ هائل من المعلومات والبيانات إلى البرنامج الحاسوبي المختص بقيادة السفن التجارية وتوجيهها تتعلق بالمرافئ العالمية، وقدرة كل منها على الشحن والتفريغ والمساحات المخصصة للتخزين فيها.

ويعتقد الخبراء أن استخدام الاستشعار البعيد والأقمار الاصطناعية للاتصالات سوف يجعل من الممكن التوصل إلى نظام للتحكم الفعّال في حركة النقل التجاري عبر البحار.

أم راكة: آثار وأراك

محمد بن سعود الحمود



شجر الأراك الفريد من نوعه في المنطقة الوسطى

عندما يتحدث خبراء طبقات الأرض (الجيولوجيون) عن الدرع العربي فإنهم لابد أن يشيروا إلى معادنه الوفيرة والمتنوعة، وكيف لا!! وقد أشارت إليه المصادر القديمة قبل ألف سنة مبينة آثارها الشامخة على جبالها السود. حتى إن الإنسان في الوقت الحاضر عندما شاهدها أطلق عليها مسميات توحي بمعدنها مثل أم الرصاص وأم الحديد، وقد استطاعت المملكة استغلال تلك الثروات، والاستفادة منها ولاسيما في مواقع عدة من محافظة القويعية.

تقع أم راكة في وادٍ يحمل اسمها ينحدر سيله إلى وادي الخنقة، وتبعد عن بلدة نخيلان غربًا بمسافة 12كيلاً، وهي تقع ضمن محافظة القويعية، وقد سميت بالراكة نسبة إلى شجرة (الأراك).

أـ شجر الأراك: وهو يقع في الطرف الغربي من الموقع الأثري، وينقسم قسمين الأول يقع في أول الموقع الأثري في الجهة الشرقية، والثاني يبعد عنه غربًا بمسافة 25مترًا، وتبلغ مساحة رقعة إحداها على الأرض 15X35مترًا بارتفاع 7 أمتار،

ويبلغ قطر أحد جذوعها 70سنتيمترًا. وربما كان هذا النوع من الأشجار هو الوحيد في المنطقة الوسطى، لذا نأمل من خبراء النبات في المملكة أن يلقوا الضوء على هذا النوع النادر في المنطقة الوسطى.

ب ـ الموقع الأثري الذي يحتوي على العديد من التلال الأثرية على مساحة يبلغ طولها من الغرب إلى الشرق 2,400 كيل، ويتراوح عرضها 50-100مترًا بعرض الوادي، ويمكن أن نرى فيها ثلاثة أجزاء هي:

أولاً ـ مصانع التعدين: قد تميزت بوقوعها في جنوب الموقع، متجنبة بأدخنتها الحي السكني، والتي في الغالب تنتقل الرياح فيها من الشمال إلى الجنوب؛ وهذا النظام متبع في كثير من حواضر البلدان الإسلامية. وهذه المصانع تقسم خمسة أقسام:

أ ـ المناجم حيث حفرت إحداها بطريقة عمودية في غرب الموقع، بينما الكثير منها حفرت بطريقة أفقية مما يشير إلى سهولة الحصول عليها؛ وقد يشاهد بقايا من عروق المرو (الكوارتز) والتي تدل دلالة واضحة على وجود معدن الذهب.

ب ـ الأفران وقد عثر على العديد من بقاياها بقرب تلك المناجم مما يساعد على نقل المعادن إليها حيث نشاهد آثار الأفران التي تتراوح أقطارها من 2-3 أمتار على شكل تلال من الأحجار الصغيرة المجروشة، وخاصة أحجار الكوارتز، بالإضافة إلى بقايا الخَبَث المنصهر من المعادن.

ج ـ الخبَث وهو مخلفات التعدين وأوساخه حيث نشاهد مجموعات منه متناثرة بقرب الأفران، وتتراوح أحجامها بين 5-10سنتيمترات.

د ـ الوحدات السكنية وتقع بجانب الأفران والمناجم، وقد خصصت للعاملين في المصانع، وهي بمثابة الاستراحات، حيث تقيهم من حرارة الشمس ومن برودة الشتاء وسقوط الأمطار، ونشاهد تلك المباني في المصنع رقم (د).

هـ الموجودات الأثرية، لقد وجدت على تلال الأفران وبجانبها، وهي عبارة عن كِسَرٍ من الفخار المزجَّج، والفخار، والزجاج، التي ربما استخدمت في غسيل الخامات المعدنية، أو في حفظ المركبات الحمضية الخاصة بعملية التعدين، بالإضافة إلى أنه شوهد بقايا من



مخلفات المعادن (الخبث)



عرق الكوارتز الدال على وجود معدن الذهب

الرَّحَى المصنوعة من صخور الجرانيت ويتراوح قطرها بين 40-50 سنتيمترًا وقد استخدمت في سحق خامات المعادن.

ثانيا: الحي السكني: ويقع في الجهة الشرقية من الموقع في بطن الوادي الذي يبلغ عرضه 100متر، وهو عبارة عن تلال يصل طولها إلى أكثر من 350متر وبارتفاع مترين اثنين، ويشاهد في الموقع بقايا أسس لحوائط طويلة من المحتمل أنها كانت أسوارًا تحيط بالموقع السكني، أو أنها مصادّ لتدفق مياه السيول، فقد بني هذا الموقع في بطن الوادي، وتبلغ سماكة تلك الأسوار 80 سنتيمترًا بالإضافة إلى وجود تلال أثرية أخرى صغيرة في جهات مختلفة من بطن الوادي.

أما الوحدات السكنية فهي تتباين في أسس حوائطها التي تتسم بتوزيعها المنتظم واستقامتها المتقنة ذات الأحجام المختلفة إذ تصل مساحة الغرفة الواحدة إلى 3X4 أمتار ويصل سموكها إلى 40 سنتيمترًا، وقد بنيت من حجارة شبه مهذبة، إلا أننا ومن خلال ماجرفته السيول عى الموقع الأثري استطعنا أن نعثر على بقايا من (طوب اللبن) على حائط من الحجر يقع في وسط الموقع بين منطقة المصانع (جـ - د) وهو ويشير إلى استخدام مادة اللبن في البناء. وقد تم التقاط بعض القطع الأثرية على سطح الموقع السكني، وهي تحتوي على: -

أ- كِسَرٍ من الفخار ذوات ألوان متعددة تتسم بخلوها من الشوائب إلاّ من لون واحد وهو البني الداكن والذي نشاهد في مقطعه بقايا من القش، وهناك بقايا من الفخار المجروش، ولعل ذلك يؤكد أنه صنع محليًا.

ب - كِسَر الفخار المزجّج، وقد عثر منه على لونين ذَوَي طلاءين الأخضر والأزرق، مبطنة من الداخل بطلاء، ويحمل إحداها زخرفة تمثل حزوزًا.

ج - كِسَر الزجاج، وهو رقيق السماكة، ذو لون أخضر فاتح متوسط الشفافية، بعضها يميل إلى اللون الأصفر، وقد عُثر على رقبة ذات فوهة لِقِّنينة خضراء يبلغ طولها 2,50سم، ولها شفة عريضة غير مستوية الدائرة يبلغ قطرها 2,50 سم وعثر كذلك على قاعدة لقنينة مقعرة تشير إلى أن الزجاج صنع بطريقة النفخ الحر.

د - بقايا من المعادن، حيث عثر على قطعة صغيرة من النحاس أعاقنا الصدأ الأخضر المتراكم عليها من معرفة هويتها.

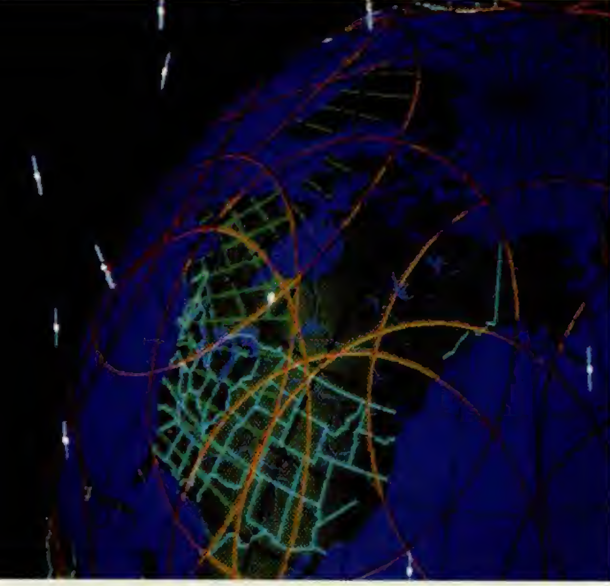
وأخيرًا إنّ اتساع الموقع الأثري وما يشتمل عليه من عناصر اقتصادية مهمة، وما احتواه من وجود مقبرة كبيرة توحي بطول المدة الزمنية للاستيطان، ومن خلال تلك المقبرة الإسلامية وما ذكرته لنا المصادر التاريخية كصفة جزيرة العرب للهمداني الحسن بن أحمد (ت:334) الذي تحدث عن القرى في سواد باهلة مبينًا جبل شمام، وهو جبل يعرف حاليًا بشمالات حيث يقع بقرب بلدة نخيلان التي تقع أم راكة عنه غربًا حيث قال: «وشمام قرية كانت عظيمة الشأن هي من شط العرض الأيسر إلى المنحدر، وابنا شمام جبلان طويلان جدًا مشرفان على سخين وسخنة قريتين ونخل لباهلة وعلى عروان، والشط كل ذلك قرى ومزارع ونخيل» فإن كل ذلك يشير إلى أن الموقع يعود إلى المرحلة الإسلامية الأولى بالإضافة إلى نوعية الآثار التي أوضحت أن الموقع يعود إلى القرن الثاني والثالث الهجريين.

وفي الختام كلنا أمل في أن يقوم المسؤولون عن آثار المملكة بأسرع وقت ممكن في الحفاظ على الموقع الأثري الذي جمع بين الاستيطان والصناعة، ليطلع القارئ العربي من خلاله على السجلات المطوية في تاريخ الجزيرة العربية.



بقايا أساس لإحدى الغرف السكنية في الموقع

الاتصالات المتنقلة عبر الأقمار الصناعية



مدارات الأقمار الصناعية لغلوبال ستار. المصدر LORAL

سليمان قيس القرطاس

منذ بداية استخدام الأقمار الصناعية للاتصالات اتضحت أهمية استخدام المدار المتزامن الذي يكون فيه القمر الصناعي كنقطة ثابتة في الفضاء بسبب تعامده على خط الاستواء ودورانه بسرعة مساوية لسرعة دوران الأرض حول نفسها، وكان من الواضح أنه عند عدم استخدامه يؤدي إلى الحاجة إلى نظام معقد للتحكم بالوضع والمدار للقمر الصناعي بالإضافة إلى تضمين المحطات الأرضية لمعدات متابعة للقمر الصناعي.

وأدى الاستخدام الواسع للمدار المتزامن إلى حدوث ازدحام للأقمار الصناعية فيه وتخصيص المواقع المدارية على دول العالم على مجاميع لذلك أصبح من العسير استخدام موقع مداري من دون إجراءات طويلة وموافقات متعددة. من هنا بدأت الحاجة لاستخدام مدارات أخرى للاستخدامات الجديدة في الاتصالات.

وعمل المدار المنخفض هو الخيار الآخر، وهو في الحقيقة ليس بجديد، ففي بداية الستينيات وفي المراحل الأولى للاتصالات الفضائية لم تكن تقنية الإطلاق قادرة على تحقيق المدار المتزامن لذلك تم إطلاق الأقمار من نوع تلستار وريلي إلى مدار منخفض.

أما الاستخدام المقترح الجديد فهو استخدام المدار المنخفض في الاتصالات المتنقلة عبر الأقمار الصناعية فقربه من الأرض يعطي تغطية أكبر وكثافة طاقة أكبر مما يجعل جهاز الاستقبال أصغر حجمًا لكن على حساب عدد الأقمار الصناعية، فتحتاج التغطية الأرضية إلى عدد أكبر من الأقمار الصناعية تزداد بانخفاض المدار.

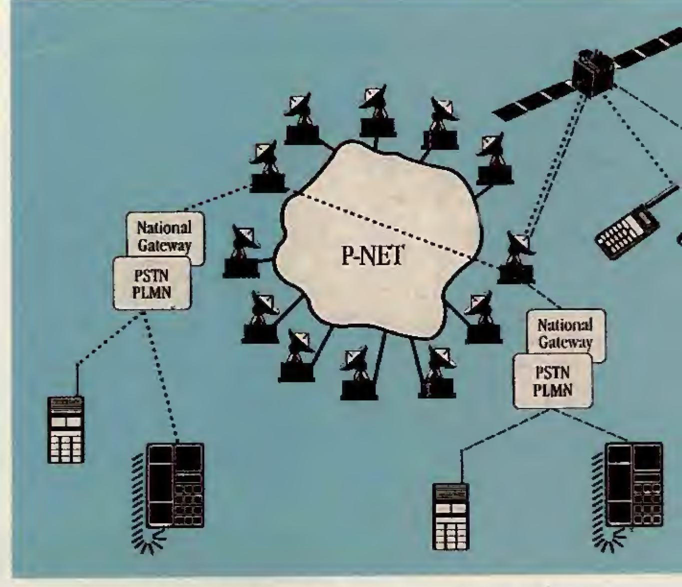
ولاتزال روسيا تستخدم المدار البيضوي منذ عام 1965م من خلال الأقمار الصناعية مولنيا وتندرا لتوفير الاتصالات مع المناطق القطبية، فمدار مولنيا مثلاً بارتفاع أقصى يبلغ 39,771 كيلو مترًا، وأدنى بارتفاع 426 كيلو متر، وبمدار يستغرق 12ساعة للدوران حول الأرض ففي مدار كهذا هناك حاجة إلى 3-4 أقمار صناعية لتحقيق تغطية لمدة 24 ساعة. ومن الجدير بالذكر إن مدارًا كهذا يجعل القمر الصناعي يمر بحزام فان ألن المشع مما يتطلب تصميمًا خاصًا للدوائر الإلكترونية داخل القمر الصناعي تصنع لتحمل تأثير الجسيمات المشحونة في هذه الطبقة من الغلاف الجوي.

أما المشاريع الجديدة لاستخدام المدار المنخفض فيأتي أغلبها من مؤسسات مملوكة بالكامل أو بالأغلبية لشركات من الولايات المتحدة، ويبدو أن الجهود التي بذلتها هذه الشركات وتقدمها بطلبات إلى هيئة الاتصالات الاتحادية الأمريكية قد وجدت آذانًا مصغية منها، فتقدمت إلى المؤتمر العالمي للإذاعات الرسمية المعروف بـ WARC المنعقد في عام 1992م بطلب لتخصيص ترددات لهذا الاستخدام الجديد.

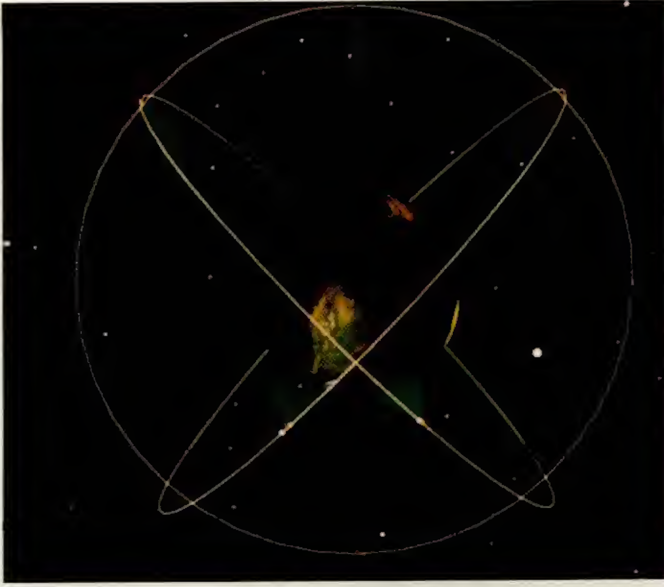
وفي هذا المؤتمر تم تحديد مدين ترددين بين 1610-1626.5 ميجاهرتز، والثاني بين 2483.5-2500 ميجاهرتز، لهذا النوع من الاتصالات، ومع ذلك بقيت الكثير من التفاصيل غير محددة.

ويذكر أن هناك الآن عدة مشاريع لاستخدام أقمار صناعية تستخدم المدار المتزامن لتوفير اتصالات متنقلة وهي:

1- المنظمة العالمية للاتصالات المتنقلة عبر الأقمار الصناعية المعروفة



أنمارسات P نظام يستخدم عشرة أقمار صناعية عاملة وقمرين احتياطيين


مدارات الأقمار الصناعية لأوديسي. المصدرTRW

اختصاراً بـ أنمارسات، وهو نظام عالمي تغطي خدماته جميع أنحاء العالم، وأحدث الأجهزة العاملة في هذا النظام جهاز أنمارسات M وهو جهاز اتصال على شكل حقيبة بوزن - 10 7كيلو غرامات.

2- النظام الأسترالي وبدأ الخدمة في سبتمبر عام 1994م من خلال حمولة أجهزة اتصالات متنقلة في الجيل الجديد من أقمار الاتصالات الأسترالية، ويغطي هذا النظام قارة أستراليا والبحار المحيطة بها بالإضافة إلى نيوزيلندا، والجهاز المستخدم في هذا النظام محمول على السيارة بحجم مقارب لحجم الجهاز المستخدم في الهاتف السيار وبهوائي أنبوبي بطول متر واحد، وبذلك فإن النظام الأسترالي يتفوق على النظام العالمي الذي من المؤمل أن يتمكن من تحقيق خدمات مشابهة بعد إطلاق الجيل الجديد من أقماره الصناعية العام المقبل.

3- النظام المكسيكي وبدأ الخدمة في منتصف 1995م بمزايا مشابهة للنظام الأسترالي.

4- النظام الكندي المشترك: ومن المؤمل أن يبدأ الخدمة نهاية عام 1995م ويتألف من قمرين صناعيين مخصصين للاتصالات المتنقلة وبطاقة أكبر من الأنظمة الأخرى مما يجعل هوائي جهاز الاتصال أصغر حجماً من الأنظمة الأخرى؛ فهو على شكل قرص صغير يوضع في أعلى السيارة.

كما أن هناك النظام الياباني والنظام الروسي وهما مستخدمان على نطاق ضيق.

وتسعى أنمارسات بعد إطلاقها الجيل الجديد من الأقمار الصناعية الذي يبدأ في نهاية عام 1995م للبدء باستخدام جهاز اتصال بحقيبة أصغر تزن 4كيلو غرامات فقط والبدء بتشغيل نظام نداء آلي عبر الأقمار الصناعية.

الأنظمة الجديدة

1- أريديوم: ربما يكون هذا النظام من أشهر الأنظمة الجديدة لجميع خدمات الاتصالات المتنقلة عبر الأقمار الصناعية، واكتسب النظام هذه الشهرة بسبب الحملة الإعلامية التي قادتها الشركة الرئيسية المسهمة في هذا المشروع، وهي شركة موترولا وأطلق هذا الاسم على هذا النظام تشبيهاً له بعنصر الأريديوم النادر، فهذا العنصر تتكون الذرة فيه من نواة تحيط بها 77 إلكتروناً.

فالتصميم الأولي لهذا النظام يتألف من 77قمراً صناعياً تدور حول الأرض بسبعة مدارات قطبية، تدور الأقمار الصناعية بارتفاع 66,5 كيلو متر وكل منها دوره حول الأرض كل 100 دقيقة والقمر الصناعي من هذا النوع يختلف عن الأقمار الصناعية المألوفة التي يزيد وزنها على 1500 كيلو غرام، فهو صغير ويزن أقل من 400 كيلو غرام، ويبث القمر الصناعي من هذا النوع 37حزمة نقطية مشابهة للخلايا في أنظمة الهاتف الخلوية لكن باختلاف مهم هو أن سرعة المركبات تصبح لا شيء مقارنة بسرعة دوران القمر الصناعي البالغة 26607 كيلو متر/ساعة؛ الأمر الذي يولد مشكلات كثيرة من نواحي متعددة منها: جودة الصوت الذي يعاني الكثير من المشكلات نتيجة تأثير دوبلر إضافة إلى التقنية المستخدمة في الاتصال بين الأقمار الصناعية التي لم يتم استخدامها واختبارها تجارياً حتى الآن.

وتم موخراً تغيير بعض مواصفات النظام وتقليص عدد الأقمار الصناعية إلى 66 قمراً صناعياً ونتيجة لذلك تم زيادة عدد الحزم النقطية إلى 48بدلاً من37، وزيادة طاقة الإرسال ومساحة الحزم النقطية، وبلغت تقديرات التكاليف لهذا النظام زهاء 3.3 بليون دولار بعد التغييرات الأخيرة.

وعلى الصعيد نفسه تولت شركة لوكهيد مسؤولية تصنيع الأقمار الصناعية لهذا النظام، وتم عقد الاتفاق مع شركة ماكدونالد دوجلاس للفضاء والطيران لإطلاق هذه الأقمار الصناعية ابتداءاً من عام 1997م بوساطة صواريخ دلتا وبلغت قيمة العقد 700مليون دولار، وهو أكبر عقد في تاريخ صناعة الإطلاق الفضائي غير مخصص للأغراض الدفاعية.

ويشكك المطلعون في الصناعة الفضائية في النتائج الاقتصادية لهذا المشروع، فهو يفتقر إلى مشاركة هيئات الاتصالات المحلية التي تدعم

استخدام النظام إضافة إلى مشكلات سياسية تبدو في الأفق تتعلق بترخيص استخدام النظام إضافة إلى التكلفة العالية لدقيقة الاتصال عبر هذا النظام وهي 3 دولارات.

وتسعى الشركة إلى وصول عدد المشتركين إلى مليون مشترك بعد عام من بدء الخدمة، وهو توقع مفرط في التفاؤل عندما نذكر أن خدمة أنمارسات المتنقلة بجهاز داخل حقيبة واحدة لايزال عدد المشتركين فيه لايزيد على 6000 مشترك بالرغم من مرور أكثر من عام ونصف على بدء الخدمة فيه، وتبلغ كلفة دقيقة الاتصال ما بين 3 - 5 دولارات.

وتعد شركة أريديوم أكثر الشركات التي قطعت شوطًا في هذا المجال إلا أن التحديات التقنية التي تواجه تصميم النظام تجعل الموعد المقرر لبدئها الخدمة في عام 1997م أمرًا تحيط به الشكوك إضافة إلى التعرفة العالية المقررة لهذه الخدمة والبالغة 12ريالاً للدقيقة الواحدة، والتي تجعل الكثير من البلدان خارج المدى العملي لزبائن هذا النظام.

2- جلوبال ستار: وهو نظام تم وضع تصاميمه من قبل شركتي لورال وكوالكوم الأمريكيتين، وتسعى لتقديم خدمات اتصالات متنوعة تشمل الصوت والمعلومات وتحديد الموقع.

وتشترك تصاميم هذه الشركة في بعض التفاصيل مع شركة أريديوم، فهي تستخدم مدارًا منخفضًا أيضًا إلا أنها أكثر حذرًا في مغامرتها من الناحية الاقتصادية، فالمشروع بمرحلتين الأولى بـ 24 قمرًا صناعيًا لتغطية أمريكا الشمالية، أما المرحلة الثانية فتصل بالنظام إلى التغطية العالمية باستخدام 48 قمرًا صناعيًا في ثمانية مدارات بارتفاع 1200كيلو متر وبانحراف 52 درجة عن الأفق، وبذلك يقلل من التغطية المكثفة التي يوفرها استخدام المدار القطبي نتيجة قلة السكان في المناطق القطبية. وكذلك فإن الشركة أكثر حذرًا من أريديوم من الناحية التقنية فهي تستخدم القمر الصناعي كوسط ناقل من دون أن يحمل أي معدات مفاتيح ومقسمات من أجل تقليل المجازفة وجعل معدات كهذه في المحطات الأرضية لهذا النظام كما تعتمد استخدام تردد سي المستخدم في أنمارسات لربط الاتصالات إلى الشبكة السلكية الهاتفية العالمية بدلاً من استخدام التردد نفسه المتنقل المستخدم في نظام أريديوم. إلا أنها في جانب آخر تستخدم تقنية اتصالات أكثر تقدمًا من نظام أريديوم هي تقنية التقسيم الشفري متعدد المنافذ.

وشركة جلوبال ستار شركة أكثر حداثة من شركة أريديوم؛ تكونت أساسًا من مشاركة لشركات اتصالات أميركية وشركة اتصالات وصناعة فضائية أوربية وشرق آسيوية.

واكتسبت الشركة دفعًا جديدًا عندما أعلنت ثلاث شركات لخدمات الاتصالات المشاركة في الشركة الجديدة.

ومن المقرر أن تبلغ تكاليف النظام زهاء 1.6 بليون دولار ويقول أحد متحدثي الشركة إن الشركة ستقدم خدمات الاتصال بسعر يزيد قليلاً على خدمات الاتصالات عبر الهاتف النقال في الولايات المتحدة التي تتراوح بين 0.1 إلى 0.9 دولار واحد وهو الأمر الذي شكك فيه الكثير من الخبراء لحاجة الشركة إلى شبكات الاتصال المحلية التي سترفض ذلك لكونها تقدم الاتصالات الهاتفية بتكاليف تزيد بكثير على ذلك.

وأعلن في مارس 1994م أن الشركات المسهمة في نظام جلوبال ستار قد رصدت مبلغ 275 مليون دولار للبدء في مشروع الاتصالات المتنقلة التي تسعى الشركة لتنفيذه وعقدت اتفاقًا مع شركة ماكدونالد دوغلاس الأمريكية بمبلغ 50 مليون دولار لإطلاق أول أربعة أقمار صناعية من هذا النظام الجديد بوساطة صاروخ دلتا، كما عقدت اتفاقًا مع شركة فضائية روسية لإطلاق 12قمرًا صناعيًا بوساطة صاروخ من نوع زنت ـ 2.



أحد الأجهزة الحديثة العاملة بخدمة أنمارسات M ركب الهوائي الخاص به في أعلى السيارة (المصدر INMARSAT)

وأشارت في آخر خططها أنها تسعى ليكون الجهاز العامل مع النظام قادرًا على العمل مع شبكات الهاتف الخلوي أيًا كان نوعها سواء كانت AMPS, GSM, CDMA ويمكن تحويلها للعمل مع نظام جلوبال ستار من خلال مفتاح تحويل صغير.

ومن خلال المسهمين الحاليين يمكن للشركة أن تقدم خدماتها إلى 33 بلدًا حول العالم، وتسعى من خلال التعرفة المنخفضة إلى أن يصل عدد المشتركين في النظام الجديد إلى أكثر من 33 مليون بعد 15عامًا من بدء الخدمة.

وتم توزيع مهام الشركات المختلفة المشاركة في المشروع بتولي شركة لورال الفضائية العقد الرئيسي لتصنيع الأقمار الصناعية بينما تولت الكاتيل تصنيع معدات الاتصال داخل الأقمار الصناعية وشركة ألنيا سبيزو وتجميع الأقمار الصناعية وفحصها، وتولت كوالكوم عقد تطوير معدات المحطات الأرضية لربط الشبكة الفضائية بالأرضية وتطوير جهاز الاتصال صغير الحجم، وقد وضعت في حسبانها إمكانية استخدام الجهاز نفسه للاتصالات الهاتفية النقالة المختلفة في العالم، وبذلك فإن هذا النظام في حالة تخطي العقبات التقنية والمالية يصبح من أكثر الأنظمة الجديدة نجاحًا.

3- أوديسي: وهناك نظام آخر يسعى لاستخدام الأقمار الصناعية لخدمات الاتصالات المتنقلة؛ إلا أن هذا النظام يستخدم مدارًا أكثر ارتفاعًا من سابقيه ولايدعو النظام إلى تغطية عالمية بل اقتصار خدماته على أمريكا الشمالية والبحار والجزر المحيطة بها.

وتسعى الشركة التي تقود هذا النظام وهي شركة TRW الأمريكية العريقة في التقنية المتقدمة إلى استخدام مدار بارتفاع 10330كيلو متر وبعدد 12قمرًا صناعيًا.

ومن المؤمل أن يصل حجم القمر الصناعي من هذا النوع إلى ضعف الحجم السابق، ويعتمد إلى اقتصاد أكبر في التكاليف، فتكاليف هذا

المشـاريع الجـديدة لتطوير الاتصـــالات المتنقلـة عبـر الأقمـار الصناعيـة

النظام تـصل إلى 1.3بليــون دولار، وتضع الشركـة مسألة الانتشـار العالمي بعـد النجـاح الأولـي وفي حـالة توافـر وكـلاء خـارجيين، ويسـتخـدم هذا النظام تقنيـة التقسيم الشفـري متـعدد المنافذ.

وعقـدت TRWمؤخـرًا اتفاقًا مع مؤسسـة تيلي غلوب الكـندية كبـرى الشركـات العاملة في مجـال شبكات الهواتف النقالة من أجل المشـاركة في التمويل والتشغيل للشبكة.

4- أنمارســـات ـ P: أعلـنت المنظمة العالمية للاتصـالات الفضـائية في شـهـر فـبـراير 1995م تأسيسَ شركـة متـفرغة عنهـا خاصـة بمشروع جـديد للهـاتف اليـدوي النقـال عبـر الأقمار الصناعية سمي بـ أنمارسات P، ولسرعـة تشكيل الشـركـة من دون زيادة رأسـمـال المؤسـسـة لاخـتـلاف رغبات الدول الأعضـاء فكان الإسهام في الشركة الجديدة اختياريًا فيما يتعلق بالدول الأعضاء إضافـة إلى الشركات الاستثمارية.

وتهـدف الشـركـة الجـديدة إلى تحقيق هذه الخدمـات من خلال عشرة أقـمـار صناعيـة عـاملة في مـسـتـويين بارتفاع زهاء 16.5كيلو مترًا بالإضافة إلى قمرين احتياطيين في المدار، وتبلغ التـقـديرات لـتكاليف المشـروع 2.6 بليون دولار.

ومع كون هذا المشروع هو الأخير من بين المشـاريع الكبيرة إلا أنـه حصل على التمويل المطلوب بسرعة أكبر مما كان متوقعًا، فـقد حصل على إسـهام بلغ 1.4بليـون دولار حـتى الآن كـما وضعت الأسس ليكون جهاز الاتصال عـاملاً بـتقنية GSM المسـتخـدمـة في شبكات الهاتف النـقال المحلية وليكون بإمكان المسـتـخـدم تحويل الجـهـاز من الخدمـة المحلية وتقنيتهـا المعتـمدة على TDMA (التقسيم الزمني متعدد المنافذ) ضيقه إلى خدمة عبـر الأقمار الصناعية وهي ميزة لاتوفرها الأنظمة الأخرى.

وقـدرت الشركـة تكاليف الجهاز بزهاء 1000دولار وتكلفـة دقيـقـة الاتصـال مـا بين 1-2 دولار ويـبـدأ النظام الخدمة في عام ١٩٩٩م.

وأعلن أخيرًا اتـفاق أنمارسـات مع شركة هيوز العملاقة في مجال الأقمار الصناعية للاتصـالات لتـصنيع أقمـار النظام الجـديد بقيـمة 1,3بليون دولار وبإسهام هيوز بجزء من المشروع.

والأقمـار الصناعيـة الجديدة بوزن 2300كيلو غرام وبـخلايا شـمـسيـة كبيـرة تزودها بطاقة تبلغ 5 كيلو وات ولتعمر زهاء عشرة أعوام.

كـما عـقد أنمارسـات عقـدين مع مـجـمـوعة من كـبـريات الشـركـات العـاملة في مـجـال أجـهـزة الاتصـال اليدوية لتطوير الجهاز الجديد.

ومع دخـول المنـظمـة العـالميـة أنمارسات إلى هذا المجال فـإنها تصبح الأكثـر قدرة على المنافسـة باستفـادتها من المحطـات الأرضـيـة والـشـبكات المرتبطة بها حاليًا بالإضافة إلى مشاركة ٧٩ بلدًا فـيهـا مما يوفـر لها تواجـدًا في معظم بلدان العالم.

وتعـد المملكة العربيـة السـعـودية والإمـارات العـربيـة والكويـت ولبنان وعـمـان الدولَ العـربيةَ المسهـمـةَ في المشروع الجديد.

وبالإضـافـة إلى المشـاريع الأربعـة أعلاه هنـاك مشاريع أقل أهمية تـسمى ألبسات وكوسلتيشن تبدو ضـعيـفة ولاترافقها إنجازات مهـمة على مستوى تنفيذ الخطط لذلك فإنها بعيدة التحقيق عمليًا.

التكامل بـين الأنظمـــة الخلويـة والفضائية للاتصالات المتنقلة

يعـد الأسلوب المبتكر في إمكانيـة اسـتخدام الجـهـاز النقـال في الشبكة الهاتفيـة الخلوية والاتصال عبـر الشبكة الفـضـائيـة أحـد أهم الوسـائل الفـعـالة لانتشـار الهواتف المسـتخـدمـة للشبكة الفضائية.

فمن الواضح أن هناك فارقًا واسعًا بين الشبكـة الهـاتفيـة الخـلوية والنظـام الفـضائي للاتصـالات المتنقلة. فـالمدى الترددي المخصص للهواتف الخلوية أكبر من المدى الـترددي المخـصص للـهـواتف النقالة عبـر الشبكة الفضائيـة إضافةً إلى سعـتهـا في اسـتيعـاب أعداد أكـبر من المشتركين إضافة إلى الـفارق في التعرفة المطلوبة لكلا الخـدمتين. إلا أن التـغطيـة الخلوية غير اقتـصادية في المناطق الجبلية قليلة السكان أو المناطق النائيـة، كـمـا أنهـا تصاب بالشـلل في حالة حـدوث كـوارث طبـيعـيـة وبذلك تكمن أهميـة التكامل بينهما.



صور من التقنية الجديدة للاتصالات

المصادر

1- محاضرة بعنوان MOBILE SETELLITE COMMUNICATION IN THE GOS بقلم جاي سنغ في مؤتمر السنة العالمية للفضاء في ميونخ ألمانيا.
2- أعداد من مجلة MIDDLE EAST COMM.
3- أعداد من مجلة COMMUNICATION WEEK.
4- نشرات متعددة صادرة عن GLOBALSTAR.
5- نشرات متعددة صادرة عن TRW.

الصور

1- أحد الأجهزة الحديثة العامة بخدمة أنمارسات M ركب الهوائي الخاص به في أعلى السيارة (المصدر INMARSAT)
2- جهاز MOBILESAT المستخدم في النظام الأسترالي. المصدرOPTUS
3- مدارات الأقمار الصناعية لأريديوم.
4- مدارات الأقمار الصناعية لغلوبال ستار. المصدر LORAL
5- مدارات الأقمار الصناعية لأوديسي. المصدرTRW
6- مدارات الأقمار الصناعية لنظام أنمارسات ـ P. المصدر INMARSAT
7- أحد أقمار أوديسي (صور تخيلية). المصدر TRW

سيرة مختصرة للزمن



تأليف:
ستيفان هاوكنج
عرض وتقديم:
خيري السيد إبراهيم

مؤلف هذا الكتاب ستيفان هاوكنج أحد أشهر علماء الفيزياء في هذا العصر..، .. وهو حالة فريدة في تاريخ العلوم؛ فهو مقعد منذ عشرين سنة تقريبًا، ولم يمنعه مرضه من متابعة محاضراته في جامعة (كامبريدج) التي يحتل فيها كرسي الرياضيات، خلفًا لـ (إسحق نيوتن).. وهذا الكتاب (سيرة مختصرة للزمن)؛ صدر منذ شهور قليلة ثم صدرت طبعته الفرنسية ـ مؤخرًا ـ عن دار (فلاماريون).. وهذه القراءة، تجيء متزامنة بقدر ما.. مع اهتمام المتخصصين بهذا الحدث العلمي.

علمتنا كتب الجغرافيا المدرسية أن الأرض؛ في قديم (الزمان)، كانت جزءًا من الشمس؛ وقد انفصلت عنها بفعل انفجار، واستمرت ملايين السنين كتلة مشتعلة حتى ابتردت أخيرًا؛ وتقلصت قشرتها، وهكذا تكونت الجبال والوديان؛ وصار المناخ قابلاً لاستقبال الحياة البشرية. وكان مُعلم الجغرافية يضع أمام تلاميذه برتقالة ملساء وأخرى متجعدة تمثل الأولى حالة الأرض قبل الابتراد والثانية حالة الأرض بعد ذلك .

أما الفيزياء الحديثة فتميل إلى الاعتقاد بأن الأرض لم تكن من الشمس؛ أو لم تكن جزءًا من الشمس، إنما تشاركها في ذلك الأرض والنظام الشمسي..،.. وكذلك سائر المجرّات، قد نتجت جميعها عن انفجار بدئي طرأ على مادة شديدة الكثافة؛ من المفترض أنها كانت تُشكل أصل المادة الكونية. وهذا الانفجار هو المعروف في المصطلح العلمي باسم (بيج بانغ) ومعه بدأ الزمن واستنادًا إليه صار يقاس عمر الكون وقد انقضت مليارات مليارات السنين قبل أن تبرد الأجسام الناجمة عن هذا الانفجار، وقبل أن تتوافر في واحدة منها (الأرض)، أو أكثر الظروف التي تسمح بتطور الحياة البشرية.

هذا بعض مايعرضه (ستيفان هاوكنج) في كتابه الصادر أصلاً بالإنجليزية. والذي صدرت طبعته الفرنسية أخيرًا بعنوان (سيرة مختصرة للزمن ـ من البيج بانغ إلى الثقوب السود).

والمؤلف؛ كما ذكرنا حالة فريدة؛ فقد أصيب قبل عشرين عامًا بمرض عصبي أقعده كليًا عن الحركة. ولم يبق فيه سوى عينيه وأصابعه.. ودماغه. وبأصابعه المتبقية يتحكم بكرسيّه الآلي وبناظمة إلكترونية يُملي عليها أفكاره التي تظهر مكتوبة على شاشة صغيرة أمامه.

ويقوم جهاز صوتي خاص بتحويلها إلى كلام منطوق. هكذا يتواصل (هاوكنج) مع العالم المحيط.. وهكذا يلقي محاضراته في جامعة (كامبريدج)، يتوقف (هاوكنج)؛ بصورة مختصرة، عند تطور النظرة إلى الأرض والكون



تنخفض حرارة الماء فيتحول إلى جليد ويفقد صفة التشابه

من أرسطو الذي كان يعتقد بأن الأرض ثابتة؛ وبأن الشمس والقمر والكواكب تدور حولها إلى جاليليه (مرورًا بكو برنيك) الذي قال بأن الشمس ثابتة، وأن الأرض والكواكب تدور حولها، إلى «نيوتن» الذي وضع اللبنة الأولى لمبدأ التجاذب الكوني، القائل بأن كل كوكب يمارس على ما حوله طاقة جاذبة معادلة لكتلته الوزنية ، والذي جاء (اينشتاين) فوضع معادلاته الرياضية الدقيقة، معمماً إياه في ما عرف بقانون (النسبية العامة) الذي يعني أن كل شيء في الكون مرتبط بكل شيء وفق قوانين رياضية، يمكن بوساطتها استشراف حركة الكواكب.

مفهوم حديث للزمن

منذ البداية يحدد (هاوكنج) أن الغاية من كتابه؛ هي محاولة توحيد النظريتين اللتين تستند إليهما الفيزياء الحديثة في تفسير الكون وفهمه: (النسبية العامة)؛ التي تفسر حركة الكواكب والمجرات، أي كل ماهو غير متناه في الكبر و(الآلية الكوانتية «me.Canique quan-tigue» التي تفسر طريقة عمل الذرات التي تتألف منها المادة؛ أي كل ما هو غير متناه في الصغر، لكنه قبل أن يبحث هذه المسألة، يورد في آخر الكتاب تحليلاً مفصلاً (مبسطًا نسبيًا) لأصل الكون واحتمالات فنائه؛ استنادًا إلى قوانينه الداخلية ذاتها. يتحدث عن المفهوم الحديث للزمن في الفيزياء. عن تمدد العالم ومبدأ «التشكيك» في الفيزياء (الكوانتية) عن الذّريرات والجزئيات المادية وآليات عملها (المفترضة منها والمبرهنة).. والثقوب السود.. كل ذلك من غير أن يذكر معادلة رياضية واحدة.. فقد نصحه أحدهم ـ على ما يقول... بألا يفعل ذلك (لأن كل معادلة رياضية تنقص مبيع الكتاب إلى النصف) نظرًا لنفور الناس من المعادلات المُعقدة. لكنه لم يستطع إلا أن يذكّر بمعادلة اينشتاين الشهيرة (E-mG2). مع أن هذا الكتاب موجه إلى غير الاختصاصيين فإن على القارئ، لكي يتمكن من متابعة المنطلق الذي يلم أجزاء الكتاب بعضها إلى بعض، ولكي يستطيع أن يمنح الأفكار عمقها العلمي، عليه أن يكون مُلمًا بحد أدنى من مبادئ علم الفيزياء، وأكثر من ذلك أن يتحلّى بكثير من الخيال. وأكثر مايحتاج القارئ إلى الخيال.. حين يتعلق الأمر بمفهوم (الزمن) الذي جعلته الفيزياء الحديثة (بعدًا رابعًا) غير منفصل عن الأبعاد الثلاثة التي نعرف (الطول ـ العرض ـ الارتفاع) فبعد أن كان الزمن في المفهوم التقليدي (الكلاسيكي) زمنًا مطلقًا لايتغير؛ صار في المفهوم الحديث (زمنًا نسبيًا) يتغير تبعًا للمكان الذي يقاس فيه. وقد جاءت التجربة لتدعم هذا المفهوم. وضعت ساعة حائط في أعلى برج وأخرى في أسفله على الأرض فتبين أن الساعة قرب الأرض تسير ببطء، بينما في أعلى البرج تسير بسرعة أكبر.

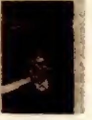
القوى الفاعلة في الطبيعة

ونحتاج إلى نسبة مماثلة (أو أكثر) من الخيال لكي نتصور أن الفضاء مائل (أو محدودب) وليس مسطحًا. وأنه محدود في المكان ومنته، ولكن من غير أن يكون له (حافة) تمامًا مثل الأرض التي هي كتلة محدودة الحجم. ولكن ليس لها طرف. أي إننا إذا سرنا عليها في اتجاه مستقيم عدنا إلى النقطة التي انطلقنا منها من غير أن نقع عن (حافتها) في الفضاء، وكذلك نتصور أن الكون هو تمدد مستمر ولايمكنه إلا أن يتمدد؟ لأنه إذا تقلص فإن قوة الجذب الكونية تدفعه إلى مزيد من التقلص. وتجعله يتقبّض على نفسه ويصطدم بعضه ببعض منتهيًا إلى.. ثقوب سود. وبرغم أن نظرية التمدد الكوني صارت معتمدة لدى معظم العلماء، فإنها لاتزال مجرد فرضية غير قابلة للبرهان النهائي تمامًا مثل فرضية (الحقل الموحد لقوى الطبيعة) التي تحاول الفيزياء الحديثة البرهنة عليها؛ والتي تتطلع إلى (توحيد الفيزياء) ـ كما يشرح ستيفان هاوكنج ـ .. فقد قسم العلماء القوى الفاعلة في الطبيعة أربعة أقسام:

١ـ قوة التجاذب الكوني التي تحكم حركة النجوم والمجرات.

٢ـ القوة الكهرومغناطيسية التي تحكم حركة الإلكترونيات المحيطة بنواة الذرّة وتنتج عنها الطاقة الكهربائية والمغناطيسية.

٣ـ قوة (التفاعل النووي الضعيف) التي تتحكم بالتفاعل بين مكوّنات الذرة والعالم



سيرة مختصرة للزمن

الخارجي. ومن تجلياتها النشاط الإشعاعي.

٤- قوة (التفاعل النووي القوي)؛ وهي القوة التي تحفظ أجزاء النواة الذرية متماسكة وتفتيتها يؤدي إلى تفاعلات ذرية هائلة القوة هي في أصل اختراع القنبلة الذرية.

ويفترض العلماء أن الكون، بعد حصول انفجار (البيج بانغ) كان على درجة كبيرة من السخونة؛ بحيث إن كل هذه القوى كانت في البدء قوة واحدة، ثم انفصل بعضها عن بعض حتى بردت حرارة الكون تمامًا. كما يحصل حين تنخفض حرارة الماء فيتحول إلى جليد ويفقد (صفة التشابه) التي توفرها له السيولة.

ومن أجل البرهنة على هذه الفرضية. رأى العلماء أن يبنوا مركزًا اختباريًا يستطيع أن يوفر درجة حرارة عالية جدًا سَمَّوه (المُسرع الذريري)، ويضعوا في داخله مواد قابلة للاختيار، وقد اكتشفوا أن هذه المواد حين تتعرض لحرارة عالية جدًا، تظهر منها ذريرات شديدة الدقة والصغر [مثل الـ (بوزون) و الـ (غليون و الـ (نوترينو)..] لا تلبث أن تختفي حين تعود الحرارة إلى الانخفاض، وقد وجد هؤلاء العلماء أن درجة الحرارة التي توصلوا إليها لاتزال دون المطلوب، فتقرر بناء (مُسرع ذريري) عملاق في مدينة (غرينوبل) الفرنسية، يصل قطره إلى كيلو مترات عدة، ويستغرق بناؤه سنوات، وقد تمكنوا من ملاحظة وجود مثل هذه (الذريرات الخفية) بوساطة وسائل سبر وقياس شديدة التعقيد. وعدوها جسورًا تؤمن (التواصل) بين ثلاث من قوى الطبيعة وهي القوة الكهرومغناطيسية، القوى الضعيفة. والقوة (القوية). أي القوى المتعلقة بالمادة غير المتناهية في الصغر. وبقي عليهم إيجاد «الجسر الذريري» الذي يربط بين جزئيات الذرة وحركة التجاذب الكوني التي وجدوا لها وحدة ذرية سموها الـ «برافيتون» تؤمن الاتصال ما بين الكواكب. وهكذا فإن حركة التجاذب بين الشمس والأرض، مثلاً يؤمنها تبادل كميات هائلة من الـ (برافيتون) بين المواد المكونة لهذين الجسمين الفضائيين.

المادة ونقيضها

كل هذا يقع على حدود المعقول والمفهوم. أما ما يتجاوز الخيال فهو تأكيد الفيزياء الحديثة أن لكل مادة نقيضها. وهكذا فإن لـ (البيروتون) ذي الشحنة الإيجابية «بيروتونا» نقيضا من نوعه، ولكنه ذو شحنة سلبية. وقد تم استنتاج ذلك من مراقبة حركة جزئيات الذرة المتناهية الصغر إلى حد جعل بعض العلماء يتساءلونَ هل للمادة وجود؟ - هل للكون وجود؟.. وإذا كان الأمر كذلك.. فما هذا الذي نراه. وما هي هذه المادة التي نلمسها، ثم نشك في وجودها؟.. إذا التقت مادة ما بنقيضها فإنهما تتلاغيان ولايعود لهما وجود، هنا لايفوت (ستيفان) أن يلتف على الناحية العبثية اللامعقولة في هذه النظرية.. فيقول مداعبًا: إذا التقيت نقيضك لاتسلم عليه، لأنك إذا فعلت فسوف تختفيان معًا؟!

أما الثقوب السود فمن المفترض، حسب تقدير العلماء أنها أجسام فضائية شديدة الصغر. شديدة الحرارة، وذوات كثافة عالية جدًا. وذوات قوة جذب ضخمة لاتدع أي ضوء يفلت منها. ومن المفترض أنها تكونت بفعل (انسحاق ذاتي) ناتج عن تضخم في كتلتها الوزنية أو حدث آخر غير واضح.

وكل جسم يقترب من ثقب أسود ليس له حظ في الإفلات. ويمكن القول: إن هذه الثقوب هي (مقبرة الفضاء). ويقدر العلماء أن الثقوب السود كبيرة العدد في الفضاء الخارجي (أي خارج قدرة الإنسان على رؤيتها). وتعرّفها يتم بوساطة التقاط موجاتها المغناطيسية. وفرضية (الثقوب السود) توفر للعلماء تفسيرًا لظاهرة دوران الكواكب المرئية حول نفسها، ودوران بعضها حول بعض، ذلك أن مجمل طاقة الجذب الصادرة عن الكواكب المرئية لاتكفي لإحداث حركة الدوران ولم يكن هذا الدوران ليتم لو لم تكن هناك طاقة إضافية آتية من مكان ما من الفضاء!، لنفترض أن رائد فضاء دفعه سوء الطالع إلى الاقتراب من أحد هذه الثقوب؛ سوف تلتهمه بسرعة كبيرة. لكنها ستعيد (تصديره) إلى الفضاء على شكل طاقة كونية، لِيُصبح عنصرًا في حركة التجاذب الكوني.

لكن الكتاب ينتهي من غير أن يقدم المؤلف نظرية التوحيد الفيزيائية الموعودة. فهو يلاحظ أن العقبة الرئيسية في طريق توحيد (النسبة العامة) و (الآلية الكوانتية) هي أن النظرية النسبية كلاسيكية؛ بمعنى أنها تقوم على قانون الحتمية، في حين أن (الآلة الكوانتية)؛ هي نظرية حديثة تخضع لمبدأ (الاحتمالات) ففي حين ترسم للكواكب مسارات محتملة، لايمكن تحديدها بدقة.. وهذا يعني أن (الفيزياء الكوانتية) أدخلت عنصر الشك إلى هذا العلم، فيما كانت الفيزياء الكلاسيكية تقوم على عنصر اليقين.

أما الشك فهو واضح في جميع أجزاء الكتاب؛ إلى جانب الاكتشافات العلمية، التي لاتقبل الجدل، فإن (هاوكنج) يطرح الأسئلة على كل النظريات التي يعرضها. إنه يغلّب البراهين القائلة بتمدد العالم من غير أن ينفي تمامًا نظرية العالم المنقبض السائر إلى (الانسحاق الذاتي).

ومن المستخلصات المهمة - من هذا الكتاب - أيضًا..،.. أن المسافة ضاقت - الآن - بين العلم والخيال (العلمي)؛ بين الفاعلية العلمية، والفاعلية الفكرية.. التخيلية.. الشعرية،.. الخ.

بعد أن كان الزمن في المفهوم التقليدي زمنًا مطلقًا لايتغير، صار في المفهوم الحديث زمنًا نسبيًا يتغير تبعًا للمكان.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

البُرْد الموشّى في صناعة الإنشا

كتاب يعالج أساليب الإنشاء المستخدمة في عصري الأيوبيين والمماليك، ومؤلفه القاضي موسى بن حسن الموصلي الكاتب تاج الدين، كان أبوه من كتاب الديار المصرية في ديوان الإنشاء زمن الظاهر بيبرس، وكان يعرف بسمسار الخبير، فاتفق أنّ وَلَدَهُ هذا «تاج الدين» قدم اليمن سنة ستين وستمائة فولاّه المظفر الرسولي صاحب اليمن آنذاك ديوان الإنشاء، فمهر في ذلك، وجمع كتابه هذا وسماه «البرد الموشّى في صناعة الإنشا» وتوفي الموصلي سنة 700هجرية.

ترى الدكتورة عفاف سيد صبرة محققة الكتاب أن ديوان الإنشاء كان أحد الدواوين الإسلامية، إلا أنه تطوّر تطوراً كبيراً في العصرين الأيوبي والمملوكي؛ لأنه المختص بالمكاتبات الرسمية التي ترد إلى الدولة أو التي تصدر عنها، ومن ثَم فإن مسؤوله احتل أخطر منصب رسمي يتولاه مسؤول في الدولة بوصفه خازن أسرار المملكة.

ولعل إضافة الديوان للإنشاء تحتمل أمرين إما أن الأوامر السلطانية في المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبتدئ منه، أو أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالاً، وقد كان في الزمن المتقدم يُعبَّر عنه بديوان الرسائل فسمّي بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء، وربما قيل ديوان المكاتبات.

أما أسلوب المكاتبات الشائع استعماله في الزمن الذي عاش فيه المؤلف، فكان امتداداً للأسلوب الشائع في العصر الفاطمي، وهو غلبة السجع والمحسنات البديعية على المكاتبات جميعها، وقد أحب الناس في ذلك الوقت هذا النوع من الأدب وفضلوه على غيره، وتباروا وتسابقوا فيه، حتى أصبحت مكاتباتهم تكاد تتشابه، وأساليبهم تتخذ من كثرة الألفاظ المسجوعة المتشابهة التي اكتظت بها كتاباتهم.

وبنى المؤلف كتابه على عشرة أقسام كعدّة العشرة المبشرين بالجنة عليهم رضوان الله تعالى، وجعل القسم الأول في مقدمة الكتاب، ويشتمل على أحكام وقواعد في الكتابة مما اصطلح عليها الكتاب، وأجروها إجراء الأمر اللازم، والثاني في المخاطبات وترجيح أرباب الخطاب، والفرق بين مرتبة المقام والمقر والمجلس والجناب، والقسم الثالث في كيفية التركيب لاستفتاحات المكاتبات، ومَنْ يُستَفتَح له بالدعاء أو غيره عند افتتاح المخاطبات، والرابع في الألقاب، والفرق بين عاليها ودانيها في الخطاب، والخامس في الدعاء بعد افتتاح الكتاب، والسادس في ذكر السلام، ووصف الوحشة والغرام، ، والسابع في معان مختلفة، والثامن في أدعية الصدور وما يلحقها من الكلام المنثور، والتاسع في مكاتبات وجوابات عن حكم الأعراض المختلفات، والعاشر في الأبيات التي تجري مجرى المكاتبات.

ومما قاله الموصلي في الألقاب والفرق بين عاليها ودانيها في الخطاب: «اعلم أن الألقاب في المكاتبات المراد بها تعريف المكتوب إليه والتنويه باسمه، وقد قالوا إن كثرتها في حق ذوي المراتب كالخلفاء والملوك نقص وعيب، وذلك أنه إذا كان الغرض بها التعريف فليس مثل هؤلاء بمحتاج إلى تعريف ولا شهرة بل هم معروفون، وأشهر مما به يوصفون، وذلك إذا قال القائل: الديوان العزيز النبوي الإمامي أو السلطان الأعظم فلان الدين يستغنى به عن إيراد جملة من الصفات، ولهذا قال المعري في مرثية للشريف الرضي:

أنتم ذوو النسب القصير

مراده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عن كثرة الصفات، وأن نسبتكم إليه أشهر من تعديد الآباء، وإلى هذا المعنى نظر المتنبي في قوله:

أبو شجاع بفارس عضد الـ
دولة فنّا خسرو شهنشاها

ثم استدرك فألحقه بأن قال:

أساميًا لم تزده معرفة
وإنما لذة ذكرناها

وقال آخر:

فما الألقاب تكسوه افتخاراً
فرند السيف تذكر لا النجاد

إدارة الحياة

عبدالله سليمان القفاري



لقد اهتمت المجتمعات المتحضرة بعلم الإدارة اهتمامًا بارزًا، وأولت إدارة قطاعات وأنشطة الحياة الاجتماعية والصناعية والتعليمية والعسكرية عناية وتركيزاً برزت في إثرها فنون وعلوم إدارية تعالج تلك المناحي من الإدارة العامة إلى الإدارة الصناعية والمكتبية وإدارة المستشفيات وإدارة المشروعات وإدارة الوقت، وغيرها كثير. إلا أن تلك الموضوعات ارتكزت على الإدارة المؤسسية التي تتناول الأفراد والجماعات ضمن منظومة تلك القطاعات أو المؤسسات، بمعنى أنها ظلت تدرس الإدارة في جماعة، في سبيل تحقيق أهداف تلك المؤسسات من خلال عمل إداري، يبحث دومًا في تحقيق الأهداف بأقل التكاليف والإمكانات.

ولقد ظل البحث في إدارة الحياة مجالاً شائكًا، وشائقًا، تتداخل فيه علوم شتى كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الوراثة والدين والمعتقد، والتربية ضمن دائرة معقدة تسهم عناصر كثيرة في صياغة لبناتها.

ولقد تناولت بعض الأقلام تلك المؤثرات من زوايا خاصة اصطبغت في الغالب بالجزئية أو الاستغراق في أجواء البحث الأكاديمي الذي يعالج مفاصل حساسة ضمن منظومة أكثر تعقيداً مجالُها الإنسان.

ولعل مصدر العقدة هنا في الشخصية الإنسانية بطلاسمها ورموزها وأسرارها التي يحار كثير من الباحثين والمهتمين في تبيّن معالمها، أو وضع تصور واضح لإشكالاتها، وتصبح مع الوقت مجالاً خصبًا وواسعًا لعلوم النفس والاجتماع والطب والتربية. وتتشكل وفق مؤثرات اجتماعية وتربوية وغريزية ووراثية.

ومع تنوع تلك الاجتهادات، فإن إدارة الحياة، بمعنى إدارة الفرد لحياته الخاصة والعامة وفق المنظور الواسع والمفهوم الشامل للحياة، لم يكتب فيها بالعربية سوى القليل.

وغني عن القول: إن هذه الحياة لتستحق منا الكثير من التأمل والتفكير والمراجعة. وإن إدارة الفرد لحياته بشكل أفضل ستقود إلى مجتمع معافى سليم يتحرك نحو أهدافه بشكل أفضل.

إن إدارة الحياة هي إرادة للحياة، والحياة هي الوجود والحيوية والنشاط والوعي والإدراك وسلسلة طويلة من عوامل النماء والعطاء، وما هذه المشاركة إلا محاولة متواضعة لاستلهام إجابات أكثر وضوحًا عن بعض إشكالات إدارة الحياة.، وما هي إلا تساؤلات تستثير العقل والفكر والعلم في محاولة للإجابة عن هذا اللغز الكبير، الذي كلما كشف منه شيء تبدى الجهل الواسع والعجز الواضح عن فهم سره وكينونته.

إنه الإنسان هذا الإشكال الكبير الذي تحمل منه وإليه كل التساؤلات والإشكالات التي مازال هو سرها الأكبر إلا أنه يمكن فهمه.

إن أهم سر من أسرار العالم، هو أن هذا العالم يمكن فهمه كما يقول ألبرت أينشتاين وكذلك هو الإنسان.

اكتشاف الذات

يخبرنا علم الوراثة أن الإنسان تكوّن نتيجة لاتحاد أربعة وعشرين كروموزومًا من والده مع أربعة وعشرين كروموزومًا من والدته. هذه الثمانية والأربعون كروموزومًا تشكل وتحدد ما سيرته من صفات.

يقول أمرام سشاينفليد في كتابه (أنت والوراثة): «من بين مئات الجينات توجد جينة واحدة قادرة على تغيير حياة المرء».

«إن كثيرًا من الناس يضيعون سنوات طوالاً من أعمارهم في تقليد الآخرين لعلهم يكونون مثلهم، وغالبًا ما يحصد هؤلاء الإخفاق المرير».

إن إدارة الحياة على نحو ناجح يتطلب أن يتعرف الإنسان نفسه، وأن يكتشف ذاته وأن يكون طبقًا لما تمليه عليه تجاربه ومحيطه وموروثاته.

يقول ديل كارينجي صاحب الكتاب الشهير «دع القلق وابدأ الحياة» عن تجربته الخاصة بهذا المعنى: «عندما قدمت إلى نيويورك في بادئ الأمر، من مزارع الذرة في ميسوري، التحقت بالكلية الأمريكية للفنون المسرحية؛ إذ كنت مصممًا أن أصبح ممثلاً. كانت لدي فكرة اعتقدت أنها رائعة، وأنها طريق قصير إلى النجاح.

كنت أدرس كيف توصل الممثلون المشهورون، أمثال جون درو، وألتر هامبدن وأوتيس سكيز، إلى أهدافهم. بعد ذلك أقلد أفضل مزاياهم، لأجعل من نفسي نجمًا لامعًا ناجحًا، لكن كانت هذه الفكرة سخيفة وواهية! إذ كان عليّ أن أمضي عدة سنوات من حياتي أقلد الآخرين قبل أن أكتشف فكرة أكيدة، وهي أن أكون ذاتي، وأنني لايمكن أن أكون غير ذاتي».

وإن من أعجب ما قرأت أخيرًا أن علي الوردي عالم الاجتماع العراقي الراحل يملك فلسفة اجتماعية تقلب كثيرًا من المفاهيم التي ظلت ترسم علامات في حياة كل إنسان، وتشكل اتجاهات أساسية في إدارة الناس لحياتهم، وتتمحور بعض هذه المفاهيم حول اكتشاف الناس لذواتهم ليتمكنوا من تشكيل شخصياتهم وفق إمكاناتهم الخاصة بعيدًا عن التقليد والمجاراة. يقول الأستاذ علي الوردي: «إن مبدأ مثل "من جد وجد" هو من جملة المفاهيم المغلوطة أو الضارة، ومن المؤسف أن نرى كتبنا التربوية ملأى بالأقوال المؤيدة له، ويجب أن لاننسى أن الأفراد متفاوتون في مختلف صفاتهم، فمنهم المتفوقون في ذكائهم، ثم الأواسط، ثم الأغبياء، ثم يأتي أخيرًا المتخلفون، فالطالب الغبي لايستطيع أن ينجح في دراسته مهما ثابر وكافح وسهر الليالي، إن الإنسان بوجه عام يجب أن يعرف ماهية قدرته ودرجتها قبل أن يبدأ بالسعي وراء الغاية التي يطمح إليها».

إن هذا الكلام لايجب أن يؤخذ حرفيًا، ولا أعتقد أن يراد به بعث اليأس في قلوب الناس، بل أعتقد أنه أريد به تعرف الوسائل الحقيقية للنجاح وإدارة الحياة بدلاً من الوسائل الوهمية التي لا تجدي.

إن كثيرًا من الذين أخفقوا في حياتهم كان في مقدورهم أن ينجحوا لو أنهم عرفوا سر النجاح كما هو في الواقع لا كما يجب أن يكون.

إن إدارة الحياة على نحو ناجح يمكن أن تؤطرها ثلاثة عوامل رئيسية للنجاح، وهي التي يجب أن تتوافر في الفرد كي ينجح في حياته:

- إن كل مهنة أو مجال في الحياة هي في حاجة إلى موهبة خاصة بها لكي يمكن النجاح فيها. والمواهب أنواع شتى، فالدراسة العلمية تحتاج إلى ذكاء خاص بها، كمثل ما تحتاج المصارعة أو السباحة إلى قوة العضلات، وفن الغناء إلى الصوت الجميل، والسياسة إلى الدهاء، والإنسان يجب أن يكتشف موهبته قبل أن يبدأ بالسعي والمثابرة في مجال معين.

- إن الموهبة وحدها لاتكفي لإدارة ناجحة للحياة؛ بل يجب أن تصحبها الظروف الملائمة لكي يكون في مقدور صاحبها تدريبها واستثمارها وتنميتها. ولنأخذ مثلاً شخصًا لديه موهبة رياضية عالية من طراز موهبة أينشتاين، ولكن نشأ وعاش في قرية بدائية منعزلة، فأي إمكانات محيطة يمكن أن تقدر فيه هذه الموهبة وتستغلها، وكم من طفل لديه ذكاء مفرط، ولكنه نشأ في أسرة فقيرة وصار يعمل في الأعمال الشاقة بدلاً من الذهاب للمدرسة، وضاعت بذلك موهبته.

- كما أن الموهبة والظروف الملائمة لايكفيان وحدهما للنجاح في الحياة، بل يجب أن تصحبهما أمور مقدرة. إن الأقدار (أو المصادفات الحسنة كما يدعوها بعض الناس) قد تصعد بالإنسان أو تهبط به من دون أن يملك تجاهها أية إرادة. كما أن الفرص قلما تتكرر، والمصادفات قد تخلق فرصًا كثيرًا ما شكّل استثمارها تحولاً في مسار حياة أصحابها، وكانت تلك الفرص إمكانية لانطلاقة غير محسوبة في حياة أولئك الأشخاص.

إن إدارة الحياة على نحو ناجح تتطلب تضافر عدد من العوامل تشكل الموهبة، والبيئة والفرص المتاحة أبرز تلك العوامل على الإطلاق.

المجتمعات المتخلفة تعاني من ضياع المواهب، لأنها لاتملك الآلية المناسبة لتعزيز تلك المواهب واستثمارها

إن المجتمعات المتخلفة تعاني عمومًا من ضياع المواهب، لأنها لا تملك الآلية المناسبة لتعزيز تلك المواهب واستثمارها، وكلما ارتفع المستوى الحضاري للمجتمع ازدادت الفرص لاستثمار تلك المواهب.

إن المجتمع ذا المستوى الحضاري الرفيع يسهم في خلق فرص أفضل لإدارة الحياة، حيث تتنوع المجالات والاهتمامات في ذلك المجتمع، بالإضافة إلى تقديره واهتمامه

بالمواهب المختلفة. بينما يعاني المجتمع المتخلف حضاريًا من تضييق في مجالات العمل والإبداع بالإضافة إلى بروز عناصر لاتتكئ على الفعالية والعملية لدى الأفراد تبوئهم مراكز يتولون من خلالها إدارة المجتمع، وغالبًا ما تكون إدارتهم تلك عثرات في طريق تقدمه وازدهاره.

إن من أهم أسرار النجاح في الحياة أن يكتشف الإنسان عوامل القوة والضعف في شخصيته بأن يراقب ويدعم مكامن الإبداع، ويحجّم نقاط الانطفاء في نفسه، فيستغل مكان القوة إلى أقصى حد ممكن، ويتجنب مكامن الضعف قدر ما يستطيع؛ إن هذه المعادلة تتطلب قياسًا نفسيًا راقيًا وصفاء روحيًا يهيّئ أسباب الاكتشاف التي قليلاً ما يفطن لها الناس في خضم دوامة الحياة التي لا يتبينون أنفسهم فيها إلا وقد قذفت بهم في اتجاهات لايرغبونها.

إن تطوير ملكات الإبداع والعطاء، ومواراة نقاط الضعف والانطفاء، لجديرة بأن تضع الإنسان في موقع يستطيع من خلاله أن ينجح في إدارة حياته بشكل أفضل مما يجنبه كثيرًا من العثرات والإخفاقات.

اكتشاف الآخر

إن التفاعل مع المجتمع والانصهار في بوتقته إرادة وحاجة إنسانية اجتماعية لا مفر منها، وإلا أصبح الإنسان معزولاً منفردًا، وأحيانًا منبوذًا؛ وأصحاب العزلة يفتقرون إلى معايير تمكنهم من إدارة حياتهم الاجتماعية على نحو طبيعي وسليم، ناهيك بأن تكون إدارتهم لحياتهم من خلال التعامل والتفاعل من واقعهم الاجتماعي مدعاة لارتقائهم نفسيًا واجتماعيًا.

إن إدارة الحياة على نحو يحقق للإنسان الرضا النفسي والارتقاء الاجتماعي ويقربه من طموحاته يتطلب إلمامًا وفهمًا عميقًا لمعايير التعامل والتفاعل مع المحيط الاجتماعي واكتشاف الآخرين قبولاً ورفضًا، محبة وكرهًا، إقبالاً وإدبارًا.

ولعل أهم العقبات التي كثيرًا ما تعترض حياة الناس وتسهم في صياغة مستقبلهم إيجابًا أو سلبًا - وغالبًا لايدركونها - تنطوي على فهم العقلية البشرية وإمكانات التعامل مع الناس وفق عقلياتهم وإمكاناتهم الفكرية.

إن التعامل مع العقل البشري يجب أن لايكون متحررًا من العوامل اللاشعورية التي تتحكم في مساراته، وتشكل قناعاته. إن الإلمام بطرائق تفكير الناس مهمة ضرورية تنبغي مقاربتها والتفاعل معها عند إدارة الناس لحياتهم، إذ كثير من الإشكالات الناجمة عن سوء تقدير هذا الجانب تسبب إرباكًا لمسيرة الناس في حياتهم وتعامل بعضهم مع بعض.

ولعل النزوع للنظرة العقلية المتجردة في إدارة الحياة يتناسب طرديًا مع التفوق الحضاري للمجتمع، فكلما كان المجتمع متفوقًا حضاريًا يتمتع بالعافية الثقافية والنسيج المدني المتحضر، كان إسهام النظرة العقلية المبنية على أسس التبادل الفكري السليم وأُطره، ذا أثر أكبر في تشكيل قناعات الناس، ومن ثم في تحديد مستقبلهم ومسارهم في الحياة.

وفي هذا المضمون يرى علي الوردي أن الإطار الفكري الذي يحدد قناعات الناس بالأشياء وبعضهم ببعض هي العوامل اللاشعورية التي تحكم تفكيرهم وليست النظرة العقلية المتجردة. يقول:

«إن النظرة الحديثة في العقل البشري هي أنه متحيز ومحدود بطبيعته، وهذه النظرة هي على النقيض من النظرة الفلسفية القديمة التي كانت تثق بالعقل ثقة مطلقة، وتبالغ في تمجيده وتقديره بلا حدود.

لاننكر أن العقل جهاز عظيم وهبه الله للإنسان، وهو أهم ما يتميز به الإنسان من الحيوان، ولكننا إذ نعترف بذلك يجب أن لا ننسى في الوقت نفسه أن العقل له حدود يقف عندها، فهو عظيم في نطاق تلك الحدود، وهو عاجز مشلول إذا خرج منها.

انتشرت بيننا أقاويل متعددة حول العقل وتمجيده. وهي أقاويل ورثناها من الماضي. وقد اتسع نطاق تداولها حتى وصلت إلى العوام. فأنت لاتكاد تتحدث إلى أحد العامة حتى تراه يشير إلى مخه ويقول: «الله بيش عرفناه؟ بالعقل». أو يقول «الله أعطانا عقلاً لكي نميز به الأمور» أو ما يشبه ذلك. إن هذا العامي لا يدري أنه إنما عرف الله لأنه نشأ في بيئة اجتماعية تعبدالله، ولو أنه كان قد نشأ في بيئة تعبد الأوثان لعبدها مثل غيره من أبناء بيئته. إلا من رحم ربك. وهذا لايصدق على العوام فقط بل هو يصدق على كثير من المثقفين أيضًا، وربما على أكثرهم.

إن الإنسان حين يفكر يتصور أنه يجري في تفكيره حسبما يقضي به المنطق السليم. وأنه حر مختار في تفكيره لا تأثير لأي مؤثر آخر فيه، فهو لايدري أن هناك عوامل لا شعورية متعددة لها دورها في تفكيره، ومشكلة الإنسان أنه لايدري، ولايدري أنه لايدري.

إذا تجادل اثنان حول رأي من الآراء فمن النادر أن ينتهي الجدال بينهما إلى اتفاق، فالدليل الذي هو قوي واضح في نظر أحدهما قد يكون واهيًا أو غامضًا أو غير معقول في نظر الآخر، فكل منهما ينظر في الأمور من خلال الإطار الذي وضعته العوامل اللاشعورية حول تفكيره. فأنت تقول عن دليلك الواضح إنه كالشمس في رائعة النهار، ولكنك لاتدري أن خصمك قد يكون أعمى أو هو في غرفة مظلمة، أو أن إطاره الفكري جعله ينظر نحو جهة ليست فيها شمس. وفي هذا مصداق ماورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿فإنها لاتعمَى الأبصارُ ولكنْ تعمى القلوبُ التي في الصدور﴾ الحج:46. أو قوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾. - وردت في عدة آيات منها: الأعراف:187، يوسف:21و68، النحل:٣٨ -».

كثير من الذين أخفقوا في حياتهم كان في إمكانهم النجاح لو عرفوا سره

وفي ضوء هذه الفلسفة، فإن الذي يتعامل مع الناس بوصفهم عقلاء تمامًا كثيرًا ما يخفق في إدارة حياته، وهو من إخفاقه قد يلوم الناس على ما فعلوه به، مع أنه أجدر باللوم منهم، فالناس خلقوا على طبيعة معينة لا يمكن تغييرها، وكان من الواجب على من يتعامل معهم أن ينسجم مع طبيعتهم لا أن يطلب من طبيعتهم أن تنسجم معه.

عوامل لاشعورية

إن هناك العديد من العوامل اللاشعورية التي تؤثر في تفكير الإنسان، ولعل من أهمها:

الموروثات:

وهي مجموعة المعتقدات والقيم والتقاليد والأعراف التي يتميز بها كل مجتمع من غيره من المجتمعات الأخرى، فالإنسان ينشأ منذ طفولته الباكرة مُشبعًا بتراث معين. وإذا ظل في كبره قابعًا فيه فإن تفكيره يكون مصبوبًا في قوالبه التقليدية.

إن محاولة فهم الناس يجب أن تنبع من معرفة البيئة التي نشؤوا بها والموروثات التي اصطبغ تفكيرهم وتأثر بقوالبها، وإن إدارة الحياة على نحو ناجح يتطلب إدراك عامل البيئة والتراثية المستحكمة التي كثيرًا ما تبرز كجزء من تصورات البشر في محيطهم الاجتماعي.

كما أن محاولة إقناع الناس أو الأشخاص بصحة رأي من الآراء لايكفي أن يقدم فيه الدليل العقلي فقط، بل يجب أن يتم التسلل إلى تفكيرهم عن طريق عدد من العوامل قد تكون البيئة أو الموروثات أحدها، وإذا كان هناك سر للنجاح في الحياة وإدارة العلاقات الإنسانية على نحو متميز فهو يكمن في القدرة على معرفة خلفيات الناس الفكرية والثقافية والنفسية، وإدراك وجهة نظر الآخر التي تنبع جزئيًا من تلك المنطلقات، ومحاولة رؤية الأشياء من منظار كفيل بخلق إدراك موضوعي وواقعي لشؤون الإنسان.

العاطفة:

تشكل العاطفة عاملاً مؤثرًا ومهمًا من خلاله يمكن فهم تصرفات كثير من البشر وتفسيرها. وتأثيرها في الإنسان غالبًا ما يرتبط كذلك بمصلحته الخاصة.

إن الإنسان يحب الذي يساعده في أمر من الأمور أو يحسن إليه، ولكنه لايكاد يراه منافسًا له في مهنة أو مكانة اجتماعية حتى يبدل نظرته إليه من الحب إلى الكراهية، وهنا نجد أن محاسنه تتضاءل لديه وتكبر مساوئه مع بروز علامات الحسد والغيرة.

إننا لا نتعامل مع مخلوقات منطقية؛ بل نتعامل مع مخلوقات عاطفية تلتهب إجحافًا ويثيرها الغرور والخيلاء.

وتلك عناصر فطرية غريزية لايتصور أنه بالإمكان القضاء عليها، ولكن قد يكون من الممكن ووفق منهجة تربوية التحكم فيها والتخلص إلى حد ما من سيطرتها.

إن عوامل لاشعورية مثل تراثية الإنسان ومصالحه الخاصة وعواطفه تؤدي دورًا حيويًا ومهمًا في تشكيل شخصيته، ومن ثَم تتحكم إلى حد كبير في تفكيره وقبوله ،ورفضه، وتختلف هذه العوامل قوة وضعفًا من شخص لآخر حسب تكوين شخصيته وثقافته ودرجة وعيه.

الأنا:

إن شعور الإنسان بذاته، وسعيه المتواصل لرفع مكانتها في نظر الآخرين وكسب تقديرهم، وتطلعاته المتواصلة لرفعة الأنا، فقد تجعله يحقد على أي قرين له يصل إلى المكانة التي يطمح إليها. وهذا موجود في كل إنسان، إنما قد يختلف شدة وضعفًا من شخص لآخر تبعًا لضعف واستحكام هذا العامل في شخصيته.

والأنا صفة ملازمة لبني البشر صعودًا وهبوطًا شدة وضعفًا. وإدارة الحياة التي لا تأخذها بالحسبان إنما تهمل ذات الإنسان التي تتطلع إلى الرفعة والمكانة والإحساس بالقيمة والوجود.

بالتأمل نقترب من رؤية شاملة للحياة، لتصغر همومنا وتهون مشكلاتنا

إن كثيرًا من الناس يكسبون الأصدقاء عندما يجزلون لهم الاحترام والمديح لصنيعهم، وكثيرًا ما يصنعون منهم أعداء ألداء باحتقارهم وإهانتهم.

إن إدارة الحياة تتطلب إلمامًا بهذا العنصر المهم، وإدراك أنه ما من شيء يمكن أن تقدمه للناس وتجعلهم يصنعون كل ما تود مثل أن تشعرهم برفعة الأنا لديهم وتغذي فيهم شعورهم بالإحساس بأهميتهم وقيمتهم.

يقول البروفسور جون ديوي ألمع الفلاسفة الأمريكيين: «إن أعمق حافز في الطبيعة الإنسانية هو الرغبة في أن يكون الإنسان مهمًا».

ويقول لنكولن الرئيس الأمريكي الشهير: «إن أعمق مبدأ في الطبيعة البشرية هو التماس الثناء».

إن الجوع الإنساني يكمن في الشعور بالأهمية. والشخص النادر الذي يستطيع أن يشبع قلوب الناس بهذا الشعور إنما يمسك بهم في راحة يده.

إن إدارة الحياة بعيدًا عن إدراك هذه الصفة المتأصلة في النفس البشرية إنما هي مجافاة لعامل يفعل فعل السحر في العلاقات الإنسانية.

كما أن بضع جمل من التواضع وامتداح الشخص الآخر يمكن أن تصنع الصداقة وتعزز آثارها، ولنا أن نتخيل ما يمكن أن تفعله بالمقابل الإهانة أو ازدراء الناس أو التقليل من شأنهم في علاقاتنا الاجتماعية.

إن السعي لتغيير الناس من دون إشباع أو مس حاجة الأنا في نفوسهم غالبًا ما يذهب هباء. إن كل إنسان يشعر أنه أفضل من الآخرين بطريقة ما والوسيلة الأكيدة للدخول إلى قلبه وعالمه هي أن تجعله يشعر أنك تقدر أهميته في عالمه الصغير وأنك تقدر ذلك بصدق وإخلاص.

وتحضرني إحصائية صغيرة عن دراسة وضعتها شركة للهاتف في نيويورك لتكشف الكلمة التي تستخدم أكثر من غيرها. لقد وجدت أنها الضمير

الشخصي (أنا) استخدمت 3990مرة في 500مكالمة هاتفية.

إن إدارة الحياة على نحو ناجح يتطلب مزج عناصر كثيرة، منها اكتشاف الذات ومعرفة مكامن القوة والضعف في الشخصية الإنسانية، ومحاولة استثمار تلك العناصر القوية بدرجة وكفاءة عالية وإصلاح، كما أن اكتشاف الذات يجري على اكتشاف الآخرين، فالمقدرة على تمييز الناس ومعرفة إمكاناتهم واكتشاف قدراتهم يتيح لنا فرصة نادرة لإدارة برامجنا وحياتنا والتأثير في حياتهم على نحو ناجح، كما أن سبر الأغوار الشخصية، والإلمام بتراثية الإنسان التي اصطبغت بها شخصيته، والإلمام بقوة العوامل اللاشعورية مثل ارتباطه بمصالحه الخاصة وعواطفه وتضخم الذات والأنوية لديه، كل هذه عوامل جديرة بمن يسعى لإدارة حياته أن يلاحظ تأثيرها ويمارس من خلال شعوره بها علاقاته الإنسانية، على نحو يمكن أن يحقق له نجاحًا مميزًا في إدارة حياته ويجنبه كثيرًا من المزالق التي يعاني منها البشر بسبب افتقادهم لأبجديات إدارة الحياة.

مواجهة الأزمات

الأزمات في حياة الناس، تفاعل اجتماعي كثيرًا ما أفرزت تحولات ومنعطفات حادة في حياتهم، وإدارة الأزمات على المستوى الاجتماعي فن قائم بذاته، ويكمن نجاح كثير من الإداريين والسياسيين والصناعيين في حسن تعاملهم مع الأزمات وقدراتهم الجيدة التي تمكنهم من إدارة الأزمات بطريقة تتطلب حنكة وخبرة ودهاء.

وفي خضم إدارة الإنسان لحياته تكون الأزمات التي يواجهها محكًا ومفصلاً حساسًا كثيرًا ما أفرز تحولات خطيرة في مسار حياته.

إن مواجهة الأزمات يتطلب تشريح الأزمة ومعرفة اتجاهها وتقدير نتائجها، وفي ضوء هذه الاعتبارات وغيرها تأتي المعالجة، إلا أن هناك دواء وعلاجًا قد لايكون هو البلسم الشافي في كل الأحوال، إلا أنه أثبت جدواه وحافظ على قيمته وطارد عنصر الندم أن يحيق بالإنسان على فعله.

إن مواجهة الأزمات بالصبر والتمهل والإحجام عن اتخاذ أية خطوة خاطئة أو متسرعة هو البند الأول من بنود علاج الأزمة، ثم يأتي تشريحها وإخضاعها للفحص وتقدير أبعادها، ثم تأتي دراسة حلولها وما يترتب عليها سلبًا وإيجابًا.

علمًا بأن كثيرًا من أمور الحياة قد لاتقبل الحسم، وقد تشارك في صنع كثير من المآسي والآلام والإخفاقات والأزمات عوامل

أعمق حافز في الطبيعة الإنسانية هو الرغبة في أن يكون الإنسان مهمًا

متشابكة ودوافع متعددة، منها ما يمكن إدراكه، ومنها ما قد يخفى، وهذه العوامل قد يؤثر بعضها في بعض ويفعل بعضها فعله في الآخر وهنا تأتي إدارة الحياة لتدعم العوامل التي توافق الحاجة والمصلحة، وتضعف العوامل التي تقف ضدها.

وهناك أمور كثيرة يعجز الإنسان أن يتبين طريق تغييرها نحو مايراه الأفضل، وهنا يأتي عامل الزمن أو العوامل المتضادة أو صراع الأضداد ليصنع وضعًا جديدًا يجتاح بعض الأزمات ويكسر جمود أوضاع تبدي للإنسان عجزه أن يغير فيها شيئًا.

إن هذا سر من أسرار الحياة وسبيل من سبل التوازن وسنة من سنن التغيير في هذا الكون الذي أبدعه خالقه العظيم.

إن من يتطلع لحياة الناس لَيُدرك أنْ ليست كل أزماتهم مستعصيةً على الحل، بل إن كثيرًا من إشكالاتهم وخصوماتهم وإخفاقاتهم عن الوصول إلى مستوى الرضا الاجتماعي نابع من إشكالية يعاني منها كثير من البشر، ألا وهي الميل إلى علاج التوترات بالمصادمات، وإشعال الأزمات بمزيد من صب الزيت على نارها.

إننا نجد أن النجاح في إدارة الحياة يكون في الغالب من نصيب من يواجه التوترات والإشكاليات باللين والرفق والهدوء والبعد عن ردة الفعل المباشر والآنية المملوءة غالبًا بإفرازات الغضب، المشحون بعنصر الأدرينالين الذي يتدفق في شراييننا ليحيلها نارًا تحرق الأخضر واليابس.

هل نتذكر أن الأزمات الساخنة تحتاج إلى كلام بارد.

التأمل

إن مقياس الإنسان لإنسانيته ودرجة وعيه وإدراكه، ارتبط بقدرته على إعمال عقله وفكره في كل ما حوله. والتأمل وسيلة الإنسان للنظر في ما حوله.

إن التأمل علاج نفسي يرقى بالإنسان من دوامة الحياة نجاحًا وإخفاقًا تعبًا وراحة، سرورًا وضيقًا إلى لحظات من الصفاء الذهني يستجلي الواقع ويتدبر خلق الخالق، يتأمل في خلق الله وحكمته وقدرته وإبداعه وما في هذا الكون من جمال وصفاء وإبداع وما به من شقاء وتعب وكد وظلم من الإنسان للإنسان.

إن التأمل والتفكير والتدبر مترادفات لوسيلة روحية تضفي على الإنسان هدوءًا واتزانًا، وتجعل استرجاع أحداث الماضي واستجلاء مسببات الإخفاق والنجاح واستشراف المستقبل والاستعداد للآتي، دليل عافية عقلية وصحة نفسية تقود إلى الخير دومًا.

ومن دون تأمل تكون الحياة دوامة وصراعًا ماديًا ولهاثًا لاينتهي، بالتأمل نكسب العبرة والاعتبار والقناعة والرضا والاطمئنان، بالتأمل نقترب من رؤية شاملة للحياة، لتصغر همومنا وتهون ونتمكن من إدارة حياتنا على نحو أفضل.

قصة قصيرة

بشارة

حسين عيد

حين رآها نافرة متوترة، لاتستقر في مكان، سريعة «الزهقان»، أرجع الأمر إلى موسم ضغط العمل في القطاع التجاري بالشركة وإلى استفزازات العملاء. وحين تابع التهامها كميات من الأطعمة والفاكهة ظن بأنه نوع من تعويض معاناة تجد متنفسًا لها في الاقبال على الطعام. ولكن حين بدأت أصناف بذاتها تثير لديها الغثيان والرغبة في القيء. ساوره الشك فيما يحدث، فأمعن في مراقبتها، وإذا الشواهد تترى، لتوقظ لديه الخوف القديم، حتى اضطر أن يواجهها:

ـ أنت حامل يا دولت؟!

تطلعت إليه، كمن فوجئت:

ـ صباح اليوم فقط ، زفَّتْ إليَّ الطبيبة الخبر السعيد

علق على وجهه ابتسامة شاحبة، ولم ينطق

***

رأيت ابتسامته الشاحبة، الصفراء

هل أحزنته البشرى؟!

ألم يكن، مثلي، يحلُمُ بالأطفال؟

كنت أعيش مع أبي وأمي وآخر العنقود، بعد أن تزوجت أخواتي الثلاث وأنجبن، أحلم بقطار الزواج المنتظر، حين تقدم لخطبتي محمود، وهو زميل عمل، حسن الخلق طيِّب الصفات، جاء وحده، وقد أوضح الأمر لنا، بأنه مقطوع من شجرة، وأن الوحيد الباقي من أسرته هو خاله، الموجود حاليًا في أسوان، ثم خصَّني في وقت لاحق بقوله، إنه لم يكن منطقيًا أن يصحبه معه، بعد أن رفض في وقت سابق، أن يخطب ابنته التي كان جميع المعارف يتوقعونها..

قبلتُ، وباركتْ أكبر أخواتي الزواج، قائلة:

ـ مكتوب لك الهناءة، لا حماة تنغص عليك ولا أب يزعجك ولا أقارب يضايقونك!

بعد الزواج بدأت أربع سنوات عجاف، حيث اكتشفت حلمًا آخر يكمن وراء الزواج وهو الأطفال، غذَّته الأسرة والأقارب والزملاء. وكنت أعي بحكم معايشتي السابقة لتجارب زواج أخواتي أهمية وجود الأطفال، لاستمرار الزواج ولنيل رضا الزوج. وحين بدأت رحلة عذابي خلال تلك السنوات برز معدن محمود، فإذا هو بشوش ضاحك، مقبل، متفان في تلبية طلباتي والعمل على إرضائي بشتى السبل.

مع ذلك ظل يراودني إحساس أني كنت مطرودة من نعيم أسرتي، مهجورة في عش الزوجية، كدمية لاقيمة لها.. فهل كانت معاملة محمود هي التي جعلتني أنسلخ خلال تلك السنوات، عن أسرتي وألجأ إلى كنفه؟ أم كان حرصي على إرضائه نتاج عجز ويأس من الإنجاب؟ ولماذا سرى دبيب قوة في بدني، حين تأكدت من الحمل، فتح أمامي طريق العودة، فكانت أمي وأخواتي هن أول من أبلغتُ؟

الآن، وقد ضمنت زواجي، هل سيستمر ما بيننا، كما كان خلال سنوات الشتات؟!

***

حلمت في تلك الليلة، أني ودولت معًا في شقة أخرى غير شقتنا، تطل علينا ورود كبيرة صفر مرتسمة على حيطانها الزرق. رأيت ضوء النهار يخفت ويحلّ الظلام، تطلعت إلي وجهها الدائري وذيل حصان شعرها الذي يتمايل خلف رأسها. كنت راغبًا فيها بشدة، فنهضت متوجهًا إليها، لكنها أشارت إليَّ أن أنتظر، وجذبتْ حقيبة يدها السوداء، ثم انصرفت مغلقةً الباب وراءها.

تغيَّر المشهد. ممدًا على السرير كنت، أترقب عودتها وقد ران الظلام على المكان. انبعث صوت ما لم أتمكن من تحديد مصدره، ظننت أنها أخيرًا عادت، فتحسست طريقي في الظلام، وفجأة ارتطمت يدي بطراوة جسد ما. توقفت مذعورًا «أهو جسد بشريّ؟!»

انتفضت مرعوبًا من نومي. شعرت بجفاف حلقي. وبقايا الحلم مازالت تمسك بخناقي، « ها قد عادت كوابيس الموت تطاردني». شاهدت زوجتي على سريرها المجاور تغطّ في نوم عميق. فكَّرتُ أني وحيد ، حتى في أحلامي الرهيبة التي لاتكتمل أبدًا..

كان الجو خانقًا. شربت جرعة ماء ، وخرجت إلى «الفراندة». تاهت نظراتي في الظلام المخيم «هل حانت لحظة المواجهة التي ظلت سنوات طويلة تهرب منها؟»

ارتاح مرفقاي على حافة السور الباردة، وبدأت مشاهد من حياتي الماضية تتوارد أمام ناظري..

حين مات أبوك قبل أن تولد بشهرين، قالوا: «مسكين وُلد يتيمًا»، وحين ماتت أمك وأنت في الثالثة من عمرك، قالوا: «هذا ابن شؤم!» ونفر الجميع منك كأجرب، فعانيت الفقر والصعلكة والتشرد طفلاً. كانت معجزتك أن اعتمدت على نفسك، فعملت منذ طفولتك، وأكملت تعليمك الجامعي بإصرار، وإن ظلّت تجربة حياتك ماثلة دائمًا أمام عينيك، فنأيت عن أي ارتباط، وتسببت في قطيعة خالك، وحين تجاوزت الثلاثين تساءلَ مَنْ حولك «ألم يحن للطائر المهاجر أن يستقر؟»، ولن تعرف أبدًا، لماذا انقدت لدعوتهم حين اقترحوا عليك دولت.. أهو إرهاق طول السفر؟ أم هو حلم مراوغ بالراحة؟ أم أنك وجدت في دولت كل ما افتقدته في حياتك، من عزوة أسرية وجيش من الأقارب، وإن تراءت بعد ذلك، بوادر رغبتهم في تدجينك مبكرًا، التي تخلصت منها بلباقة بالتعجيل بالزواج. وحين تيقنت بعد الزواج أنها عاقر، بدأت سنواتك الأربع السمان، فردوسك الحقيقي، الذي أشعّ حياة. كانت مأساتها هي أملك الذي تحقق، وشقاؤها مستقرك الآمن، فأسبغت عليها حنانًا لم تحس من قبل أنك تمتلكه. وفكرت أنه قد آن للملعون المطارد، أخيرًا، أن يهنأ بالراحة..

وإذا سحب التغير تظهر بغته، ونذر العاصفة تتراكم في الأفق، حتى جاءت البشارة، فإذا الخوف القديم يعود أعنف مما كان..

هل ستنسلخ عني دولت، وتؤوب إلى مستقر أسرتها القديم؟

هل سأكمل رحلتي في الحياة، وأربي طفلي أم سيداهمني الموت قبل أن أراه؟

هل حتم علي أن لا أعيش حياة حقيقية إلا لأربع سنوات فقط؟

هل ....

أغاني المهد في التراث

علوي عبدالله طاهر

إن من أعظم المشاهد تأثيرًا في المشاعر منظر الأم وهي ترضع طفلها، وتضمه إلى صدرها، أو تهدهده مترنمة بألطف الألفاظ وأعذب النغمات ليتخذ سبيله إلى عالم الأحلام وينام.

وبدافع من الحنان والمحبة تلجأ الأم ـ أحيانًا ـ إلى الغناء للطفل لتبعث السرور إلى نفسه، وتستثير فيه الحركة، أو لترسله إلى النوم على نغمات ترانيم الطفولة العذبة، تلك الترانيم التي نطلق عليها (أغاني المهد)، وهي تصدر ـ عادة ـ عن الأم في لحظة عابرة تؤثر فيها وفي مشاعرها، فتغني لطفلها تعبيرًا عن مشاعرها نحوه، مبرزة في الوقت نفسه أحاسيسها الداخلية وما يجيش في أعماقها من انفعالات.

وسنحاول في هذه الدراسة المتواضعة أن نبرز بعض أحاسيس الأم في اللحظة التي تغني فيها للطفل، وذلك بنظرة تأمل في بعض أغاني المهد الشائعة في التراث الشعبي اليمني، حيث نجد الأم اليمنية وهي تغني لطفلها لاتستهدف في إسكاته عن البكاء وحسب، بل تبرز في الوقت نفسه أحاسيسها وما يجيش في أعماقها من انفعالات، فأغنياتها التي تغنيها للطفل ليست بالضرورة تعبيرًا عن فرحة وانشراح وراحة بال، بل قد تعبر عن معاناتها ومتاعبها في الحياة، والتي تخشى أن يرث أبناؤها وأحفادها عنها تلك المعاناة والمتاعب، لذلك فإنها حين تغني للطفل فإنما تغني للمستقبل، إذ تتمنى أن يكون الطفل الذي تغني له سببًا في تغيير حالها نحو الأفضل، فيغير واقع البؤس الذي تعيشه ويحيله إلى واقع آخر، تتحقق فيه آمالها وطموحاتها، وتنال فيه ما حرمت منه.

وسوف يلاحظ القارئ أننا حاولنا إبراز معاناة الأم كما تُصوِّرها أغاني المهد في التراث الشعبي اليمني ، وما يصاحب تلك المعاناة من هواجس وانفعالات، وما ذلك إلاّ مثال لما يمكن أن تحمله أغاني المهد من معان، وما تجسده من مشاعر صادقة وأحاسيس مرهفة، في أي مجتمع من المجتمعات البشرية، على اختلاف مستويات تطورها.

معاناة الأم

من المعروف أن المرأة اليمنية في الماضي كانت تعيش ظروفًا صعبة، ربما الحالة التخلف التي عاشتها اليمن لقرون من الزمن ، أو لسوء الأحوال المعيشية فيها، مما أجبر عددًا من الأشخاص على الهجرة بحثًا عن لقمة العيش، تاركين زوجاتهم وأطفالهم يعانون من شظف العيش وآلام الفقر، فكانت المرأة تواجه متاعب لاتحصى، بسبب غياب زوجها عنها، فتشعر أن آمالها ضائعة، وهمومها لاحدود لنهايتها، وهي ـ على ذلك ـ تستقبل كل عام همومًا مضنية جديدة، تضيف إلى متاعبها أتعابًا، وإلى أعبائها أعباءً جديدة، خاصة إذا كانت فقيرة، أو سُدَّت أمامها مسالك الرزق، أو يكون قد هجرها زوجها، وترك تحت رعايتها أطفاله من غير مال تنفقه على تنشئتهم فتبقى ـ وحدها ـ تكابد الحياة من أجل توفير الحد الأدنى من القوت الضروري للإبقاء على حياتها وحياة أطفالها، كما هو حال المرأة المنتظرة لعودة الزوج الغائب الذي قيل لها إنه سافر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ثم انقطعت أخباره، ولكنها تظل تنتظر عودته بشوق،

اليمني الشعبي



فإذا ما بكى طفلها في مثل هذا الظرف، فإنها تغني له ليكفّ عن البكاء، أو تهدهد سريره على أنغام الترنيمة التالية:

وانُخيْلَة نُودي نُودي
سَلِّمي لي على سيدي
واسيديْ سَافرْ مَكَّة
أولادُه مِيْل الدُكة
والدُكة تشتي قفلُ
والقفلُ عِنْدَ النجَار
والنجار يشتي لبَن
واللبن بالبقر
والبقر تشتي حشيش
والحشيش يشتي مطر
والمطر عند ربنا
هَللوا يا أصحابنا
منكم أربعمئة
تلعبوا خولانية
بالدَّرج العَالية

فمعاناة الأم في هذه الترنيمة واضحة، فهي تتخذ النخلة رمزًا لخيرات المجتمع التي تراها أمامها ولاتنال منها شيئًا، فالنخلة قِنوانها مثقلة بالبلح، ولكن الأم عاجزة عن تسلق النخلة، فتتمنى أن يكون زوجها موجودًا ليتولى بنفسه إطعام الأطفال، وهو المتعود على تسلق النخلة، أما وقد غاب عنها فإنها تتمنى أن تتقاصر النخلة لتستطيع الوصول إلى خيراتها. وفي ذلك إشارة إلى علية القوم وكبرائهم الذين يتعالون على الناس، ويتكبرون على الضعفاء ولاينظرون إلى معاناة الفقراء، ولايتفضلون على المساكين بشيء من خيراتهم التي رزقهم الله إياها.

وواضح أن الأم في هذه الترنيمة كأنما تريد أن تلفت النظر إلى حالتها البائسة، فتصور معاناتها اليومية خير تصوير، فهي واقعة في دوامة، وداخلة في متاهة، لاتستطيع الخروج منها بمفردها، خاصة عندما يكون أصحاب الشأن غافلين عن همومها، ومنشغلين بقضايا أخرى تلهيهم عن معالجة مشكلات الناس، وقد أشارت إليهم تلميحًا لا تصريحًا بقولها:

هَلِّلوا يا أصحابنا
منكم أربعمئة
تلعبوا خولانية
بالدَّرج العَالية

هواجس يائسة

ولما كانت ظروف الأم بائسة، فقد كانت تبحث عما يخفف عنها بعض المعاناة، فوجدت بعض العون من عمتها (أم زوجها) التي أعارتها إحدى دجاجاتها لكي تغذي أطفالها بالبيض الذي تنتجه، وربما

كانت الأم تظن أن الدجاجة ستعينها على إطعام أطفالها، ولكنها اكتشفت أن الدجاجة صارت عبئًا عليها، إذ أصبحت هي ملزمة بإطعام الدجاجة (غير البيّاضة إلاّ نادرًا) في الوقت الذي هي أشدُّ ما تكون حاجة إلى الحبوب التي تطعم بها الدجاجة المنحوسة. وفي موقف كهذا ربما تحاول الأم أن تسكت بكاء الطفل الجائع فتهدهده لينام على أنغام الترنيمة الحزينة التالية:

يادَجَاجَة عَمَّتي
بَرخِشي لِكْ برخشي
لا لقيت عنصرَةَ
منْ عَناصر كَوكبان
أو كُلي لحمَ الظَّبَى
لحم الظَّبَى من يأكله؟
يأكله صاحب خدير!
صاحب الدار الكبير

لقد أحست الأم بخطورة الموقف، خاصة حينما فرغت بيتها من الحبوب إلى الحد الذي لم تجد ما تطعم به الدجاجة، وعندما رأت الدجاجة تبحث في الأرض عن بعض بقايا الطعام ولم تجد شيئًا منه، راودتها بعض الهواجس اليائسة، فهي تطلب إلى الدجاجة أن تعتمد على نفسها في البحث عن طعامها، فلعلها تعثر على شيء يُبقي على حياتها، أما إذا ظلت تنتظر ما يرمى إليها من فضلات أو الحبوب، فإن الانتظار قد يطول وربما تموت من الجوع قبل أن يصل إلى جوفها شيء من الطعام.

ويلاحظ أن الأم في هذه الترنيمة قد وجهت خطابها إلى الدجاجة وهي كائن حي مُنتج، كما فعلت في الترنيمة السابقة حين وجهت خطابها إلى النخلة وهي

أغاني المهد تجمع بين آلام الحاضر ودعاء وتمنيات وتفاؤل بالمستقبل

الأخرى كائن مُنتج، فالدجاجة والنخلة في الترنيمتين رمزان من رموز الخير والعطاء، ومع قرب هذا الخير من الأم إلاّ أن الوصول إليه صعب عليها نتيجة الظروف التي تعيشها، ولذلك يراودها هاجس يائس إذ تفكر ببيع الدجاجة أو بإهدائها لمن تَعوَّد على أكل اللحم، أما هي فإن حاجتها إلى الحبوب أكثر من حاجتها إلى اللحم، غير أن واقع الحال يحول دون قيامها بذلك، إذ لايحق لها التصرف بالدجاجة لأنها ملك عمتها، مع أنها هي التي تتولى إطعامها، مما يجعلها تشعر بأنه لاحلَّ لمعاناتها، فتزداد هواجسها اليائسة.

تفاؤل بالمستقبل

ومع معاناة الأم أن وجود الطفل بين أحضانها يجعلها تتفاءل بالمستقبل، خاصة إذا بدت عليه بعض علامات الذكاء، وبوادر الفطنة، أو ملامح الجمال، فإنها ستتحمل من أجله كل المتاعب، وستبذل من أجل تربيته وتعليمه كل ما لديها من إمكانات، ليكون ابنها في المستقبل متعلمًا أو غنيًا، لتباهي به علِية القوم وكبراء المجتمع، إدراكًا منها أن لاسبيل للخلاص من واقعها السّيء إلاّ بتعليم ابنها، وتأهيله ليحتل مركزًا اجتماعيًا مرموقًا، لايقل مكانة عن مكانة الأمراء والسلاطين إن لم يتجاوزهم في الرفعة والعظمة، ولذلك تقول في بعض ترانيمها ما يلي:

وإني فدى لا بني القاري
قاري وصوته عَالي
إن قرأ في البيت سَمَّع أجواري
وإن قرأ في المعلامة أسكت كل قاري
وإن قرأ في المسجد هدهد الجبالِ
في جزعة ابن السلطان
قال: ابن من ذا القاري؟
بازوِّجه كريمتي
وابذر عليه مالي
جوَّب ابني وقال له:
وخِّرْ كذا يا مسكين
أنا غزير المَالِ
عاد مال أبي وأمي
يكتال بالمكيالِ

دعاء وتمنيات

في ظل واقع البؤس والشقاء الذي عانت منه الأم، وتَخشى أن يرثه من بعدها أبناؤها وأحفادها، نجدها تبتهل إلى الله العلي القدير أن يرزقها ذرية صالحة، فهي إن غنَّت للولد تدعو الله أن يجعله غنيًا، وإن غنَّت للبنت تدعو الله أن يرزقها الجمال، لأنها تريد أن تخرج من عالم الفقر إلى عوالم الرخاء، ومن عالم الشقاء والبؤس إلى عوالم الرفاهية والسعادة، فهي تتمنى أن يهبها الله ذهبًا وساعية ومركبًا، لتتمكن من تنشئة ابنها تنشئة جيدة ليكون تاجرًا كبيرًا يمتلك مالاً وفيرًا، ليغير من واقعها البائس، وفي الوقت نفسه تتمنى أن تكون ابنتها في المستقبل في غاية الجمال، لتثير إعجاب الخطاب الذين سيتنافسون لكسب ودها، واسترضائها للاقتران بها، فهي لذلك تترنم بالترنيمة التالية:

يارِبِّ هبْ لي وَهبْ
هبْ لي خريطة ذهبْ
وساعية ومَركَبْ

هب لي بنيَّة خَلا
بين البنات تلعبْ

شطحات خيالية

وقد تسرح الأم بخيالها بعيدًا، فترى ابنتها قد كبرت وصارت فتاة جميلة تفوق نظيراتها من بنات الحي، مما جعل الخُطاب المتنافسين عليها يسترضون أمها بالهدايا الثمينة، ويبدون استعدادهم لتلبية كل طلباتها، وهي تبالغ في طلباتها إلى درجة التعجيز، وهذا ما نلاحظه في الترنيمة التالية:

بنتي بدت تتمخطر
على قراحفْ صَنْدل
لَمَّا رآها الخُطَّاب
جاؤوا بما تيسر
اشتي القمر والزُّهرة
إلى دار بنتي ينزل
اشتي البحر وأمواجه
إلى دار بنتي يوصَل
اشتي أربعين تسعة
لحقوها المُدَوَّرْ
اشتي حملين لؤلؤ
تحت الدَّرج يَطَّعفَرْ
اشتي حملين مرجان
مكانسٌ للمَحضَرْ

شموخٌ وطموح

إنه برغم البؤس والشقاء والمعاناة التي تعيشها الأم، إلا أنها تحكم بمستقبل زاهر، فلا تؤثر في نفسيتها ظروفها القاسية، ولاتحبطها متاعب الحياة، بل تظل شامخة طموحًا، ويقودها الشموخ إلى التفكير بمستقبل ابنتها التي لاتزال في المهد، فتتخيل ابنتها قد أصبحت فتاة شابة ناضجة، مثيرة للإعجاب بجمالها الفاتن، وهي تتعالى بشموخ على الشبان الذين يتقدمون لخطبتها، فترفضهم واحدًا تلو الآخر، لأنها تطمح أن يتقدم لخطبتها حاكم عدن نفسه، لأنه الوحيد القادر على إشباع غرورها وتلبية كل طلباتها، وفي خضم اندماج الأم مع شطحاتها الخيالية تتصور نفسها وهي واقفة بشموخ بين نساء الحي لتروي لهن ذكريات ليلة زفاف ابنتها، وتحدثهم عما صرفه حاكم عدن في تلك الليلة، وتذكر لهن ما قَدَّم من هدايا وهبات لأقارب ابنتها، لذلك نراها تترنم قائلة:

بنتي وبنت أبيها
حاكم عدن هَوِيها
ألفين يراضوا أُمَّها
ألفين يراضوا أبيها
أربعمئة لجدتها
قالت: أني أربيها
أربعمئة لعمَّتها
قالت: أني أواسِيها
أربعمئة لفلِّها
أربعمئة كاذيها
أربعمئة للماشطة
تمشط جَواعديها

أربعمئة خضابها
تخضِّبْ سواعديها
أربعمئة - بُنيتي -
تحت المَخدَّة نسيها
أربعمئة بين الكنيس
يا سُعد مَن لقيها

هكذا كانت تغني الأم اليمنية لطفلها، فأغاني المهد في التراث الشعبي اليمني مستوحاة من واقع حياة المجتمع اليمني، وهي تصور نفسية الأم في أثناء أدائها لتلك الترانيم، وتعبر تعبيرًا صادقًا عن مشاعر الأم تجاه الطفل الذي تغني له، وفي الوقت نفسه تصور من خلال تلك الترانيم واقع المجتمع اليمني في اللحظة التي تقال فيها تلك الترنيمة، فالأم حين تغني للطفل بالقدر الذي تكون فرحة ومبتهجة بالطفل، قد تكون أيضًا كئيبة وحزينة نتيجة لظروفها الصعبة، أو متفائلة بالمستقبل، ومستبشرة بحياة سعيدة، عندما يكون الواقع مختلفًا.

إن أغاني المهد على اختلاف دوافعها وتنوع أغراضها، وتعدد البيئات والأوساط الاجتماعية التي تتداولها، تعد وثيقة إجتماعية مهمة ينبغي الاهتمام بها، بجمعها وتوثيقها ودراستها، لأنها تبرز القيم التي يمجدها المجتمع، والسلوكات التي يرفضها، وتوضح طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في هذا المجتمع أو ذاك، وتؤكد حقيقة الصراع الاجتماعي بين أحلام الفقر وترف الأغنياء، إلى جانب أنها تعطينا أسلوبًا فريدًا زاخرًا بالمشاعر المتدفقة، مزينًا بألفاظ تحاكي الطفولة، كما أنها تنقل مشاعر الأمومة بأسمى صورها.

تخشى الأم أن يرث أبناؤها بؤسها وشقاءها، لذلك تبتهل إلى الله بأن يكون الابن غنيًا والبنت جميلة

مصطلحات «الصحة النفسية»

إعداد:
د. عبدالرحمن محمد العيسوي



إدمان
ADDICTION MENTAL HEALTH

يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى إدمان العقاقير DRUGADDICTION وهي حالة يعتمد فيها جسم المريض على تناول العَقّار المخدر DRUG DE PENDENCE ويصاب المريض بهذه الحالة بعد استعماله للعقّار مدة طويلة وبكميات متزايدة حتى يصبح المريض معتمدًا على العقّار كي يقوم جسمه بوظائفه. وكلما تناول المريض العقّار المخدر زادت الحاجة المستمرة إلى جرعات متزايدة لإحداث الأثر نفسه. وعندما يحرم المريض من العقّار ويمتنع عن تناوله يصاب بمجموعة مؤلمة من الأعراض تعرف باسم الأعراض الناجمة عن سحب العقّار من المريض WITHDRAWAL SYNDROME أي متلازمة أعراض الانسحاب والحرمان. ويترتب على ذلك إعاقة حياة الإنسان العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية.



علم أمراض النفس (باثولوجيا)
PATHOLOGY , PSYCHOLOGICAL

يشير هذا المصطلح إلى ما يصيب النفس من أمراض نفسية وعقلية كالإصابة بالذُّهانات العقلية، أي الأمراض العقلية كالفصام والاكتئاب والهَوَس وجنون الاضطهاد وجنون العظمة، أو إشارة إلى طائفة أخرى من الأمراض النفسية أو العُصَابات النفسية، وهي أقل شدة وكثافة أو خطورة، ومنها عُصاب القلق والاكتئاب والمخاوف الشاذة والهستيريا وتوهم المرض والوسواس القهري وعُصاب الضعف أو الخَوَر أو الوهن إلى جانب الاضطرابات ذوات الطابع الأخلاقي كالإدمان والشذوذ الجنسي والعدوان والسيكوباتية.



تصريف
ACTING OUT

عملية يقصد بها تصريف أو تفريغ الشحنة الانفعالية الحبيسة في داخل الإنسان، وتطهير النفس مما علق بها من الآلام والتوترات والصراعات والأزمات والمشكلات والأعراض والأوجاع، وذلك بإخراجها إلى حيز الوجود، بعد أن كانت دفينة ومختبئة في منطقة مجهولة ومظلمة من حياة الإنسان هي منطقة اللاشعور. وإزاحة ما يجثم على الصدر والبوح به يريح المريض ويخفف من وطأة آلامه.



ثبات (انفعالي)
STABILITY, EMOTIONAL

إشارة إلى ما يتمتع به الفرد من الثبات النفسي أو الانفعالي أو الاتزان الانفعالي أو النضج الانفعالي والعاطفي، ويتضمن القدرة على ضبط انفعالات الإنسان والتحكم فيها وإرجائها، واتفاق الاستجابة الانفعالية أو الثورة الانفعالية مع كم وكيف المثير الذي أثارها، فالمثير الذي يثير الضحك لاينبغي أن يثير في المريض البكاء، والعكس صحيح، وكمية الإثارة تكون متناسبة مع كمية المثير فلا يثور الإنسان لأتفه الأسباب ثورة انفعالية عارمة، وكذلك من حيث الاستمرارية فلا يظل الإنسان ثائرًا إلى الأبد من جرّاء تعرضه لموقف مثير مرَّ وانتهى.. كما يشير الثبات الانفعالي إلى عدم التذبذب الانفعالي أو سرعة التقلب والتحول من النقيض إلى النقيض كالتحول من الحب إلى الكره أو من السعادة إلى الغضب في الحال.



جنون الاضطهاد
PATAMOIA

أحد الذُّهانات العقلية، أي الأمراض العقلية في مقابل الأعصبة النفسية، أي الأمراض

النفسية والذُهانات العقلية الأكثر شدة من الأمراض النفسية، ويعاني مرض جنون الاضطهاد من هُذاءات أو ضلالات أو أفكار زائغة مؤداها أن الناس تضطهده وتظلمه وتدبر لاغتياله أو سرقة أفكاره، وتحوك له المؤامرات وتتلصص عليه، ويشعر أنه مضطهد من المجتمع نظرًا لنبوغه وعبقريته. ولاينتشر هذا الاضطراب كثيرًا في الوقت الحاضر.

وتسود هُذاءات أو ضلالات الاتهام حيث يعتقد المريض أن الناس تسبه وتوجه له الاتهامات الخطيرة. فيما عدا هذه الأعراض يبدو المريض سويًا.



حيَل الدفاع
DEFENCE MECHANISMS

مجموعة من العمليات العقلية اللاشعورية أو الحيَل الدفاعية التي تقوم بها الذات الوسطى على المستوى اللاشعوري لحفظ حياة الإنسان من التعرض لحالة شديدة من الحصر أو القلق، ولتحقيق التوازن بين مطالب الذات الدنيا والذات العليا في الشخصية الإنسانية. ومن طبيعتها أنها إذا زادت عن حدها كانت مظهرًا مَرَضيًا، وإذا توقفت نهائيًا كانت علامة مرضية أيضًا. ومن هذه الحيل الدفاعية التي تدفع الذات بها عن نفسها القلق؛ الكبت والتقمص أو التوحد والتسويغ والإسقاط والتكوين العكسي أي: إظهار الإنسان خلافًا لما يبطن، والإزاحة: أي إزاحة الانفعال من موضوعه الأصلي إلى موضوع آخر يكون أضعف يُسقِط عليه الإنسان انفعاله، والإنكار والعدوان؛ وكلّ ذلك في ضوء أقوال نظرية التحليل النفسي التي تؤمن بوجود اللاشعور في الإنسان. فالإنسان مثلاً يكبت، أي ينسى الخبرات المؤلمة والمخفقة التي مر بها حتى لايزعجه تذكرها.



الخور النفسي أو الضعف النفسي
PSYCHOATHENIA

يشار إلى هذا العصاب على أنه الخَوَر النفسي أو الضعف النفسي أو الإنهاك النفسي. وفي هذه الحالة يشعر المريض أنه مرهق ومتعب طوال الوقت، لدرجة أنه ينام كي يستريح فيستيقظ وهو أكثر شعورًا بالتعب. ويشعر بالإرهاق حتى من مجرد القيام ببعض الأعمال البسيطة.



الدافع (الحافز)
MOTIVATION

القوة أو القدرة أو الطاقة التي تحفز أو تدفع أو تحرك الإنسان كي ينتبه لشيء ما أو موضوع ما، أو تحركه للإتيان بسلوك ما أو تصرف ما. بمعنى القوة التي تحرك الإنسان أو الحيوان للاستجابة المناسبة. ويساعد الدافع فيما يحققه الإنسان من إنجازات وانتصارات ومكاسب وتحصيل وتفوق. وكلما زادت قوة الدافع كان السلوك قويًا. ولذلك تعد (الدافعية) ضرورية في سلوك مثل تحصيل التلاميذ والطلاب، ولتحقيق الإنجازات كافة، وهناك دوافع متعددة في الإنسان، منها الدافع الجنسي والدافع للطعام والشراب والدافع للتمتع بالمكانة الاجتماعية والنجاح والاحترام والتقدير ودافع الأمومة والأبوة والدافع نحو المقاتلة والدفاع عن النفس.



ذُهان
PSYCHOSIS

يشير هذا المصطلح إلى المرض العقلي، ويختلف الذُهان عن العُصاب في أنه أكثر شدة وتفاقمًا وكثافة، والاضطراب فيه يكون أشد. والمريض يصبح خطرًا على نفسه وعلى المجتمع. وهو اللفظ الذي كان مرادفًا للجنون ولكن لاتستعمل لفظ الجنون الآن. وفي حالة الذُهان ينفصل المريض عن عالم الحقيقة ويعيش منعزلاً في عالمه هو، عالم الأوهام والخيال والهُذيان والضلالات ويعاني من الهلوسات السمعية والبصرية والشمية واللمسية والذوقية حيث يحس بأمور غير موجودة في عالم الواقع. وفي حالة الذُهان تصاب الوظائف العقلية لدى المريض بالاضطرابات، كالتفكير والإدراك والتخيل والتصور والتعلم. وتصاب الحياة الانفعالية بالجمود وعدم الاستجابة للمثيرات الانفعالية. ومن أمثلة الذهانات الاكتئاب، والهوس وجنون العظمة وجنون الاضطهاد وذهانات الشيخوخة وذهان سن اليأس والجنون الدوري وفُصام الشخصية أو الشيزوفرينيا (SCHIZOPHRENIA).



رُهاب الوحدة
AGORAPHOBIA

وهو عُصاب أو مرض نفسي ، يعاني المريض فيه من حالة شديدة من الخوف من أن يصبح وحيدًا فريدًا منعزلاً في الخلاء الفسيح أو في الأماكن الواسعة الشاسعة كالميادين الفسيحة أو أيّ مكان متسع آخر، والأماكن المفتوحة كالصحارى. كأن يخاف المريض من عبور الميادين الفسيحة، وكأنه يريد أن يمشي ملتصقًا بالحوائط، وحتى في وسط الناس والزحام لايحب أن يكون موقفه في وسط القاعة، وإنما يحب أن يكون قريبًا من الحائط. وهي حالة من حالات المخاوف الشاذة غير المعقولة أو غير المنطقية؛ لأنها مخاوف من أمور لاتثير الخوف في الناس الأسوياء، ويطلق عليها اصطلاح الرُهاب «الفوبيا» وهي كثيرة ومتعددة ومنها رُهاب المياه الجارية والظلام والرعد والبرق والأماكن العالية والضيقة والواسعة، والخوف من الفئران والحشرات والجراثيم والميكروبات والأفاعي والكلاب والخيول والحمير، والأشياء الحادة، ومن رؤية الدم والنار وما إلى ذلك.



الزهيماير (مرض)
ALZHEIMER'S DISEASE

مرض يحدث لكبار السن، وفيه يتم تدمير بعض خلايا الدماغ العصبية مما يؤدي إلى إصابة المريض بالخلط والتشويش والضعف العقلي،

والشعور بأنه لا حول له ولا قوة. وهو مرض نادر الحدوث، ويؤدي إلى صعاب في النطق والكلام. وينسب إلى اسم مكتشفه عام 1907م. وقد يصيب الأشخاص فيما بين الأعمار من 40-60 عامًا. ويصاحبه تدهور في الذاكرة وفقدان الإحساس بالزمن وعدم تعرف الأماكن والهلوسات، والعجز عن فهم ما سمع من كلام، وتدهور عام في الصحة، وتقلص الأطراف مع الإصابة بنوبات من الصرع.



التمثيل النفسي (سيكودراما)
PSYCHODRAMA

نمط أو منهج من مناهج العلاج النفسي، ابتكره عالم النفس مورينو، ويعتمد العلاج النفسي وتحقيق الشفاء بطريق التمثيل. حيث يقوم المريض أو عدة مرضى بتمثيل دور أو أدوار على خشبة المسرح، أمام عدد آخر من المرضى (المشاهدين)، وأمام المعالج النفسي الذي يطلق عليه هنا اصطلاح المخرج. ويؤدي تمثيل الدور أو المشكلة التي يعاني منها المريض إلى زيادة وعية وإدراكه وفهمه لها. وخلال التمثيل تتضح المشكلة ويتم الإفراج عن المشاعر المكبوتة والكشف عن الصراعات والتوترات التي يعاني منها المريض. ويعدُّ التمثيل النفسي ضربًا من ضروب العلاج الجماعي، ويساعد على البَوح أو الإفراج عن الانفعالات، والكشف عن العلاقات السويّة والمَرَضية. وخلالها يتقمص المريض الدور ويتقمص المشاهدون مايروق لهم من شخصيات تؤدى على خشبة المسرح.



شذوذ
ABNORMALITY

إشارة إلى ما يخالف المعايير أو المستويات أو القيم الموضوعة. أو مايبتعد عن المتوسط العام أو عن رأي أو سلوك الأغلبية. ويختلف العلماء والمدارس في تحديد ما هو سوِيّ وما هو شاذ. فوفقًا لمعيار أو لنظرية الامتثال يُحكم على الإنسان بالشذوذ إذا لم يمتثل للقواعد والنظم والقوانين والمعايير السائدة في المجتمع؛ أي إذا خالف إجماع الجماعة، ولكن في كثير من الأحيان قد تكون الجماعة نفسها على باطل والفرد المعارض هو الذي يُعَدّ على حق. وهناك المحك الإحصائي في الشذوذ، ومعناه الاختلاف أو البعد عن المتوسط العام، وفي هذه الحالة لايوصف الشذوذ أو البعد عن المتوسط بأية قيمة أخلاقية، والذكاء المرتفع جدًا عن المتوسط يُعَدُّ صاحبه شاذًا. وهناك معيار الخلو من الأمراض والاضطرابات، ولكن هذا لايكفي إذ لابد إلى جانب ذلك من قيام الفرد بعمل إيجابي لإسعاد نفسه ومجتمعه.



صراع
CONFLICT

حالة نفسية يكون الإنسان فيها في موقف عليه أن يختار بين أكثر من بديل أو أكثر من هدف، كأن يختار الفرد في موقف يتجاذبه فيه أكثر من ميل أو رغبة أو هدف أو موضوع في وقت واحد، ويصعب عليه أو يستحيل تحقيق الهدفين معًا، كأن يجد الفرد أمامه وظيفتين ممتازتين معًا، أو تجد الفتاة عريسين كلاهما ممتاز. ففي الصراع يكون الإنسان أمام هدفين كلاهما له جاذبية إيجابية كالمثالين السابقين. أو لكل منهما جاذبية سالبة كأن يكون على الإنسان أن يختار بين شيئين أحلاهما مرّ، كأن يكون في موقف يختار فيه بين اللعب والسهر والتعب والاستذكار. فالإنسان يعاني من الصراع عندما يكون أمام أهداف أو رغبات أو حاجات متعارضة.



ضَمير
CONSCIENCE

الضمير قوة داخلية ذاتية في الإنسان لها وظيفة الردع والمحاسبة والمحاكمة عندما يرتكب الإنسان إثمًا معينًا أو معصية أو ذنبًا ما، فهو يلقى العقاب والردع من تلك القوة الداخلية في شكل عذاب الضمير أو اللوم والتأنيب والتعنيف. وللضمير أيضًا وظيفة منع الجرم قبل وقوعه ويشبه دوره هنا دور رجل الأمن الداخلي الذي يمنع الجريمة قبل وقوعها أو دور الرقيب الذي يمنع دخول الأشياء المخالفة. والضمير يرادف في التحليل النفسي «الأنا الأعلى» وهي الأنا المثالية الأخلاقية. وإذا كان الضمير حادًا جدًا عانى صاحبه من وخز الضمير المستمر. ويتكون الضمير في الطفل من الأوامر والنواهي والتعاليم التي يتلقاها الطفل من الوالدين والكبار عامة.



الطب النفساني
PSYCHIATRY

الطب النفساني فرع من علوم الطب، يرتبط كثيرًا بعلم الأعصاب، ويهتم بدراسة الاضطرابات العقلية وعلاجها وكل ما يتصل بالصحة العقلية.، ويسعى إلى معالجة الأمراض العقلية ومنع انتشارها. ويهتم بعمليات التشخيص الطبي، أي معرفة كم وكيف المرض وتقديم المعالجات وتوضيح أساليب الوقاية. والمتخصص في الطب العقلي أصلاً (ALIENIST) طبيب بشري ثم درس الطب العقلي. وهناك طبيب الأعصاب (NEUROLAGIST) وهو صاحب تخصص مختلف عن الطبيب العقلي وعن الاختصاصي أو المعالج النفسي أيضًا (PSYCHIATRIST).



ظاهرة نفسية
PHENOMENON PSYCHOLOGICAL

مصطلح عام واسع المعنى والانتشار يشير إلى الأحداث والأفعال النفسية والأمراض والاستجابات والأعراض، كالقول: ظاهرة القلق أو ظاهرة النسيان أو ظاهرة الإجرام إذا كانت هذه السلوكيات شائعة، وتشير إلى الشيء أو الحدث الظاهر وليس الخفي أو الضمني، وقد

تكون ظواهر سالبة مرضية كالاكتئاب أو السخط وما إلى ذلك.



عُصاب
NEUROSIS

العصاب مرض نفسي قد يكون وظيفيًا، وهذا هو الأعم الأغلب، أي تكون الإصابة فيه تنصب على وظيفة العضو في الإنسان وليس العضو في ذاته، حيث يكون العضو سليمًا ولكن العطب أو الخلل يصيب وظيفة العضو. والأعصبة النفسية أي الأمراض النفسية كثيرة ومتعددة منها ما قد يكون عضويًا، أي يرجع إلى أسباب عضوية كالتلف في الجهاز العصبي، ومن الأعصبة الشائعة هذه الأيام القلق والاكتئاب والهستيريا وتوهّم المرض والوسواس القهري والرُهاب وعصاب الضعف أو الشعور بالوهن والخور والإنهاك. فكلمة عُصاب تشير إلى مجموعة من الاضطرابات أو الأمراض التي تختلف في أعراضها أو آلامها. وفي الغالب ما ينمو العصاب من جرّاء تعرض الفرد لحالات قاسية من الحرمان والقسوة والضغط والإخفاق والإحباط والصراع والتوتر. والعُصاب أقل شدةً من الذُهان.



غسيل المخ (الدماغ)
BRAINWASHING

مصطلح استعاري، أي يستخدم مجازًا، إذ لاتوجد عمليات غسيل بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما هو إشارة إلى إزالة أو خلع أفكار الإنسان عنوة وحمله على تغيير مواقفه وسلوكه، باستخدام وسائل الضغط النفسي أو الاجتماعي، وربما بطريق التعذيب الجسدي، ويستخدم غسيل المخ في كثير من المجالات، منها مع الأسرى في الحروب للحصول منهم على الاعترافات والأسرار العسكرية، ومع المجرمين للحصول منهم على الاعترافات، وفي السلم لنزع أفكار أو عقائد أو اتجاهات شخص ما وغرس غيرها من الاتجاهات أو الفلسفات التي تدين بها الهيئة التي تمارس الأسر وعملية الغسيل. وتظل الضغوط النفسية تمارس حتى ينهار الفرد ويستسلم ويخون نفسه ويعترف بما لديه من أسرار. ولكن هناك شخصيات صلبة تقاوم غسيل الدماغ وتصد قواه وتبقى صامدة. وتتوقف سرعة التغيير على مدى ثبات الأفكار والعقائد من الأصل. ومن وسائل الضغط العزل والحبس الانفرادي، والوضع في زنزانة صغيرة، والتعريض للجوع والعطش والأذى الجسدي، وكثرة التحقيقات والاستجوابات، ثم إظهار العطف على السجين.



فُصام الشخصية
SCHIZOPHRENIA

مصطلح ابتكره EUGEN BLEULER للإشارة إلى حالة من الاضطراب العقلي الشديد، تظهر فيه مظاهر الانفصال بين أجزاء الشخصية أو الانقسام بين العناصر المكوّنة للشخصية، والانفصال عن عالم الحقيقة والواقع، والانسحاب والانطواء والانزواء، مع المعاناة من الضلالات الشاذة أو الهُذاءات والهلوسات، وهي مدركات حسية سمعية وشمية وبصرية ولمسية وذوقية غير موجودة في عالم الواقع والحقيقة. مع تجمد الانفعالات أو العواطف وتسطحها. وهناك أنواع متعددة من مرض الفُصام منها: الفصام البسيط، وفُصام الطفولة والمراهقة، والفُصام التصلبي أو التخشبي والفُصام الاضطهادي. وقبل إطلاق هذا المصطلح على هذه الأعراض كان يطلق عليها مصطلح آخر هو العَتَه المبكّر.



قهر ـ استحواذ
OBSESSION - COMPULSION

إشارة إلى قوة داخلية في الإنسان يعجز عن مقاومتها أو التخلص منها، حيث يشعر الإنسان أنه مرغم ومدفوع ومكره على القيام بعمل معين برغم إرادته، ويشعر أنه مدفوع للقيام بهذا العمل ولايستطيع مقاومة الإغراء بالقيام بهذا العمل بقوة دافعة داخلية.

وإذا حرم الإنسان من عمل هذه الأشياء زادت عنده حدة الحصر. وهناك واحد من الأعصبة النفسية يمثل القهر فيه أحد شطريه وهو الوسواس/ القهري. والقهر تسلط عمل معين يجد الفرد نفسه مسوقًا إلى عمله برغم علمه أنه عمل تافه أو سخيف كأن يعد درج السلم صعودًا وهبوطًا أو يغسل يديه عشرات المرات، أو يغلق باب الشقة عدة مرات أو يعد السيارات المارة أمامه أو يمشي فوق سور مرتفع.



الكحولية
ALCHOOLISM

عبارة عن نزعة لاستعمال الكحول في الشرب بطريقة خارجة عن سيطرة الفرد أو تحكمه وبطريقة متزايدة في الجرعات. وقد تصل حالة إدمان الكحول إلى اعتماد الجسم أو الاعتماد العضوي (الفسيولوجي) لخلايا الجسم على تعاطي الكحول، وإلا شعر المريض بآلام مبرحة. ولشرب الخمر أضرار صحية منها: إصابة الكبد بالتليف مع الإصابة بفقر الدم، إلى جانب الإصابة بمرض عقلي هو ذُهان الكحول. وقد يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى اضطراب في الشخصية والشرب المزمن والقهري. وإدمان الخمور يؤدي إلى تدهور الشخصية ووظائفها الجسمية والعقلية والنفسية والأخلاقية.



لاشعور
UNCONSCIOUS

اللاشعور مستودع الخبرات والذكريات المنسية التي لايشعر الفرد بها ولايعيها ولايدركها

ولايعتـرف بهـا. واللاشعـور يتضـمن الخـبرات المؤلمةوالرغبات الشـاذة والمحرجة وغير المقبولة دينيًا أو أخلاقيًا واجتمـاعيًـا، كالرغبات العدوانيـة والشاذة، وتلك التي يرفـضها المجتمع وتعافـها الذات الشـاعرة فتترسب في أعمـاق اللاشعـور. ويتضمن اللاشعـور مواد كـثيـرة تعبر عن نفسـها في الأمـراض النفسية والعقد، وفـي فلتات اللسـان وزلات القلم ونـسيـان المواعيد وفقدان الأشياء والهفوات.

ويعبر اللاشعور عن نفسه وعن مـحتواه في أحلام النوم وأحلام اليـقظة، ومن خلال أعراض الأمراض الـنفسيـة. وفي ضوء مـدرسة التـحليل النفسي يعدّ اللاشعور مـسؤولاً عن قطاع كبـير من سلوكـنا. فـهناك الـدوافع اللاشعـورية التي تحرك الإنـسـان للإتيـان بـبعض أنماط السلوك الخـاصة. وهـناك الأفكار اللاشعورية والمـشاعـر اللاشـعـورية والصـور اللاشـعـوريـة وهـي التي لايدركـها الفـرد. وهي الأفكار المكبوتة، ولكن كبتها لايعني موتها، وإنما هي حية تدفع الإنسان من دون أن يدري لكـثيـر من مظاهـر السلوك. وهناك الصراعـات اللاشعورية وتـظهر في شكل أعراض الأمراض النفسية.



معالج نفسي
CLINICAL PSYCHOLOGIST

شخص مؤهل علميًـا ومهنيًا في علم النفس ولاســيـمـا الـنفس المرضي، وفـي العــلاج والتشخيص يستهدف من خلال عمله تشخيص الأمراض والاضطرابات وعلاجها وتحقيق الشفاء للمـريض وإعـادة تكيّفـه النفسي والاجتـمـاعي والمهني والأسـري. وهنـاك مناهج مـتـعـددة في وسعه استخدامها في عملية العلاج، منها العلاج بالتحليل النفسي وسبـر أغوار اللاشعور وكشف مكنوناتـه الداخليـة، أو منهج العـلاج السلوكي الذي يستهـدف إزالة الأعراض والآلام من دون التعمق في معـرفـة أسباب حـدوثها، أو الـعلاج الجماعي أو الفردي أو العلاجي المعرفي أو العلاج «الجـشطالتي» أو العـلاج بالعمـل أو الموسيـقى أو الفن التشـكيلي أو الكتب أو الماء، أو بالتمـثيل أو ما يعرف بالسيكو دراما. وقـد يستخدم أكثر من منهج من هذه المناهج العلاجية.



فقدان الذاكرة، نسيان
FORGETTING ،AMNESIA

يشير هذا المصطلح إلى فـقدان الذاكرة، أي العجز عن تذكر الخبرات الماضية التي سبق للفرد أن مـرّ بهـا. ويقـصـد بهـذا المـصطلح الفـقـدان الشـديد للذاكـرة لدرجـة قـد تصل إلى نسـيـان الإنسـان لاسـمـه وعنوانه واسم زوجـتـه وأبنائه. وقـد يكون هذا الـنسـيـان كـليًـا يشـمـل كل الخبـرات، وكل ما تعلّمـه الفرد في المـاضي، وقد يكون جزئيًا يتناول قطاعًا خاصًا أو حادثة خاصة من حـياة الفـرد. ولكن الذكـريات المفـقودة قـد تعود ثانية من دون الحاجـة إلى عملية تعلم إذا ما شـفي المريض من حالة فـقـدان الذاكرة. وتظهـر في العـجز عن اسـترجـاع أو اسـتدعـاء الخـبرات الماضية. وقد يكون هذا النسـيان اضطرابًا وظيفيًا بمعنى عدم تدمير مراكز الذاكرة في الدماغ.



هوس
MANIA

الهـوس حالة عـقلية يصـاحبـها شعور بالفـرح المبالغ فيه، وضلالات أو هُذاءات الشعور بالعظمة. وكـان الهـوس يمثل دورًا من أدوار ذُهان عـقلي هو الجنون الدوري أو الـدائري، وفـيـه تنتـاب المريض حالات متعاقبة من الفرح والسرور والغبطة والحركة والحيـوية والنشاط الزائد، يعقبها حالة من الخمول والكسل والحزن والاكـتـئـاب وانخـفـاض الروح المعنوية وانكـســار الـنفس والـغم والانطواء عـلى الذات. والآن أصـــبح يـطلـق عـلى هذا الـذُّهان اضطراب الوجـدان، أو الاضطراب الثنائي القطب. وقـد يشيـر الهـوس إلى الولـع الشـديد بشيء مـا؛ وعلى ذلك فهناك الهوس الفني، والجنسي، أو مس أو هوس الرقـص، وهوس الشك، وهوس الـقـتـل، والهوس الديني، وهوس الشيخوخة، وهوس الثراء، وهوس الثـرثرة، وهوس أو جنون السـرقـة، وهوس الكذب.



وجدان
AFFECTION

عاطفـة أو حب أو انفعـال أو مودة أو تأثر أو حنان أو حـالة وجـدانية أي عـاطفـيـة شعـورية، وهناك مـا يعـرف باسم الـذُّهان الوجـداني وهو مرض عقلي يصيب الحالة الانفـعالية أو العاطفية ويتسم بالحزن الشـديد والكآبة وانخفاض الروح المعنوية، ويطلـق عليه أيضًـا النفـاس الوجـداني. وقد يحدث للانفعـال أو لهذا الوجدان إزاحة أو نقلة من موضـوع إثارته إلى موضوع آخـر، كأن يحول الشخص حبة لأمه إلى حبه لزوجته.

وقد تصاب الحالة الوجدانية للفرد بالتذبذب وسرعة الانقلاب من الضد إلى الضد.

وقد يعـاني الفرد مما يعرف باسم الجـوع العاطفي أو الوجداني. والإنسـان بطبعـه يحتـاج إلى درجة من الحب والعطف والحنان والمودة والشفقة.



يقظة
ALERTNESS

حالة من الانـتباه والتـيقظ، وهي حـالة نفسـية وعقليةوعصبية، وتشير إلى قدرة الفرد على التقاط الأفكار الجديـدة وسرعة إدراك مـوضوعـات العالم الخارجي المحيط به، وإدراك ما يطرأ عـلى البيئة التي يعيش في وسطها من تغيـرات. وفي حالة اليـقظة يصبح الإنسـان مستعدًا للاستجابة للمثيرات التي تسقط على حواسه.

واليقظة عكس حالة النوم أو الغفلة والخمول أو التبلـد الذهني.. وتلك من عـلامـات المرض العقلي. وتتوقف حالة اليقظة على سلامة الجسم والجـهاز العـصبي وعلى مـقدار مـا يوجـد لدى الفـرد من اهتمـام ورغبة فـي الموضوعات المثارة أمامه.

نجد

عبدالله بن حمد الحقيل

يانجـــد يامـــوطن الأشـــعـــار والأدب
ياقلعـــة المجـــد والتـــاريخ والحـــسب
يامـــشـــرق الحب والآثار خـــالدة
هواك يـشـفي ســقـام النفس والوصب
حَيِّ الـربوع وعـــرج في مـــدارجــهـــا
تـلقَ المكارم عنـد الســـادة النجب
ســقــاكِ غــيث الغــوادي وهي رائحــة
بالمزن منسكبًـــا في الـصــيِّب الصــبب
أين الألى من رجـال الشـعر قـد صدحـوا
في عـــالـم الفكر بالإعـــجـــاز والخطب
نشـــيـــدهم صـــادح بالفـن مـــؤتلق
ومـجـدهم قـــد ســـمـــا للأنجم الشـــهب
كـــانوا رجـــال بيـــان في ثقـــافـــتـــهم
وشـــعـــرهـم خلّدته الكتب للحـــقب
يانجـــد ياغـــرةً في وجـــه أمـــتنا
لولاك مـــاكـــان مـــجـــد الدهر للعـــرب
يانجـــد يامنهـــلاً للخـــيـــر ســـامـــقـــة
تـدعـــو إلى الود والإخـــلاص من دأب
إن قـــيل مـــاذا بأيـديكم نـقـــول هوى
نجـــد بقلب المحب العـــاشق الوصب
أقـــول إن نـنتـــسب للعـــز أجـــمـــعـــه
ولـلـعـــــلا إنـــنـي زاه بـذا النـــسب
شـبـابهـا وكـهـول العـرب صـاغـهـمُ
رب الـهـــدى عـــزة للناس والرتب
كـم حـــدثتنا الرواة الغـــر في ثـقـــة
عنهم وعن مـجدهم في سـائر الحـقب
هُـمُ الـذين بـنـوا لـلديـن عــــزتـه
ووطّدوا المـلك بـالنعــمـــاء والحـــسب
يانجـــد أهتـــز هذا اليـــوم في طرب
نســـمـــو ونفـــخـــر بالكُتّـاب والكتب
وإن أكن في نوى أو بين صـــحـــبـــتـنا
أتيـــه يـانجـــد بـالتـــاريخ والأدب
لاتعـــجـــبـــوا إن أقل نجـــد أكـــرّرها
هل حب داري وأحـــبـــابي من العـــجب
ونشـــوتي أنني من صـــفـــو تربتـــهـــا
أشم ريا نـداهـا الســـاحـــر الأشب
أنا الحـــفي بقـــومي الغـــر أقـــدرُهم
إني بهـم في الـذرا في مـــحـــفل لجب



قصة قصيرة:

العسل المرُّ

محمد جميل فضلية

كنت أمد يدي لها بعشر ليرات وأتناول منها ربطة الخبز... بدوية الشكل. تلبس جلباباً أصفر، وتعقل رأسها بمنديل مفتول. نحيفة سمراء ـ جلد على عظم ـ لها وجه حازم فقد الابتسامة منذ زمن.

ظهرت فجأة في هذا المكان، تقف على حيز ضيق من الرصيف، تبيع ربطات الخبز، يقف معها دائمًا طفل صغير.

غريبة شكلاً ومضمونًا. لا تشبه أحدًا ممن حولها. تعمدت الشراء منها شفقة وتطفلاً. شكلها يلفت النظر، وغموضها يثير التساؤل...

من تكون هذه المرأة؟ ومن أين أتت؟

في البداية، لم يكن وجهها يشجع على طرح أي سؤال. فالتزمت الحذر كيلا أكون سخيفًا، وآثرت الصمت والتكهن.

كان ولدها بهدوئه يشبه الدمية ويبعث على الإشفاق، وكانت هي بغموضها الحذر تزيد من تطفلي لمعرفة ما وراء هذا الوجه المقهور.

عن أي شيء أسأل، ومن أين أبدأ؟؟. كانت في نظري مثل كرة لا مدخل لها، أو مثل متاهة. والحقيقة، كنت خائفًا من جواب يصد ويصفع، فصبرت، كما يصبر بستاني على نضج الثمار.

مع الأيام حصل التبدل المنتظر. أنِسَتْ إليّ واطمأنت. كانت خبيرة بكشف الدخائل، وانقلبت الأمور عكسًا. وتحولت من شكل كروي إلى شكل مسطح. وكانت مثل نقف قد تم نموه داخل بيضة، يريد أن يخرج ويوصوص. وخرجت عن صمتها ووجومها، وشجعتني على الكلام. وكان بيني وبينها أسئلة وأجوبة، أزالت الغموض والحذر.

قالت: أعرف أنك تريد أن تسمع عن المضمون. بعد أن قرأت في الشكل.

قلت: أقرأ ما أريد. وأسمع متى تريدين...

قالت: سأسمع منك ما قرأت، وإن أخطأت أصحح لك. ولكني أنبهك بأنك لن تكون سعيدًا إن سمعت. فما بقي في الحنجرة إلا الحشرجات.

هالني هذا التعبير. وكنت مستعدًا له وأنتظره. وقلت:

إليك ما قرأت:

في صباها الأول كانت تضحك، وهي ترعى الأغنام. منطلقة فرحة، تسوق قطيعها كأنها ملكة في مملكتها الشاسعة. في البادية.

اليوم مملكتها ثقب إبرة، وهي الخيط الذي يمر من هذا الثقب، من شروق الشمس إلى غروبها. وفي المساء تأوي إلى بيت مثل الجحر، مذعورة كالحلزون.

هويتها جلبابها الأصفر وعقلة الرأس، ووجهها الأسمر الضامر الحازم. لقد جاءت من أرض تسرح فيها الأهواء على سجيتها، من أرض لم تنقطع صلتها بالكواكب، وتستقبل رسائل النيازك ثمارًا صلدة لا تؤكل.

من الصحراء؟. قالت: نعم...

قلت: أنت بدوية حقيقة أيتها المرأة الواجمة.

قالت: قراءتك صحيحة... تابع:

جاءت فجأة، وترحل فجأة بلا مقدمات ولا استئذان. الرحيل في دمك يا كتلة الحزن الصامت. لقد عرفنا وسمعنا ألحان الرحيل، ولكن المواسم؟.. لقد ضاعت منك المواسم هذه المرة.

ترحلين بسبب أو بلا سبب.

قالت: لا يرحل الإنسان بلا سبب. هذه المرة ليس وراء الكلأ! إنما هربًا من ثقب إبرة يقهر الجسد والروح... أكمل:

إن كانت وجهتك الصحراء. حبذا الرحيل. ولا أظنك تستطيعين. إنك منفية منها، ممنوعة عنك حتى تموتين. ولن يسمحوا

إلا لروحك أن تتمسح بتلك الرمال.

ما أتعسك وأنت ترزحين تحت حكم قاس. وأين؟؟.

في جنة الأرواح... في المنعتق... في الرحاب.

قالت: كيف عرفت أني منفية؟.

قلت: لماذا يبقى جلباب بدوية في المدن بصورة دائمة، إلا إن كان يهرب أو يختبيء.

قالت: نعم منفية. حتى إني لا أجرؤ على التذكر، بيني وبينهم سيف.

ما أبشع أن يتنازع قانون الجماعة الحاد القاطع مع حقوق الفرد.

هناك حجرا الرحى تطحنان. والويل لمن يقفز من ضفة إلى ضفة، ويقع في فتحة الرحى. تطحنه وتلفظه ناعمًا... ناعمًا... أكمل القراءة:

وقلت: بدوية أو أشلاء بدوية، في مهب الريح. تحمل متاعها عند الرحيل. وتلف الرياح بها الدنيا في دوامة العذاب. وثقب الإبرة هو أختام المرور والاستمرار. ليست رحى الله التي تطحن، بل حجارة صنعتها بيئة وتقاليد.

صدقيني: ليس باستطاعتي أن أنسى وجهك قاموس العذاب. ولا أستطيع متابعة القراءة...

حدِّثيني يا بدوية. أريد أن أسمع، ولا تخافي حكمًا جديدًا. أنتِ... أنت مثل غزالة حبيسة، ظلت تستقبل الصحراء موطنها كل صباح حتى تجمدت. الوطن قتال.

قالت: واحتمال المعاناة دلالة الحنين، وزكاة الحنين هو الأنين.

قلت: إلى أين يقودك الحنين؟ حملك ثقيل، وكل الدروب حولك بعيدة وعرة.

قالت: سأختار الدرب الأقصر، درب الصحراء. سأجعله الدرب الأخير. ولن تخفَّ أحمالي إلا هناك. لا أستطيع الاستمرار بجسم محطم. سأقدمه قربانًا لخلاص الروح. في المنعتق.

قلت: حدِّثيني عن شهادة الجسد.

قالت: كنت أرعى غنم أهلي، وكنت فتاة راشدة. التقينا عند غدير ماء، ثم التقينا وافترقنا. ثم التقينا واتفقنا.

تقدم لي وأعجزه المهر. ورفضه أبي. تعلق بي وتعلقت به. وذاع الخبر. ونشبت ثورة الشرف والثأر، واحتكموا إلى السلاح بسببنا. وانتصر قانون الأرض على قانون الحياة. ورحلنا معًا، لا نملك إلا ما ارتبطنا به أمام الله. درنا في البلاد كالمشردين. نجوع ونشبع، نمرض ونشفى، وتضيق بنا الحياة يومًا بعد يوم، ندفع ضريبة لم نحسب لها... رزقنا بولد ذكر، أعطيناه اسم عشيرتنا.

عندما بلغ ولدي الرابعة من عمره، مرض زوجي. كنا نسكن الغرف المظلمة، أقبية تحت الأرض، وكان عطوفًا نبيلاً، وما كانت الشدة لتقتله. ولكن معاناته كانت إحساسًا عميقًا بالذنب. إذ اعتبر نفسه مسؤولاً عن تشردنا وضياعنا في المتاهات. خفت أن أفقده. فأحسسته أننا كنا شريكين. ولكنه كان تحت وطأة يأس قاتل. وكان آخر كلمات نطق بها:

ولدي قطيعي، انتبهي إليه. خذيه يومًا إلى غدير الماء حيث التقينا، سامحيني.

وأحاطني اليأس من كل جانب، وعانيت من الخوف والجوع، ذئاب وذئاب. لاحقت شاة جريحة فقدت راعيها. لم أكن فريسة أبدًا وما فرّطت في شيء. وقاومت ما هو أشد من الموت، الأنياب القذرة، من أجل البقاء والوفاء. لقد غلبني قانون الأرض وأنا عزلاء. ولكن قانون الحياة أبقى وأنقى. وتشبثت بالحياة. سأصل إلى هدفي الذي حدده زوجي. ولدي يكبر ويشتد، ويعرف قصتي، ولكنه لا يعرف كيف ستكون النهاية، سنصل معًا. سأقف عند غدير الماء، وأسقيه من ماء عشيرة أبي وأبيه.

سأصرخ بأعلى صوتي:

يا أهلي وعشيرتي. أنا هنا. تعالوا إلي بثأركم. اقتلوا ما طاب لكم القتل. عجلي يا سيوف. واقطعي لحمًا خشبًا بشم بأحاسيس الألم. أكملوا ذبح الشاة. وخذوا آخر نقطة دم، نفقة للموت. الروح تهفو إلى موعد لا ينتهي، فوق غدير ماء...

إن فعلتم فهذا شأنكم، أما أنا فحسبي هذا النداء.

صحرائي، منك خرجت وإليك أعود. اقبليني نقية مثل حبات الندى. امسحي على جروحي. رياحك خير من يمسح على الجراح. ما أطيب المناخ في رحابك. لا فاصل بين الحياة والموت. ولا فرق بين الحكايات. سمحة أنت وقوية يا رياح الصحراء... تزيلين كل أثر.

بعد أن انتهت قلت لنفسي: فعلاً إنها الحشرجات.

في أحد الأيام، مررت كعادتي. كان المكان أطلالاً. لقد ذهبت البدوية مع الريح. تحمل متاعًا... أم كفنًا... لست أدري.



سمو ولي العهد يفتتح مهرجان الجنادرية

«الإسلام والغرب» المحور الرئيس للندوات



سمو ولي العهد وسمو النائب الثاني يتابعان فقرات برنامج الافتتاح

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني بعد عصر الخميس 18 شوال الماضي حفل افتتاح المهرجان الوطني الحادي عشر للتراث والثقافة المقام في الجنادرية.

المسابقة الدولية الثامنة عشرة للقرآن الكريم

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - افتتح صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة في الشهر الماضي المسابقة الدولية الثامنة عشرة للقرآن الكريم وتجويده وتفسيره، التي تنظمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وقد ألقى سموه كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز التي عبرت عن اعتزاز المملكة العربية السعودية قيادة وشعبًا بخدمة الإسلام والمسلمين وجميع المناشط التي تؤدي إلى رفع كلمة الله سبحانه، ومما جاء في الكلمة «إن الشباب اليوم أحوج ما يكونون إلى العودة إلى كتاب الله الكريم لينهلوا من معينه، وليغوصوا في أعماقه، وليتخلقوا بأخلاقه، ويأخذوا بآدابه، وليلتزموا أحكامه».

ويشارك في هذه المسابقة الدولية هذا العام 158متسابق من 154دولة وجمعية ومركز إسلامي عالمي.

الأمير خالد الفيصل يفتتح معرضين فنيين

رعى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير افتتاح معرض «المجد العربي في بلاد الأندلس»، الذي استضافه مركز جدة للعلوم والتقنية في منتصف شهر رمضان الماضي بإشراف د. عبدالحليم رضوى.

كما قام سموه بافتتاح معرض «الفن بإعادة التدوير» الذي أقيم بإشراف الفنان صلاح باشراحيل.

تكليف متخصصين برصد تاريخ الملك فيصل

قررت مؤسسة الملك فيصل الخيرية تكليف عدد من الباحثين والعلماء ورجال الفكر والمتخصصين في التاريخ برصد تاريخ الملك فيصل، تمهيداً لتقويم ما يقدم من نتاج وعرضه في مؤتمر عالمي عن الملك فيصل بن عبدالعزيز.

وقد شهد حفل الافتتاح صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وصاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبدالعزيز نائب رئيس الحرس الوطني ورئيس اللجنة العليا للمهرجان، وصاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبدالعزيز نائب أمير منطقة الرياض، ومعالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري نائب رئيس الحرس الوطني المساعد وعضو اللجنة العليا للمهرجان، وصاحب السمو الملكي الفريق ركن متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز نائب رئيس الجهاز العسكري بالحرس الوطني وقائد كلية الملك خالد العسكرية وعضو اللجنة العليا للمهرجان، ووكيل الحرس الوطني للشؤون الفنية رئيس اللجنة العامة للمهرجان الدكتور عبدالرحمن السبيت، كما حضر الحفل عدد كبير من الأمراء والوزراء وضيوف المهرجان من المفكرين والأدباء من الدول العربية والإسلامية ودول العالم الأخرى.

وعقب الافتتاح أقيم سباق للهجن، ووزع سمو ولي العهد في نهايته الجوائز على الفائزين.

وفي مساء يوم الافتتاح أقيم حفل خطابي وفني كبير في منصة العروض بقرية الجنادرية ضمن نشاطات المهرجان، وبدئ الحفل بكلمة الحرس الوطني ألقاها معالي نائب رئيس الحرس الوطني الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالمحسن التويجري، ومما جاء فيها: « ولكننا بالرغم مما يعترض طريق هذه الأمة من معوقات في استعادة دورها التاريخي، فإننا بعون الله وفضله سنلتقي على هدف جليل يحمي وجودنا وعقيدتنا ومصالحنا إن شاء الله، وما الدور العظيم الذي تقوم به المملكة العربية السعودية اليوم في مثل هذا الحوار الحضاري في حيوية آمالها وأهدافها الخيرة تجاه أمتها الكبرى إلا إحساس عميق بأهمية قيادتها، فهي قبلة المسلمين، ومن هذه الأرض حمل المسلم الأول إلى كل البشرية الهداية الإنسانية».

وألقى علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب بدمشق بعد ذلك كلمة الأدباء والمفكرين معربًا فيها عن شكرهم للمملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده لما قدمته للثقافة العربية وهي تحتضن هذا المهرجان، ومما قاله: «لقد غدا المهرجان موعدًا سنويًا للثقافة الجادة والموضوعات الحية والقضايا الراهنة في إطار الندوة الفكرية وغدا عكاظَ الفن والأدب وفرصة للقاء والتجدد في إطار الأصالة من خلال عمق الانتماء وسماحة الإخاء».

وتضمن هذا الحفل الخطابي والفني إلقاء قصائد شعرية وتقديم أوبريت وطني بعنوان «عرائس المملكة» كتبه الشاعر إبراهيم خفاجي، وتضمن المهرجان الوطني الحادي عشر للتراث والثقافة الذي يستمر حتى 2 ذي القعدة 1416هـ محاضرات وندوات أدبية وفكرية وأمسيات شعرية، ودار المحور الرئيس للندوات حول العلاقة بين الإسلام والغرب، شارك فيه مجموعة من أبرز المفكرين في العالمين الإسلامي والغربي.

أعلن ذلك صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، عقب ترأس سموه لاجتماعات مجلس إدارة المركز.

وأوضح سموه أن المؤسسة ترغب في أن يكون انعقاد المؤتمر على مستوى الشخصية التي يتناولها، ولهذا السبب فإن المؤسسة تعمل على أن يكون التنظيم متكاملاً لكي يعبر عن أخلاقيات الفيصل ومثله العليا، وهي القيم التي ترمي المؤسسة إلى خدمتها.

فهرس المؤلفات السعودية يصدر قريبًا

ينتظر أن يصدر قريبًا عن مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض الفهرس الشامل للمؤلفات السعودية منذ عام 1300هـ إلى عام 1413هـ.

وكانت المكتبة قد بدأت الإعداد لهذه الببليوجرافيا الوطنية منذ عدة سنوات، وبصدورها تبدأ المكتبة في متابعة ما يصدر سنويًا أولاً بأول وتسجيله.

بحث إنشاء معجم صوتي للغة العربية

يدرس مركز الإلكترونيات في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض إنشاء معجم صوتي للغة العربية يعد الأول من نوعه بهدف تأصيل اللغة العربية.

وتحقيقًا لهذا الهدف قام المركز بإنشاء معهد متخصص لتسجيل الأصوات العربية، ليتولى الحاسب الآلي - بعد ذلك - تحليلها وتعرف أصولها.

الفائزون بجوائز نادي الشرقية الأدبي

أعلن النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية أسماء الفائزين في مسابقته الأدبية الخامسة للعام الحالي في مجالات: الشعر والقصة القصيرة والبحوث.

ولوحظ حجب معظم الجوائز، فقد حجبت جميع جوائز البحوث، والجائزة الأولى في الشعر، والجائزة الثالثة في القصة القصيرة.

وفاز بالجائزة الثانية في الشعر محمد مير مباركي، تلاه أنور عتيق أبو فلاسة، ونال الجائزة الأولى للقصة القصيرة عبدالحليم البراك، فيما تقاسم الجائزة الثانية كل من: يوسف أحمد العطوي، ومحمد علي إبراهيم الباشا.

سلسلة قصص للأطفال

أصدرت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في إطار سلسلتها الإعلامية «أطفالنا» مجموعة جديدة من قصص الأطفال.

رمت قصص المجموعة إلى إثراء معارف الأطفال الأدبية، وتأصيل القيم الإسلامية الراقية في نفوسهم، وتطبيعهم بالخلق الإسلامي القويم.

كتب جديدة

الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، تأليف مازن صلاح مطبقاني، صدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض.

تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق د. أبي دجانة عبدالقادر منصور، صدر عن مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

الإمارات

ندوة كتابات الرحالة والمبعوثين إلى دول الخليج

تستضيف دبي ندوة علمية عن «كتابات الرحالة والمبعوثين إلى دول الخليج عبر العصور» في الثلاثين من شهر ذي القعدة الجاري (18أبريل 1996م) ولمدة أربعة أيام.

ترمي الندوة إلى إلقاء الضوء على هذه الكتابات بوصفها من المصادر التاريخية للمنطقة، عبر مناقشة خمسة محاور رئيسة تتناول كتابات الرحالة والمبعوثين منذ العصور الإسلامية الأولى إلى عام 1360هـ، وتستخلص نتائجها. ويقام على هامش الندوة معرض متخصص لأعمال الرحلات.

مهرجان التراث العربي

شاركت ثماني دول عربية في مهرجان التراث العربي الأول الذي استضافته قرية التراث في أبوظبي في نهاية شهر رمضان الماضي.

استمر المهرجان حتى ثالث أيام عيد الفطر المبارك، وقدمت كل دولة من الدول الثماني المشاركة ـ وهي: مصر، والإمارات، وسورية، ولبنان، والأردن، والمغرب، وفلسطين، والسودان ـ نماذج مختلفة من تراثها وصناعتها التقليدية، وأقيمت على هامشه سهرة يومية لإحدى الدول المشاركة تحت عنوان «ليلة عربية»، إضافة إلى معرض للصناعات التقليدية.

مهرجان ومشغل ثقافي للطفل

نظمت دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة ـ مؤخراً ـ المهرجان الثاني عشر لثقافة الطفل تحت شعار «نحن نؤسس المستقبل» استمر عشرة أيام.

كما نظمت إدارة ثقافة الطفل بالإمارة مشغلاً ثقافياً للأطفال تحت شعار «المسلم الصغير» تضمن مسابقات ثقافية وورشتين للخط العربي والزخرفة الإسلامية.

معرض تشكيلي

نظمت دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة وجمعية الإمارات للفنون التشكيلية المعرض التشكيلي العام الخامس عشر.

شارك في المعرض خمسون فنانًا، قدموا نحو خمسين ومئة لوحة تمثل مختلف الاتجاهات والمذاهب الفنية.

بحوث أثرية

تجري حاليًا بعثة أثرية إسبانية وصلت الشارقة مؤخراً بحوثًا تتعلق بالبيئة القديمة والظروف المناخية التي كانت تسود المنطقة خلال الألف الأول قبل الميلاد، وهو التاريخ الذي تعود إليه مكتشفات البعثة في موقع الثقيبة.

وقد كشفت البعثة من قبل عن مبنى ضخم مشيد بجدران من اللبن يتكوَّن من غرف متعددة ومساحات وسلالم تؤدي إلى الطابق العلوي، وعثرت داخل المبنى على كميات من الفخاريات المتنوعة وأسلحة معدنية.

كتب جديدة

على سفر.. نذهب بعيداً نذهب عميقًا، قصائد للشاعر ناصر الظاهري، صدرت عن اتحاد كتاب الإمارات وأدبائها.

الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية عام 1416هـ/1996م

د. عبدالرحمن حمود السميط
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1416هـ/1996م

ولد في الكويت سنة 1366هـ (1947م)، وتخرج في كلية الطب في بغداد سنة 1972م، ثم نال الدبلوم في أمراض المناطق الحارة من جامعة ليفربول، ثم تخصص في جامعة ماكجل بكندا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي سنة 1974م، كما عمل بحوثًا في مستشفى كلية الملوك بلندن سنة 1979م.

له عدة بحوث في الطب ، وكتابات عن الإسلام وأوضاع المسلمين، ولاسيما في إفريقيا. وهو عضو في جمعيات وهيئات إسلامية متعددة، وقد منح وسام رؤساء دول مجلس التعاون الخليجي عن العمل الخيري.


د. عبدالرحمن حمود السميط

أسس في شرقي كندا فرعًا لجمعية الأطباء المسلمين في أمريكا وكندا سنة 1976م، كما أسس فروعًا لجمعية الطلبة المسلمين في عدة بلدان كندية، وأسس لجنة مسلمي مالاوي في الكويت سنة 1980م.

أسس لجنة الإغاثة الكويتية التي أسهمت في إنقاذ أكثر من 320ألف مسلم من الموت جوعًا في السودان وموزمبيق وكينيا والصومال وجيبوتي سنة 1984م.

أسس لجنة مسلمي أفريقيا، وأصبح أمينًا عامًا لها منذ تأسيسها عام 1981م. وهي أول مؤسسة إسلامية متخصصة. وقد قامت هذه المؤسسة ببناء المساجد والمراكز الإسلامية ومراكز لتدريب النساء، إضافة إلى كثير من المستشفيات والمستوصفات، وتقوم المؤسسة كذلك برعاية الأيتام، وحفر الآبار، وإقامة السدود وتوزيع الأغذية والأدوية والخيمات الطبية والمصاحف وغيرها.

د. أكرم ضياء أحمد العمري
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام 1416هـ / 1996م

من مواليد الموصل شمال العراق سنة 1942م، متخرج في كلية التربية عام 1384هـ (1963م).

حصل على الماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية الآداب، جامعة بغداد عام 1386هـ (1966م)، وكانت رسالته «بحوث في تاريخ السنّة المشرفة» مع تحقيق «طبقات خليفة بن خياط».

حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس بالقاهرة عام 1394هـ (1974م) بـ أطروحته «موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد».


د. أكرم ضياء أحمد العمري

مشاطرة شكلية، قصائد للشاعر الفرنسي رينيه شار، صدرت ترجمتها العربية عن المجمع الثقافي في أبو ظبي.

ذات النقاب في الألقاب، للإمام شمس الدين الذهبي ت 748هـ، تحقيق وتعليق محمد رياض المالح، صدر عن مؤسسة علوم القرآن في عجمان.

الطيور المتكاثرة في الإمارات العربية المتحدة، كتاب يتضمن نتائج البحوث والمسوحات التي أجريت حول حياة الطيور المتكاثرة ، تأليف سيمون اسبينال، صدر عن شركة بترول «أبو ظبي» الوطنية.

البحرين

معرض ومؤتمر الشرق الأوسط الثاني للعلوم (الجيولوجية) (جيو 96)

يرعى صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس مجلس الوزراء بدولة البحرين معرض ومؤتمر الشرق الأوسط الثاني للعلوم (الجيولوجية) (جيو 96) والمقرر إقامته في البحرين بين 15-17إبريل بمركز البحرين الدولي للمعارض.


الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة

وتشارك في هذا المعرض جمعيات ومؤسسات صناعية عربية وأجنبية، ويعقد في إطار هذا المعرض مؤتمر تحت شعار «التقنية المتقدمة لتحسين وسائل الاستكشاف وتمييز المكامن»، وسوف يناقش أكثر من ٣٠٠ ورقة عمل من مختلف أنحاء العالم.

مهرجان «الأيام» الثالث للكتاب

أقيم في مركز البحرين الدولي للمعارض في المنامة مهرجان «الأيام» الثالث للكتاب، الذي تنظمه كل عام مؤسسة الأيام.

تضمن المهرجان لقاءات مع نخبة من الأدباء والمفكرين من بينهم د. محمد جابر الأنصاري، والشاعر عبدالرحمن الرفيع، وغيرهما.

الكويت

مهرجان شعري

أقامت اللجنة الثقافية بجمعية أعضاء هيئة التدريس بجامعة الكويت - مؤخراً - مهرجانها الشعري السنوي.

شارك في المهرجان شعراء من مختلف بلدان الخليج العربي هم: د. أسامه عبدالرحمن وفوزية أبو خالد (السعودية)، يعقوب الرشيد، وسعدية أبو مفرح (الكويت)، عبدالرحمن رفيع (البحرين)،

بدأ التدريس بكلية الآداب بجامعة بغداد منذ سنة 1386هـ (1966م) إلى سنة 1396هـ (1976م)، إذ أعيرت خدماته للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

عمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رئيساً لقسم الدراسات العليا ما بين سنة 1397-1403هـ، عمل رئيسًا للمجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بين 1398-1403هـ، عمل أستاذاً للتاريخ الإسلامي في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، ثم عمل أستاذاً في قسم التاريخ بكلية الدعوة وأصول الدين إلى تاريخ 1415/8/2هـ.

يعمل حاليًا أستاذًا مشاركًا بكلية الشريعة والقانون بجامعة قطر في الدوحة - قطر.

أشرف على عشرات الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه في السنوات العشرين الماضية في الجامعات العربية، وبخاصة الجامعات السعودية، كما ناقش عدداً كبيراً منها في تخصصات الحديث النبوي، والتاريخ الإسلامي، والتربية الإسلامية.

الشيخ حمد بن محمد الجاسر الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام 1416هـ/1996م

ولد عام 1328هـ، في قرية سدوس بإقليم السِّر من نجد.

حفظ القرآن الكريم، وقرأ على مشاهير علماء الفقه والتوحيد والحديث والفرائض والنحو. وفي عام 1348هـ التحق بالمعهد السعودي في مكة، فتخرج في قسم القضاء الشرعي سنة 1353.

بعد تخرجه من المعهد السعودي درّس في ينبع أربع سنوات، ثم تولى قضاء ظبا قرابة سنة، ثم سافر إلى مصر لمواصلة دراسته في كلية الآداب، لكن قيام الحرب العالمية الثانية حال دون إكمال دراسته هناك. فعاد إلى الوطن حيث درّس في عدة مدن، وتولّى مناصب تربوية، منها الإشراف على مدارس أرامكو في الظهران، وإدارة التعليم في نجد، وكان آخر عمل إداري تربوي له توليه إدارة كليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض سنة 1376هـ.

ولم تحل مسؤولياته الإدارية دون عمله في الصحافة والنشر. وقد بدأت كتاباته الصحفية وهو مازال طالبًا في مكة. لكن أول عمل مهم قام به في الميدان الصحفي كان عام 1372هـ عندما قام بإصدار أول صحيفة في الرياض هي اليمامة. وكانت تطبع في مصر، ثم في الحجاز، ثم في لبنان. فعزم على أن تتم طباعتها في الرياض ذاتها. ولذلك أنشأ «مطابع الرياض» عام 1374هـ؛ وهي أول مطابع تنشأ في هذه المدينة.

وقد أنشأ «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» عام 1386هـ. ويأتي في مقدّمة إصداراتها: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الذي كانت له الريادة في تأليفه؛ إضافة إلى رحلاته العلمية في مناطق متعددة من البلاد، ومجلة «العرب» التي تصدر منذ ثلاثين عاماً.

يقرب ما كتبه الشيخ الجاسر، ونشره، من 1200عمل، ومن هذه الأعمال، كتب قيمة قام بتأليفها أو تحقيقها. وأكثر أعماله العلمية - غير الكتب - منشور في مجلة «العرب»، التي يرأس تحريرها، ويشرف عليها وحده إشرافًا دقيقًا.

انتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق (مجمع اللغة العربية في دمشق فيما بعد) عضواً فيه سنة 1370هـ، وانتخبه المجمع العلمي العراقي عضواً فيه سنة 1374هـ، ثم انتخبه مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1378هـ. وذلك إضافة إلى عضويته في مراكز ومؤسسات علمية أخرى.


الشيخ حمد بن محمد الجاسر

تناول أكثر من ثلاثين رحلة؛ دراسة، أو تلخيصاً، أو تحقيقًا. وفي مقدمة أعماله في هذا الميدان تحقيقه لكتابين هما: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظّمة، في ثلاثة أجزاء، وكتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، المنسوب إلى الحربي.

(في العدد القادم، تراجم الفائزين في الطب والعلوم).

إبراهيم محمد إبراهيم (الإمارات)، وسعيد محمد الصقلاوي (سلطنة عمان).

تنوعت القصائد الملقاة في المهرجان ما بين عربية فصيحة وعامية، كلاسيكية وحداثية.



مصر

مؤتمر عن الجات وحقوق الملكية الفكرية العربية

شاركت عشر دول أمريكية وأوروبية وعربية في مؤتمر حماية حقوق الملكية الفكرية للدول العربية بعد اتفاقية الجات الذي نظمته - مؤخراً - في القاهرة المنظمة العالمية للملكية الفكرية.

بحث المؤتمر سلبيات اتفاقية الجات على حقوق الملكية الفكرية العربية، وسبل معالجة ذلك، والانضمام إلى الاتفاقات الدولية لحماية المصنفات الأدبية والفكرية العربية.

حصر المخطوطات العربية والفارسية والتركية

بدأت - مؤخراً - المرحلة الثانية لحصر المخطوطات العربية والفارسية والتركية بالمخزن الرئيسي لدار الكتب والوثائق القومية بمشاركة خمسة وعشرين متخصصاً في التراث.

وكانت المرحلة الأساسية من الحصر قد أوضحت وجود 54 ألف مخطوطة من أبرزها «الرسالة» للإمام الشافعي، و«سر النحو» للزجاج.

اجتماع الاتحاد الدولي للتوثيق والمعلومات

تستضيف كلية الآداب بجامعة الإسكندرية اجتماع المجلس الأعلى للاتحاد الدولي للتوثيق والمعلومات يومي 26و27 من ذي القعدة الجاري (14-15أبريل 1996م):

يتكون المجلس من 25عضواً انتُخبوا من مختلف دول العالم ومن بينها مصر ويمثلها د.شوقي سالم، ويواكب اجتماعه ذكرى مرور مئة عام على إنشاء الاتحاد في بلجيكا.

يعقب الاجتماع في اليوم التالي لانتهائه اجتماع مماثل للهيئة الإقليمية للاتحاد التي تمثل منطقة شمال إفريقيا، وتقام ندوة عامة يشارك فيها عشرة من كبار علماء المعلومات بالعالم يمثلون عدداً من الدول المتقدمة في هذا المجال.

الدورة 62 لمجمع اللغة العربية


د. شوقي ضيف

بدأ قبل يومين المؤتمر السنوي الثاني والستين لمجمع اللغة العربية برئاسة د. شوقي ضيف.

ويعد هذا أول مؤتمر يعقده المجمع بعد أن تولى د. ضيف رئاسته رسمياً خلفاً لرئيسه الراحل د. إبراهيم بيومي مدكور.

ود. ضيف من مواليد محافظة دمياط عام 1910م، ويعد واحداً من أبناء الجيل التالي لجيل الرواد الذين وضعوا أسس الدراسات الأدبية والنقدية العربية، وله ما يزيد على خمسين مؤلفاً في مجالات النقد والتاريخ وعلوم اللغة والتفسير، وحصل على جائزة الدولة التقديرية للآداب عام 1979م، وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي.

ويشرف د. ضيف حالياً على إعداد معجم مصطلحات القانون الجنائي والدولي باللغة الأجنبية وما يقابلها باللغة العربية، ويقع المعجم في نحو خمسمائة صفحة.

قاموس لغوي إلكتروني على الوسائط المتعددة

صدر - مؤخراً - قاموس سفير، الذي يعد أول قاموس الكتروني عربي على أقراص الليزر باستخدام (المالتي ميديا) MULTIMEDIA يسهم في تعليم اللغتين العربية والإنجليزية.

يحتوي القاموس على أربعة آلاف كلمة مرتبة هجائياً باللغتين العربية والإنجليزية، ومصحوبة بأكثر من خمسمائة وألف جملة توضيحية لتقريب المعنى إلى جانب تصريف الأفعال، فضلاً عن المؤثرات الصوتية والصور المعبرة.

وتعالج مفردات القاموس 44 موضوعاً متنوعاً، كما يشتمل القاموس على مجموعة من الألعاب التعليمية المسلية، وبرنامج باسم «مجموعتي» يتيح إنشاء خمسة قواميس إضافية للأسرة لكلمات غير موجودة بالقاموس.

محاضرات وندوات

«مرحلة الطفولة في ضوء القرآن الكريم»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد محمود بالمهندسين في القاهرة الكبرى د. محمد وسيم نصار.

«الأسس النفسية للتذوق الفني»، موضوع ندوة نظّمتها الجمعية المصرية لعلم النفس، تحدث فيها د. شاكر عبدالحميد.

«نحو دور أساسي للدراسات الإنسانية»، عنوان ندوة نظمتها كلية الآداب بجامعة عين شمس، تحدث فيها د. محمد حسن وهبة، و د. محمد السعيد عبدالمؤمن.

«معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين»، موضوع ندوة نظمتها كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تحدث فيها كل من الدكاترة: عبدالقادر القط، أحمد درويش، أحمد مختار عمر، علي عشري، وألفت زايد.

«التمدن في العالم العربي»، عنوان محاضرة جماعية نظمها اتحاد كُتَّاب المغرب، شارك فيها كل من: محمد الناصري، محمد برادة، عبدالأحد السبتي، ومحمد الناجي.

«الأسس النفسية للإبداع الفني»، عنوان محاضرة ألقتها بالمركز الثقافي المصري في الرياض د. نفيسة بنجلون.

«العمل من أجل حقوق الأكراد»، عنوان محاضرة ألقاها لطيف رشيد في كلية سانت أنطوني بجامعة أكسفورد.

«العلاقة بالآخر من خلال أعمالي القصصية»، عنوان ندوة نظمها النادي العربي في بريطانيا، شاركت فيها الأديبات: أهداف سويف، حنان الشيخ، وهادية سعيد.

«ثيرا في سانتو ريني: حضارة أخرى ابتلعها بحر إيجة»، عنوان محاضرة نظمتها دار الآثار الإسلامية في الكويت وألقتها آنا ماليكورتيس.

«علي الوردي.. إنساناً وباحثاً»، عنوان محاضرة ألقاها في المنتدى العراقي بفرنسا د. جليل العطية.

«التاريخ الكمي للمدن العربية قبل القرن ١٩م: مهمة مستحيلة»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية بحي المهندسين في القاهرة الكبرى، د. أندري ريمون.

«النكتة السياسية»، موضوع ندوة أقيمت في المسرح الكوميدي بالقاهرة، تحدث فيها عادل حمودة وأدارها سامي خشبة.

أول مهرجان دولي للنحت

افتتح محافظ أسوان اللواء صلاح مصباح مهرجان النحت الدولي الأول في الهواء الطلق (سيمبوزيم)، الذي يستمر حتى منتصف شهر ذي القعدة الجاري (آخر مارس 1996م).

يشارك في المهرجان خمسة عشر فنانًا يمثلون إحدى عشرة دولة، وتضمن ورشة عمل أقيمت في حديقة أحد الفنادق الكبرى.

وفاة عبدالله عبدالباري

توفي الصحافي عبدالله عبدالباري، رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام الصحفية سابقًا، ورئيس مجلس إدارة دار مايو الوطنية للنشر عن عمر يناهز 72 عامًا.

ولد الفقيد في 1924/4/25م بمحافظة الشرقية، وتخرج في كلية الآداب ـ قسم اللغة الإنجليزية عام 1947م، وعمل محررًا بصحيفة «المصري»، ثم مديرًا لإعلانات مؤسسة أخبار اليوم، ومنها انتقل مديرًا لإعلانات مؤسسة الأهرام، فرئيسًا لفرع منظمة الإعلان الدولية في مصر، وعضوًا منتدبًا لمجلس إدارة مؤسسة الأهرام، وترأس مجلس الإدارة من عام 1979م إلى عام 1984م، وعمل بعد بلوغه سن التقاعد مستشارًا لمؤسسة الأهرام إضافة إلى رئاسته لمجلس إدارة دار مايو الوطنية للنشر التابعة للحزب الحاكم. وهو حامل وسام الجمهورية المصري ووسام الاستحقاق الفرنسي.

وفاة مؤلف كتاب «رجال حول الرسول»



خالد محمد خالد

توفي في القاهرة في 11شوال الماضي المفكر الإسلامي خالد محمد خالد بعد تاريخ حافل من العمل الفكري. والراحل من مواليد 15يونيو عام 1920م بقرية العدوة، مركز ههيا، بمحافظة الشرقية. وتخرج في كلية الشريعة بجامعة الأزهر، ويعد «من هنا نبدأ»الذي صدر له في العام 1950م أول مؤلفاته، وقد أثار جدلاً واسعًا، إذ صادر الأزهر الشريف الكتاب وسحب العالمية منه، بيد أن المحكمة حكمت لصالحه، ثم توالت بعد ذلك مؤلفاته التي تجاوزت الثلاثين كتابًا، أهمها: «مواطنون لا رعايا» في 1952م، الذي صودر أيضًا ثم أفرج عنه، «الديمقراطية أبدًا» في 1953م، «هذا أو الطوفان، أزمة الحرية في عالمنا» في 1962م، «لكيلاتحرثوا في البحر»، «الدين للشعب»، «معًا على الطريق.. محمد والمسيح»، «إنه الإنسان»، «كما تحدث القرآن»، «عن الديمقراطية»، «إنسانيات محمد»، «الوصايا العشر»، «رجال حول الإسلام» (خمسة أجزاء)، «في البدء كانت كلمة»، «بين يدي عمرو»، وآخر مؤلفاته «لو شهدت حوارهم».

وفاة الدكتور سيد النساج

توفي في 5 شوال الماضي الناقد الأدبي الدكتور سيد حامد النساج أستاذ الأدب العربي وعميد كلية التربية السابق بجامعة حلوان عن عمر يناهز 60 عامًا، فقد ولد د. النساج في إحدى قرى محافظة القليوبية عام 1936م.

وقدم للمكتبة العربية 42 مؤلفًا، من أهمها: «تطور فن القصة القصيرة في مصر»، «دليل القصة المصرية القصيرة»، و«الأدب العربي المعاصر في المغرب الأقصى»، كما شارك في أغلب المؤتمرات الأدبية في مصر والعالم العربي، وله سبعة بحوث في أدب كل من الأدباء نجيب محفوظ وإدوار الخراط ومجيد طوبيا ويوسف إدريس، وترجمت أعماله إلى الإنجليزية والإسبانية، ودارت أهم دراساته حول المدرسة البنيوية في النقد الحديث، ونشرت بحوثه «الفيجارو» الفرنسية منذ خمس سنوات، وكان الفقيد من كتّاب «الفيصل»، وله فيها دراسات نقدية متعددة، كان آخرها عن أدب الأستاذ يحيى حقي، نشرت في العددين (225 ,226) بعنوان «يحيى حقي: عطر الأحباب».

«دعوة القرآن الكريم إلى وحدة المسلمين»، موضوع ندوة أقيمت في جامعة القاهرة، تحدث فيها د. أحمد عمر هاشم.

«الإسلام والمعرفة»، عنوان محاضرة ألقاها د. مصطفى الشكعة في المسرح الصغير بدار الأوبرا في القاهرة.

«الإسلام والتجديد»، عنوان محاضرة ألقاها د. محمد عمارة في صالون إحسان عبدالقدوس بمؤسسة روز اليوسف الصحافية بالقاهرة .

«الاقتصاد في الإسلام»، عنوان محاضرة ألقاها د. عبدالعزيز حجازي في المسرح الصغير بدار الأوبرا المصرية بالقاهرة.

«الخوف من الإسلام في الغرب»، عنوان محاضرة ألقاها د.توماس جورج ماكلوين في مخيم النائب عدنان عبدالصمد في الكويت.

«اليمن تدخل عهدًا جديدًا في الاكتشاف»، عنوان محاضرة ألقاها د. يوسف محمد عبدالله في جامعة شيلر في مدينة بينا الألمانية.

«المرأة في الفكر الإسلامي»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر حزب التجمع بالقاهرة د. سيد القمني.

«المظاهر الرئيسة المطلوبة لإعداد خطة (استراتيجية) لتطوير التعليم فوق الثانوي في المملكة العربية السعودية»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة المحاضرات بمعهد البحوث في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران د. عبدالله عيسى الدباغ.

«الفقه الإسلامي والمعاصرة»، عنوان محاضرة ألقاها في رواق عوشة بنت حسين الثقافي بدبي، الشيخ محمد الفاتح الكتاني.

«الرنين المغناطيسي والالتهابات العصبية»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر الكلية الطبية الملكية البريطانية في لندن د. صالح محمد الزبيب.

« المبشرات بمستقبل الإسلام»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الصحابة بإمارة الشارقة د. يوسف القرضاوي.

«الطب في اللغة العربية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي د. زهير أحمد السباعي.

«فلسفة التشريع الإسلامي ومدى مساهمتها تجاه علم القانون المعاصر»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر البنك الإسلامي للتنمية في جدة د. علاء الدين خروفة.

«القانون الإسلامي والرفض السياسي»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن د. سامي زبيدة.

أقام فرع اتحاد الكتاب العرب في مدينة حمص السورية ندوة بعنوان «الحداثة ونقد الحداثة»، شارك فيها عدد من الأدباء والمفكرين السوريين.

وفاة الداعية الإسلامي محمد الغزالي

توفي المفكر الإسلامي الشيخ محمد الغزالي، بمستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض مساء السبت 19 شوال 1416هـ الموافق 9 آذار/ مارس 1996م، وذلك في إثر أزمة قلبية حادة تعرض لها في أثناء حضوره ندوة «الإسلام والغرب - الجذور التاريخية» التي أقيمت ضمن فعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالمملكة العربية السعودية.

وقد ولد الشيخ الغزالي - رحمه الله - في قرية (نكلا العنب) مركز إيتاي البارود، محافظة البحيرة، جمهورية مصر العربية في 22 أيلول / سبتمبر1917م. وهي القرية نفسها التي ينتمي إليها الشاعر محمود سامي البارودي.

وتخرج الغزالي في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وحصل على درجة التخصص (ماجستير) في الدعوة والإرشاد من كلية اللغة العربية بالأزهر، وتولى الخطابة في الجامع الأزهر مدة تزيد على عشر سنوات ثم في جامع عمرو، وعمل بالتدريس بجامعة أم القرى في مكة المكرمة والجزائر، وشارك في عديد من المؤتمرات التي عقدت في الدول العربية والإسلامية وغيرها، وقد حصل، رحمه الله، على جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام عام 1409هـ - 1989م، لما قام به من خدمات جليلة في مجال الدعوة الإسلامية، إذ إنّ له أكثر من 50 مؤلفًا في مجال الدعوة منها «العقيدة كيف نفهم الإسلام»، و«فقه السيرة»، و«السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»، و«تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل»، وشارك الغزالي في الملتقى العلمي الذي نظمته مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالتعاون مع الأزهر بعنوان «الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد في 20 من شعبان 1415هـ، ومما جاء في أطروحته في ذلك الملتقى:

«يجب تنشئة أجيال أزكى نفوسًا من المسلمين المعاصرين، لا تفصل بين الإيمان والحق، ولا بين العبادة والخلق».

«إن النظر إلى الإيمان بالله على أنه قضية ثانوية، أو قضية لا صلة لها بالأخلاق أمر مستنكر عندنا نحن المسلمين».

«إن الإسلام علم واسع الدوائر وقرآنه الكريم كون مسطور يضارع الكون المنظور في تفتيق العقول وتجلية الفطرة، ولولا ما في آيات القرآن من هدى ونور ما قامت أزهى حضارة في التاريخ»

ونال الغزالي وسام الجمهورية من الطبقة الأولى في مصر في العام 1988م، وقد رشحته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» لنيل جائزة السلطان حسن البلقيه العالمية سلطان بروناي دار السلام للدراسات الإسلامية لهذا العام 1996م.

كتب جديدة

ليل أمازيغي، مجموعة قصصية لمحمد دحو، صدرت عن دار الفكر الحديث في القاهرة.

غالي شكري: ذاكرة الجيل الضائع، تأليف مجموعة من الكُتّاب، صدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

العلاقات المصرية الأمريكية 1946-1956م، تأليف جيفري أرونسون، ترجمه إلى العربية د. السيد أمين شلبي، وصدر عن مكتبة مدبولي.

ليس سواكما، ديوان شعر لعبد الوهاب داود، صدر عن دار الإشعاع.

البشرية والمستقبل الغامض، تأليف يوسف ميخائيل أسعد، صدر عن مكتبة دار نهضة مصر.

جمل اعتراضية، مجموعة قصصية لنورا أمين، صدرت عن دار الثقافة الجديدة.

البيان النبوي، تأليف د. مصطفى الشكعة، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

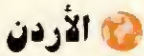
المسألة الإسلامية ومفاهيم الوعي الثقافي الخاطئ، تأليف محمد إبراهيم الفيومي، صدر عن دار الهداية.

في رحاب القرآن الكريم، تأليف د. يس محمد يحيى، صدر عن مكتبة مصر.

مع الضاحكين، تأليف حزين عمر، صدر عن مكتبة أوزوريس.

عظماء الدنيا وعظماء الآخرة، تأليف د. مصطفى محمود، صدر ضمن سلسلة «كتاب اليوم» عن مؤسسة أخبار اليوم.

المدخل إلى الأدب العربي ودراسته، تأليف د. أحمد فضل، صدر عن دار المعارف.



الأردن

تمديد موعد الترشيحات لجوائز شومان للعلماء الشبان

قررت مؤسسة عبدالحميد شومان تمديد مدة الترشيح لجوائزها للعلماء العرب الشبان لعام 1995م إلى اليوم الثاني عشر من شهر ذي القعدة الجاري (31مارس1996م).

يأتي القرار لإتاحة المجال للمشاركة لأكبر عدد ممكن من العلماء والباحثين.

معرض القاهرة الدولي للكتاب في عامه الثامن والعشرين

القاهرة من مراسل «الفيصل»:

اجتاز معرض القاهرة الدولي للكتاب عامه الثامن والعشرين بعد سلسلة من المشكلات والاعتراضات بدأت بالإعلان عن تأجيله عن موعده المعتاد وتقليص عدد أيامه لظروف شهر رمضان المبارك وامتحانات نصف العام الدراسي الأول لطلاب المدارس والجامعات، وواكب ذلك شكوى الناشرين من غلاء أسعار الإيجار، إذ إن الهيئة المصرية العامة للكتاب المنظّمة للمعرض استأجرت المتر من هيئة المعارض مقابل 12جنيهًا وأعادت تأجيره إليهم بـ 130جنيهًا!! وحدث خلاف حاد بين أعضاء الهيئة العليا للمعرض حول الشخصيات المرشحة لنيل الجوائز والمعايير التي على أساسها يتم اختيار الأعمال الفائزة، وشكوى الجمهور من أسعار الكتب التي زادت زيادة كبيرة.

ومع ذلك كله، ارتفع عدد دور النشر المشاركة إلى 2400 دار ينتمي أصحابها إلى 76دولة، من بينها أربع دول تشارك للمرة الأولى هي: تركيا، اليونان، بولندا، ماسادونيا، وعرض قرابة ثلاثة ملايين ونصف مليون كتاب عبر 27صالة عرض، وحقق التنظيم نجاحًا طيبًا بعد أن انقضت حجة الوقت.

وكسب النشاط الفكري والثقافي والفني المصاحب للمعرض جمهور الزائرين الذين أزعجتهم الأسعار العالية جدًا لمعظم الكتب المعروضة، فأقبلوا على النشاطات المصاحبة لتتحقق الفائدة من زيارتهم للمعرض، حيث شهدت سرايا الاستثمار إقبالاً على حضور اللقاء اليومي مع ندوة كاتب وكتاب التي تميزت بوجهة نظر علمانية من حيث اختيار الكتب المناقشة، وكانت ثقافة السلام التي طرحها الرئيس حسني مبارك، والفكر القومي المعاصر أبرز القضايا التي ناقشتها ندوات المعرض التي قارب عددها الثلاثين ندوة، وفي المقهى الثقافي حرص الجمهور على متابعة اللقاءات الفكرية التي عقدها الكُتّاب العرب والمصريون، حيث شارك 11شاعرًا عربيًا اعتاد الجمهور أن يراهم سنويًا في ندوات المعرض وأمسياته، إلى جانب كُتّاب مصر وأدبائها ومفكريها ومسؤوليها، ونحو 250 أديب من الأقاليم.

إضافة إلى 13رواية ومجموعة شعرية وقصصية ناقشها المعرض. وقدمت 32 فرقة فنون شعبية وموسيقية عروضها في مخيم الإبداع الثقافي، كما قدمت سراي السينما والمسرح عروضًا سينمائية ومسرحية وموسيقية وغنائية، وأقامت سراي الإسكان عروضًا احتفالية مع مفكري مصر المتخصصين في مجالات الثقافة والفن والرياضة، وأعطى مخيم الإبداعات الجديدة الفرصة للشباب للتعبير عن أعمالهم. وجاء سور الأزبكية ليحقق لغير القادرين فرصة اقتناء الكتب بسعر معقول، وأقيم على هامش المهرجان المؤتمر العام لاتحاد الناشرين العرب.

وعرضت مستنسخات لأعمال كبار الفنانين التشكيليين العالميين، وأعلن المقهى الثقافي عن يوم للتضامن مع أرواح الأسرى المصريين الذين قتلتهم إسرائيل، والمعروف أن المعرض يرفض بصفة مستمرّة أية مشاركة إسرائيلية بالرغم من طلبها المتكرر كل عام.

مؤتمر حول تفاعل الثقافات

انتهى في الثالث عشر من شهر شوال الماضي (3 مارس1996م) الموعد المحدد لتقديم ملخصات البحوث المشاركة في المؤتمر الذي تنظمه كلية الآداب والفنون - جامعة فلادلفيا فرع الأردن تحت عنوان «التفاعل الثقافي على أعتاب القرن الحادي والعشرين».

وتحدد يوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الجاري (13أبريل 1996م) موعداً نهائيًا لإرسال البحوث إلى أمانة المؤتمر، الذي يناقش أربعة محاور: مفاهيم التفاعل والانغلاق بين الذات والآخر، المرتكزات الثقافية للنظام العالمي الجديد، حوار الأديان، ونحو ثقافة عالمية إنسانية.

كتب جديدة

حالات النهار، مجموعة قصصية للقاص خليل قنديل، صدرت عن رابطة الكُتَّاب الأردنيين.

لبنان

كتب جديدة

التراث وأثره وتوظيفه في مسرح توفيق الحكيم، تأليف د. وطفاء حمادي، صدر عن دار ابن رشد للطباعة والنشر في بيروت.

سحيم، قصيدة طويلة للدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي.

هنا تعيش، مجموعة شعرية للينا الطيبي.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

التفاعل القانوني في حوض البحر الأبيض المتوسط، تأليف خضر الحموي، صدر عن دار بيسان للنشر والتوزيع.

الأدب الحديث في لبنان؛ نظرة مغايرة، تأليف جهاد فاضل، صدر عن دار رياض الريس للكتب والنشر.

عبدالمحسن السديري والتنمية الزراعية الريفية، تأليف نجيب صعب، صدر عن المنشورات التقنية.

بعد قليل من الحب... بعد الحب بقليل، مجموعة شعرية لمحمد العبدالله، صدرت عن دار الجديد.

سورية

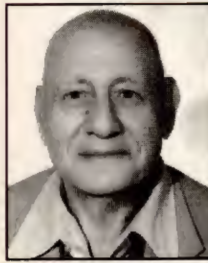
اكتشاف مخطوطات آرامية

اكتشفت ألواح عليها نصوص آرامية نادرة باللغة المسمارية ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد في شمال سورية.

يؤكد هذا الكشف أن تل الشيوخ الفوقاني في منطقة عمر سد تشرين الكبير هو موقع مدينة بورمارينا إحدى مدن مملكة بيت عويني الآرامية في عهد الإمبراطورية الآشورية.

من ناحية ثانية اكتشفت جماجم للثيران الوحشية مدفونة تحت أسس منازل السكان الأوائل لتل حلولة عند وادي الفرات الذين عاشوا بين الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد، مما يشير إلى أنهم تمكنوا في فترة تقدر بستمئة عام من تدجين هذه الحيوانات التي كانت متوحشة.

وفاة وجيه البارودي


الشاعر وجيه البارودي

توفي الطبيب الشاعر وجيه البارودي، ودفن في مسقط رأسه مدينة حماة في 22رمضان الماضي.

وخلّف البارودي دواوين شعرية متعددة، منها: «بيني وبين الغواني»، و«كذا أنا»، وديوان «سيد العشاق» الذي تضمن سيرة حياته بوصفه طبيبًا وشاعرًا. ويذكر أن البارودي من الأطباء البارزين في سورية، وقد قُلد «درع وزارة الصحة» تقديراً لخدماته في ميدان الطب.

دليل الكتاب السوري

صدر عن دار «مشرق ومغرب» في دمشق الجزء الثاني من كتاب «دليل الكتاب السوري.. ببيليوغرافيا إصدارات الكتب السورية» الذي قام بإعداده فايز سارة.. يعرِّف الدليل القراء والباحثين بالإصدارات الجديدة للكتب السورية في أبواب تيسر عليهم الاطلاع السريع على مضامينها ومؤلفيها وناشريها وعدد صفحاتها. وتضمَّن الجزء الثاني من الدليل أبوابًا جديدة مثل «كاتب وكتب»، و«كتب لها تاريخ»، و«رف المكتبة العربية» الذي يعرِّف المهم من إصدارات بعض الدول العربية الأخرى، وباب «مؤسسات وكتب» الذي يعرِّف ببعض المؤسسات الثقافية العربية الناشرة وأهم إصداراتها.

كتب جديدة

الغزل في الشعر الأندلسي عصر بني الأحمر، تأليف د. سراب اليازجي، صدر عن دار شراع للدراسات والنشر والتوزيع.

البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، تأليف عبدالسلام المساوي، صدر عن اتحاد الأدباء العرب في دمشق.

طريق الحرافيش: رؤية في التفسير الحضاري، تأليف سليمان الشطي، صدر عن دار المدى للثقافة والنشر.

ذاكرة مقام نهاوند، قصائد لماهر اليوسفي، صدرت عن دار الأهالي.

الاتجاهات الحديثة في أدب الأطفال، تأليف بهاء الدين الزهوري، صدر عن دار حمص.

المنسيون في التاريخ، تأليف د. شاكر مصطفى، صدر عن دار طلاس في دمشق.

هجرة النصوص، تأليف د. عبده عبود، صدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

كيف تصبح صحافيًا ناجحًا، تأليف عدنان الملّوحي.

الشرق الأوسط الحديث.. الجزء الثاني: التحولات في المجتمع والاقتصاد 1789-1918، أعده باللغة الإنجليزية ألبرت حوراني وفيليب خوري وماري ويلسون، ترجمه إلى العربية د.أسعد صقر، صدر عن دار طلاس بدمشق.

العراق

كتب جديدة

في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، تأليف د. نعمة رحيم العزاوي.

موسيقى صوفية، مجموعة قصصية للطيفة الدليمي.

العربة والمطر، مجموعة قصصية لبديعة أمين.

النظام السياسي الدولي، تأليف عبدالقادر فهمي.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن دائرة الشؤون الثقافية العامة في بغداد.

تونس

ندوتان عن الرواية العربية

نظم مركز دراسات الرواية العربية ندوة عن «التجريب في الرواية العربية الحديثة» بمشاركة عدد من الروائيين العرب في مدينة قابس.

أقيمت الندوة في منتصف شهر شوال الماضي واستمرت أربعة أيام، وتلتها ندوة عن «أساليب السرد الروائي بين التراث والحداثة» استضافتها مدينة سوسة.

معرض دولي للكتاب

تقام الدورة العاشرة لمعرض تونس الدولي للكتاب في قصر المعارض بضاحية الكرم في الخامس عشر من شهر ذي الحجة المقبل (3مايو 1996م) لمدة عشرة أيام.

المعرض كان مقرراً أن يقام في مطلع شهر ذي القعدة الجاري إلا أن الهيئة المنظمة ارتأت تأجيله بهدف توفير الوقت اللازم لتنظيمه تنظيماً سليماً.

تقام على هامش المعرض مجموعة من الندوات والمحاضرات والأمسيات المتنوعة.

مجلة ثقافية للأطفال

أحدث مجلة ثقافية موجهة إلى الطفل العربي صدرت مؤخراً تحت اسم «الشيماء» عن مؤسسة الشرقي للنشر والاشهار.

«الشيماء» تتوجه إلى الناشئين العرب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 12إلى 16 عامًا، وتتضمن أبوابًا ثقافية وأدبية ودينية وتاريخية، إضافة إلى بابين خاصين بإبداعات الناشئين أنفسهم ونتاجهم الأدبي.

كتب جديدة

قاموس التعبيرات الفلسفية، تأليف سعيد جلال الدين.

في آليات النقد الأدبي، تأليف د. عبدالسلام المسدي.

صدر الكتابان السابقان عن دار الجنوب للنشر في تونس.

المغرب

أيام الكتاب

نظمت وزارة الثقافة - مؤخراً - مهرجاناً بعنوان «أيام الكتاب» في ولاية أغادير بجنوب البلاد.

تضمن المهرجان عدة موضوعات من بينها: «صناعة النشر»، «الكتابة الأمازيغية وتحديات المرحلة»، و«الكتاب والتواصل».

فن وثقافة

هذا هو اسم أحدث مجلة صدر عددها الأول - مؤخرًا - في الرباط متضمنًا مجموعة من الإبداعات الثقافية والفنية.

من أبرز محتويات العدد دراسة حول الفلكلور في المغرب، وأخرى عن التطور التاريخي لفن التصوير والنقش.

كتب جديدة

وجاء دور التطبيع: دراسة وثائقية في الاختراق الصهيوني الحديث، تأليف مصطفى الحيا، صدر عن الجمعية المغربية لمساندة مسلمي البوسنة والهرسك.

الانطلاقة الجديدة، تأليف الرئيس الجابوني عمر بونجو، صدرت ترجمتاه العربية والإنجليزية عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

سفراء مغاربة إلى أوربا 1610-1922م، تأليف عبدالمجيد القدوري، صدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط.

البكاء بين يدي عبدالرحمن المجذوب، مجموعة شعرية لمنيب البوريمي، صدرت ضمن منشورات ديوان المغرب الشرقي.

الطفولة الهاربة، مجموعة شعرية للشاعر الراحل عبداللطيف الفؤادي، صدرت عن دار تنميل في مراكش.

رسائل جامعية

«ابن الدهان الموصلي.. حياته وشعره»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها خالد محمد عبدالرحمن الجديع.

«تخريج أحاديث الروض المربع وشرح زاد المستنقع من باب الربا في كتاب البيوع»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الرياض، تقدمت بها نورة عبدالله متعب الشهري.

«إسماعيل سري الدهشان.. حياته وشعره»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها علي عبدالظاهر.

«دور المؤسسات الدينية في القيمة السياسية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد محمد إسماعيل.

«العوامل المؤثرة على القوات المسلحة المصرية في السلم والحرب حتى عام 2015م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في أكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة، تقدم بها لواء عادل مسعود.

«نظرية الإثراء بلا سبب في القانون الإداري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة عين شمس، تقدم بها أحمد أبو سكينة.

«تفسير سيدنا علي بن أبي طالب من سورة الفاتحة إلى سورة الإسراء»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، تقدم بها محمد حسن سبتان.

«تحقيق المروي عن ابن عباس من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. تقدم بها حامد يعقوب يوسف الفريح.

«الغاية عند الأصوليين وآثارها في الفقه»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض تقدم بها يوسف حسن عبدالرحمن الشراح.

الحركة الثقافية في شهر

البرتغال

ندوة الأندلس ومملكة البرتغال

شارك أكثر من عشرين مؤرخًا متخصصًا في الحقبة الإسلامية في شبه القارة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال) يمثلون 6 دول متوسطية في ندوة استضافتها لشبونة حول تأثير الحضارة العربية في البرتغال في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.

أقيمت الندوة تحت عنوان «الأندلس وقيام مملكة البرتغال»، وتناولت العلاقات بين الحضارتين وتأثير الحضارة الإسلامية العربية في البرتغال.

روسيا

افتتاح رسمي لكرسي الأمير نايف للدراسات الإسلامية

احتفلت جامعة موسكو بالافتتاح الرسمي لكرسي صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعربية.

حضر الافتتاح الذي تم في نهاية شهر رمضان الماضي مجموعة من علماء الاستشراق، وبعض المتخصصين في الدراسات الإسلامية والعربية، و170طالب رغبوا في الدراسة بالقسم.

إسبانيا

أحدث الكتب

غرناطة والمغرب: الدراسات الغربية والإفريقية في الثقافة الغرناطية، تأليف كريستينا فينيس، صدر عن مؤسسة التراث الأندلسي.

أماكن الحضارات، رواية لخوان جوتيسولو، صدرت عن دار نشر الفاجوارا.

فرنسا

مركز للحضارة واللغة العربية

قرر معهد العالم العربي في باريس إنشاء مركز للحضارة واللغة العربية في مقره.

يرمي المركز إلى توطيد علاقة المعهد بالعالم العربي من ناحية، وخدمة الفرنسيين الذين يرغبون في اكتشاف ثقافة غريبة عنهم من ناحية ثانية، والقيام بدور فعال في ربط العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط من ناحية ثالثة.

مهرجان الثقافة اللبنانية

يقام حاليًا في دار ثقافات العالم بباريس مهرجان بعنوان «لبنان 96» وتشتمل فعاليات المهرجان التي تتواصل من 27 فبراير /شباط الماضي حتى 21 إبريل/ نيسان القادم، على قراءات شعرية وقصصية وندوات تتناول تطور الحركة الثقافية اللبنانية الحديثة.

معرض لفن النحت الأوربي

يُنظم بحدائق الشانزيليزيه في باريس معرض للمنحوتات، بين 9 نيسان إبريل إلى 9 حزيران/يونيو القادم، ويضم المعرض 50 تحفة مختارة لفنانين أوربيين قدماء ومعاصرين.

يرمي المعرض - الذي يُعد الثاني بعد معرض يوثيرو الذي استضافته باريس عام 1992م - إلى تعريف الزوار بتطور فن النحت في أوربا.

20٪ من الفرنسيين أميون

أشار تقرير قدمه فريق مكافحة الأمية إلى رئيس الوزراء آلان جوبيه إلى أن عشرين في المئة من الفرنسيين البالغين أميون.

وأكد التقرير أن هذه الظاهرة ليست جديدة، لكنها العامل الرئيس في التهميش الاجتماعي، ومرتبطة بمعدل البطالة، وقدم معدو التقرير 22 اقتراحًا لمواجهة هذه المشكلة من بينها إعلان يوم 28مارس يومًا وطنيًا لمكافحة الأمية، واختير هذا اليوم بالذات لكونه التاريخ الذي أعلنت فيه عام 1881م إلزامية التعليم في فرنسا.

«دور الوقف في الحياة السياسية في المغرب»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في دار الحديث الحسنية في الرباط، تقدم بها سعيد بو ركبة.

«تقويم نشاط اللغة العربية غير الصفّي بالمرحلة الثانوية في مدينة الرياض»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها صالح عبدالعزيز سليمان النصار.

«الأقليات والممارسة السياسية في الخبرة الإسلامية: دراسة حالة الدولة العثمانية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها كمال السعيد حبيب.

«التحكم في نشاط الغدة النخامية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدمت بها منى محمد حسين.

«أسباب هلاك الأمم كما ورد في القرآن الكريم»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها سعيد محمد بابا سيلا.

«تنظيم مراكز إدارة الأزمات: نموذج مقترح للدول النامية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة قناة السويس تقدم بها مصطفى عيد.

«الرمز الطبيعي عند خليل حاوي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العربية في القاهرة، تقدم بها محمد محمود الشيخ.

«دور المؤتمرات الإعلامية الخارجية في الإعلام القومي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في شعبة الإعلام بجامعة الإسكندرية تقدم بها أشرف فهمي خوخة.

«الإنسان في الفكر الكلامي والفلسفي عند المعتزلة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق في مصر، تقدمت بها رابحة نعمان توفيق.

«الشعر العربي الحديث في موريتانيا: دراسة في تطور البناء الفني والدلالي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العربية بالقاهرة، تقدم بها محمد الحسن ولد محمد مصطفى.

«رؤية الواقع في القصة القصيرة بين محمد عبدالحليم عبدالله ومحمود تيمور»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنصورة في مصر، تقدم بها شعبان خليل محمد.

«شبلي الملاط.. حياته وشعره»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع المنصورة تقدم بها عهدي أبو النور.

الاحتفال بمئوية الشاعر فيرلين

احتفلت الأوساط الأدبية والثقافية الفرنسية بالذكرى المئوية لوفاة شاعر فرنسا الكبير بول فيرلين (1844-1896م).

بدأ فيرلين يطرق باب الشهرة حين نشر عام 1862م ديوانه الأول «قصائد زحل»، وبدأت الانعطافة الكبرى في مسيرته الإبداعية حين تلقى رسالة من شاب مراهق يدعى جان أرتور رامبو، وكانت هذه الرسالة بداية علاقة طويلة بينهما انتهت بقيامه بإطلاق الرصاص على رامبو، ودخوله السجن عام 1873م، حيث كتب أروع قصائده وهو محاصر بين القضبان، وعمل فيرلين بعد خروجه من السجن بالتدريس، ومن أشهر قصائده «حكمة» و«حب».

متحف للآلات الموسيقية وآخر للفنون البدائية

فتح متحف الآلات الموسيقية - مؤخراً - أبوابه للجمهور، حيث يعرض قرابة 4500 آلة موسيقية قديمة وحديثة.

تعود الآلات المعروضة إلى عصور متنوعة حيث منها آلة الهارب الفرعونية، وآلة العود الإيطالية القديمة، إضافة إلى الآلات الموسيقية الكهربائية الحديثة. وإلى جوار كل هذا توجد قاعة موسيقى للأطفال الموهوبين.

يرافق المعروضات عرض سينمائي لأفلام تحكي جوانب حياة كبار الموسيقيين.

من ناحية ثانية تقرر إنشاء متحف متخصص للفنون البدائية يؤرخ لتطور الإنسان والفنون التي ابتدعها عبر مختلف العصور.

وفاة صاحب اليوم «التاسع»

توفي الكاتب الفرنسي هير فيه بازان، رئيس أكاديمية جونكور - مؤخراً - عن عمر يناهز 85 عاماً.

وبازان كاتب وشاعر وروائي قدَّم 20 عملاً ترجمت إلى أربعين لغة عالمية، وتعد روايته «أفعى في قبضة اليد» أشهر أعماله.

وعرف بازان بحدة انتقاداته للمجتمع البرجوازي، وقد نال العديد من الجوائز من بينها الجائزة الكبرى للآداب في موناكو عام 1957م وجائزة لينين من الكرملين عام 1979، وهو عضو أكاديمية جونكور منذ عام 1958م، وتولى رئاستها عام 1973م.

ومن أعماله: «موت الحصان الصغير»، «اليوم التاسع»، «رأس يضرب الجدران»، و«المحرمات».

جائزة حرية الصحافة لصحافي كوبي منشق

منح الصحافي الكوبي المنشق يانداميرو ريستانوي دياز جائزة الريشة الذهبية السنوية لحرية الصحافة تقديراً لجهوده وكفاحه من أجل صحافة حرة ومستقلة.

وريستانوي شاعر وصحافي، تعرض للسجن، وأسس جمعية الصحفيين المستقلين في بلاده، ووكالة الأنباء الكوبية المستقلة.

يذكر أن الجائزة يمنحها الاتحاد الدولي لناشري الصحف الذي يمثل نحو 15ألف جريدة في مائة بلد.

أحدث الكتب

قاموس بيكاسو، تأليف بيير ديه، صدر عن دار نشر لافون في باريس.

العالم الثالث: زمن الانكسارات، تأليف جورجي كازيه و مين دومينجو، صدر عن دار نشر بريل.

غزليات حافظ الشيرازي، ترجمها إلى الفرنسية فانسان منصور مونتاي، وصدرت عن دار سندباد.

حياة ما بعد الياء، مجموعة شعرية لعبدالقادر الجنابي، صدرت عن منشورات فراديس.

الغناء العربي في الأندلس، تأليف معروف نادر، صدر عن دار نشر رامتان.

حقوق الإنسان وحقوق الشعوب، تأليف ريتشارد فيليب، صدر عن دار نشر كرونيك سوسيال.

العرب من الرسالة إلى التاريخ، إشراف دومنيك شوفاليه وأندريه ميكيل، صدر عن دار فايار.

مطر فوق رسائل أمي، مجموعة شعرية لصموئيل شمعون: صدرت عن دار نشر جلجامش.

فيتنام

مجلة للأدب الأجنبي

صدر في هانوي عن جمعية الكُتّاب الفيتناميين العدد الأول من مجلة «الأدب الأجنبي» نصف الشهرية.

يرأس تحرير المجلة الكاتب مان فان كانج، وترمي إلى تعريف القراء الفيتناميين بالتراث الأدبي العالمي.

يذكر أن الجمعية تصدر مجلتين أسبوعيتين وثالثة شهرية.

أوغندا

مجلة للصم

أصدرت الجمعية الوطنية للصم في كمبالا مجلة هي الأولى من نوعها تحمل اسم «أخبار الصم» (ديف نيوز).

ترمي المجلة إلى توعية المجتمع الأوغندي بمشكلات الصم والتعريف بنشاطاتهم وإبداعاتهم.

قبرص

أحدث الكتب

البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، تأليف ماهر الشريف، صدر عن مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي شركة F.K.A للنشر.

أخبار في النحو، تأليف أبي طاهر عبدالواحد بن عمر بن أبي هاشم، تحقيق محمد أحمد الدالي، صدر عن الجفان والجابي للطباعة والنشر في ليماسول.

هولندا

أفضل صورة صحافية لِلَقْطة عن حرب الشيشان

منح المصوِّر الأمريكي لوسيان بيركنز من صحيفة «واشنطن بوست» جائزة (وورلد بريس فوتو) أفضل صورة صحافية في العالم، عن صورة التقطها بالأبيض والأسود عن الحرب في الشيشان.

وتعبر الصورة الفائزة عن مدى مأساوية هذه الحرب من خلال نظرة لفتى شيشاني كان يرنو إلى المصور من خلف زجاج حافلة كانت تنقله مع آخرين إلى قرى فوق التلال بعيداً عن المعارك.

اختيرت الصورة من بين ما يقارب 30 ألف صورة أرسلها 3 آلاف مصورمن مختلف أرجاء العالم.

بريطانيا

محمد الفايد يعيد إصدار مجلة «بنتش»

ينتظر أن تعاود مجلة «بنتش» الساخرة الصدور بعد توقف دام أربع سنوات.

وكان رجل الأعمال المصري في بريطانيا محمد الفايد قد اشترى المجلة - مؤخراً - وأعلن أنه سيعيد إصدارها في مدة قريبة.

وتعد هذه ثالث محاولة للفايد لاختراق مجال الصحافة البريطانية إذ أخفقت محاولتاه السابقتان لشراء صحيفة «توداي» ومحطة إذاعة «لندن نيوز».

يذكر أن بنتش صدرت للمرة الأولى قبل قرن ونصف، وتوقفت عن الصدور عام 1992م.

أحدث الكتب

العصفورية، رواية للدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي.

صراع القبلية والديموقراطية: حالة الكويت، تأليف خلدون النقيب.

صدر الكتابان السابقان عن دار الساقي في لندن.

عمران النفط، تأليف ج. روبرتس، و د. فاولر، صدر عن دار نشر ايثا كابرس.

أحمد فارس الشدياق، مختارات من ثلاثة من مؤلفاته حققها فواز طرابلسي وعزيز العظمة، وصدرت عن دار رياض الريس للنشر والتوزيع.

الولايات المتحدة

مجلة «تايم للصغار»

صدر - مؤخرًا - في الولايات المتحدة الأمريكية العدد الأول من مجلة «تايم للصغار».

تتوجه المجلة إلى أطفال المدارس لإطلاعهم على أحداث العالم بوصفها وسيلة تعليمية، ويحررها محررو المجلة الأم، وتدير تحريرها كلوديا واليس.

حمل غلاف المجلة الأول صورة لطفل من سراييفو لايتجاوز عمره عامين ونصف.. والطريف أن المجلة تصدر في اليوم نفسه الذي تصدر فيه «تايم» للكبار.

وفاة الكاتب هنري فيلارد

توفي الكاتب هنري فيلارد عن عمر يناهز 95 عامًا إثر مضاعفات التهاب رئوي.

وكان فيلارد قد بدأ حياته العملية في العمل السياسي والدبلوماسي الذي أتاح له التنقل في العديد من بلدان العالم، ومعايشة المشكلات والقضايا العالمية، إلى أن تفرغ في نهاية الستينيات الميلادية للكتابة مفتتحًا كتاباته بكتاب يروي قصة صداقته للكاتب الأمريكي الشهير أرنست همنجواي. ومن أبرز مؤلفاته «همنجواي.. الحب والحرب».

وفاة برودسكي

توفي بنيويورك الشاعر الأمريكي الروسي الأصل جوزيف برودسكي، الحائز على جائزة نوبل في الآداب عام 1978م، وكان برودسكي - الذي رحل عن 55 عامًا - يكتب الرواية إلى جانب الشعر، وقد ألف رواية «استراحة الصحراء» عام 1970م، ورواية «أورانيا» عام 1987م.

أحدث الكتب

الديموجرافيا، تأليف مجموعة من الخبراء والباحثين، صدر عن المركز الإعلامي للتنمية والسكان في نيويورك.

عدو عدوي: لبنان في المخيلة الصهيونية المبكرة، تأليف لورا زيترين إيسنبرج، صدر عن دار واين ستيت يونيفرستي برس في ديترويت.

الأمم المتحدة وتقدم المرأة 1945-1995م، صدر عن مركز المعلومات في الأمم المتحدة.

إيطاليا

لقاء فكري إيطالي - مغاربي

ناقشت مجموعة من الكتاب المغاربة والإيطاليين في لقاء فكري في مدينة جنوا موضوع المصادر التي يستمدون منها موضوعاتهم وأسباب اختيار الكتابة بوصفها وسيلة للتعبير، ومكانة المرأة في المجتمع المغاربي.

شارك في اللقاء مجموعة من أدباء إيطاليا وكتّابها، من بينهم فرانسيسكو ريامونتي، ومن الجانب المغاربي الطاهر بن جلون ومحمد شكري (المغرب)، ربيعة عبدالصمد (الجزائر)، والبيد ميمي (تونس).

معرض للفن الياباني

استضاف مركز الفنون في روما - مؤخرًا - معرضًا بعنوان «اليابان قبل الانفتاح على الغرب.. أربعة آلاف عام من الفن».

ضم المعرض مجموعة من الأعمال الفنية اليابانية القديمة التي توضح نشأة وتطور واستخدام فنون الفخار والسيراميك والبورسيلين والمعادن عند الشعب الياباني في فترة ما قبل التاريخ وإلى القرن السادس عشر الميلادي.

أحدث الكتب

رياح السنين، مجموعة شعرية لراضي صدوق، صدرت عن دار كرمة للنشر في روما.

مسيحيو الشرق الأوسط زمن الإصلاح الكاثوليكي، تأليف برنار هيبر جيه، صدر عن المعهد الفرنسي في روما.

كوريا الجنوبية

مدرس ريفي يفوز بجائزة أحسن رواية

منح هو شو كيل صن، وهو مدرس قروي يبلغ من العمر أربعين عامًا الجائزة الكبرى التي خصصتها صحيفة «هانكوك إلبو» أوسع الصحف الكورية انتشارًا لأحسن رواية في مناسبة مرور نصف قرن على تحرير كوريا من الاحتلال الياباني.

ونال صن مائة مليون دوق (ما يعادل 120 ألف دولار أمريكي) جائزة عن روايته التي كان عنوانها «قصة الملابس البيض».

ألمانيا

أحدث الكتب

معجم تاريخ مصر القديمة، صدر عن جمعية الأبحاث الألمانية د. ف. ج. يون.

سيرة حياة توماس مان، تأليف كلاوس هاربرست، صدر عن دار نشر روفولت.

النمسا

جائزة الأدب لأيشنجر

منحت الأديبة النمساوية إيليس أيشنجر (74عامًا) جائزة الأدب النمساوية تقديرًا لأعمالها الأدبية والثقافية.

وقد طرقت أيشنجر المتزوجة من الأديب الألماني جونترا أنبي مجال الأدب والإبداع للمرة الأولى عام 1948م، وعاشت مدة طويلة من حياتها في مدينة فرانكفورت الألمانية.

أحدث الكتب

تاريخ المكتبات، موسوعة أعدها مجموعة من المؤرخين والكُتّاب، وصدرت بإشراف المكتبة الوطنية النمساوية.

الصين

العلاقات الفكرية العربية الصينية

شهدت بكين فعاليات الندوة الثقافية الثانية حول العلاقات الفكرية بين البلاد العربية والصين على مر العصور وأثر اللغة العربية فيها. وشارك في أعمال الندوة التي عقدت يومي 12و13يناير/ كانون الثاني الماضي، الشعراء العرب والأجانب المعتمدون في بكين، ومندوب عن جامعة الدول العربية، وأكثر من 200 خبير وعالم وباحث من الصين.

تناول المحاضرون الذين تحدثوا خلال الندوة، محاور متعددة تتعلق بالعلاقات العربية - الصينية قديمًا، والحضارة العربية في الصين والفلسفة العربية في الصين، ورحلة اللغة العربية في الصين عبر القرون، وتقويم عام للقصص والروايات والقصائد الشعرية في بعض البلدان العربية.

غريب القرآن على حروف المعجم



كتاب يعنى بتوضيح ما غمض من معاني ألفاظ القرآن الكريم، وتفسير ما أُبهم منه بما جاء في المأثور وفي لغة العرب بحسب السياق، وهذا العلم يختص بمعرفته من له اطّلاع وتبحر في اللغة العربية، قام بتأليف الكتاب الشيخ أبو بكر محمد بن عُزيز السجستاني المتوفى سنة 330هـ، واضطلع بدراسته وتحقيقه د. أحمد عبدالقادر صلاحية.

رتب المؤلف مواد كتابه على حروف الهجاء وفق أوائلها كما هي في القرآن الكريم، من دون إعادتها إلى جذورها اللغوية، وقسم كل حرف ثلاثة أبواب بحسب الحركات الإعرابية الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة).

وأما المحقق فقد قسم الإصدار قسمين: الأول الدراسة، وفي الفصل الأول منه عرَّف بالمؤلف ذاكرًا اسمه ونسبه، وسيرته وصفاته وشيوخه الذين تتلمذ لهم، وأخيرًا وفاته. وفي الفصل الثاني عرَّف بعلم غريب القرآن مفصلاً في أهميته، ومناهج المؤلفين فيه، ونشأته وتطوره، والتأليف فيه، وجمع نحواً من 205 كتب في هذا العلم من مطبوع ومخطوط ومفقود، ونبه على جمهرة منها كانت طي النسيان. وتشمل كذلك طائفة من الكتب مجهولة المؤلف، وأخرى صادرة في العصر الحديث، بعضها بغير اللغة العربية. وفي الفصل الثالث عرَّف بالكتاب، ونسبته، ورواته، وشهرته وأهميته، واختلاف تسميته، وطبعات الكتاب السابقة، والنسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق، ومنهج التحقيق وختم بإيراد نماذج من المخطوطات.

أما القسم الثاني فهو التحقيق: إخراج الكتاب على صورة أقرب ما يكون مما وضعه مؤلفه الأصلي، وتقريبه للجمهور بمقابلة النسخ المخطوطة، وتوثيق النصوص، وشرح كل ما غمض فيه وضبط الكتاب.

وألحق المحقق بالكتاب فهارس متنوعة للمفردات القرآنية الغريبة، ثم للشواهد القرآنية الكريمة والقراءات والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار، والأمثال، والأعلام، والقبائل، والأماكن والمدن، وفهرس الموضوعات.

والكتاب هو أول معجم للمفردات القرآنية الغريبة في التراث العربي، ومن أشهر ما أُلف في غريب القرآن، ومن أنفس ما صُنِّف فيه وأجوده.

ويقع في 490 صفحة من القطع الكبير، وقد صدر عن دار طلاس في دمشق.

الخصائص الفنية في شعر محمد هاشم رشيد



دراسة للوقوف على بعض النواحي الجمالية والخصائص الفنية في شعر «الاتجاه الوجداني» في العالم العربي، وهو الاتجاه الذي يعرف في أدبيات الشعر باسم المدرسة الأوروبية Romantism «مصطلح أوروبي»، ويشتهر عربيًا بـ «مرحلة الشعر الجديد» و«الاتجاه الابتداعي العاطفي» و«التجديد الرومانسي».

تصدى المؤلف عبدالرحمن الوصيفي لتجربة الشاعر السعودي محمد هاشم رشيد بوصفه أحد المصنفين ضمن مدرسة «الاتجاه الوجداني». وقسم الدراسة خمسة فصول: الفصل الأول تناول فيه حياة الشاعر ومذهبه الفني، والفصل الثاني تناول فيه اللغة في شعر محمد هاشم رشيد وأبرز أهم ملامحها الجمالية والدلالية، وفي الفصل الثالث تناول الصورة الشعرية عنده، وفي الفصل الرابع تناول الرمز الشعري ودلالاته، وفي الفصل الخامس تناول الموسيقى الخارجية والداخلية في شعره.

وخلص المؤلف في خاتمة الدراسة إلى أن محمد هاشم رشيد اقتفى بوعي أثر رواد شعر «الاتجاه الوجداني» ووَصَفَه بأنه كان مبتدعًا فيه وليس متبعاً، وحاول في كثير من شعره التخلص مما وقع فيه غيره من شعراء هذا الاتجاه، كما أنه سعى لتطوير القصيدة العربية عما كانت عليه عند رواد الاتجاه الوجداني في الربع الثاني من القرن العشرين، وقد جمع في شعره بين اللفظة الموحية والعبارة الدلالية والرمز الدلالي الهادف الذي لايُحوِّل الشعر إلى طلاسم، بل يجعله أكثر دلالة بوجود رابط قوي بين الرمز والمرموز إليه، فضلاً عن توظيف التراث الفكري والحضاري إلى جانب الانفتاح على أساليب الغرب الأوروبي من دون الذوبان فيها، مما دعم ملكة التنويع عنده وسهولة الانتقال بين أشكال القصيدة من شعر مقطعي إلى الشعر الحر، إلى الموشحات إضافة إلى الغالب الموروث.

الدراسة تقع في 221 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدرت عن دار الحريري للطباعة في القاهرة.

الإبداع في دائرة الضوء



كتاب يشتمل على حوارات يطرح من خلالها المعدّان عامر الديك وأوهام العبدالله إشكاليات إبداعية ونقدية، ويحاولان معالجتها بمواجهة مجموعة من الأدباء بسؤال مركزي: هل بالإمكان تحديد الحجم الحقيقي لإشكالية الإنسان العربي المعاصر؟. ويذهب معدا الكتاب إلى أن مشروع الكتاب يهدف إلى: «تعريف القارئ على المبدع عن قرب ، ومواجهته مباشرة، وسبر مواقفه من معظم القضايا التي تهم الوسط الثقافي العام، والكشف عن (جوانيته)، وكيفية تجلي الحالة الإبداعية في ذاته».

عولج موضوع الكتاب في بابين، الأول بعنوان: «الإبداع والذات المبدعة»، والثاني بعنوان: «قضايا النقد المعاصر»، واحتوى البابان على حوارات مع عشرة أدباء سوريين: محمود علي السعيد «المقاومة إضاءة من إضاءات موشور الذات»، محمد جمال طحّان: «الكتابة مضادات حيوية للتعفن»، فايز مقدسي: «القصيدة هي حالة عشق بين عاشق ومعشوق»، فاضل سباعي: «لكل شيخ طريقته»، وليد إخلاصي: «الكتابة هي مأزقي الأساسي»، د. نعيم اليافي: «الحركة النقدية مأساة في الوطن العربي»، د. فايز الداية: «الأدب العظيم يستدعي نقداً عظيماً»، د. عبدالله عساف: «قصيدة الرؤيا تعاني من أزمة خانقة»، د. سعد الدين كليب: «القبح هو أحد المفاهيم الجمالية».

وبالإضافة إلى الكشف عن بعض القضايا الخاصة بكل شخصية من الشخصيات الأدبية العشر ضمن مجالها وآخر إنجازاتها، ناقش الكتاب العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي، وبحث في القواسم المشتركة بين المبدع والناقد في النظرة إلى الإبداع، وبين المبدع والمتلقي، وبين المتلقي والناقد، والبحث عن حالات الانفصال بينهما، وكيفية المصالحة الموضوعية، وضمن هذا الإطار تعرض الكتاب إلى واقع النقد والإبداع وتحديد مفهوم الحداثة الشعرية ، ووقف عند بعض المناهج النقدية المطروحة حديثًا.

يقع الكتاب في 183 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار الحوار في اللاذقية.

١- جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة . مجلة الفيصل
ص .ب . (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 230

ج1- الثلاثة الذين نزلت فيهم الآية 118 من سورة التوبة هم: الصحابي الشاعر كعب بن مالك بن عمرو الخزرجي الأنصاري، والصحابي هلال بن أمية الواقفي الأوسي الأنصاري، والصحابي مرارة بن الربيع العامري الأوسي الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين.

وقد نزلت هذه الآية في إثر غزوة تبوك التي جرت في أواخر السنة التاسعة للهجرة.

ج2: من الحيوانات التي ذُكرت في القرآن الكريم:

البقرة: في قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هُزوًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ البقرة:67، وهذا إخبار عن البقرة التي طلب موسى عليه السلام من بني إسرائيل ذبحها بأمر من الله عز وجل.

الفيل: في قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الفيل: 1. تقصّ هذه الآية خبر أبرهة الأشرم وجماعته عندما أرادوا هدم البيت الحرام فأبادهم الله عن بكرة أبيهم.

الكلب: في قوله تعالى: ﴿وتحسبهُم أيقاظًا وهم رقودٌ ونُقلِّبهم ذات اليمين وذات الشِّمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطَّلعت عليهم لولَّيتَ منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا﴾ الكهف: 18. وفي الآية إخبار عن أهل الكهف وكلبهم.

الغراب: في قوله تعالى: ﴿فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض ليريَهُ كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتي أعَجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين﴾ المائدة: 31. وهذا الغراب كان شاهدًا على جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل بن آدم عليه السلام.

الهدهد: في قوله تعالى: ﴿وتفقَّد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ النمل: 20؛ فقد أخبر الهدهدُ نبيَّ الله سليمان عليه السلام عن قوم سبأ وملكتهم بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، وعبادتهم الشمس من دون الله.

الناقة: الأعراف:73،77، هود:64، الإسراء:59، الشعراء:155، القمر:27، الشمس:13.

نتائج مسابقة العدد 230

أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، أحمد محمد المدلجي، حلب - سورية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريال سعودي، محمد الهادي السيد سعد الدين، الشرقية - مصر.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150ريال سعودي، سحر محمود صالح أحمد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1- لؤي جرجيس فتوحي، درم - إنجلترا.

2- عبدالله السالم بن غايتن، نواكشوط - موريتانيا.

3- ربيعة الحاج عبدالعزيز بنونة، الدار البيضاء - المغرب.

4- فادية الصطوف، حلب - سورية.

5- الهادي آدم محمد إسحق، الخرطوم - السودان.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا)، كل من:

1- عبدالقادر العربي، بوسعادة - الجزائر.

2- عبد اللطيف شمسان عبدالرب اليوسفي، صنعاء - اليمن.

الذئب: يوسف:13، 14، 17. الحوت: الكهف:61، 63، الصافات:142، القلم:48، الأعراف:163.

الحمار: البقرة:259، المدثر:50، النحل:8، لقمان:19، الجمعة:5.

الثعبان: الأعراف:107، الشعراء:32.

ج3: هو الروائي البريطاني الساخر جورج أورويل (1903 - 1950م) George orwell واسمه الحقيقي إريك بلير. ولد بالهند، واشترك في الحرب الأهليةالإسبانية 1936م. وعلى ميوله اليسارية المتطرفة؛ فقد عبّر عن خشيته على الحرية الفردية من تسلط السلطة الحاكمة عليها، وذلك في روايته «مزرعة الحيوانات» 1946م. وفي روايته «سنة 1984» 1949م يصور عالمًا سيطرت عليه القوة، وتحكّم فيه البطش، وانعدمت الحرية انعدامًا تامًا.

ج4: تعد عملية اكتشاف الفضاء من أعظم الإنجازات التي قام بها البشر. ففي 4 أكتوبر/ تشرين الثاني 1957م قام الاتحاد السوفيتي بإرسال أول قمر صناعي اسمه «سبوتنيك 1» Sputihik1 وكان على شكل كروي قطره 58 سم ووزنه 184رطلٍ. وقد وصل إلى ارتفاع 896 كيل، وأتم دورة كاملة حول الأرض في 96 دقيقة. انتهت رحلته في 1958/1/4م.

ج5: أول دولة استعملت صناديق البريد في شوارعها هي فرنسا؛ ففي عام 1650م كانت تعمل في باريس أربعة مكاتب للبريد تربط بين العاصمة والأقاليم، وبين العاصمة والخارج، ذلك أنه لم تكن لدى باريس وسكانها أي وسيلة تواصل فيما بينهم، ثم منح الملك لويس الرابع عشر سنة 1653م رئيس ديوانه فيلاييه امتيازًا بإنشاء صناديق بريد يضعها في طرقات باريس، على أن يحصل نظير القيام بتوزيع المراسلات التي تُوضع فيها على «سو» واحد عن كل خطاب يُرسل إلى شخص ضمن حدود المدينة. وكان يجب على مرسل الخطاب دفع الأجر مقدمًا، ثم يُعطى بطاقة يلصقها على الخطاب وعليها تاريخ الإرسال. ولما شاع استعمال طوابع البريد، اخترع د. ويبرج السويدي صندوقًا ميكانيكيًا تفرغ محتوياته في حقيبة جلدية، وذلك بفتح قاعدته بطريقة ميكانيكية بحيث لايتسنى للمفرغ مس المراسلات، ثم بعد ذلك يتم تفريغ الحقيبة في مصلحة البريد بمفتاح خاص.

أسئلة مسابقة العدد 233

السؤال الأول:

حث الإسلام على صلة الرحم، وجعل قاطعي الرحم ممن يستوجبون اللعن. اذكر آيتين من كتاب الله تدلان على ذلك.

السؤال الثاني:

للمرأة المسلمة على زوجها حقوق منها ماهو مادي؛ مثل المهر والنفقة، ومنها ما هو غير مادي. اذكر ثلاثة من الحقوق غير المادية.

السؤال الثالث:

حفل تاريخ الإسلام بأناسٍ عموا عن الحق وارتدُّوا عن الصراط القويم، ولاسيما في القرن الهجري الأول. من أول من ارتدَّ في الإسلام؟

السؤال الرابع:

شاعر أديب، كان من أكبر شعراء عصره على أنه نظم الشعر العامي بمختلف فنونه، وابتكاره ماعرف بالموشح المضمن. فمن هو؟

السؤال الخامس:

موسيقي ألماني، يعد من عباقرة الموسيقى وكتّاب القصص في الوقت ذاته. أُطلق عليه لقب ملك الأوبرات وفيلسوف الموسيقى. فمن هو؟

3- محمود حسن محمد رباع، عمان - الأردن.

4- محمد عقيل بلال الزهراني، الرياض - المملكة العربية السعودية.

5- محمد علي أحمد محمد، أسوان - مصر.

6- إدريس آيت داود، مراكش - المغرب.

7- إياد عصمة العقيلي، حلب - سورية.

8- نورة إبراهيم أبوالعماش، الزرقاء - الأردن.

9- تاج السر أحمد عبدالله، ود مدني - السودان.

10- نبيلة بنت محمد السبيهين، الرياض - المملكة العربية السعودية.

■ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- فؤاد سالم عيد سالم الحجوري، ينبع البحر - المملكة العربية السعودية.

2- عبدالرحمن مروان موسى، فلج المعلا - الإمارات العربية المتحدة.

3- الباتول سيد علي، المسيلة - الجزائر.

4- أحمد محمد الإبراهيم، حلب - سورية.

٥- وكاك بدر الدين محمد، أغادير - المغرب .

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 233
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

مَا يُنْضِجُ كُرَاعًا وَلا يَرُدُّ راوِيةً

يُضرب للضعيف الذليل.

قالت عمرة بنت معاوية بن عمرو: سمعت أبي يُنشد في الليلة التي مات في صبيحتها وهو ينظر إلينا حوله:

ياويْحَ صبيتي الذين تركتُهُم
من ضعفهم مايُنْضِجُون كُراعَا

من عجائب الخلَق

يزن قلب الحوت الأزرق أكبر الحيتان نحو 450 كيلو جرام تقريبًا، ويخفق خمس مرات أو ستًا في الدقيقة الواحدة، بينما يخفق قلب الذبابة ألف مرة في الدقيقة الواحدة!

مفارقات بين لنكولن وكنيدي

من غرائب المفارقات والمصادفات التي نشرتها مجلة تايم الأمريكية عن مقتل الرئيسين الأمريكيين لنكولن وكنيدي، أن الأول وُلد عام 1839م، والثاني 1939م، وانُتخب لنكولن رئيسًا عام 1860م، وكنيدي عام 1960م، ويتألف اسم كل منهما من سبعة أحرف، وفقدت زوجة كل منهما ابنًا حين كانت السيدة الأولى للبيت الأبيض، واغتيلا يوم جمعة بحضور زوجتيهما، وكانت إصابتهما بالرصاص في الرأس من الخلف، وقُتل قاتلاهما قبل مثولهما أمام المحكمة، ويتألف اسم كل من القاتلين من خمسة عشر حرفًا، واغتيل لنكولن وهو في مسرح فورد، واغتيل كنيدي في سيارة فورد، وخلَفَ كُلاً منهما رئيس جديد يدعى جونسون، وولد أندرو جونسون الذي خلف لنكولن عام 1808م، وولد ليندون جونسون الذي خلف كنيدي عام 1908م.

كلاهما مخطىء

قيل للفيلسوف الفرنسي فولتير: إنها لشهامة منك أن تثني دائمًا على فلان، بينما لا يجد هو غير الذم إذا ما جاء ذكرك أمامه. فرد فولتير باقتضاب: حسنًا، لعل كلينا مخطىء!

ألقاب وأسماء

شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم: حسان بن ثابت.
سيد الشهداء: حمزة بن عبدالمطلب.
صنّاجة العرب: الأعشى، ميمون بن قيس.
أمير شعراء الجاهلية، والملك الضلّيل، وذو القروح: امرؤ القيس.
رب السيف والقلم: محمود سامي البارودي.
أمير الشعراء: أحمد شوقي.
شاعر النيل: حافظ إبراهيم.
أمير البيان: شكيب أرسلان.
الشاعر المحروم: الأمير عبدالله الفيصل.
علاّمة الجزيرة: حمد الجاسر.
شاعر القطرين: خليل مطران.
شاعر الشباب: أحمد رامي.
بنت الشاطئ: د. عائشة عبدالرحمن.
الأخطل الصغير: بشارة الخوري.
دايم السيف: الأمير خالد الفيصل.
شاعر الشام: أنور العطار.
كما أن هناك كثيرًا من الألقاب غير ما ذُكر.

سباق الهجن رياضة عربية أصيلة يحرص عليها مهرجان الجنادرية

استراحة العدد

أسوؤهم حالاً

قال عبدالله بن المبارك: جئت إلى سفيان الثوري عشية يوم عرفة، وهو جاث على ركبتيه، وعيناه تهملان، وقلبه يئز كخلية نحل، فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.

من نوادر شاعر النيل

دخل رجل إلى مجلس كان فيه حافظ إبراهيم، وكان حافظ يكره الرجل، فلاحظ مَنْ حوله تأففه منه ومن وجوده، وبعد أن خرج الرجل بقليل دخل شاب، فسلم عليه حافظ سلامًا فاترًا، فسأله أحد أصدقائه: من هذا؟

قال حافظ باللهجة المصرية التي تقلب القاف همزة: ابن اللئام (أي اللي قام).

شرود الفيلسوف

قيل لفيلسوف: لماذا نراك أحيانًا في حالة نسيان أو شرود؟ فقال: عندما ينسى الفيلسوف أو يبدو شاردًا أو غير منتبه لما يدور حوله، فهو عادة يفكر في عمل يتذكره كل الآخرين حوله.

قيادة

كان قتيبة بن مسلم الباهلي واليًا على خراسان في زمن بني أمية، وحدث أن خرجت عليه جماعة، فأهمَّه أمرهم. فقيل له: مايهمك منهم، وَجِّه إليهم وكيع بن مسعود فإنه يكفيكهم. فقال قتيبة: لا.. إن وكيعًا رجل به كِبْر، يحتقر أعداءه، ومَنْ كان هكذا قلّت مبالاته بعدوه، فلم يحترس منه، فيجد عدوُّه منه غرة.

الشجاعة والجبن

قيل: الشجاعة: أم الخصال وينبوع فضائل الكمال، وأصلها: ثبات القلب، وثمرتها: الأمن من العدو.

والجبن: شر خصال الرجال، وأصله: سوء الظن وعدم الصبر، وثمرته: وضع الأمور في غير مواضعها.

قالوا

عندما يشع نور الله داخل نفوسنا.. تكون الحياة من حولنا أفضل.

المفكر البريطاني هربرت وود هيد

إن الاتكال على قوة غير قوة الله هو إلحاد سافر، ومَنْ يتكل على ذراع بشر سيكون خائب المسعى معدوم الرجاء.

الكاتب الأمريكي نتالي كورنيل

القدرة على العمل الجاد المرهق ليست موهبة، ولكنها الوسيلة الوحيدة للاستمرار في الحياة إذا أعوزتك الموهبة.

جيمس جارفيلد

حياة الإنسان حرب لا هدنة فيها.

فولتير

الكاذب لا يصدق، حتى ولو كان صادقًا.

شيشرون

الرفق

قال حكيم: المرء يُدرِك بالرفق ما لا يُدرَك بالعنف، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته.

لا يعرفها إلا ذوو الرأي

قال أكثم بن صَيْفي: الأمور تتشابه وهي مقبلة، ولا يعرفها إلا ذَوُو الرأي، فإذا أدبرت يعرفها الجاهل كما يعرفها العاقل.

الحقيقة والكذبة

قال حكيم: قد تكون الحقيقة حلوة أو مرة، ولكنها ليست سيئة قطعًا، أما الكذبة فيمكن أن تكون حلوة ويمكن أن تكون مُرَّة، لكنها لن تكون يومًا حسنة.

نقاوة

قال ابن المقّري: حدثني أبو عبدالله بن الجهم، أخبرني يحيى الفراء قال: كنت قاطعت ابن درّاج الطفيلي أن يُملي عليّ ثلاثين نادرة بدرهم، فكان إذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له، فقال ابن درّاج: إن أردت النقاوة عشر بدرهم!

الحجاج وعامله

بعث الحجاج بن يوسف الثقفي أدهم بن محرز الباهلي إلى أهل سجستان وكتب إليهم: أما بعد فقد بعثت إليكم أدهم بن محرز، وهو ما علمته طويل الجلوس، دائم العبوس، سمين الأمانة، أعجف الخيانة، فاسمعوا له وأطيعوا!

الدنيا والآخرة

كتب عمر بن عبدالعزيز يومًا إلى الحسن البصري: اجمع لي أمر الدنيا، وَصفْ لي أمر الآخرة. فكتب إليه الحسن: اعلمَ - يا أمير المؤمنين - أنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن في أضغاث أحلام، مَنْ حاسب نفسه ربح، ومَنْ غفل عنها خسر، ومَنْ نظر في العواقب نجا، ومَنْ اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومَنْ فهم علم، ومَنْ علم عمل، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفس عليه.

يشعر بأنه مخطئ

سأل أحد الصحافيين أوسكار وايلد: لماذا يحب الناس الاستماع إلى نصائحك ويتفقون معك في كل ما تقول؟

فقال وايلد: إن هذا الأمر بالذات يسوؤني إلى حدٍّ ما، فعندما يكون الناس متفقين معي، يداهمني شعور قوي بأنني مخطىء.

سر النكد

سُئل الكاتب الإيرلندي الساخر جورج برنارد شو عن سر النكد، فقال: أن يتاح للمرء فراغ من الوقت ليفكر: أهو سعيد أم لا!

حكيم

قيل لسقراط يومًا: إن بعض الناس يهجونك هجاء فاحشًا! قال: وماذا يعنيني في ذلك، دعوهم يهجوني؛ بل يضربوني أيضًا ما دمت بعيدًا عنهم.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تلتمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.

وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

أحزان الغربة

شعر الطالب: التهامي الفقيه

السنة الثالثة ثانوي

تطوان ـ المغرب

تسائلني عن غربتي وتعاستي ... فقلت لها إن الغريب معذّب

تداعبه الأحلام وهي بعيدة ... ويشرق فيه الليل والفجر يغرب

وتسكنه الآلام حتى كأنه ... سقيم براه الداء حرّان موصب

ويغري به وهمٌ كذوب مخاتل ... وللوهم أظفار وناب ومخلب

يبيت على وجد ويصحو على جوًى ... كأنّ به جمرًا يؤج ويلهب

ويخفي جراحًا زادها البعد حرقة ... وفي الصدر قلب دائب الخفق متعب

يحنّ إلى الأحباب والأهل واللقا ... ويسأل عن دهر متى يتقلب

فلا تعذليه حسبه أنَّ عيشَه ... بعيدًا عن الأوطان عيش مخضّب

وحسب لياليه من السهد أنها ... كما السقم في جنبيه يرعى ويعزب

فواحَرَّ قلبي للغريب ولهفتي ... وواحزنا للتائهين تغرّبوا

ويا ليت يومًا يحمل السعد والمنى ... فينأى عن النفس الشقاء ويهرب

وتبسم أزمان لنا ومواسم ... فتزهو دروب العاشقين وتخصب

التعليق:

بني الشعر على خمس؛ اللفظ والمعنى والوزن والقافية والموسيقى، وليس الشعر هذه الأمور فحسب، بل هي دعائمه التي بني عليها، أو لأقل هيكله العظمي، ثم تأتي الصور لتكسو هذه العظام لحمًا، وتهرع العاطفة لتتدفق في عروقه دمًا نابضًا حيًا فيغدو شعرًا كامل القسمات سويًا.

قصيدة «أحزان الغربة» للأخ التهامي الفقيه مقطوعة شعرية على النهج العربي القديم شكلاً ومضمونًا، لذلك ستكون قراءتي لها بمنهج عربي قديم.

تقع القصيدة في اثني عشر بيتًا من البحر الطويل ذي الجنبات الواسعة والصدر الرحب الذي يتسع لمثل هذه المشاعر ومثل تلك الموضوعات «الغربة» التي قد تقرأ مجردة من ال التعريف «غَرٌ بهِ» بمنهج أصحاب الفلسفة اللغوية.

والأبيات صحيحة الوزن لم أزد عليها سوى واو العطف في البيت الرابع قبل «مخلب»، والقافية لا بأس بها متخيرة من القاموس اللغوي للشعراء القدماء، ومنها ما يندر استعماله في الوقت الحاضر «موصب، ويعزب» ومنها ما هو قلق لا يقر في مكانه مثل «عيش مخضب» ففي اللغة: خضّبه: غيّر لونه والخَضْب الصِّبْغ ويقصد الشاعر «المخضب بالدماء» وما أشبه ذلك لكونه من التعبير الذي شاع استعماله، وكذلك عدم ارتباط القافية ارتباطًا وثيقًا في قوله «فينأى عن النفس الشقاء ويهرب» وأكثر من ذلك في قوله «فتزهو دروب العاشقين وتخصب» فالزهو هو الإعجاب بالنفس والتكبر، والأولى تزهر لتناسب الخصب والنماء فيمكن أن يقول: «فيزهر درب العاشقين ويخصب» فتتسق الصورة بأسلوب مراعاة النظير، وكذلك فقد توصل إلى القافية في البيت الثاني بتكرار مرادفات للسقم والألم.

أما الألفاظ فأكثرها مأخوذ من معجم الشعراء القدامى، ولعل فيها تأثرًا بما تلقاه في أثناء دراسته في المرحلة الثانوية الأولى والثانية من قصائد شعراء الجاهلية، ولاسيما النابغة الذبياني في قصيدته البائية:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني

وتلك التي أهتم منها وأنصب

وكذلك شعراء العصرين الإسلامي والأموي، ولاسيما مجنون ليلى الذي تنسب إليه مقطوعة رائعة يصف حاله فيها:

كعصفورة في كف طفل يزمّها

تذوق حياض الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل يرق لما بها

ولا الطير ذو ريش يطير فيذهب

وكذلك شعراء العصر العباسي فمطلع الأبيات يذكّر بقول أبي فراس الحمداني:

تسائلني عن حالي وهي عليمة...

وتبدو كذلك ألفاظ وتراكيب عربية قديمة: «حرّان، فلا تعذليه، وحسب لياليه، فواحرّ قلبي وواحزنا»

فالألفاظ فصيحة مقدودة من قصائد عربية قديمة، ولايشينها من العامية إلا كلمة تعاستي فالجذر تَعَس تَعْسًا وتَعِسَ تَعَسًا فهو تاعِس وتَعِس، ويمكن استبدالها بكلمات كثيرة: «وغرابتي، وتلوّعي، وتنهّدي» كما أنها لم تنصهر في السياق فبدت لوحة فسيفسائية نافرة الأجزاء.

ومادامت الألفاظ على النحو القديم فإنها من دون شك - تعزف موسيقى قديمة حزينة بأدوات قديمة، تكثر فيها ياء اليأس «تسائلني - غربتي - تعاستي - يغري - يخفي - فواحرَّ قلبي - لهفتي».

والتنوين «بعيدةٌ - سقيمٌ - وهمٌ - كذوبٌ - أظفارٌ - نابٌ - وجدٍ - جوىً - جمرًا - جراحًا - حرقةً - قلبٌ - دهرٍ - بعيدًا - عيشٌ - يومًا - أزمانٌ».

وكذلك، فإن المعاني قريبة المأخذ بسيطة، تعبر عن آلام الغريب وآماله وحنينه إلى أهله وأمانيه في عودة السعادة والأفراح إليه بعودته إلى أهله، وإن لم يستطع الإشارة إلى الأخيرة.

ومما لاشك فيه أن العاطفة تلف الأبيات بدفئها، لكن ثوبها اللفظي والمعنوي ثوب قديم، قد لايروق الناس فلا يتأثرون بمن يحيا في جلابيب غيره من الأموات، ولاسيما أن شطرًا من الأبيات يخلو من الصور الفنية كقوله:

تسائلني عن غربتي وتعاستي

فقلت لها: إن الغريب معذّب

وفي بعضها يكرر صور الأقدمين البسيطة والمركبة «حتى كأنه سقيمٌ، كأنَّ به جمرًا، وللوهم أظفار وناب ومخلب».

ويردد الصور الشائعة كثيرة التداول «تداعبه الأحلام، يشرق الليل ويغرب الفجر، تبسم الأزمان، تخصب الدروب».

إضافة إلى ذلك ثمة نزر من الصور الجديدة كتشخيص الشقاء ونأيه وهربه وإن كانت غير مُتّسقة مع ما قبلها، وأفضل منها صورة «تسكنه الآلام» فهي ليست مجرد تشخيص للآلام بل هي - في الوقت نفسه - تصوير لنفسه بالمسكن، غير أنه أردفها بصورة سقيمة ضئيلة القيمة الفنية «حتى كأنه سقيم»، ولعل أجمل صوره قوله:

وحسب لياليه من السهد أنها

كما السقم في جنبيه يرعى ويعزب

فقد أسست على تشخيص السقم تشخيصًا حيوانيًا يرعى في جنبيه ويعزب أي يبعد في المرعى، ومن ثم فإن سهده يزداد ليلة بعد ليلة كما تتوغّل بُهْم السقم في جنبيه وتقتات عليه.

وبعد، فعطاء الشاعر الشاب التهامي الفقيه واعد بالخير الكثير - إن شاء الله تعالى - إن ثابر على تهذيب موهبته، وإغنائها، وأنبّه على أهمية أن يكون المرء ذاته، وأن يعبّر عن نفسه بأسلوبه الخاص وأن يصهر كل معادن الثقافات التي احتواها في بوتقة الإبداع لتغدو تحفة فنية، وأذكّر بأن العلماء القدماء كانوا يُشيرون على شُداة الشعر وطلابه بأن يحفظوا مئات القصائد ثم أن ينسوها لتكون لهم بصمة شعرية متميزة.

د. أحمد عبدالقادر صلاحية

متابعات

الأخ أحمد محمد شبل الدماطي - كلية الدراسات العربية والإسلامية جامعة القاهرة فرع الفيوم - مصر:

قصيدتك «البوسنة» عواصف من العواطف، وبركان من الأحزان، ومشاعر جياشة حارّة، تعبر عن موقف المسلم الحق والرجل النبيل، ولكم وددت أن تتربع مقطوعتك على عرش صفحة تباشير لولا الهنات العروضية وأشير إلى الأبيات: 1-2-4-5-12-17، واللغوية: 7-11، كما أنصح بألا يطغى العنصر العاطفي على العنصر الخيالي فالشعر كلٌّ متكامل متناسب الأجزاء؛ لذلك أرجو إعادة النظر في هذه الأبيات حتى تأخذ طريقها إلى النشر إن شاء المولى الكريم.

الأخ معتز الزبير - أبو عشر - السودان:

قصيدتاك «قلب أخيل» و«أمواج البحر غيراء» كلتاهما لم تنل من الشعر سوى القافية، وشيء غير يسير من العاطفة، فلا ينتظم فيهما أي وزن، ولا تطل فيهما أية صورة جديدة، كما تشيع فيهما بعض الأخطاء النحوية واللغوية، ومع ذلك فلا تتوقف عن المحاولة إن كنت ترى في نفسك شاعرًا، فكل إنسان شاعر ولكنّ ثمة فرقًا بين شاعر يقتصر على ذرف الدموع وشاعر فنان يرسم لوحات شعرية تفتن الألباب.

الأخ زياد حسين الخليف - القحطانية - القامشلي - سورية:

قصيدتك «الميلاد» التي كتبت على طريقة الشعر الحر تفتقر إلى ضبط الوزن فستة أسطر من أصل أربعة عشر سطرًا مختلة الوزن وثمة خطأ نحوي في قولك «يوم ، شهور، فسنين»، والصواب فسنون جرك إليه تقيدك بالياء قبل النون في القافية الملونة الجميلة، وأجمل ما في القصيدة ذلك التيار الدافئ من العواطف الذي عزف أنغام الحنين الرائعة، بيد أن هذه العواطف المتدفقة وتلك الأنغام الحزينة غرقتا في خواء القصيدة من المعاني. أنصح لك بتثقيف أدواتك الفنية، ففي صدرك ينبوع من العاطفة وفي كلامك بذرة شاعر تعهدها بالرعاية لتنبت وتنمو وتستوي على ساقها.

الأخ سعودي الطيب - الهامل - بو سعادة - الجزائر:

تقع قصيدتك «مرثية الوطن والغربة» ضمن ما يسمى بقصيدة النثر، أي أنها تخلو من الوزن، والوزن شرط أساسي لايمكن التنازل عنه في مفهوم الشعر الأصيل. مشاعرك طيبة بيد أن تعبيرك عنها مترجح بين الأسلوب المباشر الهزيل والأسلوب الحداثي الجميل الذي يخلط الألوان والأشكال ويرهص بميلاد شاعر إذا تعلم أوزان الشعر وما يتبعه. ثمة بعض الأخطاء اللغوية والنحوية ننصح باستدراكها واستكمال أدواتك الفنية، والبدء بقراءة التراث الشعري الأصيل حتى تتعرف الأساليب العربية الفصيحة والبليغة، ومن ثم تكون قادرًا على التحليق في سماء الإبداع الأصيل.

الأخ صبري محمد سعيد - جدة - السعودية:

قصيدتك «سحر العيون» قصيدة تقليدية فيها اختلال في الوزن منذ أول أبياتها؛ لذلك أشير عليك بالتمكن من علمي العروض القافية، وهي - من طرف آخر - ضعيفة الخيال، فليس ثمة من صورة جديدة، والخيال جوهر الشعر ومن دونه يعد الشعر نظمًا أو غسيلاً بتعبير النقاد القدماء، كما أن المبالغة في الصفات تجرك إلى مالا يحمد عقباه كقولك في شطر مختل الوزن «عاشق أنا جمالك القهّار»، هذا فضلاً عن بعض الأخطاء النحوية والإملائية، لذلك أنصح لك بالتريث وإتقان أدوات الشعر والتفكير كثيرًا قبل النشر ما دمت - كما ذكرت - ولجت هذا الباب.

رُدُودٌ خَاصَّة

الأخ مسعد أحمد سرور ـ محافظة شبوة ـ اليمن:

نشكر لك قصيدتك التي تعبر فيها عن إعجابك بمجلتك «الفيصل»، ونأمل إرسال قصائد أخرى حتى يمكن تقويمها ونشرها في باب «تباشير».

الأخ أحمد ملكاوي ـ جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية ـ الأردن:

سبق للمجلة نشر عنوان المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب في العدد 230 و 232، أي في العدد الماضي. وليس بين أيدينا الآن عناوين أخرى لمؤسسات يمكن أن تساعدك في إكمال دراستك.

الأخ وهيب عبدالحليم ـ نساوام ـ غانا:

ستصل إليك أعداد من المجلة، وسيُلبى طلبك الأول، أما الطلب الثاني فيمكنك مخاطبة الجهة المتخصصة كي تستطيع أن تفيدك.

الأخ عيلان عبدالحميد ـ عنابة ـ الجزائر:

«الفيصل» مجلة ثقافية، وطلبك خاص بأمور رياضية، لذا نعتذر لعدم قدرتنا على تلبية طلبك، ولاسيما أن هناك إشارة تحت عنوان «إيضاحات» في هذا الباب عن الطلبات التي لاتدخل في نطاق قدرات المجلة أو اهتماماتها، فنأمل المعذرة.

الأخ عبدالعاطي علي أبو بكر ـ الرياض:

نشكر لك ملاحظتك، وإن كنا في المجلة قد وقعنا عليها في أثناء التقويم الشهري لكل عدد يصدر، ولكن اهتمام القراء دليل على المتابعة الجادة والوعي، وهذا الخطأ فنيّ بحت، والمجلة إذ تشكر لك اهتمامك، لتأمل أن تتلقى ملاحظات الإخوة القراء وتعليقاتهم حول كل ما ينشر.

الأخ عبدالرحمن محمد عبدالرحمن المجذوب ـ حلفا الجديدة ـ السودان:

يسر المجلة أن يكون لها قراء من طلبة المدارس يحرصون على اقتنائها، ودعمًا لجهود رابطتكم يسر المجلة أن ترسل إليكم العدد الأخير منها، مع بعض الأعداد السابقة.

الأخوين عبدالحق محمد بنرحو ـ أصيلة المغرب، حاتم عبدالوهاب العمر ـ أدلب ـ سورية:

الأعداد المطلوبة في طريقها إليكما، ومرحبًا بكما صديقين للمجلة.

الأخ مولع محمد حريق الأسمر ـ بللسمر ـ أبها ـ السعودية:

نشرنا أكثر من مرة قائمة منشورات دار الفيصل الثقافية، وكذلك منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، أما فيما يتعلق بعناوين معاهد التعليم بالمراسلة، فليس لدينا معلومات عنها. ستصل إليك بعض الأعداد التي طلبتها حسب توافرها لدينا.

الأخت ندى أحمد الخطاب ـ دمشق ـ سورية:

تعليقك على مؤتمر بكين للمرأة الذي انعقد في العام الماضي ينم على غيرة واضحة، ودفاع عن القيم الأصيلة للأسرة المسلمة، ولكنه جاء متأخرًا، لذا نعتذر عن نشره، ومرحبًا بإسهامك مستقبلاً، وكذلك ترحب المجلة بمشاركات جميع الإخوة القراء وآرائهم حول القضايا المختلفة.

الإخوة: أحمد موفقي النجار ـ الجلفة ـ الجزائر، آيت داود أحمد ـ أغادير ـ المغرب، موفق الشيخ علي ـ دمشق ـ سورية:

أحيلت طلباتكم إلى القسم المختص، ونأمل من الإخوة الذين يطلبون مراجع علمية أو لرسائلهم علاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مراسلته على العنوان الموضح في زاوية «إيضاحات»

الأخ وليد يوسف حافظ ـ النبك ـ سورية:

يمكنك إرسال استفساراتك إلى الدكتور حسن ظاظا على عنوان المجلة الموضح في الصفحة قبل الأخيرة، وكذلك نأمل من الإخوة الذين يرسلون أسئلتهم إلى باب «طريق الهدى» أو الصفحات المخصصة للقراء ذكر اسم الباب أو الزاوية على غلاف الخطاب.

الأخ محمد فيصل شايقي ـ جدة:

المجلة بصدد نشر ملفات أخرى متخصصة تتناول قضايا متعددة تهم القارئ في عالمنا العربي والإسلامي، ومما لاشك فيه أن مناقشات القراء وتعليقاتهم تثري الساحة الفكرية وتعمق الرؤية في القضايا المطروحة.

بين القارئ والقارئ

أرغب في الحصول على بعض الكتب الثقافية، ولاسيما الجغرافية منها، مثل: «جغرافيا العالم الإسلامي» تأليف: صلاح الدين علي الشامي وزين الدين عبدالمقصود أو للمؤلف محمود طه أبو العلا، و«البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر» لمحمد السيد غلاب، و«تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر» تأليف د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر، و«الحجاز أرضه وسكانه» للأستاذ الفاروق السيد رجب، و«تاريخ المؤامرات السياسية» للأستاذ محمد عبدالله عنان.

فايز قسوم خليل - خطّاب - بريد خطّاب
حماة - سورية

أرغب في الحصول على الأعداد أرقام (381 , 395 ,443) من مجلة «العربي» الكويتية.

عادل محفوظي
ص.ب 201 ترقيع بريدي 2011
الدندان - تونس العاصمة

أرغب في الحصول على أعداد قديمة من مجلة «الفيصل»، ومجلات ثقافية أخرى.

منيف مظهر عبدالولي الأغبري
ص.ب 5026- محافظة تعز - اليمن

لديّ أعداد من مجلة «الدعوة» السعودية، أرجو ممن لديه الرغبة في اقتنائها المراسلة على العنوان الموضح

صالح التويجري
بريدة - القصيم - ص.ب 2507 - المملكة العربية السعودية

آمل من الإخوة قراء «الفيصل» تزويدي ببعض الكتب والمجلات الإسلامية النافعة، أو ببعض التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم.

فيحيح عبدالقادر
حي أجديد شارع توزمين
بلدية أولف - دائرة أولف - ولاية أدرار
الرمز البريدي 01300 - الجزائر

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ إبراهيم عبدالله الرميزان - رأس تنورة - السعودية:
عنوان مجمع اللغة العربية في جمهورية مصر العربية:
٢٦ شارع مراد - الجيزة

الأخ مأمون محمد داود - الخرطوم - السودان:
عنوان قسم الإعلام في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) الذي يصدر عن «الإسلام اليوم» :
شارع التين - حي الرياض - الرباط - المملكة المغربية
ص.ب 2275 - الرمز البريدي 10104
الهواتف: / 772433 (2127) 672290

الأخ ماهر عبدالمقصود - الدوحة - قطر:
عنوان متحف الفن الإسلامي:
هيئة الآثار المصرية - القاهرة - ميدان التحرير - المتحف المصري
الهواتف: 760390 - 754267 - 754310.

الأخ صالح الحربي - الرياض - السعودية:
مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت، والعنوان:
كلية الآداب - الشويخ
ص.ب 17073 الخالدية
الرمز البريدي 72451 الكويت
الهواتف: - 4816807 .4186799

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.



القيم التربوية في مناهجنا التعليمية



طالعت في العدد رقم 229 مقالة «جحا في أدب الأطفال - قيم تربوية غائبة» وفيها لمس الأستاذ/ محمد بسام ملص موضوع ثقافة النشء الذي هو بالفعل كما يقول الأستاذ محمد بسام «رؤية واعية تدرك ما يجب أن يقدم وما ينبغي أن يترك. ولايمكن لهذه الرؤية أن تنفصل عن القيم الإسلامية التي لابد أن ينشأ عليها أولاد الأمة».

وغاص الأستاذ - بعد دراسته ظاهرة أدب الأطفال والمطبوعات التي ملأت الساحة - في الشخصية الأسطورية جحا، وحلل وبيّن النواحي التاريخية والموضوعية لهذه الأسطورة، ودلف بعد ذلك لتبيان الحقيقة التي أثلجت صدري بكلماته المبينة في علاج هذا الأمر الخطير على مستقبل الأمة وبناء مجتمعها ووضوح شخصيتها.

ومعلوم أن الأمم ما هي إلا مجموعة من الأسر التي تترابط فيما بينها بمبادئ وقوانين وأعراف وتقاليد تتفاوت آثارها بين الأمم تبعًا لتفاوتها في درجات المعرفة والثقافة. وكلما كان الأساس قويًا كان ذلك أدعى لتماسك البناء وصلاحيته للبقاء، وكلما كانت الأسرة قوية قائمة على الأسس الصحيحة كان المجتمع قويًا.

وإذا كانت اللبنة الأولى في مجتمع الأسرة مفككة منهارة فلابد أن يكون المجتمع مفككًا منهارًا.

والإسلام دين يعمل على تكوين المجتمع القوي. فحرص على تدعيم اللبنة الأولى في البنيان الاجتماعي، وهي الأسرة، وعمل على إسعادها وتقويتها. وفي هذا الصدد، جاء بالمبادئ والقوانين التي تعمل على إحكام العلاقات والروابط داخل الأسرة، وعلى تقويتها وحفظها من الضعف والانهيار. وأوجب على المجتمع أن ينفذ هذه القوانين والمبادئ.

يقول تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ التوبة: 71.

والطريق الأمثل في تربية النشء هو تقديم القدوة الصالحة من ناحية الأب والأم على السواء. ثم الأخذ في تعليم الدين بالوسائل والطرائق التي تلائم مراحل حياة الناشئين «طفولة - صبا - مراهقة - شباب»، وتعتمد هذه الطرائق في أداء مهمتها على الكتاب الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والقصص القرآني ودراسة حياة أبطال شباب الإسلام. يقول تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ النحل: 78

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه. فأبواه يهّودانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه» رواه الطبراني والبيهقي.

ونفس الطفل في بدء الأمر قابلة لأن تُنقَش فيها الأخلاقُ الكريمة. مثلها في ذلك مثل المرآة المصقولة تنعكس فيها الصور الحسنة بكمالها وتمامها. بل هي كالصحيفة البيضاء النقية. وللمربي أن ينقش فيها ما يشاء.

جاء على لسان صالح بن عبدالقدوس:

وإن ما أدبته في الصبا
كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقًا ناضرًا
بعد الذي أبصرت من يبسه

فالانتباه إلى معالجة دراسة الأبناء والبنات في سن الطفولة «النشء» بحذر ورؤية صادقة لغرس التعاليم الدينية المتينة في نفوسهم والبعد بهم عن اكتساب عادة أو صفة «الكذب»، وهي محور مقالة الأستاذ محمد بسام في حكايات جحا المختلفة من بنات أفكار الكتّاب والأدباء.

ويجب إعادة تقويم أعمال الكتاب والأدباء بالاستفادة، كما قدمت، من المعين الذي لا ينضب، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

... ونبتعد عن السلبية التي تتمثل في عدم الاهتمام بالقيم التربوية في قصص أو حكايات الأطفال، أو كما تسمى «أدب الأطفال».

والاستعمار الأجنبي الذي ابتليت به الأمة الإسلامية والعربية، لم يكن ذا خير على أهلنا، إذ خلف أمورًا لاتنسى أبدًا. لمسناها نحن - والذين قبلنا - إذ وضع مناهج التعليم «السلم التعليمي» لخدمة أغراضه، وليس لتربية جيل صالح، متعمدًا الإساءة إلى الدين الحنيف.

أتى بالخبراء «مستشرقين وغيرهم» في الحقل التربوي لوضع المناهج التي تحارب العقيدة في صميمها، بماذا؟ بتنشئة أطفال المسلمين منذ نعومة أظفارهم على نهجه، ومفاهيمه. وهذه بعض الأمثلة - من المقررات الدراسية في وطني السودان - التي تبين ما أرمي إليه:

أ- وضع المستعمر قصصًا لتعليم الصغار القراءة والكتابة، مثل قصة محمد الطماع وطه القرشي في المستشفى، وواضح مغزى أسماء أبطال الحكايات، محمد، وطه القرشي، وهي من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جعل تلفيق القصة صفة الطمع بمحمد، كما نجد المرض والفقر والجهل ملازمًا لطه القرشي في قصصه متصورًا ذلك.

ب - وضع قصة كانت تدرس في المرحلة الأولية مدخلاً بسيطًا لـلتاريخ القديم بأسلوب يجعل النشء ينجذب للقصة كانجذاب الحديد للمغنطيس، وهذه القصة بعنوان وليم تل

والعـرب. تدور حـول وليم تـل بطل القـصـة، تصفه بأنه رجل قائد شجـاع كان يقود جيـشه في المقدمـة وينفخ بوقًـا، وإذا بالعرب يكمنون لجيشه خلف الجبـال وينقضّـون عليه ويقـتلون أفراده شر قـتلة. وهي تعني دخـول العـرب إلى إسبانيا. وتعني أن العرب قبائل متوحشة، بل أشد توحشًا من هولاكـو والبرابرة وأكثر منهم تعطشًا للدماء.

هذا نزر يسير لبلايا المناهج التعليمية، وعدم مواكبتها لتربية النشء في العالم العربي والإسلامي.

أرجـو من مـجلتنا الكـريمة والقـائمين عليـهـا السـيـر باسـتـمـرار في طريق سبـر غـور المناهج التـربوية، وتبيـان المفيـد منها، ووضع الدراسـات المختلفة في هذا الشأن أمام نظر الكتاب في العالم العربي.

محمد محمد المهدي المبارك
حي القلعة ـ أم درمان
السودان

الأندية الأدبية
ـ تاريخ موجز ـ



لقد طالعت مقال د. صبري أحمد نصرة في العدد (225) من الفيـصل تحت عنوان «الندوات الأدبية في الماضي القريب»، وتفـاعلت مع دعـوته بالـكـتـابـة في هذا الموضوع.

لقد أشبع الباحثون ببحوثهم ودراساتهم هذا الموضـوع، ولكني أود أن أضـيف شيـئًا مـوجـزًا عن هذا الموضـوع المـهم والطريف، وأدون بعض مساجلاتي عنه.

بداية يـجب أن نعـرف أن الصــالونات الأدبية قـبل أن تأخذ الشـكل المتعارف عـليه كانت معـروفة لدى العرب في جاهليـتهم.. وإسلامـهم. ولما كـان الرجل، بحكم الفطرة التي فطر الله النـاس عليـها، شـديد الحـرص على الظفـر بتكريم المرأة له واحـترامهـا إياه، لذلك يـبذل من ذات يده، بل من نفسـه، ما يقربه إليـهـا ويظفره بتقديرها له وإعـجابها به أدبيًا وفكريًا وماديًا. ومن هنا كانت الندوات الأدبيـة تجـتمع حـول المرأة وللمـرأة وبالمرأة، وكـان للمـرأة دور بارز في هذه المنتـديات، وكـانت زعيـمـة المنتـدى عـندهم من أرقى طبقات المجتمع تتصدر المنتدى ويسـعى إليها الشـعـراء والأدباء ورجـال الفكر والـعلم من كل لون وفن.

وقديمًا كان «لـعمرة» منتدى يجتـمع إليه الرجال للمـحادثة وإنشاد الأشعـار والأخبار، فـيقـول عنهـا الأصفـهـاني «امرأة جـزلة برزة يجتمع إليها الرجال لـلمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار»، كذلك كـان منتدى «خرقاء» في مكة، وهي الأخـرى كـان يجـتـمع إليـهـا الرجـال تناشدهم الأشعار بلا ريب أو سـوء ظن.

وفي العصر الأموي كان الحجاز يعرف الكثـيـر من هذه المنتـديات، مـثل: منـتـدى جـميلة ونادي سـلامة، ونـادي سكينة بنت الحسين وعـائشة بنت طلحة. وكان العـفاف والاسـتقـامة ومـتانة الخلق والتـصوّن يحـمل الناس على إكـبار هؤلاء النسوة وتقـديرهن، فكانت السـيـدة سكينة بنت الحسين كـمـا يقول الأصـفهـاني: «عفيـفة سليـمة برزة من النساء، تجالس الأجلَّة من قريش ويجتمع إليها الشعراء».

وفي العـصر العبـاسي ـ كان بيـت «فضل العبـدية» ملتقى الأدباء والشعراء أمـثال: علي ابن الجـهـم وأبي دلف العـجلي، وفـي القـرن التـاسع الهجـري كـان بين عائشـة البـاعونيـة والأدباء والعلـمـاء مـسـاجـلات ومناظرات طويلة في مجلسها الأدبي في بيتها.

أما منتـديات الأدب في الأندلس فكانت المرأة زينهـا، وكان لـبعـضهـم منتديات أدبيـة تضم عليـةَ القوم وعظـماء الرجـال في الفنون والأدبَ، كـحـفصـة بنت الحـاج الركـونيـةُ، وولادة بنت المستكفي، وعـائشة القـرطبيـة، ونزهون بنـت القـلاعي الغـرناطيـة، وسـارة الحلبية.

وفي العـصـر الحـديث، كـانت الأمـيـرة نازلي تعقد في بيتـها ملتقى لأهل العلم والفن في مصـر أمثـال: قاسم أمين، وسـعد زغلول، والشـيخ محـمد عبـده، والشاعـر ولي الدين يكن.

كـذلك كـان صـالون مي زيادة ـ مـاري زيادة ـ الذي بدأ سنة 1911م، واستمـر حتى الثلاثين وكان يعقد في بيتها ويحضره الأدباء والشعراء ورجال الصحافة والفكر ـ كالعقاد ـ وأنطوان الجميل، ومصطفى صـادق الرافعي، وإسمـاعيل صبري، وخليل مطران وغيرهم، وقـد تزايد رواده وأصبح ذا شـأن كـبيـر في الأوساط الأدبية، وكانت المساجلات الأدبية تدور فيه بين مي وضيوفـها. أما صالون العقاد فكان يعـقد في صبـاح كل جـمعـة في منزله بمصـر الجديدة حيث يتـدارسـون ويناقشـون العديد من الآراء والاتجاهات الفكرية والأدبية في مصر وغيرها.

وكان للشـعر أيضًا صـالوناته ومجـالسه كـصالون الشـاعر علي محـمود طه حـيث كـان يسـتـقـبل في داره «حانة الملاح التـائه» نسبـة إلى واحدة من قـصائده أدباء وشـعـراء شـتى من مـصـر وغـيـرها من الدول العربيـة أمـثـال: الكاتب العـراقي روفـائيـل البطي، والشـاعر السـوري صلاح الأمـيـر، والأديب

أحمد حسن الزيات.

ولما قامت ثورة 23 يوليو في مصر توقف كل شيء وتغيرت الأوضاع والمفاهيم، فلما استقرت الأمور بعد ذلك بدأت الحياة الأدبية تعاود ظهورها، فظهرت الندوات المختلفة في الجمعيات الأدبية والفكرية حيث كانت هناك ندوات لجماعة الأدب الحديث وشعراء العروبة وجماعة الرافعي بطنطا، ولعل أشهر هذه الندوات في العصر الحديث. الصالون المفتوح الذي يقيمه الأديب والروائي نجيب محفوظ في مقهى «أبو الريش» بالقاهرة وحوله نخبة كبيرة من المثقفين المصريين.

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي
دمشيت - طنطا - مصر
الرمز البريدي 31721

قريتي وسهام العيون



في العدد (229) شهر رجب 1416هـ من مجلة الفيصل تم نشر قصيدة «قريتي» للشاعر الدكتور عبده بدوي وقد لاحظت ما يلي:

أولاً على صعيد التشكيل:

1- ضرورة وضع السكون على نهاية الكلمات التالية: (للخضرهْ - حسرهْ - للهجرهْ) في الأبيات الثلاثة الأولى، وذلك لكيلا يحصل خطأ بالقراءة خصوصًا لمن يخفى عليه الوزن الشعري.

2- ضرورة وضع كسرة على نهاية الكلمات التالية: (أنباء - استحياء - الأضواء) وذلك لإشباع الهمزة لكي يستقيم الوزن.

ثانيًا: على صعيد الوزن الشعري:

القصيدة مكتوبة على بحر المتدارك وتفعيلاته:

فعلن فعلن فعلن فعلن
فعلن فعلن فعلن فعلن

///ه ///ه ///ه ///ه
///ه ///ه ///ه ///ه

1- في الشطر الأول من البيت السابع يقول البيت:

في العودة شاهدت مطارًا
وطيورًا ليست فيها الروحْ

/ه/ه ///ه /ه/ //ه/ه
فَعْلُنْ فَعِلُن فَعْلُ فَعُولُنْ

وهذا كسر واضح. وكان على الشاعر أن يقول مثلاً:

شاهدت مطارًا جانبها
وطيورًا ليست فيها الروحْ

/ه/ه ///ه /ه/ه ///ه
فعْلن فعلن فعْلن فعلن

والضمير في كلمة جانبها يعود للقرية

2- في الشطر الثاني من البيت التاسع يوجد نقص (/ه) في نهايته وهذا واضح ولايجوز هذا الحذف لأن القصيدة كاملة الوزن باستثناء هذا البيت. يقول البيت التاسع:

وأصخت لناي مطرود
تحت الصفصاف المجروحْ

/ه/ه /ه/ه /ه/ه /ه ه
فعْلن فعلن فعْلن فعْلْ

ويمكن تصحيح ذلك كما يلي مثلاً كأن نقول:

وأصخت لناي مطرود
ما بين الصفصاف المجروح

/ه/ه /ه/ه /ه/ه /ه/ه ه
فعْلن فعلن فعْلن فعْلان

وأشير كذلك إلى أنه في العدد (227) من المجلة وعلى صفحة (53) نشرت قصيدة بعنوان «سهام العيون» للشاعر عبدالرحمن العبدالله العبدالكريم، وهي كما قال، قصيدة معارضة لقصيدة نشرتها مجلة «الفيصل» في أحد أعدادها للشاعر الراحل زكي قنصل على الروي نفسه والقافية نفسها. قرأت القصيدة ولاحظت في الشطر الأول من البيت الأول خطأ في الوزن. يقول هذا البيت:

لعلَّكَ يا زكيْ بنْ قُنْصل إذْ رمتك
كعابٌ بضَّةٌ بذوات هدبِ

//ه///ه //ه/ه/ه //ه/ه //ه/ه
//ه/ه/ه //ه///ه //ه/ه

مفاعلتن مفاعلْتن فعولن فعولن
مفاعلْتن مفاعلتن فعولن

القصيدة من البحر الوافر:

بحور الشعر وافرها جميلُ
مفاعلتن مفاعلتن فعولُ

والخطأ هو زيادة / فعولن / في الشطر الأول.

ولكي يستقيم الوزن ويبقى المعنى ثابتًا، كان على الشاعر أن يقول:

لعلّك يا زكيْ إذْ ما رمتك
كعاب بضة بذوات هدبِ

//٥///٥ //٥/٥/٥ //٥/٥

أو يقول:

لعلّك يازكيٌّ إذا رمتك
كعاب بضة بذوات هدبِ

//٥///٥ //٥///٥ //٥/٥

طبعًا المقصود هنا بكلمة زكي هو الشاعر زكي قنصل رحمه الله.

وفي كلتا الحالتين يكون البيت صحيحًا.

فعذرًا من الأخ الشاعر، وأرجو له النجاح في جميع قصائده.

المهندس الزراعي الشاعر
توفيق إبراهيم ناصر
مشقيتا ـ اللاذقية ـ سورية

التحرير

نشكر لكم ملاحظاتكم التي بعثتم بها إلينا حول ما ينشر من شعر قد يقع فيه خطأ. ونحب أن نقول:

1- ما قلتموه من وجوب سكون على الهاء في للخضرهْ، حسرهْ للهجرهْ الخاطرْ، وذلك في قصيدة «قريتي» للدكتور عبده بدوي .. فنحن تقيّدنا بما أرسل به الشاعر مما لا يُعدُّ من الخطأ أولاً، والأمرُ الثاني أن الذائقة الشعرية تجعل القارئ يحسّ بتقييد القافية أو بإطلاقها في مثل: أنباءِ، استحياءِ، الأضواءِ..

والأمر الثالث أن الضبط بالشكل للأمور الواضحة هو مطلب لمن ينشد الكمال قدر المستطاع، فإذا لم يجد الشاعر نفسه داعيًا له، فليس لقسم التحريرالتدخل ما لم يكن هناك خطأ في ذلك.

2- في الوزن الشعري: قلتم في قوله:

في العودة شاهدت مطارًا...
فَعْلُن فَعِلُن فعلُ فعولن

فالاضطراب في التفعيلة الأخيرة وهذا حق، وأما التي قبلها: هَدْتُ: فمادامت التفعيلة تنتهي عند التاء المتحركة، فيمكن إشباع الحركة فينشأ من إشباعها ساكن فيكون الوزن /٥/٥ ـــ فَعْلُنْ ..والسهو دائمًا يثير حركة فكرية تثري المعرفة.

أما البيت التاسع فيصحّ بتحريك الحاء: المجروح: روحي: فَعْلُن ويكون في البيت إقواء، وذلك أيسر من تغيير ما جاء به الشاعر إلى تفعيلة قد لايسيغها البحرُ نفسه. ومن المعلوم أن فريقًا من كبار الشعراء قد وقع في شعرهم الإقواء في أكثر من موضع..

3- أما قصيدة عبدالرحمن العبدالكريم فإن الخطأ في شطرها الأول كان سهوًا غير مقصود، وأصل الشطر في القصيدة كما كتبه الشاعر:

لَعَلَ زكيْ يَ قُنْصلَ إذْ رَمَتْه
مفاعَلْتُن مفاعَلْتُن فَعُولن

وهو وزن صحيح لاغبار عليه. ويأتي خبر «لعلّ في البيت الرابع: تملّكه الهوى..

نكرر تقديرنا لحسن متابعتكم.

يكفي أنه عربي مسلم

اطلعت على ما نُشر بمجلة «الفيصل»، في العدد 230 في باب مناقشات وتعليقات، للأخ صالح عبدالجليل تحت عنوان «إضاءة أخرى حول ابن خلدون» تعليقًا على موضوعي الذي سبق نشره في العدد 226 تحت عنوان «إضاءة حول ابن خلدون»، وملاحظته حول ماذكرته من أن ابن خلدون حضرمي، وأنه توفي في مصر سنة 808هـ. وإني إذ أشكره على اهتمامه ومتابعته، فإنه يبدو لي من تعليقه أنه يركز على أنني حين عَرَّفت ابن خلدون، لم أختتم التعريف بذكر(المغربي). وأود هنا أن أوضح للقارئ الكريم أن ما ذهبت إليه هو عين الحقيقة، كما أن ابن خلدون شخصية عالمية غنية عن التعريف، وما أوردته في مناقشتي سابقة الذكر لايختلف عليه اثنان وذلك حسب ماذكرته المصادر والمراجع.

إذ نجد في «مقدمة ابن خلدون» مكتوبًا: عبد الرحمن محمد بن خلدون، ومرة ثانية ورد اسم: عبدالرحمن بن خلدون المغربي، ومرة ثالثة ورد: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي. وهذا بالطبع لايقلل من قيمة هذا العلامة العبقري وأهميته ومكانته.

كما أن ولادته ونشأته في تونس لا تُفقده نسبه بأي حال من الأحوال، ويكفينا فخرًا أنه عربي مسلم.

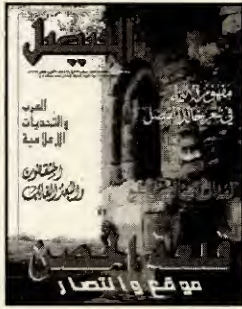
وفي «التعريف بابن خلدون» ـ المجلد السابع من تاريخه ـ نجد أنه قَدَّم الحضرمي

على المغربي، وفي المجلد نفسه يقول: «ولما دخل خلدون بن عثمان جدّنا إلى الأندلس نزل بقرمونه في رهط من قومه حضرموت.. الخ». وهذا اعتراف منه بنسبه إلى حضرموت، واسم خلدون ثابت من السياق. ويقول ابن خلدون أيضًا عن نسبه: «عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد ابن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن خلدون.. هذا لا أذكر من نسبتي إلى خلدون غير هذه العشرة، ويغلب عليّ الظن أنهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عددًا؛ إلا أن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمئة سنة فيكونون زهاء العشرين - ثلاثة لكل مائة - ونسبنا في حضرموت من عرب اليمن إلى وائل بن حجر من أقيال العرب معروف وله صحبة».ص 379 ، 380. وقد ذكر ذلك الأخ صالح في تعليقه.

أما فيما يتعلق بوفاته فهي بالطبع في مصر القاهرة سنة 808هـ ولا غبار عليها. وقد ذكر الدكتور عمر فاروق الطباع في كتابه «ابن خلدون، سيرته وفلسفته التاريخية والاجتماعية» والدكتور علي عبدالواحد وافي في كتابه «عبقريات ابن خلدون»، أن ابن خلدون دُفن في منطقة باب النصر بالقاهرة، وكانت تلك المنطقة خاصة بدفن المتوفين من أكابر العلماء وسائر العظماء من رجالات الفقه والقضاء. والكلام عن هذا العلاّمة شائق ويطول ولا يمكن أن تسعه هذه العجالة، ولعل فيما ذكرناه عظيم الفائدة، كما أوجه تقديري واحترامي لأسرة المجلّة، وشكري أيضا للأخ صالح عبدالجليل من مساكن - تونس، علمًا بأننا كنا - ومازلنا - على حق فيما ذهبنا إليه، ولكن نقول له: إذا كان لديه خلاف ما ذكرناه، فإننا نرحب به طلبًا للفائدة.

عبدالله بن نوح عبدالرحمن الشهري
ص.ب 233 أبها
المملكة العربية السعودية

قلعة الحصن



في أثناء مطالعتي لمواد العدد (228) من مجلتنا الفيصل استوقفتني بعض المعلومات التي أوردتها الدكتورة رفاه محمد كامل، عندما عرضت تاريخ قلعة الحصن في سورية، بعضها بحاجة إلى توضيح، وبعضها الآخر يحتاج إلى تصحيح. جاء في الصفحة 85 (كان موقع القلعة يعرف منذ عام 1031م بحصن الأكراد، لأن أمير حمص - بأمر صاحب حلب نصر بن مرداس - بنى حصنًا في ذلك الموقع وأسكن فيه حاميه من الأكراد إثر الزحف الصليبي باتجاه الشام...)، ربما يُفهم من هذا الكلام، أن الحملات الصليبية المنظمة بدأت قبل عام 1031م، والحقيقة هي أن الحروب الصليبية في الشرق بدأت بعد الدعوة لها من قبل الفرنسي البابا إيربان الثاني، واسمه أودودي لاجيري (1042-1099م)، وقد كان شخصية كنسية قوية، وله الدور الأساس والحاسم في توجيه الحملات الصليبية، ونظم مجموعة من المؤتمرات، التي انتهت بعقد مجمع كلير مونت بين 18-28 تشرين الثاني/نوفمبر 1095م، ثم عكف البابا مع معاونيه على وضع قوانين الحرب الصليبية، وتم اتخاذ ثلاثة وثلاثين قرارًا...، وفرضت الكنيسة على كل محارب في الحملة أن يحمل علامة الصليب، ولابد

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

أن يجعل على سترته صليبًا من نسيج أحمر اللون، وتحدد يوم 15آب أغسطس 1096م موعدًا لالتقاء الجيوش في القسطنطينية.. وفي النهاية وصلت القوات إلى القدس 492هـ - 1099م، وقد وصف ابن الأثير دخول الصليبيين إلى القدس: (ملك الفرنج القدس ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعًا يقتلون فيه المسلمين، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف..)

ومما جاء في الصفحة 86: «ثم انتقلت (أي قلعة الحصن) إلى فرسان القديس يوحنا عام 1142م. واستمرت بأيديهم إلى أن عزم السلطان نور الدين على فتح القلعة 1188م، فلم ينجح. وأقدم السلطان صلاح الدين الأيوبي على فتحها بعد فتح القدس فلم يوفق، ثم تابع الملك الظاهر بيبرس رسالة تطهير البلاد من بقايا الغزاة بعد توحيد بَرَّيْ الشام ومصر، فهاجمها في شهر آذار/مارس من عام 1271م، وفي الثامن من نيسان/أبريل من العام نفسه سقطت القلعة...» ورد هنا خطأ تاريخي، فمن المعلوم أن السلطان نور الدين زنكي توفي عام 569هـ الموافق للعام 1174م، فكيف يعزم على فتحها ولم ينجح سنة 1188م؟!، إلا أن يكون المقصود هو محاولة فتحها من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي (532هـ - 1137م/589هـ - 1193م)، فقد أقدم السلطان صلاح الدين على فتحها عام 1188م، فلم يوفق، وكان ذلك بعد تحرير القدس الذي تم يوم الجمعة 27رجب عام 583هـ الموافق 2تشرين الأول، أكتوبر 1187م، ومن ثم تابع صلاح الدين تحرير باقي ديار الإسلام، فهاجم قلعة الحصن فلم يتمكن من فتحها، ولم يطل حصارها، لأنه آثر أن يحرر المدن الساحلية وقلاعها، وقد كان لصلاح الدين خطة (استراتيجية) عليا في فن الحرب، وهو الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة، مع وضوح الهدف، والحرص على المسلمين، ووضع خطة (استراتيجية) للهجوم غير المباشر، والحرب التشتيتية والهجمات الوقائية، والمباغتة، والقدرة الحركية الفائقة، والقرارات الصحيحة. إن عدم إضاعة الوقت أمام ذلك الحصن المنيع، جعله يستولي على جبلة (في 15تموز/يوليو)، واللاذقية (في 22تموز/يوليو) وقلعة صهيون (في 29 تموز يوليو)، وقلعة بكاس الشغر (في 12آب/أغسطس)، وسرمين (19آب / أغسطس) كل ذلك من عام 1188م، وتصادف فتح هذه المواقع كلها أن حدث في يوم الجمعة. ثم تم فتح قلعة برزيه على نهر العاصي 23آب/أغسطس، وانتقل صلاح الدين إلى جبال الأمانوس فاستولى على حصن دريساك 16أيلول/سبتمبر، وتبعتها قلعة بفراس 26أيلول/ سبتمبر، وأصبح الطريق إلى قليقية مفتوحًا أمام المسلمين.

وذكرت الدكتورة رفاه أن قلعة الحصن كانت بيد فرسان القديس يوحنا بين عامي 1142-1271م، هذا ثابت تاريخيًا، ولكن من هم فرسان القديس يوحنا؟ عندما نستعرض تاريخ الحروب الصليبية، ترد كلمة الاسبتارية وكلمة الداوية، وهم الذين أطلق عليهم اسم فرسان المعبد TEMPLIERS، لأنهم سموا مكان الصخرة بالمعبد TEMPLUM، وهما من الحركات الهدامة في التاريخ، وقد عرف الاسبتارية فيما بعد باسم فرسان القديس يوحنا، وقد سموا بالاسبتارية لأنهم في أصل نشأتهم كانوا يقومون باستقبال الحجاج الفرنج وإيوائهم في نزل HOSPES أنشؤوها أول مرة بجوار كنيسة القيامة، وكانت الطائفتان تملكان الحصون والأساطيل، ولهما حق عقد المعاهدات وجباية الضرائب، وعندما انتهت الحروب الصليبية احتل الاسبتارية جزيرة رودس، واستمر حكمهم لها حتى نهاية القرن التاسع عشر. أما الداوية فقد انتشروا في كل أنحاء أوربا، وظلوا زمنًا طويلاً وهم يتحكمون بأعمال الصيرفة وتقديم القروض بفوائد فاحشة، وترددت الشائعات أن الداوية يدرسون فلسفة غريبة، ويمعنون في طقوس جرى نعتها بالهرطقة، وكان للمبتدئين (المريدين) شعائر منافية للأخلاق... وكثر الهمس عما يرافقها من ممارسة الرذائل المنافية للطبيعة السويّة... وهذا ما دفع ملك فرنسا (فيليب) لإصدار أمر في سنة 1307م بإلقاء القبض على جميع عناصر الداوية، ومحاكمتهم على الإلحاد بمقتضى التهم التي اقترفها فارسان اشتهرا بسوء السمعة، واعترف عدد كبير من الداوية بانحرافهم وجرائمهم. وفي سنة 1308م أصدر البابا مجموعة من الكتب وجهها إلى كل ملوك أوربا يطالبهم بمحاكمة الداوية ومصادرة ممتلكاتهم وأموالهم، واستجاب ملوك أوربا باستثناء ملك البرتغال.

أحمد حسين الجهماني
نوى - درعا - سورية

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ -
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ - ٢٥٨ ٠ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الأسعار:

السعودية ٨ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسا - الإمارات ٧دراهم - قطر ٧ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسًا - عُمان ٧٥٠بيسة - الأردن ٥٠٠فلس - اليمن ٤٠ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيهًا - المغرب ٨دراهم - تونس ٦٠٠مليم - الجزائر ١٠دنانير - العراق ٤٠٠فلس - سورية ٣٠ليرة - ليبيا ٨٠٠درهم - موريتانيا ١٠٠أوقية - الصومال ٢٠٠٠شلن - جيبوتي ١٥٠فرنكًا - لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الدعاية التلفازية



د. غسان حتاحت

التلفاز جهاز إعلامي خطير، بل هو أخطر أجهزة الإعلام طرًا، فهو يدخل إلى كل البيوت، إذ تراه في غرفة الجلوس أو غرفة الطعام وحتى في غرفة النوم. وزياراته عادة طويلة تستمر ساعات وساعات. ومن هنا كانت الدعاية التلفازية ذات أهمية كبيرة وانتشار واسع.

وهنا تبرز المشكلة، ذلك أن الدعاية التلفازية تغري المشاهد بشراء بضائع استهلاكية متعددة، كثيرًا ما لا يكون في حاجة إليها. وتقدم هذه الدعايات عادة أغاني خفيفة يظهر فيها أكبر عدد ممكن من الصبايا اللواتي يرتدين أقل كمية ممكنة من الثياب.

وترى الدعايات تتكرر وتعاد حتى ليحفظها المرء عن ظهر قلب. بل إن كثيرًا من الناس والأطفال خاصة يحفظون هذه الدعايات ويغنونها في الطرقات وكأنها أغان رائجة شائعة.

وقسم من هذه الدعايات يحوي ادعاءات غير صحيحة أو مبالغًا فيها. فهذه المادة هي الأفضل والأحسن، وتلك مفيدة للصحة، وثالثة غير ضارة وهلم جرًا.

وتعد الدعايات الموجهة إلى الأطفال أسوأ أنواع الدعايات، ذلك أن الطفل ينظر إلى الكبار نظرة احترام وثقة وتصديق، فعندما يطلب منه مقدم الدعاية أن يشتري الشيء الفلاني لأنه الأحسن، يصدقه الطفل وكأن مقدم الدعاية أب أو أم أو معلم، إذ لايدرك الطفل الصغير أن مايذكره مقدم الدعاية ليس إلا كلامًا قد يكون صحيحًا وقد لايكون كذلك، وذلك لترويج بضاعة ما. وأذكر أن ابنتي الصغرى (وعمرها تسعة أعوام) طلبت بإصرار أن أشتري نوعًا من الحليب أعلم علم اليقين أنه أقل جودة من سواه وما ذلك إلا لأن دعايته التلفازية أعجبتها.

ولقد سبقتنا الدول التي يعد الإعلان في التلفاز المصدر الأول في تمويل شركات التلفاز لديها، إلى جعل المعلنين يلتزمون الصدق في إعلاناتهم وليس ذلك من طريق الرقابة، فتلك الدول من دول اقتصاد السوق التي تعطي الحرية للمعلن كي يقول مايريد، لكنها في الوقت نفسه تُحَمِّل الشركة المنتجة للبضاعة، والشركات الموزعة لها وشركة الإعلان بل حتى الممثلين الذين يقدمون الإعلان، تبعة كل ادعاء غير صحيح. مما يجعلهم معرضين لدعاوى قضائية من كل من يرى نفسه متضررًا من دعايتهم، بمن فيهم من اشترى البضاعة فوجدها مخالفة لما تذكره الدعايات عنها.

ولاشك في أن معاملة الممثلين الذين يقدمون الدعاية على أنهم مسؤولون عنها أمر فيه شطط كبير، إلا أن ذلك جعلهم يمتنعون عن المبالغة في وصف فضائل المنتجات التي يعلنون عنها.

ولئن كانت بعض الدعايات تظهر عددًا من الصبايا الكاسيات العاريات مما يجاوز حدود الحشمة والخلق، فإننا في المقابل نجد دعايات أنيقة رشيقة، أخص بالذكر واحدة منها، وهي إعلان عن نوع من البرادات التي تبرد بالهواء، وترى الإعلان يحكي قصة رجل يعاني الأمرّين من تراكم الجليد في براده القديم، ثم تحل مشكلاته ويتم التخلص منها بشراء براد يعتمد على التبريد بالهواء، ولقد نجحت هذه الدعاية حتى إن كثيرًا من الناس أخذوا يغنونها لجمال لحنها وطرافة كلماتها. مع أنه لاتظهر في هذه الدعاية أية امرأة على الإطلاق. مما يدل على أنه ليس من الضروري كي يكون الإعلان ناجحًا أن يظهر صبايا متبرجات كاسيات عاريات مائلات مميلات.

إن الدعاية التلفازية تتفوق في بعض الأحيان على البرامج التلفازية نفسها، وأعرف بعض الناس يسجِّل هذه الدعايات «بالفيديو» ثم يعيد مشاهدتها في الوقت الذي يبث فيه التلفاز بعض البرامج التي لاتثير اهتمامه، بل إن بعض الإعلانات سواء في بلادنا أو في البلاد الأخرى تعد أفضل من بعض البرامج الأصلية، وأكثر حيوية منها.

لذلك يجب النظر بمنتهى الجدية إلى هذه الدعايات ومراقبتها جيدًا وتحميل أصحابها مسؤولية كل ادعاء غير صحيح أو مبالغ فيه، لأنه إن ترك الحبل على غاربه كي تقول الدعاية ماتشاء فلا يعلم صدقها من كذبها فإن ذلك يضعف مصداقية الدعايات التلفازية كلها. بل يضعف مصداقية التلفاز نفسه، وهو الجهاز الإعلامي الخطير.

وحرام أن تضعف مصداقيته لأسباب تافهة سخيفة.